

الحجة البيضاء

في تهذيب الراجاء

تأليف

الحقوق العظيم والمحدث الكبير الحكيم المسألة

محمد بن المرتضى المدعو بالمولي محسن الكاشاني

الطبعة ١٩٩١ هـ

قدس سره

مكتبة

مؤسسة الأعظم للطبوعات

مكتبة - طهران



0040601

Bibliotheca Alexandrina





المَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ

فِي هَذَيْنِ الْأَجْيَاءِ
تأليف

لمحقق العظمى والمحدث الكبير الحكيم آية الله محمد بن المرتضى المدعو

بِأَمْرِ الْمُحَسِّنِ الْكَاشِفِ

المؤلف ١٠٩١ هـ

صححه وعلق عليه على أكبر نقارى

الجزء الثاني

منشورات

مؤسسة الأعلی للطبوعات

بيروت - لبنان

ص ٧١٢٠

الطبعة الثانية
حقوق الطبع والتقليد محفوظة ومسجلة للناس
١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

﴿الباب الرابع﴾

﴿في الامامة والقُدوة﴾

أقول : قد ذكر أبو حامد في هذا الباب وظائف كل من الإمام والمأموم زيادة على المنفرد على طريقته ، ونحن نذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول وبالله التوفيق : من وظائف الإمام أن يكون مؤمناً - أي اثني عشرياً - ، عدلاً - أي موثقاً بدينه وأمانته - كما ورد في الأخبار ورخص في الاكتفاء بكونه غير معلوم الفسق ففي الفقيه قال الصادق عليه السلام : « ثلاثة لا يصلّي خلفهم : المجهول ، والغالي وإن كان يقول بقلوك ، والمجاهر بالفسق وإن كان مقتصداً »^(١) ، فإن المراد بالمجهول المجهول المذهب والاعتقاد دون العدالة لأنه جعله قسيم المجاهر بالفسق ، وكذا المراد بالمقتصد المقتصد في الاعتقاد أي لا يكون غالباً ولا مفرطاً كما هو ظاهر .

وفي التهذيب عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إذا كان الرجل لا تعرفه يؤم الناس ويقرأ القرآن فلا تقرأ خلفه واعتدّ بصلاته »^(٢) .

وفي الفقيه قال علي بن محمد ، ومحمد بن علي عليهما السلام : « من قال بالجسم فلا تعطوه شيئاً من الزكاة ولا تصلّوا خلفه »^(٣) .

وكتب أبو عبد الله البرقي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام : يجوز جعلت فداك الصلاة خلف من وقف على أبيك وجدك عليهما السلام ؟ فأجاب لاتصل وراه ^(٤) .

وسأل عمر بن يزيد أبا عبد الله عليه السلام عن إمام لأبأس به في جميع أموره ، عارف غير أنه

(١) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢١ .

(٢) المصدر ج ١ ص ٣٣١ ، وذلك لأن الأصل في المسلمين العدالة .

(٣) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢٤ .

(٤) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢٥ .

يُسمع أبويه الكلام الغليظ الذي يغيظهما أقره خلفه ؟ قال : « لا تقرأ خلفه ما لم يكن عاقباً قاطعاً ^(١) » .

وروى محمد بن عليّ الحلبيّ عنه عليه السلام أنه قال : « لا تصلّ خلف من يشهد عليك بالكفر ، ولا خلف من شهدت عليه بالكفر ^(٢) » .

وروى سعد بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن الرضا عليه السلام أنه قال : « سألته عن الرجل يقارف الذنب نصليّ خلفه أم لا ؟ قال : لا ^(٣) » .

ومنها أن يكون طاهر المولد أي لا يعلم كونه ولد زناً وأن يكون ذكر أسالماً من الجذام والبرص والحدّ الشرعيّ والأعراسيّة واللّحن والقعود وإن كان لعذر إلا أن يؤمّ مثله في الجميع ، ولم يجوز السيّد المرتضى إمامة الأنثى مطلقاً وجوزها الآخرون لمثلها ، ويكره إمامة المسافر للحاضر وبالعكس ، والمقيّد للمطلقين ، وصاحب الفالج للأصحاء ، والمتيمّم للمتوضّئين ، والأعمى للبصراء في الصحراء إلا أن يوجّه إلى القبلة ، والعبد إلا لأهله .

ومنها أن لا يتقدّم للإمامة على قوم يكرهونه ، فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين ، فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى .

وفي الحديث « ثلاثة لا يجاوز صلاتهم رؤوسهم : العبد الآبق ، وامرأة زوجها ساخط عليها ، وإمام قوم وهم له كارهون » ^(٤) .

وينبغي أن يقدّموا صاحب المسجد الراتب فيه وساكن المنزل ، ثمّ الأعم بالسنّة والأفقه في الدين ، ثمّ الأقرء للقرآن ، ثمّ الأقدم هجرة ، ثمّ الأكبر سنّاً .
وفي بعض الأخبار تقديم الثلاثة الأخيرة مع ترميها المذكور على الأعم ^(٥) لكن ما ذكرناه هو الأصحّ .

(١) إلى (٣) المصدر ص ١٠٤ رقم ٢٦ إلى ٢٨ .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٧١ ونحوه الشيخ في الامالي ص ١٢١ والترمذي

ج ٢ ص ١٥٤ .

(٥) راجع الكافي ج ٣ ص ٣٧٦ والفتاوى ص ١٠٣ رقم ١١ . والتهذيب ج ١ ص ١٢٢ .

وفي الفقيه « قال رسول الله ﷺ : إمام القوم وافدهم ، فقدّموا أفضلكم ^(١) .
وقال ﷺ : « إن سرّكم أن تزكو صلاتكم فقدّموا خياركم ^(٢) » .
وقال أبوذر - رضي الله عنه - : « إن إمامك شفيحك إلى الله تعالى فلا تجعل شفيحك
سفيهاً ولا فاسقا ^(٣) » .

وكما ينهى عن تقدّمه مع كراهتهم فينهي عنه إن كان وراه من هو أفقه منه وأقرء .
ففي الفقيه « قال رسول الله ﷺ : من صلّى بقوم وفيهم من هو أعلم منه لم يزل
أمرهم إلى سفال إلى يوم القيامة ^(٤) » .

نعم إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدّم ، فإن لم يكن شيء من ذلك فليقدّم
مهما قدّم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ، ولا ينبغي عند ذلك المدافعة إلا لمن لم
يتعوّد ذلك فإنه ربما يشتغل قلبه ويتشوّش عليه الإخلاص في الصلاة حياةً من المقتدين
لاسيما في جهره بالقراءة .

وإذا خيّر بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة لأنها أفضل ، ولا يكره
الجمع بينهما عندنا لوقوعه عن النبي ﷺ كما رواه أصحابنا وأنه ﷺ ربما كان
يؤذن ويقيم غيره وربما كان بالعكس .

ولا خطر في الإمامة كما زعمه أبو حامد لأن الإمام لا يضمن عندنا سوى القراءة كما
رواه في الفقيه عن الصادق عليه السلام ^(٥) فعليه بحمل قول النبي ﷺ : « الإمام ضامن
والمؤذن مؤتمن » ^(٦) أو على أنه يضمن ما يتركه المأموم سهواً من الأذكار غير مكبيرة
الافتتاح كما رواه فيه ^(٧) عن عمار الساباطي « أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن رجل سبى خلف
إمام بعد ما افتتح الصلاة فلم يقل شيئاً ولم يكبر ولم يسبح ولم يتشهد ولم يسلم ؟
فقال : قد جازت صلاته و ليس عليه شيء إذا سبى خلف الإمام ولا سجدة السهو لأن الإمام

(١) و(٢) و(٣) الفقيه ص ١٠٣ رقم ١٢ و١٤ و١٥ .

(٤) الفقيه ص ١٠٣ رقم ١٣ . وفي التهذيب ج ١ ص ١٣٠ مثله .

(٥) المصدر ص ١٠٣ رقم ١٦ .

(٦) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٨١ . وأبو داود ج ١ ص ١٢٣ .

(٧) أي في الفقيه ص ١١٠ تحت رقم ١٩٩ .

ضامن لصلاة من صلى خلفه .

وروى محمد بن سهل عن الرضا عليه السلام أنه قال : « الإمام يحمل أوهام من خلفه إلا تكبيرة الافتتاح (١) » .

قال الصدوق : « والذي رواه أبو بصير عن الصادق عليه السلام حين قال له : أضمن الإمام الصلاة ؟ فقال : لا ، ليس بضامن ، ليس بخلاف خبر عمار وخبر الرضا عليه السلام لأن الإمام ضامن لصلاة من صلى خلفه متى سهى عن شيء منها غير تكبيرة الافتتاح وليس بضامن لما يتركه المأموم متعمداً .

قال : ووجه آخر وهو أنه ليس على الإمام ضمان لإتمام الصلاة بالقوم لأنه ربما حدث به حدث قبل أن يتمها أو يتركها على غير طهر .

ومصدق ذلك ما رواه جميل بن دراج عن زرارة عن أحدهما عليه السلام قال : « سألته عن رجل صلى بقوم ركعتين ثم أخبرهم أنه ليس على وضوء ؟ قال : يتم القوم صلاتهم فإنه ليس على الإمام ضمان » (٢) .

قال أبو حامد : « قال بعض السلف : ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ، ولا بعد العلماء أفضل من أئمة المصلين لأن هؤلاء قاموا بين الله وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة » .

ومنها أن يؤتم مخلصاً لوجه الله ومؤدياً أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته . - قاله أبو حامد . -

قال : « فأمّا الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجراً فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان ابن أبي العاص الثقفي فقال : « واتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان أجراً (٣) » ، والأذان طريق إلى الصلاة والإمامة عين الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر فإن أخذ رزقاً من المسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو من أحاد الناس فلا يحكم بتعريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض أشد منها في النوافل ، و تكون أجرة له

(١) الفقيه ص ١١٠ تحت رقم ١٢٠ .

(٢) راجع الفقيه ص ١١٠ رقم ١٢٢ .

(٣) أخرجه أبو داود ج ١ ص ١٢٦ . والنسائي ج ٢ ص ٢٣ .

على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة .
و أمّا الأمانة فهي الطهارة باطناً عن الفسوق والكبائر والإصرار على الصغائر
فالمرشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك جهده فإنه كالوفد والشفيع للقوم ، فينبغي
أن يكون خيراً للقوم .

وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والنجس فإنه لا يطلع عليه سواء ، فإن تذكر
في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريحٌ فلا ينبغي أن يستحي بل ليأخذ بيد من يقرب منه
و ليستخلفه .

ومنها أن يؤخر المؤذن الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر «ليتمهل
المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه و المعتصر من اعتصامه» (١)
وذلك لأنه نهي عن مدافعة الأخبثين (٢) وأمر بتقديم العشاء على العشاء (٣) طلباً لفراغ
القلب - كذا قال أبو حامد - .

قال : « ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لا انتظار كثرة الجمع ، بل عليهم المبادرة لحيازة
فضيلة أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ، وقد قيل : كانوا إذا حضرا ثنان في الجماعة
لم ينتظروا الثالث وإذا حضرا أربعة في الجنابة لم ينتظروا الخامس » .

ومنها أن لا يتنفل حال الإقامة ويقوم للصلاة عند قول المؤذن : « قد قامت الصلاة »
ولا يتكلم بعده ، قال الصادق عليه السلام : « إذا قال المؤذن : « قد قامت الصلاة » ينبغي لمن
في المسجد أن يقوموا على أرجلهم ويقدموا بعضهم » (٤) .

و في الصحيح عنه عليه السلام قال : « إذا قال المؤذن : « قد قامت الصلاة » فقد حرم الكلام
على أهل المسجد إلا أن يكونوا قد اجتمعوا من شتى وليس لهم إمام ، فلا بأس أن يقول
بعضهم لبعض : تقدم يا فلان » (٥) .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) راجع التهذيب ج ١ ص ٢٩٩ .

(٣) راجع سنن ابن ماجه تحت رقم ٩٣٣ ، و مسند أحمد ج ٢ ص ٢٠ .

(٤) رواه الشيخ - رحمه الله - في التهذيب ج ١ ص ١٢٦ على ما رقم ولا يخفى ما في

رقومه من السهو والخلط والاشتباه و ص ٢٥٧ حسبما رقمناه صحيحاً .

(٥) رواه الشيخ في التهذيب ج ١ ص ١٤٩ .

ومنها أن لا يقف المأموم قدام الإمام بل يتأخر عنه ، أمّا التساوي في الموقف فجوّزه الأكثر ومنعه آخرون وهو أحوط إلّا إذا كانا اثنين فيقف المأموم عن يمين الإمام بلا خلاف ، وينبغي للمرأة الواحدة مع التأخر الوقوف إلى جهة يمين الإمام ، والصبي يتقدمها وإن كان عبداً ، ولو كان الإمام امرأة وقلنا بجواز ذلك وقفت النساء إلى جانبيها وكذا العاري المصلّي بالمرأة غير أنّه يبرز بر كبتيه .

ويكره الوقوف في الصف وحده ففي الحديث « لا تكوننّ في العشك » (١) فإن تمذّر الدخول في الصف لضيق ونحوه جرّ إلى نفسه غيره فإن تمذّر رقام بحذاء الإمام . ومنها أن يكون في الصف الأول أهل الفضل أي المزيّة الكاملة من علم أو عمل أو عقل ، وفي الثاني من دونهم ، وهكذا قال النبي ﷺ : « يليّنني أولو الأحلام ، ثمّ الذين يلونهم » (٢) ثمّ الصبيان ، ثمّ النساء .

وقال الباقر عليه السلام : « ليكن الذين يلون الإمام أولي الأحلام منكم والنهي ، فإن نسي الإمام أوتعابا قوّموه » (٣) .

وقال الكليني عليه السلام : « الصلاة في الصف الأول كالجهاد في سبيل الله » (٤) .
وروى في الكافي « أن فضل ميامن الصفوف على مياسرها كفضل الجماعة على صلاة الفرد » (٥) .

ومنها أن لا يكبر الإمام حتّى يسوّي الصفوف فيلقت يميناً وشمالاً فإن رأى خللاً أمر بالتسوية ، قيل : كانوا يتحاذون في المناكب ويتضامون في الكعاب ، ورأى النبي ﷺ

(١) في التهذيب ج ١ ص ٣٣٣ حسبا رقمناه باسناده عن أبي عبد الله عن أمير المؤمنين عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله قال : « لا تكونن في العشك ، قلت : وما العشك ؟ قال : أن تصلي خلف الصفوف وحدك فإن لم يكن الدخول في الصف قام حذاء الإمام أجزاءً فإن هو عانده الصف فسدت عليه صلاته » .

(٢) أخرجه النسائي في سننه ج ٢ ص ٩٠ ، وأبو داود أيضاً في المجلد الأول ص ١٥٦ من السنن .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٧٢ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٢٩ .

(٤) الفقيه ص ١٠٥ تحت رقم ٥٢ .

(٥) المصدر ج ٣ ص ٣٧٣ . رقم ٨ .

وَاللَّهُ تَعَالَى رَجُلًا بَارِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ : عِبَادَ اللَّهِ لَتَسَوْنَ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالَفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وَجُوهِكُمْ ، (١) .

و في الفقيه قال رسول الله ﷺ : « أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ قُدَامِي وَمِنْ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَلَا تُخَالَفُوا فَيُخَالَفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ » (٢) .

و في التهذيب عنه ﷺ : « سَوُّوا بَيْنَ صُفُوفِكُمْ وَحَازُوا بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ ، لَا يَسْتَحُوزُ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ » (٣) ، و في حديث آخر : « أَنْ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ » (٤) .

و عن النبي ﷺ : « مِمَّنْ خَطَاةٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ خَطَاةٍ تَمْشِيهَا تَعْمَلُ بِهَا صَافً » (٥) .

و في الفقيه روى الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لَا أَرَى بِالصُّفُوفِ بَيْنَ الْأَسَاطِينِ بَأْسًا ؛ وَقَالَ : أَمَمُوا صُفُوفَكُمْ إِذَا رَأَيْتُمْ خِلَالًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَنْ يَتَأَخَّرَ وَرَاءَكُمْ إِذَا وَجَدْتُمْ ضِيقًا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ إِلَى الصَّفِّ الَّذِي خَلْفَكَ وَتَمْشِي مَنَحْرَفًا » (٦) .

و روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : « يَنْبَغِي الصُّفُوفُ أَنْ تَكُونَ تَامَةً ، مُتَوَاصِلَةً بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَ الصَّفِّينِ مَا لَا يَتَخَطَّى يَكُونُ قَدْ ذَلِكَ مُسْقَطٌ جَسَدًا إِنْسَانًا إِذَا سَجَدَ » (٧) .

و قال أبو جعفر عليه السلام : « إِنْ صَلَّى قَوْمٌ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِمَامِ مَا لَا يَتَخَطَّى فَلَيْسَ ذَلِكَ الْإِمَامُ لَهُمْ بِإِمَامٍ ، وَأَيُّ صَفٍّ كَانَ أَهْلُهُ يَصَلُّونَ بِصَلَاةِ إِمَامٍ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الصَّفِّ الَّذِي يَتَقَدَّمُهُمْ مَا لَا يَتَخَطَّى فَلَيْسَ تِلْكَ لَهُمْ بِصَلَاةٍ ، وَإِنْ كَانَ سِتْرًا وَجَدَارًا فَلَيْسَ تِلْكَ لَهُمْ بِصَلَاةٍ إِلَّا مَنْ كَانَ بِحِيَالِ الْبَابِ ، قَالَ : وَقَالَ : هَذِهِ الْمَقَاصِيرُ (٧) » إِنَّمَا أَحَدُهَا الْجَبَّارُونَ وَلَيْسَ لِمَنْ صَلَّى خَلْفَهَا مَقْتَدِيًا بِصَلَاةٍ مِنْ فِيهَا صَلَاةٌ ، قَالَ : وَقَالَ : أَيُّمَا امْرَأَةٍ صَلَّتْ خَلْفَ إِمَامٍ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَهُ مَا لَا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٣١ ، والنسائي في السنن ج ٢ ص ٨٩ ، وأبو داود

في السنن ج ١ ص ١٥٣ .

(٢) المصدر ص ١٠٥ تحت رقم ٥٢ .

(٣) المصدر ص ٣٣٣ حسب إرفقناه ٢٠١ حسب رقم .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٩٣ ، ومسلم في الصحيح ج ٢ ص ٣٠ .

(٥) رَوَاهُ الصَّدُوقُ - رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْفَصَالِ ج ١ ص ٢٦ بَابُ الْإِثْنَيْنِ .

(٦) وَ (٧) الْمَبْدُوس ١٠٥ تحت رقم ٥٣ ، وَ ص ١٠٦ تحت رقم ٥٤ .

(٧) جَمْعٌ مَقْصُودَةٌ وَهِيَ مَحْرَابٌ كَانَ حَوْلَهَا بِنَاءٌ بِحِجَابِ الْإِمَامِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ .

يتخطى فليس لها تلك صلاة ، قال : قلت : فإن جاء إنسان يريد أن يصلي كيف يصنع وهي إلى جانب الرجل ؟ قال : يدخل بينها وبين الرجل وتنحدر هي شيئاً ^(١) .
ومنها أن ينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينوصحت صلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل القدوة ، ويجب عليهم نية الإيتمام وتعيين الإمام ومتابعته في الأفعال إذا كان مرضياً بمعنى عدم تقدمهم عليه بل إما يتأخرون عنه أو يقارنونه وفي الحديث النبوي : « إنما جعل الإمام إماماً ليؤتم به ، فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا » ^(٢) .

وقال الصدوق - رحمه الله - : « إن من المأمومين من لا صلاة له وهو الذي يسبق الإمام في ركوعه وسجوده ورفع ، ومنهم من له صلاة واحدة وهو المقارن له في ذلك ، ومنهم من له أربع وعشرون ركعة وهو الذي يتبع الإمام في كل شيء ، فيركع بعده ويسجد بعده ويرفع منهما بعده » ^(٣) .

قال أبو حامد : « لا ينبغي أن يساق الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوي للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ ولا يهوي للركوع حتى يستوي الإمام راکعاً ، وقد قيل : إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الإمام ، وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساقون ، وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام .

وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال فضل جماعتهم وإدراكهم لتلك الركعة ؟ ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم « رعي » في ترك التطويل عليهم .
أقول : وقد سأل جابر الجعفي أبا جعفر الباقر عليه السلام عن هذه المسألة فقال : « ما

(١) الفقيه ص ١٠٦ تحت رقم ٥٥ .

(٢) أخرجه البغوي بنحو أوسط في المصابيح ج ١ ص ٧٧ . وابن ماجه في السنن .

تحت رقم ١٢٣٨ .

(٣) راجع المجلد الثامن عشر من البحار ص ٦٢٧ .

أعجب ما تسأل عنه يا جابر أنتظر مثلي ركوعك فإن انقطعوا وإلا فارفع رأسك ، (١) .
ولو رفع المأموم رأسه عن الركوع أو السجود أو أهوى إليهما قبل الإمام أعاد
مطلقاً وقيل : بل إنما يعيد مع النسيان دون العمد لا بطلان تعمّد الزيادة في الركعة
وأكثر الروايات المعتبرة مع الأول وإن كان الثاني أشهر ويجوز أن يكون تعمّد الزيادة
مغتفراً هنا .

وهل يجب متابعة الإمام في الأقوال أم يستحب ؟ أكثر أصعابنا على الثاني والمتابعة
أحوط .

ومنها أن يسر الإمام بالتكبيرات الست الافتتاحية ويجهر بتكبيره الإجماع
ويُسْمَع من خلفه جميع الأذكار لاسيما التشهّد ولا يسمعه من خلفه شيئاً ولا يقرء المأموم
خلف الإمام المُرَضِي بل ينصت في الجهرية ويسبّح في الإخفائية ، ففي الصحيح عن الباقر
عليه السلام قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من قرأ خلف إمام يَأْتُمُّ به بعث على خير
الفطرة » (٢) .

وفي معناه أخبار أخر عن أهل البيت عليه السلام ، نعم إذا كانت الصلاة جهريّة ولا يسمع
شيئاً حتّى المهمّة فيستحبّ القراءة حينئذ كما ورد في الروايات المعتبرة (٣) وفي بعضها
لابأس إن صمت وإن قرأ وكذا إذا كان مسبوقاً وكانت الركعة من الأولين وللإمام من
الآخرتين يقرء حينئذ أيضاً كما في بعض الروايات المعتبرة ، وقيل : ترك القراءة في غير
الصورتين المذكورتين مستحبّ وليس بواجب ، وقيل : يختصّ بالجهريّة ، وقيل فيه أقوال
أخر منتشرة والأصحّ ما قلناه لأنّ قراءة الإمام بدل عن قراءة المأموم ؛ وفي الصحيح ،
عن بكر بن محمد الأزدي عن الصادق عليه السلام قال : « إنّي أكره للمراء أن يصلي خلف الإمام
صلاة لا يجهر فيها بالقراءة فيقوم كأنه حمار ، قال : قلت : جعلت فداك فيصنع ماذا ؟ قال :

(١) التهذيب ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٧٨ . والتهذيب ج ١ ص ٣٣٠ .

(٣) راجع الكافي ج ٣ ص ٣٧٧ رقم ٢ و ٣ ، وعلل الشرايع ص ١١٦ ، والتهذيب

ج ١ ص ٢٥٤ ، والاستبصار ج ١ ص ٤٢٧ .

يسبح (١) .

أمّا الإمام الغير المرضي فلا يسقط القراءة خلفه بل يجب الإبتان به ولو بمثل حديث النفس والإقتصار على الحمد كما يستفاد من الروايات المعتمدة (٢) .

وفي الصحيح قلت : من لا أفتدي به في الصلاة ؟ قال : أفرغ قبل أن يفرغ فإمّا بك في حصار فإن فرغ قبلك فاقطع القراءة واركع معه (٣) .

و يستحب أن يقول المأموم عند فراغ الإمام من الفاتحة : الحمد لله رب العالمين ، وكذا عند قوله : « سمع الله لمن حمده » ولا يأتي هو بالسمعه .

و يكره أن يخص الإمام نفسه بالدعاء دون المأمومين فإنه خيانة .

ومنها أن يصلي الإمام صلاة أضعف من خلفه ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « آخر ما فارقت عليه حبيب قلبي أن قال : يا علي إذا صليت فصل صلاة أضعف من خلفك ولا تتخذن مؤذناً يأخذ على أذانه أجراً (٤) » .

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « قال صلى رسول الله ﷺ : الظهر والعصر فخفف الصلاة في الركعتين فلما انصرف قال له الناس : يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء ؟ قال : وما ذلك ؟ قالوا : خففت في الركعتين الأخيرتين ، فقال لهم : أما سمعتم صراخ الصبي (٥) . وفي حديث سماعه من كان يقوي على أن يطول الركوع والسجود فليطول ما استطاع - إلى أن قال - : فأمّا الإمام فإنه إذا قام بالناس فلا ينبغي أن يطول بهم فإن في الناس الضعيف ومن له الحاجة ، فإن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس خفف بهم (٦) » .

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٣١ ، قرب الاستناد ص ١٨ ، والفقيه ص ١٠٧ .

(٢) راجع الكافي ج ٣ ص ٣٧٣ ، والاستبصار ج ١ ص ٤٢٩ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٥٥ .

(٣) التهذيب ج ١ ص ٣٣١ .

(٤) الفقيه ص ٧٦ تحت رقم ٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٢١٧ .

(٥) التهذيب ج ١ ص ٣٣١ ، ورواه الصدوق في علل الشرايع ص ١٢٢ بنحو أوجه

نقله ابن فهد في عدة الداعي كما في مستدرک الوسائل ج ١ ص ٤٩٧

(٦) التهذيب ج ١ ص ١٥٥ .

قال أبو حامد : التخفيف أولى سبباً إذا كثرت الجمع : قال رسول الله ﷺ : « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير و ذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء » (١).

وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأثم لنفسه ، فقالوا : نافق الرجل ، فتشاكيا إلى رسول الله ﷺ فزجر معاذاً وقال : أفتان أنت ؟ أقرء سورة « سبح » و « السماء و الطارق » و « الشمس وضحاها » (٢) .
أقول : هذا الخبر رواه الصدوق في الفقيه بأدنى تفاوت (٣) .

قال في الذكرى : ولو علم من المأمومين حب الاستطالة استحب له التطويل و في بعض الأخبار دلالة عليه ولكن ينبغي أن يقيد بما إذا كان علمه حاضراً بهم .
ومنها أن لا يقوم الإمام من مصلاته إلى أن يتم المسبوقون صلاتهم كما ورد في الروايات المعتبرة وأن يستنيب إذا فرغ قبلهم أو عرض له حاجة و يدرك المأموم الركعة و الفضيلة بإدراك الركوع و يجعله أول صلاته فيتم ما بقي عليه و إن لحق في سجدة في الأخيرة نال الفضل ، و يستأنف صلاته و إن كان في التشهد الأخير يتبعه ناوياً و يقوم من غير تجديد نية و كلما يتشهد الإمام ، وليس له محل تشهد تجافي ولم يتمكن من القعود و يتبع الإمام في التشهد فإتما التشهد بركة ، فإذا كان له محل التشهد دون الإمام فليبت قليلاً إذا قام الإمام بقدر ما يتشهد ثم يلحق الإمام . - كذا عن الصادق عليه السلام في الصحيح - (٤) .

فهذه جمل آداب القدوة و الإمامة .

(١) أخرجه النسائي ج ٢ ص ٩٤ ، و أحمد في المسند ج ٢ ص ٢٧١ ، و مسلم

ج ٢ ص ٤٣ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٨٦ ، ورواه غيره .

(٣) المصدر ص ١٠٦ تحت رقم ٦٦ .

(٤) الكافي ج ٣ ص ٣٨١ ، و التهذيب ج ١ ص ٢٥٩ .

﴿ الباب الخامس ﴾

في فضل الجمعة و شروطها و آدابها وسننها

﴿ فضيلة الجمعة ﴾

اعلم أن يوم الجمعة يوم عظيم ، عظم الله به الإسلام وخصّ به المسلمين ، وقال :
« إذا تودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع ^(١) » حرّم الاشتغال
بأموال الدنيا و بكلّ صارف عن السعي إلى الجمعة .

وقال عليه السلام : « إن الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا ^(٢) » .

وقال عليه السلام : « من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر طبع الله على قلبه ^(٣) » .

و في لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام و راه ظهره ^(٤) » .

أقول : و من طريق الخاصة ما رواه في التهذيب بإسناده الصحيح عن أبي بصير ؛
و محمد بن مسلم عن مولينا الباقر عليه السلام قال : « من ترك الجمعة ثلاث جمع متوالية طبع الله
على قلبه ^(٥) » .

و عن النبي صلى الله عليه وآله : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه ^(٦) » .

و في رواية « من ترك ثلاث جمع متعمداً من غير علة ختم الله على قلبه بخاتم
النفاق ^(٧) » .

(١) الجمعة : ٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في حديث طويل تحت رقم ١٠٨١ ، ورواه الطبراني في الاوسط

كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٠ .

(٣) و(٤) رواه أبويعلى بسند صحيح كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٩٣ .

(٥) المصدر ج ١ ص ٣٢١ ، ورواه البرقي في المعاصن ص ٨٥ .

(٦) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٨٨ ، وابن ماجه بلفظ آخر تحت رقم ١١٢٥ . وأبوداود

بلفظه ج ١ ص ٢٤٢ .

(٧) نقله الشهيد في رسالة الجمعة : كما في الوسائل أبواب صلاة الجمعة رقم ٢٦ .

و في رواية « لينتهين أقوامٌ عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين »^(١) .

و عنه عليه السلام في خطبة طويلة حث فيها على صلاة الجمعة « إن الله فرض عليكم الجمعة فمن تركها في حياتي أو بعد موتي و له إمامٌ عادلٌ استخفافاً بها أو جحوداً لها فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره ألاولا صلاة له ، ألا ولا زكاة له ، ألا ولا حجب له ، ألا ولا صوم له ، ألا ولا برٌ له حتى يتوب »^(٢) :

قال أبو حامد : « و اختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا جماعة ؟ فقال : في النار ، فلم يزل يتردد إليه شهراً يسأله عن ذلك و هو يقول : في النار » .

و في الخبر « أن أهل الكتائب اعطوا يوم الجمعة . فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له وأخره لهذه الأمة وجعله عيداً لهم فهم أول الناس به سبقاً وأهل الكتائب لهم تبع »^(٣) .

و قال عليه السلام : « إن الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كلها وإن جهنم لا تسعر فيه »^(٤) .

أقول : و من طريق الخاصة رواه في الفقيه « عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الشمس كيف تترك كل يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركود ؟ قال : لأن الله عز وجل جعل يوم الجمعة أضيّق الأيام ، فليله : ولم جعله أضيّق الأيام ؟ قال : لأنه لا يعتد بالمشرّكين في ذلك اليوم لحرمته عنده »^(٥) .

(١) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٨٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه كما في الدرالمشورج ٦ ص ٢١٨ .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٠٨٣ بلفظ آخر وهكذا رواه البزاز بسند صحيح كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٦٥ .

(٤) أخرجه أبو داود بنحو أوجز - ج ١ ص ٢٤٩ من السنن ، ورواه القاضي نعمان في دعائم الاسلام كما في المستدرک ج ١ ص ٤١٨ .

(٥) المصدر ص ٦٠ رقم ٢ باب ركود الشمس .

وفي عِدَّة الداعي « عن النبي ﷺ يوم الجمعة سيّد الأيام وأعظمها عند الله ، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى ، فيه خمس خلّال : خلق الله فيه آدم وأهبط فيه آدم إلى الأرض ، وفيه توفّي الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله عزّ وجلّ فيها أحدٌ شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً ، وما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا شجر إلا وهو يشفق من يوم الجمعة أن تقوم القيامة فيه (١) » .

وفي الفقيه روى أبو بصير عن أبي جعفر ﷺ أنّه قال : « إنّ الله تبارك وتعالى لينادي كلّ ليلة جمعة من فوق عرشه من أوّل الليل إلى آخره ألا عبدٌ مؤمنٌ يدعوني لآخرته ودينه قبل طلوع الفجر فأجيبه ؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر فأتوب عليه ؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ قد قسّرت عليه رزقه يسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيد له وأوسع عليه ؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ سقيم يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فأعافيه ؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ محبوس مغموم يسألني أن أطلقه من حبسه فأخلي سربه ، ألا عبدٌ مؤمنٌ مظلوم يسألني أن آخذ له بظلامته قبل طلوع الفجر فأنتصر له و آخذ له بظلامته ؟ قال : فما يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر (٢) » .

وروى عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ - رضي الله عنه - ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال : « قلت للرضا ﷺ : يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله ﷺ أنّه قال : إنّ الله تبارك وتعالى ينزل في كلّ ليلة جمعة إلى سماء الدنيا ؟ فقال ﷺ : لعن الله المحرّفين الكلم عن مواضعه ، والله ما قال رسول الله ﷺ ذلك إنّما قال : إنّ الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير و ليلة الجمعة في أوّل الليل فيأمره فينادي هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، يا طالب الخير أقبل ، و يا طالب الشرّ أقصر ، فلا يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء ، حدّثني بذلك أبي عن جدّي عن آبائه عن رسول الله ﷺ (٣) » .

(١) المصدر ص ٢٨ ، وأخرج نحوه ابن ماجه تحت رقم ١٠٨٤ وأبو داود ج ١ ص ٢٤٠ .

(٢) و (٣) المصدر ص ١١٣ و ١١٤ تحت رقم ٢٤ و ٢٥ .

و روي أنه ما طلعت الشمس في يوم أفضل من يوم الجمعة ، وكان اليوم الذي نصب فيه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام بغدير خم يوم الجمعة ، وقيام القائم عليه السلام في يوم الجمعة ، و تقوم القيامة في يوم الجمعة ، يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، قال الله عز وجل : « ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود » (١) .

و روى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول يعقوب لبنيه : « سوف أستغفر لكم ربّي » قال : أخرها إلى السحر ليلة الجمعة (٢) .

و روى أبو بصير عن أحدهما عليه السلام قال : « إن العبد المؤمن ليسأل الله جلّ جلاله الحاجة فيؤخر الله عز وجل قضاء حاجته التي سأل إلى يوم الجمعة ليخصه بفضل يوم الجمعة » (٣) .

و روى داود بن سرحان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل : « و شاهد و مشهود » قال : الشاهد يوم الجمعة (٤) .

و روى الملعلي بن خنيس عنه عليه السلام أيضاً أنه قال : « من وافق منكم يوم الجمعة فلا يشتغلن بشيء غير العبادة فإن فيها يغفر للمعباد وتنزل عليهم الرحمة » (٥) .

وروى الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « ليلة الجمعة ليلة غراء ، ويومها يوم أزهر ، ومن مات ليلة الجمعة كتب له برائة من ضغطة القبر ، و من مات يوم الجمعة كتب له برائة من النار » (٦) .

وروى هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام « في الرجل يريد أن يعمل شيئاً من الخير مثل الصدقة والصوم ونحو هذا قال : يستحب أن يكون ذلك يوم الجمعة فإن العمل يوم الجمعة يضاعف » (٧) .

وقال رسول الله ﷺ : « أطرفوا أهليكم كل يوم جمعة بشيء من الفاكهة واللحم حتى يفرحوا بالجمعة » إلى هنامن الفقيه (٨) .

وفيه قال رسول الله ﷺ : « من أتى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل » (٩) .

(١) و (٢) الفقيه من ١١٣ رقم ٢٦ و ٢٧ .

(٣) إلى (٨) الفقيه من ١١٣ و ١١٤ رقم ٢٨ إلى ٣٣ .

(٩) المصدر من ١١٤ رقم ٤٧ .

وفي الخبر المشهور « الجمعة حج المساكين » (١).

❖ (بيان شروط الجمعة) ❖

أقول : إنما تجب الجمعة على كل مكلف ذكر حر ، حاضر ، سالم من العمى والمرض والتمريض المنحصر فيه والهمم ، وكل ما يؤدي مع التكليف بها إلى الحرج بشرط وجود إمام يكون على شرائط القدوة وقد مر ذكرها ، ووجود أربعة نفر ذكر غيره من المسلمين المكلفين الأحرار الحاضرين غير بعيدين جميعاً بفرسخين ، وتجزئ حينئذ عن فرض الظهر بشروط ثلاثة هي شروط صحتها : الخطبتان ، والجماعة ، وعدم جمعة أخرى بينهما أفل من فرسخ ، فإن اتفقتا معاً بطلتا وإلا فالمتأخرة خاصة ، ولا تجزئ الظهر عنها إلا إذا كانوا أقل من سبعة أو يكون هناك تقية أو إثارة فتنة .

وأكثر هذه الشروط مجمع عليه بين أصحابنا ، منصوص به في الصحاح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام ، وإنما الخلاف في موضعين : أحدهما انحصار الشروط فيما ذكر فقد قيل باشتراط حضور إمام الأصل عليه السلام أو نائبه المأذون من قبله عليه السلام بالآذن الخاص أيضاً وإلا لم تشرع . والثاني عدم أجزاء الظهر عنها فقد قيل بأجزائه عنها في زمن غيبة الإمام عليه السلام مطلقاً وإن وجوبها حينئذ تخيري وإن كانت الجمعة أفضل ، ومن الأصحاب من زعم اشتراط النائب العام ، وهو الفقيه الجامع لشرائط الفتوى في أصل الوجوب في الغيبة . والكل ضعيف مقدوح لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا إجماع معتبر كما بيناه في كتابنا المسمى بمعتصم الشيعة في أحكام الشريعة .

وروى المحمّدون الثلاثة (٢) في الصحيح عن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام

(١) أخرجه ابن الزنجي في ترغيبه والقضاعي عن ابن عباس ، ورواه ابن عساكر عن ابن عباس هكذا « الجمعة حج الفقراء » . كما في الجامع الصغير باب الجيم .

(٢) يعني بهم مؤلفي كتب الأربعة : محمد بن يعقوب الكليني ، ومحمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، ومحمد بن الحسن الطوسي . رحمهم الله تعالى . راجع الكافي ج ٣ ص ٤١٩ ، والفقيه ص ١١١ ، والتنهيد ج ١ ص ٢٥١ .

قال : « فرض الله على الناس من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة منها صلاة واحدة فرضها الله في جماعة وهي الجمعة و وضعها عن تسعة ، عن الصغير و الكبير و المجنون و المسافر والعبد و المرأة و المريض و الأعمى و من كان على رأس فرسخين » .

و في الصحيح عنه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قلت له : على من تجب الجمعة ؟ قال : تجب على سبعة نفر من المسلمين ، ولا الجمعة لأقل من خمسة من المسلمين أحدهم الإمام فإذا اجتمع سبعة و لم يخافوا أممهم بعضهم و خطبهم » (١) .

و في الموثق عن الفضل بن عبد الملك ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « سمعته يقول : إذا كان قوم في قرية صلّوا الجمعة أربع ركعات فإن كان لهم من يخطب لهم جمعوا وإذا كانوا خمسة نفر ، وإنما جعلت ركعتين لمكان الخطبتين » (٢) .

و الأخبار في هذه المعاني كثيرة ، و الذين وضع الله عنهم الجمعة متى حضروها لزمهم الدخول فيها سوى غير المكلف و المرأة ، و يحتسبون من العدد سوى المسافر والعبد لأن الساقط عنهم إنما هو السعي و لذا من كان على رأس فرسخين يجب عليه مع الحضور قطعاً ، و يستفاد من بعض الأخبار أجزاء الجمعة عن المرأة أيضاً .

و يجب تقديم الخطبتين على الصلاة و الطهارة فيهما و القيام لإمع العجز واشتمال كل منهما على حمد الله و الصلاة على النبي ﷺ و الوعظ و قراءة سورة في الأولى و الدعاء في الثانية .

و قيل باستحباب القراءة و الدعاء ، و يستحب قراءة آية في الثانية أيضاً و الأولى أن يعمل بالمأثور وفي وجوب عريستهما و رفع الصوت بهما بحيث يسمع العدد ، و الفصل بينهما بجلسة خفيفة ، و الإصغاء لهما وترك الكلام في أثنائهما أو استحباب ذلك كله خلاف أمّا استقبال الناس ، و السلام عليهم أوّل ما يصعد وردّهم له ، و الجلوس حتّى يفرغ المؤمنون و التعمّم شائياً و قانظاً ، و التردّي ببرد يمنية ، و الاعتماد على سيف أو قوس أو عنزة (٣) ،

(١) الفقيه ص ١١١ تحت رقم ٢ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٢١ . والاستبصار ج ١ ص ٤٢٠ .

(٣) العنزة - بالهملة - مثل نصف الزمخ أو أكبر و فيها سنان .

و بلاغة الخطيب ، و اتصافه بما يأمر به ، و انزجاره عما ينهى عنه فكلها مستحبة .
 قال أبو حامد : « ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمتط (١) ولا يتغنّى وتكون الخطبة
 قصيرة بليغة جامعة ، ولا يسلم من دخل و الخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جواباً
 و الإشارة بالجواب حسن ، ولا يسمت العاطس أيضاً (٢) .

❦ بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة ❦

و هي عشر جميل : الأولى أن يستعد لها يوم الخميس عزماً عليها و استقبلاً
 لفضلها فيشتغل بالدعاء و الاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت
 بالساعة المبهمة في يوم الجمعة ، قال بعض السلف : إن الله فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطي
 من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس و يوم الجمعة ، و يغسل في هذا اليوم ثيابه
 و يبيضها و يعد الطيب إن لم يكن عنده ، و يفرغ قلبه من الأشغال التي يمنعه من البكور
 إلى الجمعة و يجمع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة ، فقد استحَبَّ ذلك قومٌ و حملوا
 عليه قوله ﷺ : « رحم الله من بكر و ابتكر و غسل و اغتسل (٣) » - و هو حمل الأهل
 على الغسل - ، و قيل : معناه غسل ثيابه ، فروي بالتخفيف و اغتسل لجسده و بهذا يتم
 أدب الاستقبال ، و يخرج عن زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا : ما هذا اليوم ؟
 قال بعض السلف : أوفى الناس نصيباً من الجمعة من انتظرها و راعاها من الأمس ،
 وأخسهم نصيباً من أصبح فيقول : أيش هذا اليوم ؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع
 لأجلها .

أقول : و في القيقه « كان موسى بن جعفر عليهما السلام يتيساً يوم الخميس للجمعة (٤) » .
 و فيه قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا يشرب أحدكم الدواء يوم الخميس ، فقيل :

(١) تمطط في الكلام مده ولون فيه .

(٢) تسيت العاطس و تشيته . الدعاء له .

(٣) راجع سنن النسائي ج ٣ ص ٩٥ و ٩٧ ، وابن ماجه تحت رقم ١٠٨٧ . روياه
 بلفظ آخر ، وفي مجمع الزوائد عن الطبراني أيضاً .

(٤) المصدر ص ١١٢ تحت رقم ١٢ .

يا أمير المؤمنين و لم ؟ قال : لئلا يضعف عن إتيان الجمعة ^(١) .

الثانية إذا أصبح ابتدء بالغسل بعد طلوع الفجر وإن كان لا يبكر فأقربه إلى الرواح أحب ليكون أقرب عهداً بالنظافة .

فالغسل مستحبٌ استحباباً مؤكداً و ذهب بعض العلماء إلى وجوبه .

أقول : وكذا الخلاف فيه بين علمائنا - رحمهم الله - والأكثر على استحبابه ، و في الصحيح عن علي بن يقطين عن الرضا عليه السلام « قال : سألته عن الغسل في الجمعة والأضحى و الفطر ، قال : سنة و ليس بفريضة ^(٢) » .

و في الصحيح ، عن عبد الله بن المغيرة عن الرضا عليه السلام « قال : سألته عن الغسل يوم الجمعة ، فقال : واجب على كل ذكر و أنثى عبد أو حر ^(٣) » و حمل على تأكد الاستحباب . وقال الصدوق - رحمه الله - في الفقيه : و غسل يوم الجمعة واجبٌ على الرجال والنساء في السفر و الحضر إلا أنه رخص للنساء في السفر لقلة الماء ، و من كان في سفر و وجد الماء في يوم الخميس و خشي أن لا يجده يوم الجمعة فلا بأس بأن يغتسل الخميس للجمعة فإن وجد الماء يوم الجمعة اغتسل و إن لم يجد أجزاءه .

فقد روى الحسن بن موسى بن جعفر عن أمته و أم أحمد بن موسى قالتا كننا مع أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في البادية و نحن نريد بغداد فقال لنا يوم الخميس : اغتسلا اليوم لغد - يوم الجمعة - فإن الماء غداً بها قليل قالتا : فاغتسلنا يوم الخميس للجمعة . و غسل يوم الجمعة سنة واجبة و يجوز من وقت طلوع الفجر يوم الجمعة إلى قرب الزوال و أفضل ذلك ما قرب من الزوال ، و من نسي الغسل أو فاتته لعلته فليغتسل بعد العصر أو يوم السبت ، و يجزئ الغسل للجمعة كما يكون للزواج و الوضوء فيه قبل الغسل ^(٤) ، انتهى كلام الصدوق - رحمه الله - .

وقد بيننا فيما سبق أن الحق أن الوضوء يسقط مع الغسل مطلقاً ، أي غسل كان

(١) الفقيه ص ١١٤ تحت رقم ٤٨ .

(٢) رواء الشيخ في التهذيب ج ١ ص ٣١ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤١ تحت رقم ١ ، و التهذيب ج ١ ص ٣١ .

(٤) المصدر ص ٢٥ تحت رقم ٧٦ .

كما ذهب إليه السيد المرتضى - رحمه الله - وإن كان المشهور بين أصحابنا عدم سقوطه إلا في غسل الجنابة وأما قوله : ويجزئ الغسل للجمعة كما يكون للزواج فمعناه أنه يجزئ لهما غسل واحد وهذا حق فإن الصحيح أن الأغسال يتداخل بعضها في بعض إذا اجتمعت أسبابها كالوضوء ، يدل على ذلك الروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام . قال - رحمه الله - ^(١) ويقول المغتسل للجمعة : « اللهم طهرني وطهر قلبي وأنت غسلي وأجر على لساني مدحتك » .

وقال الصادق عليه السلام : « من اغتسل للجمعة فقال : « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، واجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين » كان طهراً من الجمعة إلى الجمعة » . وقال الصادق عليه السلام : « غسل يوم الجمعة طهورٌ وكفارةٌ لما بينهما من الذنوب من الجمعة إلى الجمعة » .

وقال الصادق عليه السلام في علة غسل يوم الجمعة : « إن الأنصار كانت تعمل في نواضحها وأموالها فإذا كان يوم الجمعة حضروا المسجد فتأذى الناس بأرواح آبائهم وأجسادهم فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالغسل فجرت بذلك السنة » . وروى « أن الله تبارك وتعالى أتم صلاة الفريضة بصلاة النافلة ، وأتم صيام الفريضة بصيام النافلة ، وأتم الوضوء بغسل يوم الجمعة » ^(٢) .

أقول : وفي رواية أخرى « ما كان في ذلك من سهو أو تقصير أو نسيان » ^(٣) وعن الأصمغيني بن نباتة أنه قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أن يوبخ الرجل يقول له : والله لأنت أعجز من تارك الغسل يوم الجمعة فإنه لا يزال في طهر إلى يوم الجمعة الأخرى » ^(٤) .

الثالثة الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي في ثلاثة : الكسوة ، والنظافة ،

(١) يعني الصدوق - رحمه الله - في الفقيه ص ٢٥ .

(٢) الأحاديث كلها في الفقيه ص ٢٥ رقم ٨٠٩ و ١٠١ و ١١٠ .

(٣) و (٤) الكافي ج ٣ ص ٤٢ تحت رقم ٤ و ٥ .

وتطيب الرائحة .

أمّا النظافة فبالسواك ، وحلق الشعر ، وقلم الظفر ، وقص الشارب ، وسائر ما سبق .
في كتاب الطهارة ، فإن كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود
وليتطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل به الروح
والراحة إلى مشام الحاضرين في جواره ، وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه و خفي لونه
وطيب النساء ما ظهر لونه و خفي ريحه . أقول : روى هذا في الكافي عن الصادق عليه السلام عن
النبي صلى الله عليه وآله (١) .

وفيه عنه عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : الطيب في الشارب من أخلاق
النبيين وكرامة للكاتبين ، (٢) .

وفيه وفي التهذيب عن مولينا الصادق عليه السلام أنه قال : « ليتزين أحدكم يوم
الجمعة يغتسل ، ويتطيب ، ويسرح لحيته ، ويلبس أنظف ثيابه ، وليتهيأ للجمعة
وليكن عليه في ذلك اليوم السكينة والوقار وليحسن عبادة ربه وليفعل الخير ما استطاع
فإن الله يطلع على الأرض ليضاعف الحسنات (٣) » .

وفي الفقيه عن الصادق عليه السلام « فلموا أظفاركم يوم الثلاثاء ، واستحموا يوم الأربعاء
وأصيبوا من الحمامة حاجتكم يوم الخميس ، وتطيبوا بأطيب طيبكم يوم الجمعة » (٤) .
وفيه عن الرضا عليه السلام « ينبغي للرجل أن لا يدع أن يمس شيئاً من الطيب في كل
يوم فإن لم يقدر فيوم ويوم لا ، فإن لم يقدر ففي كل جمعة لا يدع ذلك ، وكان رسول
الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم الجمعة ولم يصب طيباً دعا بثوب مصبوغ بزعفران فرش عليه الماء
ثم مسح يده ثم مسح به وجهه (٥) » . وفي الكافي ما يقرب من صدر هذا الحديث
بإسناد صحيح .

(١) المصدر ج ٦ ص ٥١٢ رقم ١٧ .

(٢) المصدر ج ٦ ص ٥١٠ رقم ٥ ، وراجع ج ٣ ص ٤١٧ منه .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤١٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٤٨ .

(٤) المصدر ص ٣١ تحت رقم ١٢٧ .

(٥) المصدر ص ١١٤ تحت رقم ٤٢ . وفي الكافي ج ٦ ص ٥١٠ تحت رقم ٤ .

وفيه عن الصادق عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : ليتطيب أحدكم يوم الجمعة ولومن فارورة امرأته (١) .

وفيه عن الصادق عليه السلام « حق على كل مسلم في كل جمعة أخذ شاربه وأظفاره ومس شيء من الطيب » (٢) .

وقد ورد في الحديث على الطيب أحاديث متكررة تتضمن أنه من أخلاق المرسلين ، وأنه يغوي القلب ، ويزيد في الرزق ، ويحفظ العقل ، وأن صلاة متطيب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب ، وأن الملائكة تستنشق ريح الطيب من المؤمن ، وأن ما أنفق في الطيب ليس بسرف ، وأن رسول الله ﷺ كان ينفق في الطيب أكثر ما ينفق في الطعام (٣) .

قال أبو حامد : « وأما الكسوة فأحبها البيض من الثياب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ، ولا يلبس ما فيه شهرة ، ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل ، بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله ﷺ ، والعمامة مستحبة في هذا اليوم ففي الخبر « أن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة » (٤) ، أقول : ومن طريق الخاصة مارواه في الكافي (٥) « عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ألبسوا البياض فإنه أطيب وأطهر ، وكفنوا فيه موتاكم .

و عنه عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : ألبسوا ثياب القطن ، فإنها لباس رسول الله ﷺ وهو لباسنا » (٦) . وعنه عليه السلام : « إن الله يبغض شهرة اللباس » (٧) . وعن الحسين صلوات الله عليه « من لبس ثوباً يشهره كساه الله يوم القيامة ثوباً من النار » (٨) .

(١) والكافي ج ٦ ص ٥١١ تحت رقم ١٠١٣ .

(٢) راجع الكافي ج ٦ ص ٥١٢ تحت رقم ١١ إلى ١٨ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب الالف .

(٤) المصدر ج ٦ ص ٤٤٥ تحت رقم ٢١ .

(٥) الكافي ج ٦ ص ٤٤٦ تحت رقم ٤ .

(٦) المصدر ج ٦ ص ٤٤٤ رقم ١ والشهرة : ظهور الشيء في شفة حتى

يشهره الناس . (٨) المصدر ج ٦ ص ٤٤٥ تحت رقم ٤ .

وفيه وفي الفقيه « كان رسول الله ﷺ يكره السواد إلا في ثلاث : الخف والعمامة والكساء » (١).

وفي الفقيه « يستحب أن يعتنم الرجل يوم الجمعة وأن يلبس أحسن ثيابه وأنظفها ويتطيب ويدهن بأطيب دهنه » (٢).

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام « أن الثوب النقي يكبت العدو » (٣) ، وقيل : إنه يذهب بالهم .

الرابعة البكور إلى الجامع و يدخل وقته بطلوع الفجر وفضله عظيم ، وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً نائياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله إياه إلى الجمعة والمسارة إلى مغفرته ورضوانه .

وقد قال رحمه الله : « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأعلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر » (٤) ، فمن جاء بعد ذلك فاجتاز لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء والساعة الأولى إلى طلوع الشمس ، والثانية إلى ارتفاعها ، والثالثة إلى انبساطها حتى ترمض الأقدام ، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال . وقال رحمه الله : « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الإبل في طلبهن : الأذان والصف الأول ، والغدو إلى الجمعة » (٥) .

وفي الخبر إذا كان يوم الجمعة فعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٤٩ ، والفقيه ص ٦٨ تحت رقم ١٨ .

(٢) المصدر ص ١١٤ تحت رقم ٤٤ .

(٣) المصدر ج ٦ ص ٤٤١ تحت رقم ١ .

(٤) أخرجه النسائي في السنن ج ٣ ص ٩٩ وفيه « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة

ثم راح فكأنما قرب بدنة الخ » وهكذا رواه مسلم ج ٣ ص ٤ .

(٥) أخرجه ابن النجار عن أبي هريرة بلفظ آخر كما في الجامع الصغير باب الثاء .

من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم « (١) .
 أقول : روي هذا في الكافي والفتية (٢) بالإسناد الصحيح عن مولينا الباقر عليه السلام
 قال : « إن الملائكة المقرّين يهبطون في كل جمعة معهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب
 فيجلسون على أبواب المسجد على كراسي من نور فيكتبون من حضر الجمعة الأول والثاني
 والثالث حتى يخرج الإمام فإذا خرج الإمام طوواصحفهم . »
 وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « فضل الله الجمعة على غير هامن الأيام ، وإن
 الجنان لتزخرف وتزين يوم الجمعة ، وإنكم تتسابقون إلى الجنة على قدر سبقكم إلى
 الجمعة ، وإن أبواب السماء لتفتح لصعود أعمال العباد » (٣) .
 قال أبو حامد : « وكان يرثى في القرن الأول سحراً وبعد الفجر الطرقات مملوءة من
 الناس يمشون في السرج وزدهون فيها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك فقيل :
 أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع ، وكيف لا يستحي المؤمنون من
 اليهود والنصارى وهم يبتكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا
 كيف يبتكرون إلى رهاب الجامع للبيع والريح فلم لا يسابقهم طالب الآخرة ، ودخل
 ابن مسعود الجامع بكرة فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاقم لذلك وجعل يقول لنفسه
 معانياً إني ها : زابع أربعة وما زابع أربعة بسعيد . »
 الخامسة في هيئة الدخول فينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم
 والبكور سهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسراً يوم
 القيامة يتخطاه الناس ، وفي المرور بين يدي المصلي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لأن يقف أربعين سنة
 خير له من أن يمر بين يدي المصلي » (٤) ، ومنهما كان الصف الأول متروكاً خالياً فله أن
 يتخطى رقاب الناس لأنهم تركوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة وإذا لم يكن في المسجد

(١) رواه النسائي في السنن ج ٣ ص ٩٨ بلفظ آخر .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٤١٣ . تحت رقم ٢ ، والفتية ص ١١٤ تحت رقم ٤٦ .

(٣) رواه الكليني في الكافي ج ٣ ص ٤١٥ تحت رقم ٩ .

(٤) أخرجه أبو داود في السنن ج ١ ص ١٦١ ، والنسائي ج ٢ ص ٩٦٠ .

إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم فإنه تكليف جواب في غير محله .
السادسة أن يجلس قريباً من اسطوانة أو حائط حتى لا يمرّوا بين يديه إذ سوى
ﷺ في حديث آخر بين المارّ والمصلي حيث صلى على الطريق أو قصر في الدفع فقال :
« لو يعلم المارّ بين يدي المصلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خير له من أن
يمرّ بين يديه » (١) .

والأسطوانة والحائط والمصلي المفروش حدّ المصلي ، فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه .
قال ﷺ : « ليدفعه فإن أبي فليدفعه ، فإن أبي فليقاتله فإنه شيطان » (٢) ، فإن لم
يجد اسطوانة فليتنصب بين يديه شيئاً طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحدّه .
أقول : وقد أشرنا إلى ذلك من طريق الخاصة فيما سبق .

وفي الكافي والتهذيب باسناد حسن عن الحلبيّ عن الصادق عليه السلام قال : « سألته عن
الرجل أيقطع صلاته شيء مما يمرّ بين يديه ؟ فقال : لا يقطع صلاة المسلم شيء . ولكن
أدره ما استطعت » (٣) .

وفيها باسناد صحيح عن الصادق عليه السلام : « قال : كان رسول الله ﷺ يجعل العنزة
بين يديه إذا صلى » (٤) .

وعن الرضا عليه السلام « في الرجل يصلي ، قال : يكون بين يديه كومة من تراب أو يخطّ
بين يديه بخط » (٥) .

السابعة أن يطلب الصفّ الأوّل فإنّ فضله كثير كما روينا في الخبر « من غسل
واغتسل و بكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان له ذلك كفارة لما بين الجمعتين وزيادة
ثلاثة أيام » . وفي لفظ آخر « غفر الله له إلى الجمعة الأخرى » وقد اشترط في بعضها « ولم

(١) أخرجه نحوه أبو داود في السنن ج ١ ص ١٦٠ والنسائي ج ٢ ص ٦٦ .

(٢) أخرجه أبو داود ج ١ ص ١٦٠ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٢٩٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٢٨ . يعني ادفعوا آفة المار بالاستتار .

(٤) الكافي ج ٣ ص ٢٩٦ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٢٧ .

(٥) التهذيب ج ١ ص ٢٤٤ ، والاستبصار ج ١ ص ٤٠٧ .

يتخط رقاب الناس» (١) .

أقول : وفي لفظ آخر هكذا « من غسل واغتسل ، فبكر وأبكر ، ودنا وأنصت ، ولم يبلغ كان له بكل خطوة كأجر عبادة سنة صيامها وقيامها » (٢) .

وقد مضى أن معنى غسل - بالتشديد - حمل الأهل على الغسل و بالتخفيف غسل الثياب . وقيل : غسل مواضع الوضوء وهو إنما يصح عند من أوجب الوضوء مع الغسل ولو فسر بغسل اليدين من الدنس والتفت لكان له وجهاً ، و « بكر » أي في الاغتسال و « أبكر » أي إلى المسجد و « دنا » أي من المنبر ، و « أنصت » أي إلى الخطبة .

قيل : في بعض الأخبار « إن الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر لمن وراءه » . قال أبو حامد : « فمن تأخر على هذه النية إيثاراً وإظهاراً لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال : الأعمال بالنيات » .

أقول : وكذا إذا نوى إيثار فضيلة الصف الأول للأفضل .

الثامنة أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام ويقطع الكلام أيضاً بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة ، قال علي عليه السلام « يكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال لصاحب الإمام يخطب : أنصت أوصه فقد لفا (٣) ، ومن لفا الإمام يخطب فلا جمعة له (٤) ، وهذا يدل على أن الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أورمي حصة لا بالنطق ، ومن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت لأن ذلك يتسلسل ويفضي إلى هيفمة (٥) ينتهي إلى المستمعين وإذا كان يكره الصلاة في وقت الخطبة فالكلام أولى .

أقول و في الفقيه قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا كلام والإمام يخطب ولا التفات إلا كما يحل في الصلاة » ، وإنما جعلت الجمعة ركعتين من أجل الخطبتين وجعلتا مكان

(١) أخرجهما العاظم في المستدرك ج ١ ص ٢٨٢ و ٢٨٣ .

(٢) أخرجه النسائي في السنن ج ٣ ص ٩٥ ، وابن ماجه تحت رقم ١٠٨٧ .

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ج ٢ ص ٣٠٠ .

(٤) رواه جعفر بن أحمد القمي في كتاب العروس كما في مستدرك الوسائل ج ١

ص ٤٠٩ . ومثله في الفقيه ص ٤٦٧ في حديث المناهي . (٥) أي الصوت الخفى .

الركعتين الأخيرتين فهي صلاة حتى ينزل الإمام ، (١) .
وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام : « لا بأس أن يتكلم الرجل إذا فرغ الإمام من
الخطبة يوم الجمعة ما بينه وبين أن تقام الصلاة » (٢) .

التاسعة أن يراعي في قدوة الجمعة ما يراعي في غيرها - كذا قال أبو حامد : - ثم
أورد ذكراً للفراغ منها .

أقول : ولما لم تكن هذه المراعاة بما يختص بالجمعة و ما عطفه عليه من الذكر
الخاص بعد الفراغ لم يرد من طريق الخاصة فنحن نذكر بدله ما قاله بعض علمائنا
- رحمهم الله - (٣) في هذا المقام .

قال : ويختص الجمعة باستحضار أن يومها يومٌ عظيم وعيدٌ شريف ، خص الله به
هذه الأمة ، وجعله وقتاً شريفاً لعباده ليقربهم فيه من جواره و يبعدهم من طرده و ناره ،
وحشهم فيه على الإقبال بصالح الأعمال ، و تلافي ما فرط منهم في بقية الأسبوع من
الإهمال ، وجعل أهم ما يقع فيه من طاعته و ما يوجب الزلفى والقرب إلى شريف حضرته
صلاة الجمعة وعبر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله الجسيم وخصها من بين سائر
الصلوات التي هي أفضل القربات بالذكر الخاص فقال سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين
آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن
كنتم تعلمون » (٤) .

وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ما ينبئ له من له حظ من
المعاني ومن أهم رمزها هنا التعبير عن الصلاة بذكر الله ، ونبه بهذا على أن الغرض
الأقصى من الصلاة ليس هو مجرد الحركات والسكنات والركوع والسجود بل ذكر
الله بالقلب وإحضار عظمته بالبال فإن هذا وأشباهه هو السر في كون الصلاة ناهية عن
الفحشاء والمنكر في قوله تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » إذ كان سببهما

(١) و(٢) الفقيه ص ١١٢ تحت رقم ١٥١٤ .

(٣) يعني به الشهيد في أسرار الصلاة ص ٢٢١ من طبعه الملحق بكشف الفوائد .

(٤) الجمعة : ٨ .

القوة النزوعية إذا خرجت عن حكم العقل ، وهذا كله إنما يتم مع التوجه التام إلى الله تعالى وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الأكبر والكثير^(١) على ما ورد في بعض تفسيراته فضلاً عن أن يكون ذكراً مطلقاً وإذا كان الاستعداد بهذه المثابة لاجرم وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات والتهنئة والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه في الوقت الشريف والنوع الشريف من العبادة ، وأحضر بياك أن لو أمرك ملك عظيم من ملوك الدنيا بالمشول في حضرته والفوز بمخاطبته في وقت معين أما كنت تتأهب له بتمام الاستعداد والتهيئة والسكينة والوقار والتنظيف والتطيب وغير ذلك مما يليق بحال الملك ، ومن هنا جاء استحباب الغسل يوم الجمعة والتنظيف والتطيب والتعمم وخلق الرأس وقص الشارب والأظفار وغير ذلك من السنن ، فبادر عند دخول الجمعة إلى ذلك بقلب مقبل صاف ، وعمل مخلص ، وقصد متقرب ونية خالصة كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا إن لم تعظم همته عن ذلك ولا تقصد بهذه الوظائف حفظك من الرفاهية ومطلب نفسك من الطيب والزينة فتخسر صفقتك وتظهر بعد ذلك حسرتك ، وكلما أمكنك تكثير المطالب التي يترتب عليها الثواب بعملك فاقصد ها يضاعف ثواب عملك بسبب قصدها ، فانو بالغسل يوم الجمعة سنة الجمعة والتوبة ودخول المسجد ، وبالتياب الحسنة والطيب سنة رسول الله ﷺ وتعظيم المسجد واحترام بيت الله تعالى ، فلا يحب أن تدخله زائراً له إلا يطيب الرائحة وأن يقصد به أيضاً ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته ، ويقصد به دفع الرأى الكريمة عن نفسه حسماً لباب الغيبة عن المقتارين إذ اغتابوه بالرأى الكريمة فيعصون الله بسببه ، فقد قيل : إن من تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما أشار إليه تعالى بقوله : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم »^(٢) ، وإذا حضرت للصلاة فأحضر قلبك فهم مواقع الموعظة واستعد لتلقي الأوامر والنواهي على وجهها ، فإن ذلك هو الغرض الأقصى من الخطبة والخطيب والمنبر واستماع الناس وتحريم الكلام خلالها ووجوب الإصغاء إليها فاعط كل ذي حق من ذلك حقه عسى أن تكون من المكتوبين في ديوان الملائكة المقربين الذين

(١) في آيتين من الكتاب العزيز . (٢) الانعام : ١٠٨ .

يكتبون المصلين في ذلك اليوم الشريف ويعرضونهم على الحضرة الالهية ويخلعون عليهم خلع الأنوار القدسية فقد روي أن الملائكة المقرّبين تقف على أبواب المساجد - الحديث - فإذا أحضرت هذا ببالك وأن الملائكة يستمعون وهم حولك والله سبحانه ناظر إليك لزمك ارتداء الهيئة وأدراع السكينة وتجلبب الخشية ، وعند ذلك تستحق أن تفاض عليك الرحمة ، وتحقق البركة ، وتصير صلاتك مقبولة ودعوتك مسموعة ، وأكرر في ذلك اليوم من الذكر والاستغفار والدعاء وتلاوة القرآن والصلاة على النبي وآله صلى الله عليهم والصدقة فإن اليوم شريف ، والفضل فائض ، والجود تام ، والرحمة واسعة ، فإذا كان المحل قابلاً تمت السعادة وحصلت الإرادة ، وتذكر أن في يوم الجمعة ساعة لا يرد الله فيها دعوة مؤمن ، فاجتهد أن تصادفها داعياً أو مستغفراً أو ذاكراً فإن الله يعطي الذاكراً فوق ما يعطي السائل وإن أمكنك الإقامة في المسجد مجموع ذلك اليوم فافعل فإن لم يمكن فإلى العصر ، وكن حسن المراقبة ، مجتمع الهمة عسى أن مظفر بتلك الساعة ، فقد قيل : إنها مبهمة في جميع اليوم نظراً من الله تعالى لخلفه ليحافظوا عليها كما أخفى ليلة القدر في جميع السنة ليحافظوا عليها .

و روي أنها ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تستوي الصفوف بالناس وساعة أخرى من آخر النهار إلى غروب الشمس ، واجعل هذا اليوم خاصة من الأسبوع لا آخرتك فعسا أن يكون كفارة واستدراكاً لبقية الأسبوع ، ويكفيك في الاهتمام بالجمعة وظائفها أن الله سبحانه جعلها أفضل أعمال بني آدم بعد الإيمان على ما نطق به الأخبار وصرح به العلماء الأخبار حيث دلّ على أن الواجب أفضل من الندب وأن الصلاة أفضل من غيرها من الواجبات ، وأن اليومية أفضل من غيرها من الصلوات ، وأن الصلاة الوسطى من بينها أفضل الخمس ، والمختار أنها الظهر والجمعة أولى من الظهر فتكون أفضل منها لو أمكن تصوّر فضل لها ، وحينئذ فتكون أفضل الأعمال وهذا بيان واضح يوجب تمام الاهتمام بشأنها وأبلغ الخطر في التهاون بها لمن تدبر وقد نبه على جميع ذلك قوله تعالى بعد الأمر بها « ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » وقد ورد الأمر بقراءة سورتها وسورة المنافقين فيها ليتكرر سماع الحث عليها فيها . وقد قال في

سورة المناقين بعد أن سماها في سورتها ذكرًا «يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون»^(١)، فكرر هذه الدقائق على فكره عسى أن تكون من المفلحين .
قال أبو حامد :

العاشرة أن يلزم المسجد حتى يصلي العصر فإن وقف إلى المغرب فهو الأفضل فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه ، أو خاف الخوض فيما لا يعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرًا لله تعالى ، متفكرًا في آلائه ، شاكراً على توفيقه ، خائفاً من قصيره ، مراقباً لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا يفوته الساعة الشريفة .

ففي الخبر المشهور «أن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه»^(٢) وفي خبر آخر «لا يصادفها عبد يصلي» واختلف فيها قليل : إنها عند طلوع الشمس ، وقيل : عند الزوال ، وقيل : مع الأذان ، وقيل : إذا صعد الخطيب المنبر وأخذ في الخطبة ، وقيل : إذا قام الناس إلى الصلاة ، وقيل : آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار ، وقيل : قبيل غروب الشمس ، وكانت فاطمة عليها السلام تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر الشمس فتؤذن بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب وتخبّر بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتأثر عن أبيها عليه السلام^(٣) .

وقال بعض العلماء : هي مبهمه في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى يتوفر الدعاء على مراقبتها ، وقد قيل : إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كنقل ليلة القدر ، وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ، ولكن ينبغي أن يصدق بما قال عليه السلام : «إن لرؤسكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»^(٤) ، ويوم الجمعة من الأيام .
(١) المناقون : ٩ .

(٢) رواه الصدوق - رحمه الله - في معاني الاخبار ص ٣٩٩ وفيه «لا يراقبها رجل» وأخرجه النسائي في السنن ج ٣ ص ١١٥ كما في المتن .

(٣) راجع معاني الاخبار ص ٤٠٠ رقم ٥٩ .

(٤) أخرجه الطبراني عن محمد بن مسلمة بسند ضعيف كافي الجامع الصغير باب الالف .

تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متفرّضاً لها بإحضار القلب و ملازمة الذكر و النزوع عن وساوس الدنيا فمساء يحظى بشيء من تلك النفحات .
أقول : و يستحب أن يدعو قبيل غروب الشمس بدعاء السمات المنقول عن أهل البيت عليهم السلام وهو مشهور (١) .

و قد ذكر أبو حامد من الآداب و السنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار أشياء أخرى ولما كان ما ذكرناه في الجملة التاسعة قد تضمن خلاصة ذلك و المعتبر منه عندنا طويلاً ذكرها .

﴿الباب السادس﴾

« في مسائل متفرقة يعم البلوى بها و يحتاج المريد إلى معرفتها فأما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه » .

أقول : ما ذكره أبو حامد في هذا الباب من المسائل بعضه قد مضى ذكره في كلامنا على طريقة أهل البيت عليهم السلام و بعضه قليل الجدوى عندنا فأنا أذكر بدل ذلك مسائل أخرى مهمة مع قليل مما ذكره مما سوى القسمين ، و أذكر ما يتعلق بالقبلة و التقصير و الصلاة على الراحلة و ماشياً و في السفينة في كتاب آداب السفر من ربح العادات كما فعله هو إن شاء الله .

مسألة لكل من الصلوات الخمس وقتان أو لهما للفضيلة و الآخر للإجزاء على المشهور ، و قيل : بل الأوّل للمختار و الآخر للمضطر ، فالأوّل للظهر و الزوال إلى أن يصير الفجر مثل الشاخص و الثاني إلى أن يبقى للغروب مقدار أداء العصر ؛ و الأوّل للعصر الفراغ من الظهر و لو تقدراً إلى أن يصير الفجر مثلي الشاخص ، و الثاني إلى الغروب ؛ و الأوّل للمغرب الغروب إلى زهاب الشفق الغربي و ربما قيل بانحصار وقته في ذلك و إن له وقتاً واحداً ، و الثاني إلى أن يبقى لانتصاف الليل مقدار أداء العشاء ؛ و الأوّل

للمعاشرة الفراغ من المغرب ولو تقدراً إلى ثلث الليل ، والثاني إلى نصفه ؛ والأول للمصباح
 طلوع الفجر الثاني المتسيطر في الأفق إلى اسفرار الصبح و الثاني إلى طلوع الشمس .
 وظاهر عبارة الصدوق اشتراك تمام الوقت في كل من الظهري والعشائين بين الصلاتين
 من غير اختصاص ولا يخلو من قوة ، وقيل : أول أول العشاء ذهاب الشفق الغربي وآخر
 آخرها ثلث الليل ، وقيل : آخر آخر المغرب ذهاب الشفق ، وقيل : ربع الليل ، وقيل :
 يمتد وقت العشائين إلى طلوع الفجر وحمل على المضطر .

وفي الفقيه عن الصادق عليه السلام : « أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله » (١) .
 وفي الكافي بإسناده الصحيح عن بكر بن محمد الأزدي عن الصادق عليه السلام قال :
 « لفضل الوقت الأول على الأخير خيرٌ للرجل من ولده وماله » (٢) .

وفي التهذيب بإسناده الصحيح عن سعد بن أبي خلف عن الكاظم عليه السلام قال :
 « الصلوات المفروضة في أول وقتها إذا أقيم حدودها أطيب ربحاً من قضيب الآس حين
 يؤخذ من شجرة في طيبة وريحه وطراوته ، فعليكم بالوقت الأول » (٣) .

وفي الصحيح عن زرارة والفضيل عن الباقر عليه السلام : قال : « إن لكل صلاة وقتين
 غير المغرب فإن وقتها وجوبها ووقت فوتها غيبوبة الشفق » (٤) وحمل على تأكد استحباب
 المبادرة بها جمعاً بين الأخبار ، والضمير في وجوبها راجع إلى الشمس والوجوب : السقوط
 قال الله تعالى : « فإذا وجبت جنوبها » (٥) والمراد به ههنا الغروب ، ويستحب التفريق
 بين كل من الظهري والعشائين ، وأدعى الشهيد معلوميته من مذهب الإمامية
 كمعلومية جواز الجمع ، واستثنى المفيد ظهري الجمعة وحده بأن يؤتى بالثانية من انقضاء
 فضيلة الأولى ؛ وقيل بأن يؤتى بها بعد نوافلتها وهو أظهر كما يستفاد من بعض الروايات

(١) المصدر ص ٥٨ تحت رقم ٥ وزاد فيه « والعفو لا يكون إلا من ذنب » .

(٢) المصدر ج ٣ ص ٢٧٤ تحت رقم ٧ ومثله في الفقيه ص ٥٨ .

(٣) المصدر ج ١ ص ٢٤٥ . ومثله في نواب الاعمال للصدوق ص ٣٥ .

(٤) الكافي ج ٣ ص ٢٨٠ تحت رقم ٩ وفيه « سقوط الشفق » . والمراد بفوتها

فوت فضيلتها .

(٥) الحج : ٣٩ . أى سقطت جنوبها إلى الأرض .

مضافاً إلى إطلاق ما دلّ على فضيلة أوّل الوقت فالأوّل ، نعم إن فرغ من نافلة المغرب ولما يذهب الشفق انتظر ذهابه للعشاء ، لكن لا يؤخّر العشاء إن أدرك الذهاب ولما يتنفل ، والخبر المشعر بفضيلة تأخيرها عنه ضعيف .

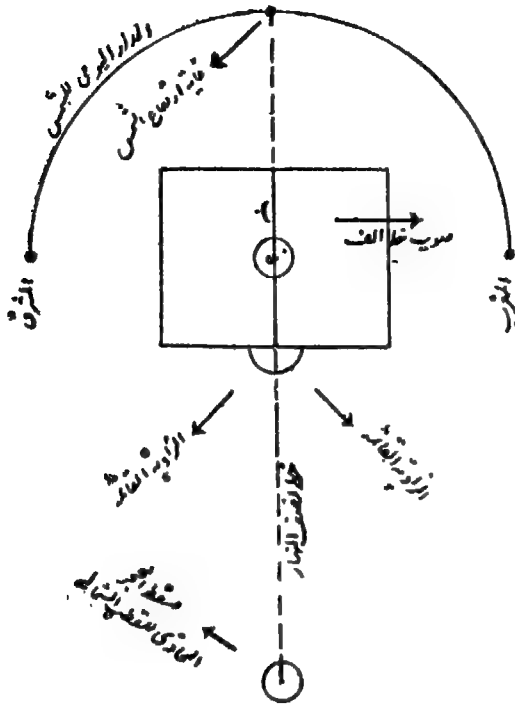
و وقت صلاة الجمعة الزّوال إلى أن يمضي مقدار الأذان والخطبة وركعتي الفرض وما يلزم ذلك من صعود المنبر و نزوله والدُّعاء أمام الصلاة فإذا مضى ذلك فقد قامت ولزم أدائها أربعاً بلاخطبة وهو ظاهر عبارة أبي الصلاح والجمعي ، ويدلّ عليه ما رواه في التهذيب بإسناده الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : « إن من الأمور أموراً مضيقاً وأُموراً موسعة وإنّ الوقت وقتان والصلاة بما فيه السعة فربما عجل رسول الله ﷺ وربما أخر إلى الصلاة الجمعة فإنّ صلاة الجمعة من الأمر المضيق ، إنّما لها وقت واحد حين نزول الشمس ^(١) ، و الأكثر على امتداد وقته إلى أن يصير ظل كل شيء مثله ولا حجة لهم يستند بها وقيل : يمتدّ بامتداد الظنّ التفاتاً إلى مقتضى البدليّة وأصالة البقاء فيحمل الرواية على الأفضليّة ولا يخلو من قوّة وإن كان الأوّل أقوى لاستغنائه عن التأويل .

مسألة : يُعرف الزّوال بزيادة الظلّ بعد نقصه أو حدوثه بعد عدمه وبميل الشمس إلى الحاجب الأيمن لمن استقبل نقطة الجنوب وبميل الظلّ عن خطّ نصف النهار إلى جهة المشرق ، ويُعرف الغروب باستتار القرص وغيبته عن النظر مع انتفاء الحائل كما يستفاد من صحاح الأخبار ، وقيل : بل بذهاب الحمرة المشرقيّة ، وإليه ذهب الأكثر وهو أحوط لصلاة المغرب والإفطار ، ويعرف انتصاف الليل بانحدار النجوم الطالعة عند الغروب عن سمت الرأس وبمنازل القمر وقاعدة غروبه وطلوعه ، ويعرف الفجر الأوّل بالضوء المستدق المستطيل الذي يتوسط بينه وبين الأفق ظلمة والفجر الثاني بازدياد ذلك الضوء بحيث يأخذ طولاً وعرضاً وينبسط في عرض الأفق ويتصل به .

قال أبو حامد : « وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوّله إلا أن يتعلّم منازل القمر إذ يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدلّ بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإنّ القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين و يطلع الصبح مع

(١) المصدر ج ١ ص ٢٤٩ ومثله في الكافي ج ٣ ص ٢٧٤ تحت رقم ٢ .

غروب القمر ليلة اثنى عشر من الشهر ، هذا هو الغالب و يتطرق إليه تفاوت في بعض البروج و شرح ذلك يطول ، و تعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ، قال : « والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبه مائلة إلى جهة المشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا يزال الشمس ترتفع و الظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن يبلغ الشمس منتهى ارتفاعها و هو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة محسوسة مدركة بالحس دخل وقت الظهر و يعلم قطعاً أن الزوال في علم الله وقع قبله و لكن التكليف لا يرتبط إلا بما يدخل تحت الحس ، و القدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء و يقصر في الصيف ، و منتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي و منتهى قصره بلوغها أول السرطان و يعرف ذلك بالأقدام و الموازين و من الطرق القريبة من التحقيق



من أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل و يضع على الأرض لوحاً مربعاً وضعاً مستوياً بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توجهت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توجهت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين ، أي لا يكون الخط مائلاً إلى أحد الضلعين

ثم تنصب عموداً على اللوح نصباً مستوياً في موضع علامة (•) و هو بإزاء القطب فيقع

ظله في أول النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خط (الف) ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط (ب) بحيث لومد رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازياً للضلع الشرقي والغربي، غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجباب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع، فإذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس، وهذا يدرك بالحس تحقيقاً في وقت هوريب من أول الزوال في علم الله.

أقول : و لتعرف ذلك طرق أخرى بعضها أوضح و أسهل مما ذكره و قد أوردنا طرفاً منها في كتابنا المعتصم .

مسألة : لا يجوز التعويل على الظن في دخول الوقت مع التمكن من العلم ، و يجوز مع عدمه التعويل على الأمارات ولو انكشف فساد ظنّه أعاد على الأصح ، وقيل : إن دخل الوقت و هو متلبس بها ولو قبل التسليم لم يعد و عليه الأكثر ، و من أدرك ركعة من آخر الوقت فقد أدرك الصلاة تامة ، فلو أدرك قبل الغروب أو الانتصاف مقدار خمس لزمته الفريضة و كذا لو أدرك قبل الانتصاف مقدار أربع على مذهب الصدوق ، ولو اشتغل بالعصر أو العشاء أولاً فإن ذكره في صلاته عدل بنيته و إن فرغ أجزأته إن لم تقع في الوقت المختص بالأولى و على قول الصدوق أجزأته مطلقاً .

مسألة : يكره التنفل بعد دخول وقت الفريضة ، سوى الرواتب في أوقاتها المخصوصة كما يأتي و الأكثر على تحريمه ، و كذا القول في التنفل لمن عليه فريضة و يكره ابتداء النافلة بعد صلاتي الصبح والعصر حتى تطلع الشمس و تغرب و عند قيامها في غير يوم الجمعة أمّا ماله سبب كالطواف و الزيارة و تحية المسجد والاستسقاء فلا بأس كذا في المشهور و ليس في الروايات قيد الابتداء ولا التنفل بل مطلق الصلاة ، نعم في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : « أربع صلوات يصلين الرجل في كل ساعة صلاة فامتك فمتى ذكرتها أدبتها ، وصلاة ركعتي طواف الفريضة ، وصلاة الكسوف ، و الصلاة على الميت ، هذه يصلين الرجل في الساعات كلها » ^(١) .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام ' خمس صلوات لا يترك على كل حال : إذا طفت بالبيت ، وإذا أردت أن تحرم ، وصلاة الكسوف ، وإذا نسيت فصل إذا ذكرت ، والجنابة (١) .

قال أبو حامد : ' في النهي عن أوقات الكراهية مهمات ثلاثة : أحدها التوقي عن مضاهاة عبدة الشمس ، والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال عليه السلام : ' إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا طلعت قاربها ، فإذا أرتفعت فارقها ، فإذا استوت قاربها ، فإذا زالت فارقها ، فإذا تضيفت للغروب قاربها ، فإذا غربت فارقها (٢) ' ونهى عن الصلاة في هذه الأوقات وبه على العلة ، والثالث أن سالكي طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلاة في جميع الأوقات ، والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل ، ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعث الدواعي ، والإنسان حريص على ما منع منه ، ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريص وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذراً من الملل بالمداومة وتفريجاً بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ، ففي الاستطراف والاستحداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استئثار وملل ولذلك لم تكن الصلاة سجوداً مبرجاً أو ركوعاً مبرجاً أو لا قياماً مبرجاً بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة ، فإن القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واطب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملل ، فإذا كانت هذه أموراً مهمة في النهي عن أوقات الكراهية إلى غير ذلك من أسرار آخر ، ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات ، وصلاة الاستسقاء والخسوف وحية المسجد فأما ما ضعف منها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النهي .

أقول : ومن طريق الخاصة ماروامي الكافي (٣) في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : ' تصلى على الجنابة في كل ساعة إنها ليست بصلاة ركوع وسجود إنما تكره الصلاة عند

(١) التهذيب ج ١ ص ١٨٤ ، والكافي ج ٣ ص ٢٨٧ تحت رقم ٤ .

(٢) أخرجه النسائي ج ١ ص ٢٧٥ . (٣) المجلد الثالث من ١٨٠ .

طلوع الشمس وعند غروبها التي فيها الخشوع والركوع والسجود لأنها تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان^(١) وفي رواية أخرى عن الصادق عليه السلام «أن رجلاً قال له: إن الشمس تطلع بين قرني شيطان؟ قال: نعم إن إبليس اتخذ عرشاً بين السماء والأرض فإذا طلعت الشمس وسجد في ذلك الوقت الناس قال إبليس لشیاطينه: إن بني آدم يصلّون لي» رواه في الكافي^(٢).
وفي الفقيه^(٣) روى لي جماعة من مشائخنا عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي

(١) ذكر فيه وجوه أحدهما أن الشيطان ينصب قائماً في وجه الشمس عند طلوعها لكون طلوعها بين قرنيه فيكون مستقبلاً لمن يسجد للشمس فيصير عبادتهم له فنهوا عن الصلاة في ذلك الوقت مخالفة لعبدة الشمس. وثانيها أن يراد بقرنيها حزبه اللذان يعيشهما لاغواء الناس، يقال: هؤلاء قرناي أي امتي ومتبعي. وثالثها أنه من باب التشبيل شبه الشيطان فيما تسول لعبدة الشمس ويدهوهم إلى معاندة الحق بذوات القرون التي يمالج الأشياء ويدافعها بقرونها. ورابعها يراد بالقرن القوة من قولهم أنا مقرر له أي مطبق والمختار هو الوجه الأول لمعاوضة الروايات. أقول: هذا البيان كان في هامش نسخة الكافي الطبع الحجري ونسبه إلى المجلسي - رحمه الله - ولكن ليس في مرآة العقول ولملح في البحار أو كان للمجلسي الأول. وفي المرآة قوله عليه السلام: «بين قرني الشيطان» قال في النهاية: فيه أن الشمس تطلع بين قرني الشيطان أي ناحيتي رأسه وجانبيه. وقيل: القرن: القوة أي حين تطلع يتحرك الشيطان ويتسلط فيكون كالعين لها. وقيل: بين قرنيه أي امتيه الأولين والآخرين وكل هذا تمثيل لمن يسجد للشمس عند طلوعها فكان الشيطان سول له ذلك فاذا سجد لها كان كأن الشيطان مقترن بها. انتهى. وقال النووي في شرح المسلم: أي حزيه اللذين يعيشهما لاغواء. وقيل: جانبي رأسه فإنه يدني رأسه إلى الشمس في هذين الوقتين ليكون الساجدون لها كالساجدين له ويغفل لنفسه ولاعوانه أنهم يسجدون له وحيث يكون له وليته تسلط في تلبس المصلين انتهى. هذا آخر ما في المرآة ولشراح الخصال بالفارسية بيان لهذا الحديث طبع في آخر مجلده الثالث فمن أراد الاطلاع فليراجع هناك.

(٢) المجلد الثالث ص ٢٨٩ تحت رقم ٨.

(٣) ص ١٣٢ تحت رقم ٥.

- رضي الله عنه - أنه ورد عليه فيما ورد من جواب مسائله من محمد بن عثمان العمري قدس سره و أمّا ما سألت من الصلاة عند طلوع الشمس و غروبها فليثن كان كما يقوله الناس إن الشمس تطلع بين قرني شيطان و تغرب بين قرني شيطان فما أرغم أنف الشيطان بقي أفضل من الصلاة فصلها وأرغم الشيطان .

مسألة إذا صلى مع النجاسة جاهلاً ولم يعلم بها حتى خرج الوقت صحّت بخلاف بين أصحابنا و إن علم بها في الأثناء فإن أمكنه نزعه مع الستر أو تبديله أو تطهيره استمرّ و إلا استأنف إلا إذا استيقن سبقها على الصلاة فيسأنف مطلقاً ، وقيل بالتفصيل و إن استيقن السبق ، وقيل يستأنف مطلقاً مع سعة الوقت و إن علم بها بعد الفراغ فإن كان عالماً بها قبلها ولكنه نسي فيجب عليه الإعادة مع بقاء الوقت دون خروجه ، وقيل : يعيد مطلقاً و عليه الأكثر ، وقيل : لا يعيد مطلقاً و إن لم يكن علمها فلا يعيد مطلقاً وقيل : يعيد مع بقاء الوقت و ما اخترناه هو الذي يقتضيه الجمع بين الأخبار الصحيحة ، و ما قالوه يقتضيه خصوص بعضها ، و إن لم يمكنه التطهير صلى فيه كما في الأخبار الصحيحة و يجوز نزعه و الصلاة عرياناً قاعداً مومياً للخبرين المنجبرين ضعفهما بالشبهة ولتعارض الستر والقيام واستيفاء الأفعال مع المانع لكن الأولى الأولى وفاقاً لابن الجنيّد ، وقيل : بل يجب النزح حتّى ولبس بشيء .

مسألة من أحدث في الصلاة حدثاً بطلت صلاته وكذلك لو تكلم ، أو تهفّفه ، أو التفت فاحشاً ، أو فعل فعلاً كثيراً خارجاً عنها مع تعمّد الجميع والفعل القليل غير مبطل و إن كره ، وكذا الكثير مع السهو إذا لم تنم مع صورة الصلاة فتبطل ، و المرجع في القلّة والكثرة إلى العرف لعدم التحديد في الشرع ، نعم كل ما ورد في الأخبار المعتبرة جواز فعله فهو في حيز القليل كقتل البرغوث والحية والعقرب والبقة والنملة والذباب ، و حمل الصبي الصغير وإرضاعه ، والإشارة باليد والإيماء بالرأس ورفع القلنسوة من الأرض ووضعها على الرأس ، و رمي الغير بالحصى طلباً لإقباله والتصفيق لذلك إلى غير ذلك .

و في الصحيح المستفيضة ^(١) : لو أن رجلاً رفع في صلاته و كان عنده ماء أو من يشير إليه بماء فيناوله فمال برأسه ففسله فليبن على صلاته ولا يقطعها و في بعضها ينفتل و يغسل أنفه و يعود في صلاته و إن تكلم فليعد صلاته و حمل على ما إذا لم يكثّر فمحي صورة الصلاة جمعاً بينها و بين الصحيح الآخر بحمله على الماحي .

مسألة من ترك ركناً من أركان الصلاة الخمسة عمداً أو سهواً بطلت صلاته إلا أن يتداركه قبل الدخول في الآخر و كذا إن زاده على المشهور و لو شك فيه فإن كان محله باقياً أتى به و إلا فقد مضت صلاته و من سها عن غير الركن تداركه قبل الدخول في الركن و يمضي بعده و يقضيه إن كان سجوداً أو تشهداً أو قنوتاً و إلا فلا ، و إن شك فيه أتى به إن كان في محله و مضى إن دخل في فعل آخر و من زاد ركعة فما زاد بطلت صلاته و إن كان سهواً وفيه قول آخر .

و إن نقص أتمّ و لو بعد الفراغ و فعل المنافي عند الصدوق للصحيح المستفيضة و الأكثر على وجوب الإعادة إن كان المنافي ممّا يبطل الصلاة عمداً و سهواً كالحدث والفعل الكثير الماحي للصورة للأخبار المعتبرة ويمكن حملها على الإستحباب ، وربما يخصّ بغير الرباعيات .

مسألة من نسي سجدة واحدة أو التشهد الأول إلى أن يركع أو تكلم في الصلاة ناسياً أو سلم في غير موضعه أو شك بين الأربع و الزيادة أولم يدر زاد في صلاته أم نقص ، أو لم يدر زاد ركوعاً أم نقصه ، أو زاد سجدة أم نقصها و كان قد تجاوز محلّها ، أو قام أو قعد في غير محلّها سجدة سجدة السهو المسمّيتين بالمرغمتين لإرغامهما الشيطان ، و قيل : و في كلّ زيادة و نقصان ، و محلّها بعد التسليم كما في الصحيح المستفيضة ^(٢) و قيل : قبله للخبر و قيل : إن كان للنقصان قبل و إن كان للزيادة فبعد للآخر و حملاً على التقية و صورتها في المشهور أن ينوي ثم يكبر ثم يسجد ثم يرفع رأسه ثم يسجد ثانية ، ثم يرفع رأسه و يتشهد تشهداً خفيفاً ثم يسلم ويقول فيهما : « بسم الله و بالله اللهم صل على

(١) راجع وسائل الشيعة أبواب قواطع الصلاة الباب الثاني .

(٢) راجع الوسائل أبواب الغلل الواقع في الصلاة الباب الثاني والثلاثون .

عَمَّه و آل عَمَّه ، أو « بسم الله و بالله السلام عليك أيها النبي » ورحمة الله و بركاته ، و الظاهر من الأخبار عدم وجوب ما عدا السجدين .

مسألة من شك في عدد الثنائية أو الثلاثية أو الأُوليين من الرباعية ، أولم يدركم صلى مطلقاً بطلت صلاته على المشهور وجوز الصدوق البناء على الأقل أيضاً ولا يخلو من قوة و لو ظن أحد الطرفين بني عليه ، و كذا في كل فعل ولو شك فيما زاد على الاثنتين من الرباعية بنى على الأكثر و أتم ثم احتاط بما شك فيه على المشهور ، و للصدوق قول آخر ، و المحتاط بها إن كانت واحدة مخير بين ركعتين من جلوس أو واحدة من قيام و إن كانت مرديّة بين الركعة و الركعتين صلى اثنتين من قيام و أخريين من جلوس ، و لابد في صلاة الاحتياط من نيّة و إحرام و تشهد و تسليم لأنّها منفردة .

مسألة لاشك للمأمومين مع حفظ الإمام و لا له مع حفظهم و يجوز رجوع الظان منهما إلى المتيقن ، و الشاك إلى الظان ، و لا حكم للشك مع كثرة فلا يلتفت مطلقاً ، بل يبني على وقوع المشكوك فيه و إن كان في محله ، و يستحب لكثير السهو أن يطعن فخذله اليسرى بإصبعه اليمنى المسبحة ثم يقول : « بسم الله و بالله و توكلت على الله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » فإنّه يزجره و يطرده كذا عن النبي ﷺ (١) .

مسألة قال أبو حامد : « الوسوسة في نيّة الصلاة سببها خبل (٢) في العقل أو جهل بالشرع لأنّ امتثال أمر الله مثل امتثال أمر غيره و تعظيمه كتعظيم غيره في حقّ القصد و من دخل عليه عالم فقام له فلو قال : نويت أن أتعب قائماً تعظيماً لدخول زيد الفاضل لأجل فضيلته متصلاً بدخوله مقبلاً عليه بوجهي سفّه في عقله بل كما يراه و يعلم فضله ينبعث داعية التعظيم فيقيم و يكون معظماً إلّا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة ، و اشتراط كون الصلاة ظهراً أداء فرضاً في كونه امتثالاً كالاشتراط كون القيام مقروناً بالدخول مع الإقبال بالوجه على الداخل و انتفاء باعث آخر سواء قصد التعظيم به ليكون تعظيماً ، فإنّه لو قام مدبراً عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدّة لم يكن معظماً ، ثمّ هذه الصفات

(١) رواه الكليني - رحمه الله - في المجلد الثالث من الكافي ص ٣٥٨ تحت رقم ٤.

(٢) الخبل - بالتعريك - نقصان في العقل وفساد فيه .

لا بدّ و أن تكون معلومة و أن تكون مقصودة ، ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة و إنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها إما تلعّظاً باللسان و إما تفكّراً بالقلب فمن لم يفهم نيّة الصلاة على هذا الوجه فكأنّه لم يفهم النيّة فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلّي في وقت فأجبت و قمت فالوسوسة محض الجهل فإنّ هذه القصود و هذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة و لا تكون مفصّلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس و تتأمّلها و فرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضادّ للزوب و للغفلة و إن لم يكن مفصّلاً فإنّ من علم الحادث مثلاً فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة و هذا العلم يتضمّن علوماً هي حاضرة و إن لم تكن مفصّلة ، و إنّ من علم الحادث فقد علم الموجود و المعدوم ، و التقدّم و التأخّر و الزمان ، و أنّ التقدّم للعدم و أنّ التأخّر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أنّ العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له : هل علمت التقدّم قطّ أو التأخّر أو العدم أو تقدّم العدم أو تأخّر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدّم و المتأخّر ؟ فقال : ما عرفته قطّ كان كاذباً و كان قوله مناقضاً لقوله : إنّي أعلم الحادث و من الجهل بهذه الدقيقة يشور الوسواس ، فإنّ الوسواس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهريّة والأدائيّة و الفرضيّة في حالة واحدة فيفصلها بألفاظها و هو يطالعها و ذلك محالّ و لو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل العالم لتعذّر عليه فهذه المعرفة يندفع الوسواس ، و هو أن يعلم أنّ امتثال أمر الله في النيّة كامتثال أمر غيره ثمّ أزيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة ، وأقول : لو لم يفهم الوسواس النيّة إلا باحضار هذه الأمور مفصّلة و لم يتمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة فأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوّله إلى آخره بحيث لم يفرغ من التكبير إلا و قد حصلت النيّة كفاء ذلك و لا يكلفه أن يقرن الجميع بأوّل التكبير أو آخره فإنّ ذلك تمكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأولين سؤال عنه و لوسوس واحد من الصحابة في النيّة فعدم وقوع ذلك دليل على أنّ الأمر على التساهل فكيف ما تيسّرت النيّة للوسواس ينبغي أن يقنع به حتّى يتعوّد ذلك ويفارقه الوسوسة ولا يطلب نفسه بتحقيق ذلك فإنّ التحقيق يزيد فيه .

وقد ذكرنا في الفتاوي وجوهاً من التحقيق في تفصيل العلوم و القصود المتعلقة
بالنية بغفر العلماء إلى معرفتها فأما العامل فربما يضره سماعها ويهيج عليه الوسواس
فلذلك تركنا ذكرها .

﴿الباب السابع﴾

﴿في سائر الصلوات﴾

أقول : وهي عندنا قسمان فرائض و نوافل :

القسم الاول الفرائض وهي خمس الأولى صلاة العيدين قال الصادق عليه السلام في
صحيح جميل بن دراج : « صلاة العيدين فريضة » (١) .

و يشترط فيهما ما يشترط في الجمعة سوى الخطبتين فإنّ الأصحّ عدم اشتراطهما
فيهما لاستحبابهما وعدم وجوب استماعهما وهما بعد الصلاة هنا وتقديمهما بدعة .

وكيفيتهما مثل كيفية خطبتي الجمعة غير أنّ الإمام يذكر في خطبة الفطر ما
يتعلّق بالفطرة من الشرائط والقدر والوقت وفي الأصحّ ما يتعلّق بالأضحية ، ومع اختلال
الشرائط يستحبّ الإتيان بها فرادى وفي جواز الجماعة فيها حينئذ نظر والأحوط المنع .

ويستحبّ الإصحار (٢) بها في غير مكة ومباشرة الأرض و السجود عليها وأن
يطعم قبل خروجه في الفطر وبعد عوده في الأضحية ممّا يضحى به ، وأن يخرج بعد
الغسل متطيباً غير العجائز فإنّهن يخرجن ثقلات (٣) ، لباساً أحسن ثيابه ، ماشياً حافياً على
سكينة ووقار ، ذاكر الله تعالى ، داعياً بالمأثور ، متعمّماً متردياً وهما هنا آكد ، ذاهباً من
طريق ، عائداً بآخر ، وأن يقول المؤذن بأرفع صوته عند القيام إليها : الصلاة ثلاثاً .

ثمّ يصلي الإمام بالناس ركعتين يقرأ في الأولى الشمس وفي الثانية الغاشية ، وفي
رواية في الأولى الأعلى وفي الثانية الشمس ، فإذا فرغ من القراءة في الأولى كبّر ثم رفع

(١) الفقيه ص ١٣٣ تحت رقم ١ .

(٢) الإصحار : الإجهار وكونها في الصحراء . (٣) أى غير متطيبات .

يديه و يقول : « اللهم أهل الكبرياء والعظمة ، وأهل الجود والجبروت ، وأهل العفو والرحمة ، وأهل التقوى والمغفرة ، أسألك بحق هذا اليوم الذي جعلته للمسلمين عيداً ولمحمد ﷺ ذخراً وكرامة ومزيداً أن تصلي علي محمد وآل محمد ، وأن تدخلني في كل خير أدخلت فيه محمد وآل محمد ، وأن تخرجني من كل سوء أخرجت منه محمد وآل محمد صلواتك عليه وعليهم ، اللهم إني أسألك خيراً ما سألك عبادك الصالحون وأعوذ بك مما استعاض منه عبادك الصالحون » .

و إن أضاف إليه ما أورده في الفقيه ^(١) من الزوائد فهو أفضل ، ثم يكبر ثمانية وثلاثة ورابعة وخامسة ، و يأتي بعد كل منها بالدعاء المذكور رافعاً يديه ، ثم يكبر للركوع فيركع ويسجد سجدتين ، ثم يقوم إلى الثانية ويصنع كما صنع في الأولى إلا أنه يكبر أربعاً عقيبها أربع قنوتات .

و في بعض الروايات ^(٢) أن التكبيرات والقنوتات قبل القراءة وإليه ذهب جماعة وحمله آخرون على التيقن لموافقته لمذهب العامة .

فاذا فرغ من الصلاة أتى بدعاء زين العابدين عليه السلام المذكور في الصحيفة الكاملة ^(٣) .

و ينبغي أن يكبر في الفطر عقيب أربع صلوات أولها المغرب وآخرها صلاة العيد يقول : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، والله الحمد ، الله أكبر على ما هدانا ، وفي الأضحية عقيب خمس عشرة أولها الظهر يوم النحر لمن كان بمنى وعقيب عشرة لغيره ويزيد على المذكور « الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام ، و الحمد لله على ما أولانا » .

و يكره الخروج بالسلاح والتنفل في ذلك اليوم إلى الزوال إلا ركعتين في مسجد النبي ﷺ بالمدينة والسفر بعد طلوع الفجر ، أما بعد طلوع الشمس فحرام لاستلزامه

(١) ص ١٣٥ تحت رقم ٣٧٣٠ .

(٢) راجع وسائل الشيعة باب كيفية صلاة العيدين .

(٣) الدعاء الثامن والادبون .

الإخلال بالواجب .

و إذا اجتمع عيد وجمعة تخير من صلى العيد في حضور الجمعة وعدمه ، كما ورد في الصحيح عن الصادق عليه السلام ، ورواه العامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل : بل يجب الحضور ، وقيل : يختص التخير بمن كان منزله بعيداً ، والأول أصح .

ويستحب إحياء ليلتي العيدين بالصلاة والدعاء والذكر .

فمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحيا ليلتي العيدين لم يمض قلبه يوم يموت القلوب ، (١) . وعن علي عليه السلام : أنه كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليال من السنة وهي أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة النحر ، (٢) .

قال الشهيد - رحمه الله - : تحصل فضيلة الإحياء بمعظم الليل تنزيلاً لأكثر الشيء منزله .

وعن ابن عباس : الإحياء أن تصلي العشاء في الجماعة .

ويستحب الغسل ليلة الفطر والأضحية يوم الأضحية أو بعده إلى يومين وقيل : بوجوبها وفي الصحيح الأضحية واجبة على من وجد من صغير أو كبير وهي سنة (٤) . وفي رواية : سئل فماترى في العيال؟ قال : إن شئت فعلت وإن شئت لم تفعل فأما أنت فلا تدعه ، (٥) .

ومن لم يجد ينبغي أن يتصدق بثمانها ويقول عند الذبح : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات - إلى قوله - : وأنا من المسلمين ، اللهم منك ولك بسم الله والله أكبر ، اللهم تقبل مني » وإن أشرك فيها أحداً يقول : اللهم هذا عني وعن فلان ، روي « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضحى بكبش وذبح بيده وقال : بسم الله والله أكبر هذا مني ومن لم يضح من أمتي » ، (٦) .

(١) راجع الفقيه ص ١٣٥ تحت رقم ٢٠ وسنن ابن ماجه تحت رقم ١٣١٠ وبعده .

(٢) ثواب الاعمال ص ٧٤ .

(٣) قرب الاسناد ص ٢٦ ومصباح المتجهد ص ٤٥ .

(٤) و (٥) الفقيه ص ٢٧٣ تحت رقم ٢٠١ .

(٦) في الفقيه « ضحى رسول الله صلى الله عليه وآله بكبش ذبح واحداً بيده فقال : اللهم هذا عني وعن من أهلك بيدي وذبح الآخر فقال : اللهم هذا عني وعن من لم يضح من أمتي » .

و يا كل منها و يطعم إخوانه والفقراء ولا بأس بادّ خاير لحمها ولو بعد ثلاثة أيام
و تحريره منسوخ .

قال بعض علمائنا : ^(١) و أمّا العيد فأحضر في قلبك أنّها في يوم قسمة الجوائز
وتفرقة الرحمة و إفاضة المواهب على من قبل صومه وقام بوظائفه ، فأكثر من الخشوع في
صلاتك و الابتهاال إلى الله تعالى فيها وقبلها وبعد ها في قبول أعمالك ، و العفوعن تقصيرك
و استشعر الحياء والخجلة من حيرة الردّ وخذلان الطرد ، فليس ذلك اليوم بعيد من ليس
الجديد و إنّما هو عيد من أمن من الوعيد وسلم من النقاش و التهديد و استحقّق بصالح
أعماله المزيد فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف والتنظيف والتطيب وغيره
من أسباب التهيؤ للإقبال بالقلب على ربك والوقوف بين يديه عسى أن تصلح للمناجاة
و الخضوع لديه ، فإنّه مع ذلك يوم شريف ، و زمانٌ منيف ، يقبل فيه خير الأعمال ،
و تستجاب فيه الدعوات ، فلا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله ، و لم يجعل عيداً
بسببه من المأكّل والمشرب و اللباس وغير ذلك من متاع الدنيا ، و إنّما هو عيد لكثرة
عوائد الله تعالى فيه على من عامله بمتاخر الآخرة .

❦ (الثانية) ❦

❦ صلاة الايات ❦

قال الصادق عليه السلام في صحيح جميل : « صلاة الخسوف فريضة » ^(٢) وتجب بكسوف
أحد النيرين والزلزلة والأصح وجوبها للرياح المظلمة و غيرها من أخايف السماء
المخوفة لعامة الناس كما يستفاد من الصحاح ، و قيل : بل يستحبّ لذلك ، و قيل : يجب
للريح المخوفة والظلمة الشديدة خاصة ، و يشترط فيها زيادة على شرائط الصلوات العلم
بالآية لاستحالة تكليف الغافل ، نعم يجب القضاء في الكسوفين مع الاستيعاب إذا لم
يعلم وهو فرض مستأنف وهي عشر ركعات وأربع سجّدت يكبّر ويقرأ الحمد وسورة ثم
يركع ثم يرفع رأسه ويقرأ الحمد وسورة وهكذا إلى خمس مرّات ، ثم يسجد سجّدين ، ثم

(١) اسرار الصلاة ص ٢٢٣ .

(٢) الفقيه ص ١٣٣ تحت رقم ١ .

يقوم ويفعل مثله ذلك ، وإن شاء أن يفرّق سورة واحدة على كل من الخمس جاز ، ولا يقرأ الحمد حينئذ إلا في الأولى والسادسة .

و يستحب الغسل لها مع استيعاب القرص ، أداء كانت أو قضاء ، وأن يصلي تحت السماء جماعة وأن يطيلها بقدر الآية وأن يكون سجوده بقدر ركوعه وقراءته وأن يعيدها إن فرغ قبل الانجلاء أو يدعو حتى ينجلي ، وأن يقول عند الزلزلة : « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً » ويدعو ويكبر عند الرياح رافعاً بهما صوته .

قال بعض علمائنا ^(١) : وأما الآيات فاستحضر عندها أهوال الآخرة وزلازلها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيامة ، وجل الخلائق والتجاءهم واجتماعهم في تلك العرصة وخوفهم من الأخذ والنكال والعقوبة والاستيصال ، فأكثر من الدعاء والابتهاال بمزيد الخشوع والخضوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد وردّ النور بعد الظلمة ، والمساعدة على الهفوة والزلة ، وتب إلى الله من جميع ذنوبك وأحسن التوبة عسى أن ينظر إليك وأنت منكسر النفس ، مطرق الرأس ، مستحيي من التقصير ، فيقبل توبتك ويسامح هفوتك ، فإنه يقبل القلوب المنكسرة ، ويحب النفوس الخاشعة والأعناق الخاضعة والتملل من ثقل الأوزار والحذر من منقلب الأصرار .

أقول : روي في الفقيه ^(٢) عن سيّد العابدين عليه السلام أنه قال في حديث له : « أما إنه لا يفرغ للآيتين ولا يرهب إلا من كان من شيعتنا فإذا كان ذلك منهما فافزعوا إلى الله تعالى وراجعوه » .

قال : وقد قال النبي ﷺ : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تبارك وتعالى ، تجريان بتقديره ، وتفتحيان إلى أمره ، لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته أحد فإذا انكسف أحدهما فبادروا إلى مساجدكم » ^(٣) .

وانكسفت الشمس على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فصلّي بهم حتى كان الرجل ينظر

(١) أسرار الصلاة ص ٢٢٣ .

(٢) الفقيه ص ١٤١ تحت رقم ١ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٦٣ .

إلى الرجل قد ابتلت قدمه من عرقه^(١).

وسأل عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن الريح والظلمة تكون في السماء والكسوف ، فقال الصادق عليه السلام : « صلاتهما سواء »^(٢) وفي العلل التي ذكرها الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال : « إنما جعلت للكسوف صلاة لأنه من آيات الله تعالى لا يدرى الرحمة ظهرت أم العذاب ، فأحب النبي صلى الله عليه وآله أن يفزع أمته إلى خالقها وراحها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيمهم مكروها كما صرف عن قوم يونس حين تضرعوا إلى الله عز وجل »^(٣).

❖ (الثالثة) ❖

❖ صلاة الطواف ❖

وهي ركعتان بعده ، واجبتان مع وجوبه مستحبتان مع استحبابه ، والقول باستحبابهما مطلقاً شاذ ، قال الله تعالى : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى »^(٤) ويستحب أن يقرأ فيهما بالتوحيد والجحد كما ورد في الأخبار^(٥).

قال بعض علمائنا :^(٦) وأما صلاة الطواف فاستحضر عندها جلالة البيت بجلالة رب البيت ، وإعلم أنك بمنزلة الواقف في حضرة الملك المطلق والحاكم المحقق فإنه وإن كان في جميع أحوالك مطلع على سريرتك محيط بباطنك وظاهره ، لكن الحال في ذلك الموطن أقوى والمراقبة فيه أتم وأولى ، والغفلة ثمة أصعب وأدهى ، وأين المقصر في تعظيم الملك بين يديه ولدى كرسيه وبين النائي عنه والبعيد منه ، وإن كان علمه شاملاً للجميع ومحيطاً بالكل فلينزد ذلك في خشوعك وإقبالك ، وليحدث بسبب ذلك من إعراضك وإهمالك ، ومن ثمة كان الذنب في تلك البقاع الشريفة مضاعفاً والحسنة أيضاً فيها مضاعفة ، وتفكر فيمن سبق من الأنبياء المقربين والأولياء الصالحين فترى آثارهم وقربهم وما أورثهم عملهم وجسمهم من السعادة المخلدة والنعمة المؤبدة المجددة

(١) إلى (٣) الفقيه ص ١٤٢ تحت رقم ٣ و ٤ و ٥ .

(٤) البقرة : ١٢٥ .

(٥) الكافي ج ٤ ص ٤٢٣ .

(٦) يعني الشهيد في أسرار الصلاة ص ٢٢٤ .

على مرّ الدُّهور ، المطردة على كرّ العصور وتأسّ بهم في الأعمال وكمال الإقبال وليكن ذلك و نظائره مقدّمة على الصلاة لا مقارنة ، فإنّ وظيفة الصلاة هي الإقبال بها خاصّة ، و ترقّ من هذه المدارج إلى غيرها من شريف المعارج .

❖ (الرابعة) ❖

❖ صلاة الجنّازة ❖

و فرضها كفائيّ يسقط عن جميع المطلّعين بفعل بعضهم وهي خمس تكبيرات يبينهنّ أربع دعوات بعد النية والاستقبال ، وجعل رأس الجنّازة إلى يمين المصلّي في غير المأموم ، و وضع الميّت مستلقياً بحيث لو اضطلع على يمينه كان بإزاء القبلة ، بعد التّغسيل و التّكفين .

و يستحبّ فيها الطهارة ، و رفع اليدين في كلّ تكبيرة سيّما الأولى ، و وقوف الإمام عند وسط الرجل و صدر المرأة ، و يتقدّم الرجل هنا و لو كان المأموم واحداً ، و أن يؤمّ أولى الناس به أو يأمر من يحبّ إلا أن يوصي الميّت ذلك لغيره ، و أن يخلع نعليه و يقف بعد الفراغ حتّى ترفع الجنّازة و أن يصلي في المواضع المعتادة ليكثر المصلّون ، ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام إذا مات الميّت فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا : اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيراً و أنت أعلم به منا ، قال الله مبارك و تعالى قد أجزت شهادتكم و غفرت له ما أعلم ممّا لا تعلمون ، (١) .

و من أدرك الإمام في الأثناء تابعه و أتمّ التكبيرات بعد فراغه متتابعاً كما ورد في الأخبار الصحيحة (٢) .

و الأصحّ عدم تعيين لفظ في الدعاء لاختلاف الأخبار فيه و لما ورد بإسناد حسن عن الصادق عليه السلام أنّه قال : وليس فيها دعاء موقت تدعو بمابدا لك ، (٣) خلافاً لجمع من المتأخّرين حيث أوجبوا الشهادتين عقيب الأولى ، و الصلاة على النبي وآله عقيب الثانية ،

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٥٤ تحت رقم ١٤ .

(٢) راجع الفقيه ص ٤٢ تحت رقم ٢٦ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ١٨٥ تحت رقم ١ .

و الدعاء للمؤمنين عقيب الثالثة ، و للميت عقيب الرابعة و بعض قدمائنا جعل الأفضل جمع الأذكار الأربعة عقيب كل تكبيرة و هو أقرب إلى الاحتياط و الأخبار المعتبرة ، و الأولى أن يعمل بصحيح أبي ولاد عن الصادق عليه السلام ^(١) و هو «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، اللهم صل على محمد و آل محمد ، اللهم إن هذا المسجى قد آمننا عبدك ابن عبدك و قد قبضت روحه إليك و قد احتاج إلى رحمتك و أنت غني عن عذابه ، اللهم ولا تعلم من ظاهره إلا خيراً و أنت أعلم بسريره ، اللهم إن كان محسناً فضاعف في إحسانه و إن كان مسيئاً فتجاوز عن إساءته ، يكرّمه بين كل تكبيرتين .

و إن كان مستضعفاً يقول بعد الصلاة على النبي وآله و الدعاء للمؤمنين : « اللهم اغفر للذين تابوا و اتبعوا سبيلك و قهم عذاب الجحيم » .
و إن كان مجهولاً يقول : « اللهم هذه النفوس أنت أحيتها و أنت أمتتها اللهم و لها ما تولت و احشها مع من أحببت » .

و للطفل يقول : « اللهم اجعله لأبويه و لنا سلفاً و فرطاً و أجراً » .
و إن كان جاحداً للحق يقول : « اللهم املأ جوفه ناراً و قبره ناراً و سلط عليه الحيات و العقارب » .

و عن الصادق عليه السلام أنه قال : « مات رجل من المنافقين فخرج الحسين بن علي عليه السلام يمشي فلقى مولى له فقال له : إلى أين تذهب ؟ فقال : أفر من جنازة هذا المنافق أن أُصلي عليه ، فقال له الحسين عليه السلام : قم إلى جنبي فمسمعني أقول فقل مثله قال : فرفع يديه فقال : « اللهم اخز عبدك في عبادك و بلادك ، اللهم أصله أشد نارك ، اللهم أذقه حر عذابك ، فإنه كان يوالي أعداءك و يعادي أولياءك و يبغض أهل بيت نبيك » ^(٢) .

أقول : و يقتصر حينئذ على أربع تكبيرات ، هكذا جرت السنة .
و تجوز الصلاة الواحدة على الجنائز المتعددة بلا خلاف و في العكس أقوال .
و الأخبار في فضل الصلاة على الجنائز و تشييعها و تربيعها كثيرة و سند ذكر بعضها

(١) الكافي ج ٣ ص ١٨٤ تحت رقم ٣ .

(٢) الفقيه ص ٤٣ تحت رقم ٤٦ ، و الكافي ج ٣ ص ١٨٨ تحت رقم ٢ .

في كتاب آداب الصلوة والمعاشره من ربيع العادات .

قال بعض علمائنا ^(١) : وأما الجنائز فاحضر عند مشاهدتها و وضعها بين يديك ما قد خلقت من الأهل والأولاد وتركت من الأموال وقدمت على الله صفر اليد ، لم يصحبها إلا الأعمال الصالحة وما تاجرته من أعمال الآخرة الرابعة وتأمل بهجته كيف ذهب و جلدته كيف تحولت ، و عن قريب يمسح التراب صورته ، و تزيل الأرض بهجته ، و ما قد حصل له من يتم أولاده و ترمل نسائه و تضيع أمواله ، و خلواً مسجده و مجلسه و انقطاع آثاره ، بعد طول أمله و كثرة حيله و انخداعه بمؤاماة الأسباب ، و غفلته عن الدخول في هذا التراب ، و القدوم على ما سطر عليه في الكتاب ، و ركونه إلى القوة و الشباب ، و اشتغاله عما بين يديه من الموت الذريع و الهلاك السريع ، و كيف كان يتردد و يشيع غيره من الأموات ، و الآن قد تهدمت رجلاه و مفاصله و كيف كان ينطق و قد فسد لسانه ، و كيف كان يضحك و قد تغيرت أسنانه ، و كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهراً و أقل ، و هو غافل عما يراه به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فقرع سمعه نداء الجبار إما بالجنة أو النار ، و لينظر في نفسه أنه الآن مثله في غفلته و سيكون عاقبته كعاقبته فلينهض حينئذ إلى الاستعداد و ليشتغل باكتثار الزاد ، فإن المسافة بعيدة ، و العقبة كؤود ، و الخطر شديد ، و الندامة بعد الموت غير نافعة فهذا الفكر وأمثاله يحصل قصر الأمل و الاستعداد بصالح العمل ، و محله خارج الصلاة كما مر .

❖ (الخامسة) ❖

الصلاة التي أوجبها المكلف على نفسه بنذر أو يمين أو عهد فإنه يجب عليه الإيفاء بها حسبما شرطه كماً وكيفاً ومكاناً وزماناً ما لم يكن الشرط منافياً لحقيقة الصلاة و لو لم يكن له مزية ففي انعقاده قولان أصحهما ذلك و في الأجزاء بالإيمان بها بدونه وجهان قال الله تعالى : «أوفوا بالعقود» ^(٢) ، وقال : «يوفون بالنذر» ^(٣) ، و قال : «ولا تنقضوا

(١) ينظر الشهيد في أسرار الصلاة ص ٢٢٥ .

(٢) البائدة : ٢ .

(٣) النحر : ٦ .

الأيمان بعد توكيدها^(١) إلى غير ذلك .

قال بعض علمائنا : و أمّا صلاة النذر و العهد و نحوهما فليستشعر قبولها و الرغبة في القيام بها و الإهتمام بشأنها وفاء لعهد الله و امتثالاً لأمره و لا يرم بها توهماً أنها ليست واجبة بالأصالة فقد لحقت بمثلها في العظمة و الجلالة و ليمثل في نفسه أنه لو عاهد ملكاً من ملوك الدنيا على عمل من الأعمال بحيث يكون فعله له برأى منه و مسمع كيف يكون إقباله على عمله و اجتهاده في إصلاحه و إتقانه ، و امتلاء قلبه منه و مراقبته لنظر الملك بمجرد الوعد فضلاً عن توكيده بالعهد فلا يجعل نظر الله سبحانه دون نظر عبيده فإن ذلك عنوان النفاق و نموذج الشرك .

قال : و هكذا يلاحظ وظيفة كل صلاة بحسبها . و يقوم بمرتبتها و أدبها و لا يقتصر على ما يتنزه من الوظائف بل يترقى بنظره إلى ما يفتح الله عليه من المعارف فإن أبواب الفيض مفتوحة ، و أنوار الجود هابطة مبذولة ، واصله إلى النفوس الإنسانية على قدر استعدادها .

﴿ القسم الثاني ﴾

﴿ النوافل وهي يومية وغير يومية ﴾

أمّا اليومية فهي أربع و ثلاثون ركعة في كل يوم و ليلة ضعف الفرائض يكون معها إحدى و خمسين ركعة ، و قد ورد في الحديث عن أهل البيت عليهم السلام : « أن علامات المؤمن خمس : صلاة الإحدى و الخمسين و زيارة الأربعين و تمجير الجبين و التختيم باليمين و الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم »^(٢) .

يصلي ثمان إذا زالت ، و ثمان بعد الظهر ، و أربع بعد المغرب ، و ركعتان بعد العشاء تعدّ أن بواحدة ، و ثلاث عشرة ركعة بعد انتصاف الليل إلى الفجر الثاني ، منها ركعتان نافلة الفجر و في بعض الصحاح أقل من ذلك بإسقاط أربع بعد الظهر و ركعتين بعد

(١) النعل : ٩١ .

(٢) التهذيب ج ٢ ص ١٧ .

وفي الفقيه^(١) قال أبي - رضي الله عنه - في رسالته إليّ : أعلم يا بني إنّ أفضل النوافل ركعتا الفجر وبعدهما ركعة الوتر وبعدها ركعتا الزوال وبعدهما نوافل المغرب وبعدها تمام صلاة الليل وبعدها تمام النوافل النهار .

و فيه « قال الصادق عليه السلام : كلما فاتك بالليل فاقضه بالنهار ، قال الله تبارك وتعالى : « هو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً »^(٢) يعني أن يقضي الرجل ما فاتته بالليل بالنهار وما فاتته بالنهار بالليل ، « واخض ما فاتك من صلاة الليل أي وقت شئت من ليل أو نهار ما لم يكن وقت فريضة »^(٣) .

و قال الصادق عليه السلام : « قضاء صلاة الليل بعد الغداة وبعد العصر من سرّ آل محمد المخزون »^(٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « إنّ الله تبارك وتعالى يباهي ملائكته بالعبد يقضي صلاة الليل بالنهار فيقول : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي يقضي ما لم أفرضه عليه أشهدكم أنني قد غفرت له »^(٥) .

و روى يزيد بن معاوية العجليّ ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « أفضل قضاء صلاة الليل في الساعة التي فاتتك آخر الليل ، وليس بأس أن تقضيها بالنهار وقبل أن يزول الشمس » انتهى كلام الفقيه^(٦) .

و يجوز تقديم صلاة الليل أوّل الليل في السفر وعند الضرورة إلا أن القضاء أفضل منه عند أهل البيت عليه السلام وسيأتي بيان كيفية صلاة النوافل و آدابها في كتاب ترتيب الأوراد من هذا الرّبع إن شاء الله .

و يزيد في رواتب يوم الجمعة أربع ركعات لأنّه نقص من فريضة ركعتين فيصلّي فيه عشرين ركعة ، والأخبار في توزيعها مختلفة ففي بعضها ست ركعات ارتفاع النهار ، وست ركعات قبل نصف النهار ، وركعتين إذا زالت الشمس قبل الجمعة ، وست ركعات

(١) ص ١٣ باب أفضل النوافل .

(٢) الفرقان : ٦٢ .

(٣) الى (٦) الفقيه ص ١٣٢ رقم ١٦١ و ٧٠٧ .

وفي الفقيه^(١) قال أبي - رضي الله عنه - في رسالته إليّ: «اعلم يا بنيّ إنّ أفضل النوافل ركعتا الفجر وبعدهما ركعة الوتر وبعدها ركعتا الزوال وبعدهما نوافل المغرب وبعدها تمام صلاة الليل وبعدها تمام النوافل النهار».

و فيه «قال الصادق عليه السلام: كلما فاتك بالليل فاقضه بالنهار، قال الله تبارك وتعالى: «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً»^(٢) يعني أن يقضي الرجل ما فاتته بالليل بالنهار وما فاتته بالنهار بالليل، «واقض ما فاتك من صلاة الليل أي وقت شئت من ليل أو نهار ما لم يكن وقت فريضة»^(٣).

و قال الصادق عليه السلام: «قضاء صلاة الليل بعد الغداة وبعد العصر من سرّ آل محمد المخزون»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى يباهي ملائكته بالعبد يقضي صلاة الليل بالنهار فيقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي يقضي ما لم أفترضه عليه أشهدكم أنّي قد غفرت له»^(٥).

وروى بريد بن معاوية العجليّ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «أفضل قضاء صلاة الليل في الساعة التي فاتتك آخر الليل، وليس بأس أن تقضيها بالنهار وقبل أن يزول الشمس» انتهى كلام الفقيه^(٦).

و يجوز تقديم صلاة الليل أوّل الليل في السفر وعند الضرورة إلا أن القضاء أفضل منه عند أهل البيت عليه السلام وسيأتي بيان كيفية صلاة النوافل و آدابها في كتاب ترتيب الأوراد من هذا الربع إن شاء الله.

و يزيد في رواتب يوم الجمعة أربع ركعات لأنّه نقص من فريضة ركعتين فيصلي فيه عشرين ركعة، والأخبار في توزيعها مختلفة ففي بعضها ست ركعات ارتفاع النهار، وست ركعات قبل نصف النهار، وركعتين إذا زالت الشمس قبل الجمعة، وست ركعات

(١) ص ١٣ باب أفضل النوافل.

(٢) الفرقان: ٦٢.

(٣) إلى (٦) الفقيه ص ١٣٢ رقم ٦١ و ٧٠.

بعد الجمعة . و في بعضها غير ذلك ، و منها ما يدلُّ على أزيد من ذلك ، و منها ما يدلُّ على أقل ، و منها ما يدلُّ على أنه قبل الفريضة أفضل . و في خبر أنها بعدها أفضل و هو محمول على ما إذا لم يصلها حتى دخل وقت الفريضة و العمل بمضمون الكل حسن . و يزيد في شهر رمضان على هذه الروائب ألف ركعة على المشهور بين أصحابنا لأخبار مستفيضة بذلك و هي مختلفة في توظيفها و توزيعها على الليالي و أنكره الصدوق رحمه الله و له أخبار صحيحة^(١) .

و لكل ليلة من ليالي هذا الشهر المبارك و أخويه رجب و شعبان صلاة خاصة زيادة على الروائب و الألف مذكورة في مظانها .

﴿ و أما غير اليومية ﴾

فمنها صلاة تحية المسجد عند دخوله إذا لم يكن وقت صلاة فإن اشتغل بفرض أو قضاء أو رابطة تأدى به التحية و حصل الفضل ، إذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياماً لحقه ، و لهذا يكره دخوله على غير وضوء .

و منها صلاة الاستسقاء ، و هي مستحبة عند غور الأتهار ، و فتور الأمطار استحباباً مؤكداً ، و هي ركعتان و خطبتان بعدهما على هيئة العيدين بعينها إلا أنه يذكر في فتواته و خطبته ما يناسب نزول المطر و أفضله المأثور عن أهل البيت عليهم السلام . و في الفقيه كان رسول الله ﷺ إذا استسقى قال : «اللهم اسق عبادك و بهائمك ، و انثر رحمتك ، و احي بلادك الميتة»^(٢) يردّها [ثلاث] مرّات .

و يستحب فيه الغسل و صيام الناس ثلاثه أيام ، و خروجهم يوم الثالث ، و كونه الاثنين و إلى الصحراء حفاة على سكينه و وقار بين أيديهم المؤذنون وإخراجهم الشيوخ و الأطفال و العجائز و البهائم معهم ، و تفرقهم بين الأطفال و أمهاتهم ليكثر البكاء و المعجيج و لمشاركتهم في الحاجة و لقوله ﷺ : « لولا صبيان رضع و مشايخ رقع و بهائم

(١) راجع الفقيه ص ١٨٦ باب الصلاة في شهر رمضان .

(٢) المصدر ص ١٣٩ رقم ١٥ .

رتع لصب عليكم العذاب صباً» (١) .

قيل : ولو خرج أهل الذمة متميزين لم يمنعوا وإذا فرغ الإمام من الخطبتين أو كان في أثناء الثانية يقلب رداءه فيجعل الذي على يمينه على يساره وبالعكس نقلاً بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله ﷺ ، ثم يستقبل القبلة فيكبر الله مائة تكبيرة ثم يلتفت إلى الناس عن يمينه فيسبح الله مائة تسبيحة ، ثم يلتفت إليهم عن يساره فيهلل الله مائة تهليل ، ثم يستقبل الناس فيحمد الله مائة تحميدة ، في كل ذلك يرفع صوته ، ثم يرفع يديه فيدعو ، ثم يدعون ، ويكرّر الخروج لو تأخّرت الإجابة .

قال أبو حامد : « ولا بأس بالدعاء إدبار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات » .

ومنها صلاة جعفر بن أبي طالب وسمى بصلاة التسبيح ، وصلاة الحبوة وهي من وكيد النوافل وشهيرها بين العامة والخاصة .

روى في التهذيب (٢) بإسناده الصحيح عن بسطام عن الصادق عليه السلام أنه قال له رجل : جعلت فداك أيلتزم الرجل أخاه ؟ فقال : نعم إن رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر أتاه الخبر أن جعفراً قد قدم فقال : والله ما أدري بأيهما أنا أشد سروراً بقدم جعفر أو فتح خيبر ، قال : فلم يلبث أن جاء جعفر قال : فوثب رسول الله ﷺ فالتزمه وقبل ما بين عينيه قال : فقال له الرجل : الأربع ركعات التي بلغني أن رسول الله ﷺ أمر جعفر أن يصلّيها ؟ فقال : لما قدم عليه قال له : يا جعفر ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ؟ قال : فتشرف الناس ورأوا أنه يعطيه ذهباً أو فضة ، قال : بلى يا رسول الله ، قال : صل أربع ركعات متى ما صليتهن غفر الله لك ما بينهن ، إن استطعت كل يوم وإلا فكل يومين أو كل جمعة أو كل شهر أو كل سنة فإنه يغفر لك ما بينهما ، قال : كيف أصليها ؟ قال : تفتح الصلاة ثم تقرأ ثم يقول : خمس عشرة مرة وأنت قائم : « سبحان الله والحمد لله » (١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني عن مسافع الديلمي كما في الجامع الصغير باب اللام .

(٢) المجلد اول ص ٣٠٧ حسب إحصائنا .

ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا ركعت قلت ذلك عشرًا ، وإذا رفعت رأسك فعشرًا ، وإذا سجدت فعشرًا ، وإذا رفعت رأسك فعشرًا ، وإذا سجدت الثانية فعشرًا ، وإذا رفعت رأسك فعشرًا ، فذلك خمس وسبعون تكون ثلاث مائة في أربع ركعات فهي ألف ومائتان .

وفي الصحيح « عن إبراهيم بن أبي البلاد عن الكاظم عليه السلام قال : قلت له : أي شيء لمن صلى صلاة جعفر ؟ قال : لو كان عليه مثل رمل عالج و زبد البحر ذنوباً لغفرها الله له ، قال : قلت : هذه لنا ؟ قال : فلمن هي ؟ إلا لكم خاصة ^(١) .

وفي صحيح أبي حمزة الشمالي المروي في الفقيه ^(٢) « أن التسبيح قبل القراءة وأن صورته الله أكبر و سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، والأول أشهر وعليه الأكثر . وفي الرواية الأولى أنه يقرأ فيها بالتوحيد والجحد وفي الثانية أنه يقرأ بالزلزلة والنصر والقدر والتوحيد وفي ثالثة الزلزلة والعاديات والنصر والتوحيد والكل حسن ، وينبغي أن يقول في آخر سجدة منها : « يا من لبس العز والوقار ^(٣) ، يا من تعطف بالمجد وتكرم به ، يا من لا ينبغي التسبيح إلا له ، يا من أحصى كل شيء علمه ، يا ذا النعمة والعلو ، يا ذا المن والفضل ، يا ذا القدرة والكرم أسألك بمعاقدة العز من عرشك وبمنتهى الرحمة من كتابك و باسمك الأعظم الأعلى و كلماتك التامات أن تصلي علي محمد وآل محمد و أن تفعل بي كذا وكذا » .

و يجوز أن يجعل هذه الصلاة من النوافل اليومية وقضاؤها لصحيحة ذريح عن الصادق عليه السلام ^(٤) « قال : إن شئت صل صلاة التسبيح بالليل وإن شئت بالنهار وإن شئت في السفر وإن شئت جعلتها من نوافلك و إن شئت من قضاء صلاة » و أفضل أوقاتها يوم الجمعة صدر النهار كما ورد عن صاحب الأمر عليه السلام ، و يجوز تجريد ها من التسبيح ثم قضاؤه بعدها و هو ذاهب في حوائجه لمن كان مستعجلاً كما ورد في رواية أبان ، عن

(١) الفقيه ص ١٤٥ رقم ٤ والتهذيب ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢) المصدر ص ١٤٤ رقم ١ .

(٣) هكذا في الفقيه وفي الكافي ج ٣ ص ٤٦٧ « سبحان من لبس العز والوقار ، سبحان من تعطف وهكذا الى آخره بلفظ «سبحان» .

(٤) في الكافي ج ٣ ص ٤٦٦ ، والفقيه ص ١٤٥ تحت رقم ٧ .

الصادق عليه السلام (١).

ومنها صلاة الاستخارة روى في الكافي (٢) بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : « صل ركعتين واستخر الله ، فو الله ما استخار الله مسلم إلا خار له البتة » .

و بإسناده عن الباقر عليه السلام « قال : كان علي بن الحسين عليه السلام إذا هم بأمر حج أو عمرة أو بيع أو شراء أو عتق تطهر ، ثم صلى ركعتي الاستخارة فقرأ فيهما بسورة الحشر و بسورة الرحمن ، ثم يقرأ المعوذتين و قل هو الله أحد إذا فرغ و هو جالس ثم يقول : اللهم إن كان كذا وكذا خيراً لي في ديني و دنيائي و عاجل أمري و آجله فصل على محمد و آل محمد و يسره لي على أحسن الوجوه و أجعلها ، اللهم إن كان كذا وكذا شراً لي في ديني و دنيائي و عاجل أمري و آجله فصل على محمد و آل محمد و اسرفه عني ، رب صل على محمد و آل محمد و أعزم لي على رشدي وإن كرهت ذلك أو أبته نفسي (٣) » .

و بإسناده ، عن مرازم قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « إذا أراد أحدكم شيئاً فليصل ركعتين ثم ليحمد الله فليستن عليه وليصل على محمد و أهل بيته ويقول : اللهم إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني و دنيائي فيسره لي و أقدره و إن كان غير ذلك فاصرفه عني فسألته أي شيء أقرأ فيهما ؟ فقال : اقرأ فيهما ما شئت وإن شئت قرأت فيهما قل هو الله أحد و قل يا أيها الكافرون (٤) » .

و بإسناده عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ربما أردت الأمر يفرق مني فريقان أحدهما يأمرني و الآخر ينهاني ، قال : فقال : إذا كنت كذلك فصل ركعتين و استخر الله مائة مرة و مرة ثم انظر أجزم الأمرين لك فافعله فإن الخيرة فيه إن شاء الله و لتكن استخارتك في عافية فإنه ربما خير للرجل في قطع يده و موت ولده و ذهاب ماله ، (٥) .

و بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : « إذا أردت أمراً فخذست رفاع فاكذب في

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٦٦ تحت رقم ٣.

(٢) المجلد الثالث ص ٤٧٠ رقم ١ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٧٠ تحت رقم ٢ .

(٤) و (٥) الكافي ج ٣ ص ٤٧٢ تحت رقم ٦ و ٧ .

ثلاث منها بسم الله الرحمن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة افعل . وفي ثلاث منها بسم الله الرحمن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة لاتفعل . ثم وضعها تحت مصلاك ثم صل ركعتين فإذا فرغت فاسجد سجدة و قل فيها مائة مرة أستخير الله برحمته خيرة في عافية ، ثم استوجالساً و قل : اللهم خرتي و اخترتي في جميع أموري في يسر منك وعافية ثم اضرب بيدك إلى الرقاع فشوشها وأخرج واحدة واحدة فإن خرج ثلاث متواليات افعل فافعل الأمر الذي تريده وإن خرج ثلاث متواليات لاتفعل فلاتفعله وإن خرجت واحدة افعل والأخرى لاتفعل فأخرج من الرقاع إلى خمس فانظراًكثرها فاعمل به ودع السادسة لاحتاج إليها (١) .

ومنها الصلاة في طلب الرزق روى في الكافي بإسناده ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إنني ذوعيال وعلي دين وقد اشتدت حالي فعلمني دعاء إذا دعوت الله به رزقني الله ما أقضي به ديني وأستعين به على عيالي فقال : يا عبدالله توضاً وأسبغ وضوءك ثم صل ركعتين تتم الركوع والسجود فيهما ، ثم قل : « يا ماجد يا واحد يا كريم أتوجه إليك بمحمد نبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله إنني أتوجه بك إلى الله ربك ورب كل شيء أن تصلي على محمد وعلى أهل بيته وأسألك نفعة من نفحاتك وفتحاً يسيراً ورزقاً واسعاً ألم به شعني وأقضي به ديني وأستعين به على عيالي (٢) » .

و عن الصادق عليه السلام من جاع فليتوضأ وليصل ركعتين ، ثم يقول : « يا رب إنني جائع فأطعمني » فإنه يطعم من ساعته (٣) .

ومنها صلاة الحوائج روى في الكافي عن عبدالرحيم القصير قال : « دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت : جعلت فداك إنني اخترعت دعاءً قال : دعني من اختراعتك إذا نزل

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٧٠ رقم ٣ .

(٢) المصدر ج ٣ ص ٤٧٣ رقم ٢ و قوله : « نفعة من نفحاتك » النفعة : فوح

الطيب و اللب : الجبع . و الشمت - معركة - : انتشار الامر والم الله شعته قارب بين شئت أموره .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٧٥ تحت رقم ٦ .

بك أمرٌ فافزع إلى رسول الله ﷺ وصل ركعتين تهديهما إلى رسول الله ﷺ ، قلت : كيف أصنع ؟ قال : تغتسل وتصلّي ركعتين تستفتح بهما افتتاح الفريضة ، وتشهد تشهد الفريضة ، فإذا فرغت من التشهد وسلّمت قلت : «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك السلام اللهم صلّ على محمد وآل محمد وبلغ روح محمد منّي السلام وأرواح الأئمة الصادقين سلامي ، واردد عليّ منهم السلام والسلام عليهم ورحمة الله وبركاته ، اللهم إنّ هاتين الركعتين هدبة منّي إلى رسول الله ﷺ فأثبني عليهما ما أمّلت ورجوت فيك و في رسولك يا وليّ المؤمنين » ثمّ تضرّع ساجداً وتقول : « يا حيّ يا قيوم ، يا حيّ لا يموت ، يا حيّ لا إله إلا أنت يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين » أربعين مرّة ، ثمّ ضع خدك الأيمن فتقولها أربعين مرّة ثمّ ضع خدك الأيسر فتقولها أربعين مرّة ، ثمّ ترفع رأسك وتمدّ يدك فتقول أربعين مرّة ، ثمّ تردّ يدك إلى رقبتك وتلوذ بسبابتك وتقول ذلك أربعين مرّة ، ثمّ خذ لحيتك بيدك اليسرى وباك أو بباك وقل : « يا محمد يا رسول الله أشكو إلى الله وإليك حاجتي وأشكو إلى أهل بيتك الراشدين حاجتي وبكم أتوجه إلى الله في حاجتي » ثمّ تسجد وتقول : « يا الله يا الله - حتّى ينقطع نفسك - صلّ على محمد وآل محمد وافعل بي كذا وكذا » قال أبو عبد الله عليه السلام : فأنا الضامن على الله تعالى أن لا يبرح حتّى يقضى حاجته (١) .

وفيه (٢) عن مقاتل بن مقاتل قال : قلت للرضا عليه السلام : جعلت فداك علمني دعاء لقضاء الحوائج ، فقال : إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى مهمة فاغتسل وألبس أنظف ثيابك وشمّ شيئاً من الطيب ، ثمّ ابرز تحت السماء فصلّ ركعتين تفتح الصلاة فتقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرّة ، ثمّ تمرّك فتقرأ خمس عشرة مرّة ، ثمّ تتمّها على مثال صلاة التسييح غير أنّ القراءة خمس عشرة مرّة فإذا سلّمت فافقرأها خمس عشرة مرّة ، ثمّ تسجد فتقول في سجودك : « اللهم إنّ كلّ معبود من لدن عرشك إلى قرأ أرضك فهو باطل سواك فإنّك أنت الله الحقّ المبين اقض لي حاجة - كذا وكذا -

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٧٦ رقم ١ .

(٢) المصدر ج ٣ ص ٤٧٧ تحت رقم ٣ .

الساعة الساعة و تلحّ فيما أردت .

وفيه ^(١) عن الصادق عليه السلام قال : « من توضأ فأحسن الوضوء و صلّى ركعتين فأتمّ ركوعهما وسجودهما ثمّ جلس فأتى على رسول الله ﷺ ثمّ سأل حاجته فقد طلب الخير في مظانّه و من طلب الخير في مظانّه لم يخب » .

وفيه في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « إذا أردت حاجة فصلّ ركعتين وصلّ على محمد و آل محمد وصل تعطله ^(٢) » .

ومنها صلاة من خاف مكروهاً في الكافي ^(٣) عن الصادق عليه السلام قال : « كان عليّ عليه السلام إذا هاله شيء فزع إلى الصلاة » ثم تلا هذه الآية « و استعينوا بالصبر والصلاة ^(٤) » .
وفيه ^(٥) عن حريز عنه عليه السلام قال : « اتخذ مسجداً في بيتك فإذا خفت شيئاً فالبس ثوبين خليطين من أغلظ ثيابك وصلّ فيهما ، ثمّ اجث على ركبتك فاصرخ إلى الله و سلّه الجنة و تعوّد بالله من شرّ الذي تخافه وإياك أن يسمع الله منك كلمة بغي وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك » .

ومنها صلاة الشكر في الكافي ^(٦) عن الصادق عليه السلام قال في صلاة الشكر : « إذا أنعم الله عليك بنعمة فصلّ ركعتين تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب و قل هو الله أحد ، و تقرأ في الثانية بفاتحة الكتاب و قل يا أيّها الكافرون ، و تقول في الركعة الأولى في ركوعك و سجودك : « الحمد لله شكراً شكرياً و حمداً » ، و تقول في الركعة الثانية في ركوعك و سجودك : « الحمد لله الذي استجاب دعائي وأعطاني مسألتني » .

ومنها صلاة من أراد سفراً في الكافي ^(٧) عن الصادق عليه السلام قال : « قال : رسول الله ﷺ : ما استخلف عبدٌ على أهله بخلافة أفضل من ركعتين يركعهما إذا أراد سفراً » .

(١) و (٢) الكافي ج ٣ ص ٤٧٨ تحت رقم ٥ ، و ص ٤٧٩ تحت رقم ١٠ .

(٣) المجلد الثالث ص ٤٨٠ تحت رقم ١ .

(٤) البقرة : ٤٥ .

(٥) المصدر ج ٣ ص ٤٨٠ تحت رقم ٢ .

(٦) المجلد الثالث ص ٤٨١ تحت رقم ١ .

(٧) المجلد الثالث ص ٤٨٠ .

يقول : « اللّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَدِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي وَأَمَانَتِي وَخَوَاتِيمَ عَمَلِي إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ » .

ومنها صلاة من أراد أن يتزوج أو يدخل بأهله في الكافي ^(١) عن أبي بصير قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « إذا تزوج أحدكم كيف يصنع ؟ قلت لا أدري ، قال : إذا هم بذلك فليصل ركعتين ويحمد الله ثم يقول : « اللّهُمَّ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ فَقَدَّرْ لِي مِنَ النِّسَاءِ أَغْفَنَ فَرْجاً ، وَأَحْفَظَنَ لِي فِي نَفْسِهَا وَفِي مَالِي ، وَأَوْسَعَنَ رِزْقاً ، وَأَعْظَمَنَ بَرَكَهً ، وَقَدَّرْ لِي وَلِداً طَيِّباً تَجْعَلُهُ خَلِيفاً صَالِحاً فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي » .

وفي رواية أنه يصلّي ركعتين عند دخوله عليها ويأمرها بذلك ، ثم يمجّد الله ويصلّي على نبيّه وآل نبيّه ، ثم يدعو الله ويأمر من معها أن يؤمنوا على دعائه ويقول : « اللّهُمَّ ارْزُقْنِي إِيَّاهَا وَوَدَّهَا وَرِضَاهَا وَأَرْضْنِي بِهَا ثُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا بِأَحْسَنِ اجْتِمَاعٍ وَأَسْرَإِ اِئْتِلَافٍ ، فَإِنَّكَ تَحِبُّ الْحَلَالَ وَتَكْرَهُ الْحَرَامَ » ^(٢) .

ومنها غير ذلك من الصلوات وهي كثيرة مذكورة في الكتب المصنفة لذلك مع كيفياتها وآدابها وفيما ذكرناه كفاية هنا إن شاء الله وفي الخبر « الصلاة خير موضوع فمن شاء استكثر ومن شاء استقل » ^(٣) .

هذا آخر الكلام في كتاب أسرار الصلاة ومهماتها من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة ومهماتها والحمد لله أولاً وآخراً .



(١) و (٢) المجلد الثالث من ٤٨١ تحت رقم ٢ و ١ .

(٣) رواه جعفر بن أحمد القمي في كتاب الغايات عن الصادق عليه السلام كما في

المستدرک ج ١ ص ١٧٧ ، ورواه علي بن بابويه في كتاب الامامة والتبصرة كما في البحار .

﴿كتاب أسرار الزكاة ومهماتهما﴾

و هو الكتاب الخامس من ربيع العبادات من المحبة البيضاء في تهذيب الأحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفقر وأغنى ، وأمات وأحيى ، وأضحك وأبكى ، وأوجد
و أفنى ، الذي خلق الإنسان من نطفة تمنى ، ثم تفرّد عن الخلق بوصف الغنى ، ثم
خصّص بعض عبادته بالحسنى ، فأفاض عليه من نعمه ما أيسر به واستغنى ، وأحوج إليه
من أخفق في رزقه وأكدى ، إظهاراً للامتحان والابتلاء ، ثم جعل الزكاة للدين أساساً
ومبنى ، و يسن أن بفضلته تزكى من عبادته من تزكى ، ومن غيناه زكى ماله من زكى ،
و الصلاة على محمد المصطفى سيد الورى و شمس الهدى و على آله المعصومين و أصحابه
المختصين بالعلم و التقى ، و سلم كثيراً .

أما بعد فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام و أردفها بذكر الصلاة
التي هي أعلى الأعلام فقال : « أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة ^(١) » .

و قال ﷺ : « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله و إقامة الصلاة
و إيتاء الزكاة ، ^(٢) و شدّد الوعيد على المقصرين فيها ، فقال تعالى : « الذين يكنزون
الذهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ^(٣) » و معنى الإففاق في سبيل الله
إخراج حق الزكاة .

(١) البقرة : ١١٠ .

(٢) راجع الكافي ج ٢ ص ١٨ باب دعائم الإسلام .

(٣) التوبة : ٣٤ .

و عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : « بشر الكنازين بكفي في ظهورهم يخرج من جنوبهم و بكفي من قبل أفقائهم يخرج من جباههم » و في رواية « أنه يوضع على حلمة ندي أحدهم فيخرج من نفض كتفه ^(١) ، و يوضع على نفض كتفه حتى يخرج من حلمة نديه يتزلزل » و قال أبو ذر : « انتهيت إلى النبي ﷺ و هو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال : هم الأخسرون ورب الكعبة ، فقلت : من هم ؟ قال : إلا كثرون أموالاً إلا من قال هكذا و هكذا من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و شماله و قليل ما هم ، ما من صاحب إبل و لا بقرة و لا غنم لا يودّي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت و أسمه ، تنطحه بقرونها و تطؤه بأظلافها ، كلما نفدت أخرها عادت عليه أولها حتى يقضى بين الناس ^(٢) » .

أقول : و من طريق الخاصة ما رواه في الفقيه ^(٣) بإسناده الصحيح عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « ما من ذي مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر ، و سلط عليه شجاعاً أقرع ، يريد و هو يجيد عنه ، فإذا رأى أنه لا يتخلص منه أمكنه من يده فقصمها كما يقضم الفحل ، ثم يصير طوقاً في عنقه و ذلك قول الله عز وجل : « سيطوون ما بخلوا به يوم القيامة ^(٤) » و ما من ذي مال إبل أو بقرة أو غنم يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه كل ذات ظلف بظلفها ، و تنهشه كل ذي ناب ي نابها ، و ما من ذي مال تخل أو كرم أو زرع يمنع زكاته إلا طوقه الله عز وجل ربعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة ^(٥) .

(١) النفض - بفتح النون و ضمها - أعلى الكتف و قيل هو العظم الرقيق وفي النهاية في حديث أبي ذر « بشر الكنازين » . والخبر في صحيح البخاري ج ٢ ص ١٢٧ بادي اختلاف في اللفظ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٣ ص ٧٤ ، ونحوه النسائي في السنن ج ٥ ص ١٠ ، وأيضاً البخاري ج ٢ ص ١٤١ و ١٢٦ عن أبي هريرة .

(٣) ص ١٥١ تحت رقم ١ .

(٤) آل عمران : ١٨٠ .

(٥) الربعة : واحدة الربيع - بالكسر - : المرتفع من الأرض والجمع الريمان -

و بإسناده الصحيح عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ما من مؤمن يمنع درهماً من حقٍّ إلا أنفق اثنين في غير حقّه ، و ما من رجل يمنع حقّاً من ماله إلا طوّقه الله عزّ وجلّ حيةً من نار يوم القيامة » (١) .

و بإسناده الصحيح عن معروف بن خربوذ ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنّ الله تبارك و تعالي قرن الزكاة بالصلاة فقال : « أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة » فمن أقام الصلاة و لم يؤت الزكاة فكأنّه لم يقم الصلاة » (٢) .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « إنّ الله عزّ وجلّ فرض للمفقر من أموال الأغنياء ما يكتفون به ، و لو علم أنّ الذي فرض لهم لا يكفيهم لزادهم ، و إنّما يؤتى الفقراء فيما أوتوا من منع من منعهم حقوقهم لامن الفريضة » (٣) .

و في الصحيح عنه عليه السلام قال : « إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركايتها » (٤) .

و المراد ههنا أصل أرضه التي فيها الكرم والنخل والزراعة الواجبة فيها الزكاة أي بصير الأرض طوقاً في عنقه الى يوم يحشر . و قد يقرأ في بعض النسخ [الربعة] بالباء الموحدة . و في معاني الاخبار ص ٣٣٥ « ربة أرضه » بالراء الموحدة والقاف . و قوله : « يعيد » من حاد يعيد جيداً وحيداً عن الطريق مال و عدل . و قوله : « ققضها » ضم الشئ : كسره باطراف أسنانه وأكله . والظلف من البقرة ونحوها بمنزلة الحافر من الفرس والقدم من الانسان . والكرم - بفتح الكاف وسكون الراء - : العنب . و في معاني الاخبار « قال الاصمعي : القاع : المكان المستوي ليس فيه ارتفاع ولا انخفاض ، و قال أبو عبيد : و هو القيمة أيضاً ، قال الله تعالى : « كسراب بقية » و جمع قيمة قاع ، قال الله تعالى : « فينذرها قاعاً صاففاً » . والقرقر : المستوى أيضاً ، و يروى « بقاع قفر » و يروى « بقاع قرقر » وهو مثل القرقر في المعنى قال الشاعر :

كان أيديهن بالقاع القرقر أيدي عذارى يتعاطين الورق . اهـ

والشجاع ضرب من الحيات ، والاقرع ما سقط شعر رأسه منها لكثرة سبه .

(١) الفقيه ص ١٥٢ تحت رقم ٦ .

(٢) الفقيه ص ١٥١ تحت رقم ٢ .

(٣) المصدر ص ١٥٠ الحديث الاول ، وفي الكافي ج ٣ ص ٤٩٦ مثله .

(٤) الكافي ج ٣ ص ٥٠٥ تحت رقم ١٧ .

قال أبو حامد : « إذا كان هذه التشديدات مخرجة في الصحيحين فصار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجليّة والخفيّة ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني من معرفتها مؤدّي الزكاة وقابضها ، وينكشف ذلك في أربعة فصول :

الأوّل في أنواع الزكوات وأسباب وجوبها . الثاني في آدابها وشروطها الظاهرة والباطنة . الثالث في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه . الرابع في صدقة التطوّع وفضلها » .

أقول : « وأزيد خامساً في زكاة الجسد وأجعلها أبواباً لتقبل التفصيل بالفصول ولتوافق سائر الكتب .

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ في أنواع الزكوات وأسباب وجوبها ﴾

أقول : « ولندكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول وبالله التوفيق : الزكاة قسمان زكاة مال ، وزكاة فطر ، ولما حرّم الله الزكاة على بني هاشم لأنّها من أوساخ أيدي الناس فرض لهم الخمس في الغنائم التي لم يفرض فيها الزكاة إكراماً لهم وتعظيماً فههنا ثلاثة مطالب :

المطلب الاول زكاة المال وإتما يجب على مالكة البالغ العاقل الحرّ المتّمسك من التصرف في الذهب والفضة المسكوكين ، والإبل والبقر والغنم السائمة الغير العاملة والحنطة والشعير والتمر والزبيب المملوكة بالزراعة أو المنقولة إليه قبل انعقاد الحبّ و بده الصّلاح بشرط بلوغ كلّ من التسعة النصاب المعتبر فيه ، و حؤول الحول على النصاب في الخمسة الأوّل كلّ ذلك بإجماعنا والنصوص المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام ، والقول باشتراط الأثوثة في الأنعام شاذّ ، واشتراط وضع المؤن كلّها في الغلات كما هو المشهور لا دليل عليه يعتدّ به بل يدفعه ظاهر الأخبار حيث استثنى

فيها حصّة مقاسمة السلطان خاصّة .

و نقل في الخلاف على خلافه الإجماع إلّا من عطاء ، و يشهد له أيضاً وجوب العشر فيما المؤونة فيه أقلّ و نصفه فيما هي فيه أكثر ، ولا تجب الزكاة في غير ما ذكر ولا بدون القيود والشروط المذكورة على الأصحّ المشهور بين أصحابنا لحصر الوجوب في الأجناس التسعة في الصحاح المستفيضة و لنفيه صريحاً فيما ظنّ فيه ممّا سوى ذلك في الأخبار المعتبرة .

و قيل بوجوبها في غلات الصبيّ و المجنون و مواشيها لظاهر بعض الأخبار^(١) و هو مأوّل ، و أوجب في الخلاف ما يخرج يوم الحصاد والجداد من الضفث بعد الضفث و الحفنة بعد الحفنة لقوله تعالى : « وآتوا حقّه يوم حصاده »^(٢) و حمل على الاستحباب لما ورد عن أبي جعفر عليه السلام « أن هذا من الصدقة »^(٣) .

وفي رواية « ليس ذلك الزكاة ألا ترى أنّه تعالى قال : « ولا تسرفوا إنّّه لا يحبّ المسرفين » قال السيّد المرتضى - رحمه الله - : وهذه نكتة منه عليه السلام مليحة لأنّ النهي عن السرف لا يكون إلّا فيما ليس بمقدّر والزكاة مقدّر^(٤) .

وفي رواية أخرى « في الزرع حقّان حقّ تؤخذ به وحقّ تعطيه ، أمّا الذي تؤخذ به فالعشر و نصف العشر ، وأمّا الذي تعطيه فقول الله عزّ وجلّ : « وآتوا حقّه يوم حصاده » يعني من حضرك الشيء بعد الشيء ولا أعلمه إلّا قال : الضفث ثمّ الضفث حتّى تفرغ^(٥) . وفي الفقيه قال الصادق عليه السلام : « لا تحصد بالليل ، و لا تعصر بالليل ، و لا تجدّ بالليل ، و لا تضع بالليل ، و لا تبذر بالليل لأنك تعطي في البذر كما تعطي في الحصاد ، و متى فعلت ذلك بالليل لم يحضرك المساكين والسؤال ولا القانع ولا المعتر »^(٦) .

(١) كما في الكافي ج ٣ ص ٥٤٢ .

(٢) الانعام : ١٤١ .

(٣) راجع الكافي ج ٣ ص ٥٦٥ باب الحصاد والجداد والجداد : صرام النخل اى

قطع ثمرتها . (٤) الانتصار ص ٤٣ .

(٥) الكافي ج ٣ ص ٥٦٤ .

(٦) المصدر ص ١٥٩ تحت رقم ٣ ، والكافي ج ٣ ص ٥٦٥ تحت رقم ٣ .

و يستحب الزكاة على المشهور في العلس والسلت وفي كل ما أثبت الأرض بما يكال أو يوزن عدا الخضر من بقل وقشأ و بطيخ ونحوها بشرط بلوغه النصاب وفي مال التجارة بشرط قيام رأس المال طول الحول و بلوغ قيمته نصاب أحد التقدين وإن كان للصبي أو المجنون إذا اتجر لهما الولي وفيما قر به من الزكاة وما شك في بلوغه النصاب وما غاب سنتين فصاعداً بحيث لا يتمكن من التعرف فيه فيزكي لسنة ، وفي أثاث الخيل السائمة بشرط الحول و في مال التجارة إذا كان على النقيصة أحوال فيزكي لسنة وفي نماء العقار المتخذ له كالخان والحمام وشبههما وفي العلي المحرم كالخلخال للرجال والمنطقة للمرأة وكلاً واني المتخذة من الذهب والفضة ، كل ذلك منصوص عن أهل البيت عليهم السلام سوى الأخيرين فلم أجد فيهما نصاً وفيما سوى الأربعة الأجناس من الحبوب قول بالوجوب شاذ ، و كذا في مال التجارة ، والمستفاد من بعض الأخبار أنهم عليهم السلام إنما أفتوا فيهما بالزكاة تقيّة و على هذا فلاستحباب أيضاً غير ثابت ، وزكاة القرض على المقرض إلا إذا أداه المقرض ، والدّين لا يمنع الزكاة سواء كان له وفاء من غيره أولاً ، استوعبه النصاب أولاً ، ولا يضم مال غيره إلى ماله وإن اختلطاً جداً ولا يفرق بين ماله وإن تباعداً جداً أو أدرك بعض الغلات قبل بعض ولا بين جنس واحد وإن اختلفت أفرادها في النفاسة والرّداء جداً أو في الصنف كالمنز والضان والبقر والجاموس والعرايى والبخاتي ولا يجبر قصور جنس بآخر وإن اشتركا في كونهما ثمناً أو قوماً أو نحو ذلك كل ذلك لا يجمعنا وصحاحنا المستفيضة والخبر المخالف للأخير شاذ ، والمرجع في السوم والعملية إلى العرف ، وقيل بل يعتبر في السوم الأغلبية ، وقيل الاستمرار طول الحول فلو علفها ولو يوماً استأنف الحول .

و حد الحول دخول الشهر الثاني عشر بالنسبة والإجماع .

﴿فصل﴾

و أمّا النصاب والقدر فلا شيء فيما دون عشرين ديناراً وفيه نصف دينار ، ثم في كل أربعة عشر دينار ، ولا فيما دون مائتي درهم وفيه خمسة ، ثم في كل أربعين درهم ، والضابط فيهما ربع العشر وفي الذهب قول بالأربعين والدينار أو لا شاذ ، والدينار مثقال

وهو قدر درهم وثلاثة أسباع درهم والدرهم ستة دوايق والدائق قدر سبع حبات من أوسط الشعير ولا شيء في المغشوشة ما لم يعلم أن الصافي منها نصاب والأحوط استعماله بالسبك أو نحوه ، وفي حكم النقدين مال التجارة قدرأ ونصاباً وكذا نماء العقار ، ولا شيء فيما دون خمس من الإبل وفيها شاة ، ثم كلما زادت خمس زادت شاة إلى ست وعشرين فبنت مخاض وهي ما دخلت في الثانية إلى ست وثلاثين فبنت لبون وهي ما دخلت في الثالثة إلى ست وأربعين فحققة وهي ما دخلت في الرابعة إلى إحدى وستين فجنذقة - يفتح الجيم - وهي ما دخلت في الخامسة إلى ست وسبعين فبنت لبون إلى إحدى وتسعين فحققتان إلى مائة وإحدى وعشرين ففي كل خمسين حققة وفي كل أربعين بنت لبون كذا في النصوص المستفيضة وعليه علماؤنا كافة سوى ابن أبي عقيل وابن الجنيدي فهما أسقطا النصاب السادس وأوجب بنت المخاض في خمس وعشرين إلى ست وثلاثين موافقاً للجمهور وهو شاذ ، ولا شيء فيما دون الثلاثين من البقرة وفيها تباع حولي أو تباعة وفي كل أربعين مسنة بالنص والإجماع - والتبعية في اللغة ما يكون في السنة الأولى من ولد البقر وحوليته - أي إكمال حوله - مستفاد من النص - والمسنة شرعاً ما دخلت في الثالثة بلا خلاف ولم تنف في اللغة على مدلولها - ، ولا شيء فيما دون أربعين من الغنم وفيها شاة إلى مائة وإحدى وعشرين فشاتان إلى مائتين واحدة ثلاث بلا خلاف إلى ثلاثمائة واحدة ففي كل مائة شاة وقيل فأربع إلى أربع مائة فصاعداً ففي كل مائة شاة ، وخبر الأول أصح سنداً وأوضح متناً إلا أن الثاني أشهر وعليه الأكثر ولعل موافقة الأول للعامة . وفي هذا المقام سؤال وجواب مشهوران^(١) وفي عدد السمينة المعدة للأكل وفعل

(١) في هامش بعض النسخ > ملخص السؤال أنه إذا وجب في أربع مائة ما وجب في ثلاثمائة واحدة فأى مدخل للزائد ؟ والجواب أنه إذا تلف من الأربع مائة واحدة بعد الحول بلا تفریط نقص من الواجب جزء من مائة جزء من شاة ولو كانت ناقصة عن الأربع مائة ولو واحدة وتلف شيء لم يسقط من الفريضة شيء مادامت ثلاثمائة واحدة وربما يناقش في عدم سقوط شيء من الفريضة في صورة النقص عن الأربع مائة لأن مقتضى الإشاعة توزيع التالف العتق وإن كان الزائد على النصاب عفواً إذ لا متافاة بينهما - منه رحمه الله - .

الضراب من النصاب خلاف وفي الصحيح ليس في الأَكيلة ولا في الرُبَى التي تربى اثنين ولا شاة لبن ولا فعل الغنم صدقة ولا شيء فيمادون ثلاثمائة صاع من الغلات وفيها فصاعداً العشر إن سقيت من السماء أو بجريان الماء أو بقربه منها بانجذاب العروق وإلا فنصف العشر بإجماع العلماء كافة والصالح المستفيض والضابط عدم توقف ترقية الماء إلى الأرض على آلة من دولا ب ونحوه ووقفه على ذلك ومع تساوي السقين ثلاثة أرباع العشر وإلا فالأغلب، والصالح يزيد على المن التبريزي بنصف عشر المن تقريباً، وفي كل عتيق من الخيل ديناران، وفي كل برزون دينار بالنص والإجماع.

المطلب الثاني زكاة الفطر وإنما تجب على البالغ العاقل الحر الذي بقي دخله بها وبخرجه الضروري، وضابطه على المشهور من يملك مؤونة سنة له ولعيله وفي الخلاف من يملك نصاباً أو قيمته، وقيل: عينه خاصة، وقيل: من فضل له صاع عن قوت يومه. وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام «أنه سئل عن رجل يأخذ الزكاة عليه صدقة الفطرة؟ قال: لا» (١). وفي آخر «ليس على من لا يجد ما يتصدق به حرج». وفي الموثق عنه عليه السلام قال: «من لم يكن عنده من الفطرة إلا ما يؤدّي عن نفسه وحدها يعطي بعض عياله ثم يعطي الآخر عن نفسه يردونها فيكون عنهم جميعاً فطرة واحدة» (٢) وحمل على الاستحباب.

ويجب إخراجها عن نفسه، وعن جميع من يعوله ولو تبرعاً، صغيراً كان أو كبيراً، حراً أو عبداً، مسلماً أو كافراً.

وفي الصحيح عن عمر بن يزيد قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يكون عنده الضيف من إخوانه فيحضر يوم الفطر فيؤدّي عنه الفطرة؟ قال: نعم الفطرة واجبة

(١) الربي - كحلي: الشاة إذا ولدت وإذا مات ولدها أيضاً وقال أبو زيد: الربي من المعز وقال غيره من المعز والضأن جميعاً وربها جاء في الأبل أيضاً. كما في الصالح وغيره.
(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٦٩، والاستبصار ج ٢ ص ٤٠، والخبر الآخر في التهذيب ج ١ ص ٣٧٠، والاستبصار ج ٢ ص ٤٢ رقم ١٣.

(٣) الكافي ج ٤ ص ١٧٢، والتهذيب ج ١ ص ٣٦٩، والفتاوى ص ١٩٨ تحت رقم ٦.

على كل من يعول من ذكر أو أنثى صغير أو كبير حرّ أو مملوك»^(١) وفي رواية أخرى «كل من ضمت إلى عيالك من حرّ أو مملوك فعليك أن تؤدّي الفطرة عنه»^(٢).

ومن استكمل له شرائط الوجوب يبلوغ أو زوال جنون أو غنى أو حصول ولد له أو مملوك ، فإن كان قبل الهلال بأن يكون قبل غروب الشمس ليلة الفطر ولو لم تحظ وجبت عليه وإلا فإن كان قبل مضي صلاة العيدين أي الزوال استجبت وإلا سقطت .

وكل من وجبت فطرته على غيره سقطت عن نفسه وإن كان لو انفرد وجبت عليه كالضيف الغني والزوجة لقول النبي ﷺ : لا إئني في صدقة»^(٣) وفي الضيف قول آخر .

وكل من اقتات قوتاً فعليه أن يؤدّي فطرته من ذلك القوت كما يستفاد من الروايات^(٤) وقيل بانحصارها في الغلات الأربع الزكوية ، وأضاف إليها الآخرون الأرز والأقت واللبن ومجزي القيمة بلا خلاف ، وقدرها صاع بالإجماع والصالح المستفيضة .

المطلب الثالث الخمس وإتسا يجب في الغنائم وهي الفوائد فمنها ما غنم في الحربين^(٥) ، قل أو أكثر واشترط المفيد بلوغه عشرين ديناراً شاذ ، وفي حكمه مال البغاة عند الأكثر وفي ما يسرق أو يؤخذ غيلة^(٦) قولان وقيل : إذا غزا قوم بغير إذن الإمام عليه السلام ففنيتمهم كلها له للخبر^(٧) وفيه ضعف وله معارض أقوى .

ومنها المعادن كلها حتى الملح والكبريت وفي مثل المغرة^(٨) وطين الفسل وحجارة الرحي والبص والنورة إشكال لانتفاء النص الخاص والشك في إطلاق اسم المعدن عليها ويشترط فيها بلوغه عشرين ديناراً على الأصح للخبر الصحيح^(٩).

(١) القتيه ص ١٩٨ ، والكافي ج ٤ ص ١٧٣ تحت رقم ١٦ .

(٢) الكافي ج ٤ ص ١٧٠ تحت رقم ١ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٦٩ .

(٣) راجع مختلف الشيعة ج ٢ ص ٢٥ و ٢٦ الاختلاف في المسألة والخبر منقول هناك .

(٤) راجع القتيه ص ١٩٨ تحت رقم ٤ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٧٠ ، والاستبصار ج ٢ ص ٤٢ ، والكافي ج ٤ ص ١٧٣ .

(٥) كذا ولعل الصواب «من» مكان «في» .

(٦) الغيلة : الغديمة و يقال : قتله غيلة أي خدعه فذهب به الى موضع فقتله .

(٧) الكافي ج ٥ ص ٤٣ والتهذيب ج ١ ص ٣٨٨ .

(٨) بالفتح والسكون وفتح الراء : الطين الأحمر .

(٩) التهذيب ج ١ ص ٣٨٩ ، وله معارض رواه في ص ٣٨٤ و ٣٨١ أيضاً .

ومنها الكنوز بشرط أن لا يكون للأرض مالك يعرفه فإنه حينئذ لفظة وألحق به أكثر المتأخرين كل ما وجد في دار الإسلام وعليه أثره وهو ضعيف. ويشترط فيه بلوغه نصاب الزكاة للخبر الصحيح^(١).

ومنها ما يخرج بالغوس كاللؤلؤ والمرجان والعنبر وفي اعتبار النصاب فيه ثم في كونه ديناراً أو عشرين إشكال، والدينار مروى في الفقيه مرسلاً^(٢).

ومنها أرباح التجارات والصناعات والزراعات على المشهور لعموم «ما غنمتم» و للنصوص المستفيضة بل المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام وفي بعضها «حتى الخياط يخيט قميصاً بخمسة دنانير فلنا منه دانيق إلا من أحلناه من شيعتنا لتطيب لهم به الولادة»^(٣) وأضاف إليها بعضهم الميراث والهبة والهدية والعسل الجبلي والمن والصمغ وشبهه، وحله آخرون على الاستحباب وظاهر بعض قديمائنا العفو عن هذا النوع مطلقاً كما يظهر من الصحاح المستفيضة التي لا معارض لها كصحيح الحارث بن المغيرة النصري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: إن لنا أموالاً من غلات و تجارات ونحو ذلك، وقد علمت أن لك فيها حقاً قال: فلم أحلناه إذاً لشيعتنا إلا لتطيب ولادتهم وكل من والى أبائي فهم في حل مما في أيديهم من حقنا فليبلغ الشاهد الغالب»^(٤).

وفي الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: هلك الناس في بطونهم وفروجهم لأنهم لا يؤدّون إلينا حقنا ألا وإن شيعتنا من ذلك أبناءهم في حل»^(٥).

وفي بعض الصحاح «يجل لهم ذلك إلى أن يقوم قائمنا»^(٦) والأخبار كثيرة في هذا المعنى. وقال ابن الجنيّد: لا يصح التحليل إلا لصاحب الحق في زمانه إذ لا يسوغ تحليل ما يملكه غيره وأجابه الشيخ المحقق نجم الدين الحلّي بأن الإمام لا يجعل إلا ما يعلم أن

(١) رواه المفيد في القنعة ص ٤٦.

(٢) ص ١٥٨ باب الغنم الغنير الاول.

(٣) راجع التهذيب ج ١ ص ٣٨٤.

(٤) التهذيب ج ١ ص ٣٩١. (٥) التهذيب ج ١ ص ٣٩١ في خبر طويل.

(٦) التهذيب ج ١ ص ٣٩١.

له الولاية في تحليله ، نعم يتوجه اختصاص العفو بحقهم دون حقوق الأصناف الباقية إلا أن نقول باختصاص هذا النوع من الخمس كله بالإمام عليه السلام كما يأتي الكلام فيه .

﴿ فصل ﴾

و إنما يجب الخمس بعد المؤونة التي يفترق إليها إخراج الكنز والمعدن بلا خلاف لأنها وصلة إلى تحصيله فكانت من الجميع كالشريكين و في اعتبار النصاب بعد ها وقبلها وجهان ، وفي الأرباح بعد مؤونة سنه له ولو اجبي نفقته ومندوبيها ، والنذور والكفارات و مأخوذ الظالم غصباً أو مصانعة ، والهدية والصلة للثقتين بحاله ، ومؤونة الحج الواجب عام الاكتساب ، و ضرورات أسفار الطاعات ، والتزويج ونحوه كذا قاله أصحابنا .
وفي النصوص « أن الخمس بعد المؤونة ^(١) » وفيه إجمال ولو كان له مال آخر لا خمس فيه ففي احتساب المؤونة منه أو من الكسب أو منهما بالنسبة أوجه ، ولا مدخل للحول في شيء من الأنواع بلا خلاف ، نعم يحتاط في الأرباح بالتأخير إلى كماله لاحتمال تجديد مؤونة .

﴿ الباب الثاني ﴾

في الأداء وشروطه وآدابه الباطنة والظاهرة

﴿ بيان الشروط و الآداب الظاهرة ﴾

أقول : وهي ستة الأول النية وهي واجبة فيه بإجماع العلماء إلا الأوزاعي - مقارنة للدفع أو متأخرة عنه ، أما التقدم فلا ولا بد فيها من التعمين والقربة وإن كان له مال غالب فقال : هذا عن مالي الغائب إن كان سالماً وإلا فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ولا يفترق إلى تعمين الجنس الذي يخرج منه بلا خلاف .

قال في المعتبر : والنية اعتقاد بالقلب ، فإذا اعتقد عند دفعها أنها زكاة تهرباً إلى الله كفى ذلك ، وتجزي نية الوكيل والولي عنه و في نيته عند دفعه إلى الوكيل قولان أصحهما الإجزاء ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا أعني في قطع المطالبة عنه أمّا في الآخرة فلا بل تبقي ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة .

الثاني البداربه عقيب الحول وهو مستحب على الأصح وقيل بوجوبه مع وجود المستحق ويدفعه ظاهر الأخبار المفيدة لجواز التأخير سيما إذا قصد به البسط أو دفعها إلى الأفضل ، نعم يضمن بالتأخير مع وجود المستحق لأبدونه ، و ينبغي عزلها فوراً وجد المستحق أولم يجد ، ولا ضمان حينئذ إلا بالتفريط ولا يجوز تقديمها إلا على سبيل القرض والاحتساب بعد الوقت مع بقاء الوجوب والاستحقاق ، وقيل : بل يجوز تقديمها شهرين ، وفي الفطر تمام شهر رمضان والأول أصح لما روي في الحسن عن الصادق عليه السلام أنه سئل أين كفي الرجل ماله إذا مضى ثلث السنة قال : لأصلي الأولى قبل الزوال^(١) ، و في جواز تأخيرها في الفطر عن الصلاة قولان والأكثر على العدم وقيل يجوز تأخيرها إلى الزوال ويدخل وقت وجوبها فيه بغروب ليلة العيد وقيل : بل بطلوع فجره والأول أصح . ووقت الوجوب في الغلتين انعقاد الحب ، وفي الثمرين صيرورتهما حصرماً^(٢) وبسراً وقيل : عنياً وعمراً وقيل : زيباً وعمراً ، أمّا الإخراج ففي الغلتين التصفية ، و في الثمرين الزبيبية والتمرية بلا خلاف .

و يجوز الدفع على رؤوس الأشجار و الخرم على أصحاب النخيل و الكروم و مضمينهم حصّة الفقراء لعمل النبي ﷺ ذلك ، و لا احتياج أربابها إلى الأكل والتصرف . الثالث أن لا يدفع القيمة في الأنعام بدلاً عن الفرض إلا مع عدم الفرض وهو واجب عند المفيد خلافاً لآخرين فيجوز زون القيمة ، وإن وجد الفرض وله الخيار في دفع ما شاء مع تعدّد ما هو بصفة الواجب وليس له أن يدفع المريضة ولا الهرمة ولا ذات عوار بلا خلاف وإن انحصر السن الواجب فيها إلا أن يشاء المصدق إلا أن يكون كله كذلك فلم يكلف

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٢٤ تحت رقم ٩ . (٢) الحصرم بالكسر - أول العنب مادام أخضر .

شراء الصحيح .

ويجزئ ابن لبون عن بنت مخاض مع فقد ها بلاخلاف ، فمع فقدهما تخير في ابتياع أيهما شاء وإن كان شراء بنت المخاض مع الإمكان أولى ، ومن ليس عنده ما وجب عليه دفع الأخص بسنة مع شاتين أو عشرين درهماً أو أعلى بسنة وأخذ ذلك بالنص والإجماع ولا يجزئ هذا في ما عدا الإبل والواجب في الشاة المسمي ، وقيل : بل يجب جذع من الضأن أو ثني من المعز وهو أحوط .

والجذع في اللغة ما بلغ ستة أشهر والثني فيها ما دخل في الثالثة ومن فسر من متأخرينا بما دخل في الثانية فلعل مستنده العرف ودفع القيمة في النقدين والغلات مجزئ عندنا بالنص والإجماع وكذا في الفطروالأفضل فيه دفع التمر لأنه أقرب إلى الأكل وفي الصحيح ولأن أعطي صاعاً من تمر أحب إلي من أن أعطي صاعاً من ذهب (١) ، والأصح تعلق المالمية بالعين وإن جاز العدول إلى القيمة تسهيلاً للمالك .

الرابع أن لا ينقلها إلى بلد آخر سيما في الفطر ، فإن أعين المساكين في كل بلد تمتد إلى أهوالها وفي النقل تخيب للظنون وهذا ليس بواجب على الأصح لورود جواز النقل في الصحاح (٢) وإن وجد المستحق في البلد خلافاً للخلاف وجماعة مع وجود المستحق لأن فيه نوع خطر وتغريبها ومريض لا تلافها وأجيب بأنه مندفع بالضمان فإنه يضمن بنقلها حينئذ بلاخلاف أما الأجزاء فإجماعي ومع فقدان المستحق لا ضمان ولا إثم إلا مع التفريط قولاً واحداً .

الخامس أن لا يعطى الفقير أقل مما يجب في النصاب الأول وأوجه الأكثرين لما ورد في الصحيح لا يعطى أحد من الزكاة أقل من خمسة دراهم وهو أقل ما فرض الله عز وجل من الزكاة في أموال المسلمين ، فلا تعطوا أحداً أقل من خمسة دراهم فصاعداً (٣) ،

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٧٢ ، والمقنة ص ٤٠ .

(٢) راجع الكافي ج ٣ ص ٥٥١ ، والقيه ص ١٥٦ ، والتهذيب ج ١٢ ص ٣٦١ و٣٦٢ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٥٤٨ ، والمقنة ص ٤٠ ، والمعاصن ص ١٩ ، والتهذيب ج ١٢

وفي معناه رواية أخرى وفي رواية في الفطر « لا تمنع أحداً أقل من رأس »^(١) واستحبته الآخرون إلا أن يجتمع جماعة لا يتسع لهم فالبسطة أولى معمياً للنفع ودفعاً لذبة المؤمن وفي بعض الصحاح جواز إعطاء الدرهم والثلاثة ولا حدّاً لكثير إجماعاً وفي الصحيح « أعطه من الزكاة حتى تغنيه »^(٢) وفي الموثق « إذا أعطيتّه فأغنه »^(٣) ، ولا يجب بسطها على الأصناف الثمانية عندنا ، بل لو خصّ بها شخصاً واحداً من بعضها جاز بإجماعنا والصحاح المستفيضة ولا ينافيه الآية الشريفة^(٤) إذ اللّام فيها للاختصاص لا الملك والتشريك ، وفي الخمس قولان أحوطهما البسط لعقد النص فيه وأوجب المفيد المفاوطة بين الفقراء بحسب فقههم وديانتهم وفي الأخبار ما يؤيده وفي الصحيح « يفضل الذي لا يسأل على الذي يسأل »^(٥) . السادس أن يحملها إلى الإمام أو نائبه الخاص ومع الغيبة الفقيه المأمون لأنهم أبصر بمواقعها^(٦) ، وأوجب المفيد وجماعة ذلك في المالية وآخرون على استحبابه مطلقاً .

﴿ بيان دقائق الاداب الباطنة في الزكاة ﴾

اعلم أن على من يريد طريق الآخرة بركاته وظائف : الأولى فهم وجوب الزكاة ومعناها ، ووجه الامتحان فيها ، وأنها لم جعلت من مباني الإسلام مع أنها تصرف مالي وليست من عبادات الأبدان وفيه ثلاثة معان :

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٧٣ وقال المحقق في الاعتبار ص ٢٩١ : الرواية مرسلّة فلا تقوى أن تكون حجة والأولى أن يعمل ذلك على الاستحباب تفصيلاً من خلاف الأصحاب ويدل على جواز الشركة ما رواه اسحاق بن المبارك [التهذيب ج ١ ص ٣٧٣] قال : سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن صدقة الفطر قلت : « أجعلها فضة وأعطيها رجلاً واحداً واثنين » قال : تفرقها أحب اليّ ، فأطلق استحباب التفرقة من غير تفصيل .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٥٤٨ تحت رقم ٤ باختلاف يسير في اللفظ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٥٤٨ تحت رقم ٣ و ٤ .

(٤) « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » التوبة : ٦٠ .

(٥) الكافي ج ٣ ص ٥٥٠ تحت رقم ٢ ، والفقيه ص ١٥٧ تحت رقم ٥٦ .

(٦) يعني أبصر بمواقعها التي عينها الشارع .

الأول أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود، وشرط تمام الوفاء بذلك أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد، فإن المحبة لا تقبل الشراكة، والتوحيد باللسان قليل الجدوى، وإنما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات، والأموال محبوبة عند الخلق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا، وبسببها يأنسون بهذا العالم، وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرغوبهم^(١) ومعهشوقهم، ولذلك قال الله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة»^(٢)، وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله، والمسامحة بالمال أهون.

ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس ثلاثة أقسام: قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهده، وتزلوا عن جميع أموالهم، فلم يدخروا ديناراً ولا درهماً وأبوا أن يتعزوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم: كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال له: أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع. أقول: وأحسن منه ما قاله مولانا الصادق عليه السلام «حين سأله رجل في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال له: الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟ فقال: أريدهما جميعاً، قال: أما الظاهرة ففي كل ألف خمسة وعشرون وأما الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك»^(٣) وفي الكافي^(٤) عن عبد الملك بن عمرو الأحول قال: «تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية «الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً»^(٥)، قال: فأخذ قبضة من حصي وقبضها بيده فقال: هذا الاقتار الذي ذكره الله في كتابه، ثم أخذ قبضة أخرى فأرخصي كفه، ثم قال: هذا الإسراف، ثم أخذ قبضة أخرى فأرخصي بعضها وأمسك

(١) رمق الشيء إذا أطال النظر إليه.

(٢) التوبة: ١١١. والمهجة: الدم أو دم القلب. والروح.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٥٠٠.

(٤) المصدر ج ٤ ص ٥٤ تحت رقم ١.

(٥) الفرقان: ٦٧. والاقتار: التضيق، والقوام حالة الوسطى.

بعضها وقال : هذا القوام .

قال أبو حامد :

«القسم الثاني درجتهم دون هذا وهم المسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الأذخار الإيفاق على قدر الحاجة دون التمتع وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البرّ مهما ظهر وجوهه وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة ، وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقاً سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد أن قيل له : هل في المال حق سوى الزكاة ؟ قال : نعم أما سمعت قوله تعالى : « وآتوا المال على حبّه ذوي القربى - الآية (١) » - واستدلوا بقوله تعالى : « أنفقوا مما رزقناكم (٢) » وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ، ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزكاة والذي يصحّ في الفقه من هذا أنه مهما ارهقت حاجة كان إزالتها فرض كفاية : إن لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال : ليس على الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضاً فلا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ، و يحتمل أن يقال : يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الإقراض أي لا يجوز تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والإقراض تزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام ، وهي درجة .

القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهو أقل المراتب وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم وبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبّهم للآخرة قال الله تعالى : « إن يسألكموا فيحبكم تباخوا (٣) » يحفكم أي يستقص عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستقص عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله تعالى عباده ببذل الأموال .

(١) البقرة : ١٧٧ .

(٢) البقرة : ٢٥٤ .

(٣) سورة محمد : ٣٧ « فيحبكم » أي يجهدكم و يطلب منكم جميع أموالكم

أو يستقص كما في المتن .

أقول : وعن مولانا الصادق عليه السلام باسناد حسن « أن الزكاة ليس يحمدها صاحبها وإنما هو شيء ظاهر ، إنما حقن بهادمه وسمي مسلماً ، ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة ، وإنّ عليكم في أموالكم غير الزكاة ، فقلت : أصلحك الله وما علينا في أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبعان الله أما تسمع الله تعالى يقول في كتابه : « والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم » ^(١) قال : فقلت : فماذا الحقّ المعلوم الذي علينا ؟ قال : هو والله الشيء يعمل به الرجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر قلّ أو أكثر غير أنّه يدوم عليه وقوله تعالى : « ويمنعون الماعون » ^(٢) قال : هو القرض ترضه و المعروف تصنعه و متاع البيت تعبّر ، ومنه الزكاة ، فقلت : إن لنا جيراناً إذا أعزناهم متاعنا كسروه وأفسدوه فعلينا جناح أن نمنعهم ؟ فقال : لا ليس عليكم جناح أن تمنعوهم إذا كانوا كذلك ، قال : فقلت له : « يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً » ^(٣) قال : ليس من الزكاة ، قلت : قوله تعالى : « ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية » ^(٤) قال : ليس من الزكاة ، قلت له : قوله : « إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » ^(٥) قال : ليس من الزكاة ، وصلتك قرابتك ليس من الزكاة » ^(٦).

وفي الفقيه ^(٧) عنه عليه السلام قال : « إنما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله عز وجل ، ولم يعطكموها لتكنزوها » .
قال أبو حامد :

« المعنى الثاني التطهير عن صفة البخل فانه من المهلكات قال عليه السلام : « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبّع وإعجاب المرء بنفسه » ^(٨) وقال الله تعالى : « ومن يوق شح نفسه

(١) المعارج : ٢٥ و ٢٤ . (٢) الماعون : ٧ .

(٣) النهر : ٨ . (٤) البقرة : ٢٧٤ .

(٥) البقرة : ٢٧١ . (٦) الكافي ج ٣ ص ٤٩٩ .

(٧) المصدر ص ١٦٢ تحت رقم ١٤ .

(٨) أخرجه أبو الشيخ في التوبيخ والطبراني في الاوسط عن أنس كما في الجامع الصغير ، و رواه الصدوق في الخصال ج ١ ص ٤٢ .

فأولئك هم المفلحون، (١).

و سيأتي في ربيع المهلكات وجه كونه مهلكاً وكيفية التفتي عنه (٢) وإنما تزول صفة البخل بأن يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتياداً ، فالزكاة بهذا المعنى طهرة أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله و بقدر فرحه بإخراجه و استبشاره بصرفه إلى الله تعالى .

المعنى الثالث شكر النعمة فإن الله على عبده نعمة في نفسه و في ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن و المالية شكر لنعمة المال ، و ما أخس من ينظر إلى الفقير و قد ضيق الرزق عليه و أحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال و إحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله .

الوظيفة الثانية في وقت الأداء . من آداب وقت الأداء عند ذوي الدين التعجيل على وقت الوجوب إظهاراً للرغبة في الامتثال ، و إيصالاً للسرور إلى قلوب الفقراء ، و مبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات ، و علماً بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب .

أقول : وليكن التقديم بالعزل أو على سبيل القرض لما قد عرفت من عدم إجزائه بدون ذلك .

قال : « و مهما ظهرت داعية الخير من الباطن ، فينبغي أن يغتنم فإن ذلك لمة الملك و قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع تقلبه ، و الشيطان بعد الفقر و يأمر بالفحشاء و المنكر و له لمة عقيب كل لمة للملك ، فليغتنم الفرصة و ليعين لزماته إن كان يؤديها جميعاً شهراً معلوماً ، و ليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قريته و مضاعف زكاته ، و ذلك كشهر رمضان فقد كان ﷺ أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئاً (٣) ، و لرمضان فضيلة ليلة القدر و انه أنزل فيه القرآن ، و ذو الحجة أيضاً من الشهور الكبيرة الفضل ، فإنه شهر حرام و فيه الحج الأكبر و فيه الأيام المعلومات و هي العشر الأول ، و الأيام المعدودات و هي أيام

(١) الحشر : ٩ . (٢) أي التخلص منه . (٣) البخاري ج ٤ ص ٢٢٩ .

التشريق ، وأفضل أيام رمضان العشر الأواخر ، وأفضل أيام ذي الحجة العشر الأول .
الوظيفة الثالثة الأسرار فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال **الإمام** : «أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر» ^(١) .

وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة وقد روي أيضاً مسنداً ^(٢) .
 وقال **الإمام** : «إن العبد ليعمل مملاً في السر فيكتبه الله سرّاً فإن أظهره نقل من السر وكتب في العلانية فإن محدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء» ^(٣) .
 وفي الحديث المشهور «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطته يمينه» ^(٤) .

وفي الخبر «صدقة السر تطفى غضب الرب تعالى» ^(٥) وقال تعالى : «وإن تنفخواها وتؤثوها فقراء فهو خير لكم» ^(٦) وفائدة الإخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة ، فقد قال **الإمام** : «لا يقبل الله من مسمع ولا مرائي ولا منان» ^(٧) والمتحدث بصدقته يطلب السمعة في ملأ من الناس يبغي الرياء ، والإخفاء والسكوت هو المخلص من ذلك ، وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي ، فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى ، وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث

(١) رواه أحمد في حديث طويل عن أبي ذر والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد

ج ٥ ص ١١٥ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكلم عن ابن عباس كعافي الغنى .

(٣) قال العراقي : أخرج نحوه الخطيب في التاريخ من حديث أنس بإسناد ضعيف .

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ج ٢ ص ١٣١ ، ومسلم ج ٣ ص ٩٣ ، ورواه الصدوق

في الخصال ج ٢ ص ٢ .

(٥) الكافي ج ٤ ص ٧ ، والتنبيه ج ١ ص ٣٧٨ .

(٦) البقرة : ٢٧١ .

(٧) لم أشر عليه في أحد من الأصول وفي بطلان العمل بالرياء جاءت روايات عدة

راجع وسائل الشيعة الباب الثاني عشر من أبواب مقدمة العبادات وكذا في مستدرك الوسائل

الباب المذكور .

يراه ولا يرى المعطي ، وبعضهم كان يصره^(١) في ثوب الفقير وهونائم ، و بعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي ، وكان يستكم المتوسط شأنه و يوصيه بأن لا يفشيه ، كل ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الرب و احترازاً من الرياء و السمعة و مهما لم يمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين و المسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين الرياء و المنّة جميعاً و ليس [في معرفة المتوسط إلا الرياء ، و مهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل و تضعيف لحب المال و حب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال ، و كل واحد منها مهلك في الآخرة ، ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثل عقرباً لدأغة ، و صفة الرياء تنقلب في القبر في حكم المثل أفعى من الأفاعي و هو مأمور بتضعيفهما و قتلها لدفع أذاهما فمهما قصد الرياء و السمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب قوفاً للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية و لو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه و قوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها و ضعف هذه الصفات بمجاهدتها و مخالفتها و العمل بخلاف مقتضاها ، فأى فائدة في أن يخالف دواعي البخل و يجيب دواعي الرياء فيضعف الأدنى و يقوي الأقوى ، وسيأتي أسرار هذه المعاني في ربع المهلكات .

أقول : وظيفة الأسرار عندنا مختصة بالصدقة المندوبة دون الزكاة المفروضة ، قال الصادق عليه السلام فيما روي عنه بإسناد حسن : « كل ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره ، و كل ما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه ، فلو أن رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسناً جميلاً »^(٢) و في الموثق عنه عليه السلام في قوله تعالى : « و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم »^(٣) قال : هي سوى الزكاة ، إن الزكاة علانية غير سرية^(٤) نعم الأسرار الذي يجري في الزكاة الواجبة أن يعطى

(١) الصرة : الدارهم و صررت الصرة شدتها .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٥٠١ ، و التهذيب ج ١ ص ٣٧٨ .

(٣) البقرة : ٢٧١ .

(٤) الكافي ج ١ ص ٥٠٢ تحت رقم ١٧ ، و التهذيب ج ١ ص ٣٧٨ .

المستحيي من أخذها لأعلى اسم الزكاة ، ففي الفقيه ^(١) عن عاصم بن حميد قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : الرجل من أصحابنا من يستحيي أن يأخذ من الزكاة فأعطيه من الزكاة ولا أَسْمِي له أنها من الزكاة ؟ فقال : أعطه ولا تسم له ولا تذلل المؤمن » .

الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أن في الإظهار ترغيباً للناس في الاقتداء ويحرس سره عن دعاية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء قد قال تعالى : « إن تبدوا الصدقات فنعماً هي » ^(٢) وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملا من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان وهذا لأن في الإظهار عذوراً ثالثاً سوى المن والرياء ، وهو هتك ستر الفقير ، فإنه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج ، فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره وهو كما يظهر الفسق على من يتستر به فإنه محظور ^(٣) والتجسس فيه والإغتياب بذكره منه عليه ، فأمّا من أظهره فاقامة الحد عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها ومثل هذا المعنى قال عليه السلام : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » ^(٤) وقد قال تعالى : « وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية » ^(٥) تدب إلى العلانية أيضاً لما فيه من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيها فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال .

الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى قال تعالى : « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » ^(٦) واختلفوا في حقيقة المن والأذى فقيل : المن أن يذكرها ، و

(١) المصدر ص ١٥٢ .

(٢) البقرة : ٢٧١ . (٣) أي ممنوع شرعاً .

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس بسند ضعيف كما في الجامع الصغير باب الميم .

(٥) الرعد : ٢٢ .

(٦) البقرة : ٢٦٤ .

الأذى أن يظهرها ، وقيل : المن أن يستخدمه بالمعطاء والأذى أن يعيّر به بالفقر ، وقيل : المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره أو يوبّخه بالمسألة ، وقد قال عليه السلام : « لا يقبل الله صدقة منان » ^(١) وعندي أن المن له أصل ومنس هو من أحوال القلب وصفاته ، ثم يتفرّع عليه أفعال ظاهرة على اللسان والجوارح وأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه وحقه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله تعالى منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وأنه لو لم يقبله لبقى مرثناً به ، فحقه أن يتقّد منة من الفقير إذ جعل كفته نائباً عن الله في قبض حقه ، قال رسول الله ﷺ : « إن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل » ^(٢) فليتحقق أنه مسلم إلى الله ، والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته مسلماً إلى الله عز وجل ، ولو كان عليه دين لآسان فأحال به صاحب الدين عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مودّي الدين كون القاض تحت منته سقياً وجهلاً فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه ، أما هو فإتما يقضي الدين الذي لزمه بشراء ما أحبه ، فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ؟ ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسناً إلا إلى نفسه إما يندل ماله إظهاراً لحب الله تعالى أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل أو شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد ، وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسناً إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسناً إليه تفرّع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور فهذه كلها ثمرات المنّة ومعنى المنّة في الباطن ما ذكرناه .

وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف ، وباطنه - وهو منبعه - أمران أحدهما كراهيته لرفع

(١) مر الكلام فيه .

(٢) رواه المياشي في تفسيره كما في الوسائل ج ٦ ص ٣٠٣ الطبعة الحروفية الحديثة .

ومثله في عدة الداعي ص ٤٤ ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف كما في المعنى .

البعد عن المال وشدّة ذلك على نفسه ، فإنّ ذلك يضيق الخلق لا محالة ، و الثاني رؤيته أنّه خير من الفقير ، وأنّ الفقير بسبب حاجته أخسّ رتبةً منه ، وكلاهما منشأؤه الجهل أمّا كراهية تسليم المال فهو حق لأنّ من كره بذل درهم في مقابلة ما يسوي ألفاً فهو شديد الحماقة ، ومعلوم أنّه يبذل المال يطلب رضى الله عزّ وجلّ والثواب في دار الآخرة و ذلك أشرف ممّا يبذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل و شكراً لطلب المزيد ، وكيفما فرض فالكراهية لا وجه لها . أمّا الثاني فهو أيضاً جهل لأنّه لو عرف فضل الفقير على الغني وعرف خطر الأغنياء لما استحقّر الفقير بل تبرّك به وتمنّى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسائة عام ولذلك قال عليه السلام : « هم الأخسرون وربّ الكعبة » فقال أبو ذرّ : من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالاً الحديث ، ^(١) ثمّ كيف يستحقّر الفقير وقد جعله الله سخرة له ^(٢) إن يكتسب المال بجهد و يستكثر منه و يجتهد في حفظه وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته و يكفّ عنه الفاضل الذي يضرّه لو سلّم إليه فالغني يستخدم للسعي في رزق الفقير و يتميزّ عنه بتقلّد المظالم و التزام المشاقّ و حراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكلها أعداؤه فإنّ مهمما انتفت الكراهية و تبدّلت بالسرور و الفرح بتوفيق الله له في أداء الواجب و تقيضه للفقير حتّى يخلّصه عن عهده بقبوله منه انتفى الأذى و التوبيخ و تعطيل الوجه و تبدّل بالاستبشار و الثناء و قبول المنّة فهذا منشأ المنّ و الأذى .

أقول : وفي الكافي عن الصادق عليه السلام « قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من علم أنّ ما صنع إنما صنع إلى نفسه لم يستبط الناس في شكرهم ^(٣) و لم يستزدهم في

(١) تمام الحديث كما في مشكاة المصابيح ص ١٦٤ هكذا « عن أبي ذر قال : انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال : هم الأخسرون و ربّ الكعبة ، قلت : فذاك أبي وامي من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالاً الا من قال هكذا و هكذا و هكذا و هكذا من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و قليل ما هم » وقد مرّ آنفاً عن مصادر عدة .

(٢) قال الجوزي : السخرة : التكليف والحمل على الفعل بغير اجرة .

(٣) معنى لم يتوقع منهم أن يشكروه . « ولم يستزدهم في مودتهم إياه » يعني لم يطلب منهم زيادة مودتهم إياه بما صنع اليهم - منه رحمه الله - .

مودتهم إيتاء فلا تلمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك و وقيت به عرضك و اعلم أن الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فأكرم وجهك عن رده^(١).

قال أبو حامد : فإن قلت : فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن به قلبه فيعرف به أنه لم ير نفسه محسناً ؟ فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدواً له^(٢) عليه مثلاً هل كان يزيد استنكاره و استبعاده له على استنكاره قبل التصديق ، فإن زاد فلم تخل صدقته عن شائبة المنية لأنه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك .

فإن قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فمادواؤه ؟ فاعلم أن له دواءً باطناً و دواءً ظاهراً :

أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب ، و أن الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول ؛ و أما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها متعلد المنية فإن الأفعال التي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما سيأتي أسرارها في الشطر الأخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير وبمثل قائماً بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده ، و كان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير ويكون يد الفقير هي العليا ، وكان بعضهم إذا أرسل معروفاً إلى فقير قال للرسول : احفظ ما يدعو به ، ثم كان يرد عليه مثل قوله : « و يقول : هذا بذاك حتى يخلص لي صدقتي ، فكانوا لا يتعوقون الدعاء لأنه شبه المكافاة و كانوا يقابلون الدعاء بمثله » .

أقول : و الظاهر من طريقة أهل البيت عليهم السلام خلاف ذلك فقد روي « أن زين العابدين عليه السلام كان يقول للخادم : أمسكي قليلاً حتى يدعو فإن دعوة السائل الفقير لا ترد » ، و كان عليه السلام يأمر الخادم إذا أعطت السائل أن تأمره أن يدعو بالخير ، و عن أحدهما عليه السلام : « إذا أعطيتهم فلقنهم الدعاء فإنهم يستجاب لهم فيكم و لا يستجاب

(١) المصدر ج ٤ ص ٢٨ .

(٢) ماله على الأمر ساعده .

لهم في أنفسهم» (١).

قال أبو حامد: «فهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنّة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها، هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا تعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله عليه السلام: «ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها» (٢) وهذا بقوله عليه السلام: «لا يقبل الله صدقة منّا» (٣) وبقوله تعالى: «لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى» (٤) وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبرامة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة.

الوظيفة السادسة أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والمعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال، قال الله تعالى: «ويوم نحين إذ أعجبتمكم كثيركم فلم تفر عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين» (٥) ويقال: «إنّ الطاعة كلّما استصغرت كبرت عند الله والمعصية كلّما استعظمت صغرت عند الله، وقيل: لا يتم المعروف إلا بثلاث: تصغيره وتعجيله وستره».

أقول: هذا مما رواه في الفقيه (٦) عن الصادق عليه السلام أنه قال: «رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال: تصغيره وستره وتعجيله، فإنك إذا صغرت عظمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تممت، وإذا عجلته هنأت، وإن كان غير ذلك محقته ونكده».

قال أبو حامد: «وليس الاستعظام هو المنّ والأذى فإنه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن المنّ والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات، ودواؤه علم وعمل أمّا العلم فهو أن يعلم أنّ العشر أو نصف -

(١) عدة الداعي ص ٤٤ . (٢) و (٣) مرساقاً .

(٤) البقرة: ٢٦٤ . (٥) التوبة: ٢٥ .

(٦) ص ١٦٢ تحت رقم ١٢ .

العشر قليل من كثير و أنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا في فهم الوجوب ، فهو جدير بأن يستحي منه فكيف يستعظمه و إن ارتقى إلي الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتامل أنه من أين له المال و إلى ما ذا يصرفه ، فالمال لله وله المنّة عليه إذ أعطاه ، ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله سبحانه و إن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلى الآخرة و أنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه ؛ و أمّا العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساكه بقية ماله عن الله فيكون هيئته في الانكسار و الحياء كهيئة من يطالب بردّ و ربة فيمسك بعضها و يردّ البعض لأنّ المال كلّ الله و بذل جميعه هو الأحبّ عند الله و إنما لم يأمر به عبده لأنّه يشقّ عليه بسبب بخله كما قال تعالى : « إن يسئلكموها فيحكمم بخلوا » (١).

الوظيفة السابعة أن ينتقي من ماله أجوده وأحبّه إليه و أجله و أطيبه فإنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، و إذا كان المخرج من شبهة قريباً لا يكون ملكاً له طلقاً فلا يقع الموضع و في بعض الأخبار « طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية » (٢) و إذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ يمسك الجيد لنفسه أولعبده أو أهله فيكون قد آثر على الله غيره و لو فعل هذا بضيفه و قدّم إليه أردى طعام في بيته لا وعر به صدره ، هذا إن كان نظره إلى الله و إن كان نظره إلى نفسه و ثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه ، و ليس له من ماله إلا ما تصدّق فأبقى أو أكل فأفنى و الذي يأكله قضاء وطر في الحال ، فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الآخرة ، و قد قال تعالى : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم و ممّا أخرجنا لكم من الأرض و لا تيمموا الخبيث منه تنفقون و لستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه » (٣) أي ما لا تأخذونه إلا مع كراهية و حياء ، و هو معنى الإغماض ، فلا تؤثروا به ربكم و في الخبر « سبق درهم مائة ألف درهم » (٤) و ذلك بأن يخرج الإنسان و هو من أجلّ ماله و أجوده فيصدر ذلك عن الرضا و الفرح بالبذل ، و قد يخرج مائة ألف درهم ممّا يكره من ماله

(١) سورة محمد : ٣٧ . (٢) مسابقاً عن الكافي وغيره .

(٣) البقرة : ٢٦٧ . (٤) أخرجه النسائي ج ٥ ص ٥٩ .

فبدل على أنه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه ولذلك ذم الله تعالى قوماً جعلوا الله ما يكرهون فقال : « ويجعلون الله ما يكرهون و تصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا - وقف بعض القراء على النفي تكذيباً لهم ثم ابتداء وقال : - جرم أن لهم النار»^(١) أي كسب لهم جعلهم الله ما يكرهون النار .

الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدفته من تزكوبه الصدقة ، ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية ، فإن في عمومهم خصوصاً فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة :

الصفة الأولى أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة . قال عليه السلام : « لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي »^(٢) هذا لأن التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكاً له في طاعته بإعانتك إياه .

وقال عليه السلام : « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا »^(٣) معروفكم المؤمنين - وفي لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه بالله » .

الصفة الثانية أن يكون من أهل العلم خاصة ، فإن ذلك إعانة له على العلم ، والعلم أشرف العبادات مهما صححت فيه النية ، وكان ابن المبارك يخصص بمعرفة أهل العلم ، ف قيل له : لو عمت ؟ فقال : إنني لا أعرف . بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء ، فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم ، فتفريغهم للعلم أفضل .

الصفة الثالثة أن يكون صادقاً في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو شكر العباد لله ، وهو أن يرى النعم كلها منه . ومن وصية لقمان لابنه « لا تجعل بينك وبين الله منعاً

(١) النحل : ٦٢ .

(٢) أخرج الدارمي ج ٢ ص ١٠٣ عن أبي سعيد الخدري أنه ، سمع نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا تصعب المؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي

(٣) كذا وقال العراقي : أخرجه ابن المبارك في البر والصلة . حديث أبي سعيد الخدري وكذا ما ينسب عن الضحاك مرسل .

و اعدد نعمة غيره عليك مفرماً ، و من رأى النعمة من غير الله فكأنه لم يعرف المنعم و لم يتيقن أن الوسطة مقهور مسخر بتسخير الله إذ سلط الله عليه دواعي الفعل و يسر له الأسباب فأعطى ، فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب ، و يقين مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره و شكره فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواها ، و إعانة مثل هذا الموحد لا تضيق ، فأما الذي يمدح بالعطاء و يدعو بالخير فيذم بالمنع ، و يدعو بالشر عند الإيذاء ، و أحواله متفاوتة ، و من لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيد عن كدورة الشرك و شوائبه .

أقول : و في هذا المعنى ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى : « و ما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ^(١) قال : « هو قول الرجل لولا فلان لهلكت و لولا فلان لما أصبت كذا و كذا و لو لا فلان لضاع عيالي ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه ، قلت : فيقول : لولا أن الله من عليّ بفلان لهلكت ؟ قال : نعم لا بأس بهذا ونحوه » رواه أحمد بن فهد رحمه الله في العدة ^(٢) و ينبغي أن لا يمنعه علمه بالتوحيد عن شكر الوسطة ، ففي الفقيه قال رسول الله ﷺ : « من أتى إليه معروف فلي كاف به وإن عجز فليثن فإن لم يفعل فقد كفر النعمة » ^(٣) و قال الصادق عليه السلام : « لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل : و ما قاطعوا سبيل المعروف ؟ قال : الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره » ^(٤) و يأتي تمام الكلام فيه في وظائف القابض إن شاء الله .

الصفة الرابعة أن يكون متسترأ مخفياً حاجته لا يكتر البت و الشكوى ، أو يكون من أهل المروءة و ممن ذهبت نعمته و بقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » ^(٥) تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس ،

(١) يوسف : ١٠٦ . (٢) ص ٧٠ .

(٣) و (٤) رواهما الصدوق في الفقيه ص ١٦٢ رقم ١٦ و ١٧ وفي الكافي ج ٤ ص ٣٣ .

(٥) التعفف ترك السؤال يعني من أجل تعففهم عن السؤال يظن الجاهل بحالهم

أنهم مستغنون

الحافاً ، ^(١) أي لا يلحون في سؤال لأنهم أغنياء يقيّنهم ، أعزّة بصبرهم وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كلّ محلّة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير و التّجمل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال .

الصفة الخامسة أن يكون معيلاً أو معجوساً بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى : « للفقراء الذين أحصروا في سبيل » ^(٢) أي حبسوا في طريق الآخرة لعيلة أو ضيق معيشة و إصلاح قلب لا يستطيعون ضرباً في الأرض لأنهم مقصوصوا الجناح ، مقيّدوا الأطراف بهذه الأسباب وكان النبي ﷺ يعطي العطاء على قدر العيلة .

الصفة السادسة أن يكون من الأقارب و ذوي الأرحام فتكون صدقة و صلة ، و في صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى والأصدقاء و إخوان الخير أيضاً يتقدّمون على المعارف كما يتقدّم الأقارب على الأجانب ، قال عليّ عليه السلام : « لئن أصل أخاً من إخواني بدرهم أحب إليّ من أن أتصدّق بعشرين درهماً ، و لئن أصله بعشرين درهماً أحب إليّ من أن أتصدّق بمائة درهم و لئن أصله بمائة درهم أحب إليّ من أن أعتق رقبة » ^(٣) .

فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة و في كلّ صفة درجات فينبغي أن يطلب أعلالها فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى و الغنيمة العظمى و مهما اجتهد في ذلك و أصاب فله أجران و إن أخطأ فله أجر واحد فإن أحد أجره في الحال تطهير [م] نفسه عن صفة البخل و تأكيد حبّ الله في قلبه و اجتهاده في طاعته و هذه الصفات هي التي تقوي في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله ، و الأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ و همته فإنّ قلوب الأبرار لها آثار في الحال و المال ، فإن أصاب حصل الأجران و إن أخطأ حصل الأوّل دون الثاني ، فهذا معنى تضاعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا و في سائر المواضع و الله أعلم .

أقول : ما ذكره أبو حامد من الصفات للمستحقّ و الاجتهاد فيها إنما يعتبر في مستحقّ البرّ و الصلة دون مستحقّ الزكاة و الصدقة ، دليل ذلك ما رواه مولانا العسكري عليه السلام

(١) و (٢) البقرة : ٢٧٣ .

(٣) لم أجده .

في تفسيره ^(١) عن النبي ﷺ في حديث طويل قال : « فقيل لرسول الله ﷺ : فمن مستحق الزكاة ؟ قال : المستضعفون من شيعة محمد وآله الذين لم يقو بصائرهم فأما من قوت بصيرته وحسنت بالولاية لأوليائهم والبراءة من أعدائهم معرفته فذاك أخوكم في الدين أمس بكم رحماً من الآباء والأمهات المخالفين فلا تعطوه زكاة ولا صدقة فإن مواليها وشيعتنا منّا كالجسد الواحد يحرم على جماعتنا الزكاة والصدقة وليكن ما تعطونه إخوانكم المستبصرين البر وأرفعوهم عن الزكوات والصدقات وتزهدوهم عن أن تصبوا عليهم أوساخكم ، أوجب أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على أخيه المؤمن إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسخوا إخوانكم المؤمنين ، ولا تقصدوا أيضاً بصدقاتكم و زكواتكم المعاندين لآل محمد المحبين لأعدائهم ، فإن المتصدق على أعدائنا كالسارق في حرم ربنا عز وجل وحرمي . فقيل : يا رسول الله فما للمستضعفين من المخالفين الجاهلين ، لاهم في مخالفتنا مستبصرون ولا هم لنا معاندون ؟ قال : يعطى الواحد من الدراهم ما دون الدرهم ومن الخبز ما دون الرغيف ، وقال رسول الله ﷺ : ثم كل معروف بعد ذلك وما وقيتم به أعراضكم وصنتموها عن السنة كلاب الناس كالشعراء والوقاعين في الأعراض فكفونهم فهو محسوب لكم في الصدقات » - انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه .

أقول : ومن الوظائف أن يقبل يده بعد الإعطاء لأنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إذا ناولتم السائل فليرد الذي ناوله يده إلى فيه فيقبلها فإن الله عز وجل يأخذ قبل أن تقع في يده فإنه عز وجل يأخذ الصدقات » ^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « ما تقع صدقه المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله ثم تلا هذه الآية « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات و أن الله هو التواب الرحيم » ^(٣) .

(١) ص ٢٩ . (٢) رواه الصدوق في الخصال ج ٢ ص ١٦٠ في حديث الاربعانة .

(٣) التوبة : ١٠٤ ، والخبر رواه ابن فهد في عدة الداعي ص ٤٤ .

وعن الصادق عليه السلام : « إن الله تعالى يقول : ما من شيء إلا وقد وكلت من يقبضه غيري إلا الصدقة فإنني ألقفها بيدي تلقفاً ^(١) حتى أن الرجل ليتصدق أو المرأة لتصدق بالتمرة أو بشق تمره فأربسها له كما يربس الرجل فلوه و فصيله فتلقاني يوم القيامة وهي مثل جبل أحد ^(٢) .

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ في القابض و اسباب استحقاقه و وظائف قبضه ﴾

﴿ أسباب الاستحقاق ﴾

« اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حرٌ مسلم ليس بهاشميٌ ولا مطلبى اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله تعالى ^(٣) ، فلا تصرف زكاة إلى كافر ، ولا إلى عبد ، ولا إلى هاشمي أو مطلبى ، أمّا الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليهما .

أقول : اشتراط الحرية على الإطلاق غير صحيح كما سيأتي وإلحاق المطلبى بالهاشمي شاذٌ عندنا قولاً و رواية ، ويجوز إعطاء الهاشمي إذا كان المزكي هاشمياً أو قصر الخمس عن مؤنته ، و يشترط عندنا في غير المؤلف أن يكون اثني عشري المذهب بإجماعنا والصحيح المستفيض عن أهل البيت عليهم السلام ^(٤) حتى أنه لو كان المزكي مخالفاً وأعطاه أهل نحلته ثم استبصر وجب عليه إعادة الزكاة وإن لم يجب عليه إعادة سائر عباداته ، و في اشتراط العدالة في غيرهم و غير العاملين خلاف والأصح الاكتفاء باجتنب التظاهر بالفسق ، أمّا في العاملين فشرطٌ بلاخلاف لتضمن العمالة الاستيمان

(١) لففت الشيء و تلقفته أى تناولته بسرعة .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٨٠ ، رجال الكشي ص ١٥٢ ، الكافي ج ٤ ص ٤٧ ، والفلو :

المهري فصل عن امه والجمع أفلاء . والمهر - بضم اليم - : ولد الفرس .

(٣) في الآية الخامسة والعشرين من سورة التوبة .

(٤) راجع وسائل الشيعة كتاب الزكاة الباب الخامس .

كما لا خلاف في عدم اشتراطه في المؤلفة ، و يشترط أن لا يكونوا واجبي نفقة للمزكّي إلا من يصرفه في غير النفقة الواجبة كالغازي و الغارم و المكاتب ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام « خمسة لا يعطون من الزكاة شيئاً ، الأب و الأم و الولد و المملوك و المرأة و ذلك أنهم عياله لازمون له ^(١) » قال أبو حامد : « ولندكر

❦ (صفات الاصناف الثمانية) ❦

الصنف الأول الفقراء و الفقير هو الذي ليس له مال و لا قدرة على الكسب فإن كان معه قوت يومه و كسوة حاله فليس بفقير و لكنّه مسكين و إن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير ، و إن كان معه قميصٌ و ليس معه منديل و لا خفٌ و لا سراويل و لم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لأنّه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه و هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة ، فإنّ هذا غلوٌ و الغالب أن لا يوجد مثله ، و لا يخرج عن الفقر كونه معتاداً للسؤال فلا يجعل السؤال كسباً بخلاف ما لو قدر على الكسب فإنّ ذلك يخرج عن الفقر ، فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير و يجوز أن يشتري له الآلة و إن قدر على كسب لا يليق بمروءته و بحال مثله فهو فقير و إن كان متفقهاً و يمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير و لا يعتبر قدرته و إن كان متعبداً يمنعه الكسب عن وظائف العبادات و أوراد الأوقات فليكتسب لأنّ الكسب أولى منه قال رحمه الله : « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » ^(٢) و إن كان مكفياً بنفقة أبيه أو من يجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير .

أقول : إلا إذا لم يوسّع عليه المنفق كما رواه أصحابنا في الصحيح عن الكاظم عليه السلام « أنه سئل عن الرجل أن يكون أبوه أو عمّه أو أخوه يكفيه مؤنته يأخذ الزكاة فيوسّع به إذا كانوا لا يوسعون عليه في كل ما يحتاج إليه ؟ قال : لا بأس » ^(٣) و فيه قول آخر .

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٥٢ تحت رقم ٥ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب العطاء .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٥ ، التهذيب ج ١ ص ٣٧٩ ، المعتمد ص ٤٣ .

و اعلم أن ما ذكره أبو حامد في تفسير الفقير وكذا ما سيذكره في تفسير المسكين مبني على أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين وهو أحد القولين في هذه المسألة والقول الآخر أن الأمر بالعكس ولعله الأصح لما رواه أصحابنا في الصحيح^(١) عن الصادق عليه السلام أنه قال : « الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي هو أجهد منه الذي يسأل » وفي الحسن مثله وزاد « والبائس أجهدهم »^(٢) وعلى هذا يتعكس التفسيران .

«الصف الثاني المساكين والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فاساً وجبلاً وهو غني ، والدورة التي يسكنها والثوب الذي يستتره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين ، وكذا أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه وذلك ما يليق به ، وكذا كتب الفقه لا يخرجها عن المسكنة ، فإذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة الفطر » .

أقول : ومما يدل على هذه الأحكام من أخبار أهل البيت عليه السلام ما رواه معاوية ابن وهب في الصحيح عن الصادق عليه السلام « أنه سئل عن الرجل يكون له ثلاثمائة درهم أو أربعمائة درهم وله عيال وهو يحترف فلا يصيب نفقته فيها أيكب فيأكلها ولا يأخذ الزكاة أو يأخذ الزكاة ؟ قال : لا بل ينظر إلى فضلها فيقوت بها نفسه ومن وسعه ذلك من عياله ويأخذ البقية من الزكاة ويتصرف بهذه لا ينقها »^(٣) .

و في الموثق عن الصادق عليه السلام « أنه سئل عن الزكاة هل تصلح لصاحب الدار والخدام ؟ فقال : نعم إلا أن تكون داره دار غلة فيخرج له من غلتها ما يكفيه لنفسه و عياله ، فإن لم تكن الغلة تكفيه لنفسه و عياله في طعامهم وكسوتهم وحاجتهم من غير إسراف فقد حلت له الزكاة وإن كانت غلتها تكفيهم فلا »^(٤) .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام « أنه سئل عن الرجل له دار أو خادم أو عبد يقبل الزكاة ؟ قال : نعم إن الدار والخدام ليسا بمال »^(٥) . وفي التعليل إشعاراً باستثناء

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٠٢ تحت رقم ١٨ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٧٨ ، الكافي ج ٣ ص ٥٠١ تحت رقم ١٦ .

(٣) ، (٤) ، (٥) الكافي ج ٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٦ ، و ٥٦٠ رقم ٤ ، و ٥٦١ رقم ٧ ،

و التهذيب ج ١ ص ٣٦٢ و ٣٧٩ ، والمقنة ص ٤٣ ، والفقير ص ١٥٦ رقم ٥٤ .

ماساوى الدار و الخادم في المعنى .

و في الموثق عن الصادق عليه السلام قال : « قد تحمل الزكاة لصاحب السبعمئة و تحرم على صاحب الخمسين درهماً ، فقيل له : و كيف يكون هذا ؟ فقال : إذا كان صاحب السبعمئة له عيال كثير فلو قسمها بينهم لم تكفه فليعف عنها نفسه و ليأخذها لعياله و أمّا صاحب الخمسين فإنّه تحرم عليه إذا كان وحده و هو محترف يعمل بها و هو يصيب منها ما يكفيه إن شاء الله » (١).

إلى غير ذلك من الأخبار مما في معناها وهي مؤيدة لما ذهب إليه الشيخ الطوسي - رحمه الله - في المبسوط في تفسير الأحسن حالاً من الصنفين أنّه من لم يقدر على كفايته و كفاية من يلزمه من عياله عادة على الدوام بربح مال أو غلة أو صنعة ، و المشهور وسيما بين متأخرينا أنّه من لم يملك مؤونة سنة له ولو أجي نفقته ، و قيل : من لم يملك نصيباً يجب فيه الزكاة أو قيمته .

و يستدل للمشهور بما روي في الموثق عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « يأخذ الزكاة صاحب السبعمئة إذا لم يجد غيره ، قيل : فإن صاحب السبعمئة تجب عليه الزكاة ؟ فقال : زكاته صدقة على عياله فلا يأخذها إلا أن يكون إذا اعتمد على السبعمئة أنفدها في أقل من سنة فهذا يأخذها ، ولا تحمل الزكاة لمن كان محترفاً و عنده ما يجب فيه الزكاة أن يأخذ الزكاة » (٢) و تحصيل الضابطة فيه على وجه يتلائم الأخبار و الأقوال و شهادة العقل و اللغة و العرف لا يخلو من إشكال .

قال أبو حامد : « وحكم الكتاب حكم الثوب و أثاث البيت فإنّه يحتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في فهم الحاجة إلى الكتاب ، فالكتاب يحتاج إليه لثلاثة أغراض التعليم و الاستفادة و التفرّج بالمطالعة ، أمّا حاجة التفرّج فلا يعتبر كافتناء كتب الأشعار و توارىخ الأخبار و أمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجدى في الدنيا إلا مجرد التفرّج و الاستيناس فهذا يباع في الكفارة و زكاة الفطر ، و يمنع اسم المسكنة ، و أمّا

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٩ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٥٦٠ .

حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمعلم والمؤدب والمدرس بأجرة فهذا آله فلا يباع في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا يباع أيضاً ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كأخاره كتاب طب ليعالج به نفسه أو كتاب وعظ ليطالع ويتعظ فإن كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغن عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ، ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال : ما لا يحتاج إليه في السنة فهو مستغن عنه ، فإن من فضل من قوت يومه شيء لزمه الفطرة فإذا قدر حاجة القوت باليوم فحاجة أثاث البيت و ثياب البدن ينبغي أن يقدر بالسنة فلا يباع ثياب الصيف في الشتاء ، والكتب بالثياب والأثاث أشبه فلا يباع ، وقد يكون له من كتاب تسختان فلاحاجة إلا إلى أحدهما فإن قال : أحدهما أصح والآخر أحسن فأنا أحتاج إليهما ، قلنا : اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترق وإن كانت تسختان من علم واحد أحديهما بسيط والأخرى وجيز فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه فأنما أوردناه لمعوم البلوى والتنبية بحسن هذا النظر على غيره ، فإن استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ تعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار في سعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ، ولكن الفقيه يجتهد فيها رأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقنع فيه خطر الشبهات ، والمتورع يأخذ بالأحوط و يدع ما يريبه إلى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجليسة كثيرة ولا ينبغي منها إلا بالاحتياط .

الصف الثالث العاملون .

أقول : العاملون هم عمال الصدقات جباية وكتابة وحفظاً وقسمة ونحوها ولو كانوا أغنياء ولا يشترط حرّيتهم خلافاً للمبسوط .

والمؤلفة هم الكفار المستمالون إلى الجهاد ، وقيل : هم المنافقون ، وجوز جماعة

كونهم مسلمين .

و في الرقاب هم المكاتبون الذين ليس لهم ما يصرفونه في كتابتهم ، والعبيد الذين كانوا تحت شدة فيعتقون منها ومع عدم الشدة قولان لتعارض النصوص إلا مع عدم مستحق غيره فيجوز بلا خلاف .

والغارمون هم المدينون في غير معصية أو مع التوبة مع عدم تمكنهم من القضاء ويجوز مقاصمتهم بما عليهم من الزكاة بلا خلاف والدفع إلى أرباب الديون بدون إذنهم وبعد موته .

وفي سبيل الله ما يتوصل به إلى رضا سبحانه كالجهاد و تعمير مسجد و جسر و مدرسة ومعونة زائر ونحوها كما يستفاد من تفسير العسكري عليه السلام وغيره وعليه الأكثر وفي الصحيح عن علي بن يقطين قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : يكون عندي المال من الزكاة أفأحج به موالي وأقارب ؟ قال : نعم ، ^(١) فتخصيصه بالجهاد كما في النهاية ليس بجيد مع أنه بعيد عن ظاهر اللفظ ، وفي اشتراط حاجتهم خلاف الأصح جواز صرفه في كل قرابة لا يتمكن فاعلمها الايمان بها بدونه وإن كان غنياً ، أما الغازي فيعطى قدر كفايته على حسب حاله وإن كان غنياً بلا خلاف .

وابن السبيل هو المنقطع به في غير معصية وإن كان غنياً في بلده فيعطى قدر بلغته واعتبار عجزه عن الاستدانة أو بيع ماله بعيد عن اللفظ .

ويصدق مدعي الفقر أو المسكنة من غير بينة ولا يمين مالم يعلم كذبه والأحوط . اعتبار الظن الغالب بصدقه ولو ظهر عدم الاستحقاق فإن كان قد فحس أولاً أجزاء و إلا فلا .

و في سائر الأصناف لابد من الثبوت فإن صرفوا في غير أغراضهم استرد . وهذه مصارف زكاة المال و الفطر . وقال المفيد : بل الفطر يختص بالمساكين و ظاهر الأخبار معه فهو أحوط .

(١) و رواه الصدوق في الفقيه ص ١٥٧ رقم ٦٠ .

﴿فصل﴾

وأما الخمس فيقسم ستة أسهم ثلاثة للإمام عليه السلام هي سهمه و سهم الله و سهم رسوله ﷺ ، و ثلاثة للأصناف الثلاثة : اليتامى و المساكين و ابن السبيل كما هو ظاهر الآية الشريفة و النصوص المستفيضة ، و قيل : بل خمسة أسهم سهم للإمام عليه السلام و سهم لأقرباء الرسول ﷺ و ثلاثة للثلاثة الباقية للخبر الصحيح و يشعر بعض النصوص باختصاص خمس الأرباح كله بالإمام عليه السلام ، و يشترط في الأصناف الثلاثة كونه اثني عشري المذهب لا العدالة بلا خلاف و أن يكونوا هاشميين للأخبار المستفيضة خلافاً لابن الجنييد لإطلاق الآية و الخبر الصحيح و لا يكفي الانتساب بالأم عند الأكثر خلافاً للسيد المرتضى وابن حمزة .

و لا يعتبر الفقر في ابن السبيل بل الحاجة في بلد التسليم خاصة كما مر في الزكاة ؛ و في اليتيم قولان و لا يجب استيعاب أشخاص الثلاثة بلا خلاف إذ المراد بهم في الآية الجنس لا العموم ، و في بعض الأخبار المعتبرة أن ذاك إلى الإمام ^(١) . و في وجوب بسط حصصهم عليهم ، أو جواز تخصيص واحدة بها قولان ، أشهرهما الثاني و أحوطهما الأول كما أشرنا إليه سابقاً .

و هل يسقط فرض الخمس حال غيبة الإمام عليه السلام لما ورد من الرخص في الأخبار المستفيضة أم يجب حفظه ثم الوصية به إلى حضوره عليه السلام لأنه حقه فوجب إيصاله إليه مهما أمكن أن يدفن لأنه إذا قام دله الله على الكنوز كما جاء في الخبر ، أم يصرف النصف إلى مستحقه و يحفظ ما يختص به بالوصاية أو الدفن ، أم يصرف الكل إلى الموجودين لأن عليه إتمام كفايتهم مع العوز ^(٢) وله الزيادة في حضوره كما ورد في الرواية فكذلك مع الغيبة ؟ أقوال و يحتمل قوياً سقوط ما يختص بالإمام عليه السلام لتحليلهم عليهم السلام ذلك لشيعتهم و وجوب صرف حصص الباقيين إلى أهلها لعدم مانع منه و لو صرف الكل إليهم لكان أحوط و أحسن ولكن يتولى ذلك الفقيه المأمون بحق النيابة كما يتولى عن

(١) راجع الكافي ج ١ ص ٥٤٤ و قرب الاسناد ص ١٢٠ . (٢) أي الحاجة والضيق .

الغائب وربما يؤيد ذلك بأنه على تقدير ثبوت حقه عليه السلام لا ضرر في مثل هذا التصرف عليه بوجه فينتفي المانع منه بل ربما يعلم رضاه إذا كان المدفوع إليه من أهل الاضطراب والتقوى وكان المال في معرض التلف مع التأخير كما هو الغالب في مثل هذا الزمان فيكون دفعه إليهم إحساناً محضاً و ما على المحسنين من سبيل .

﴿بيان وظائف الغابض وهي خمسة﴾

«الأولى أن يفهم أن الله أوجب صرفه إليه ليكفي مهمته ويجعل همومه همّاً واحداً فقد تعبد الله الخلق بأن يكون همّهم واحداً وهو الله أصلاً و اليوم الآخر تبعاً ، وهو المعني بقوله تعالى : « وما خلقت الجنّ والإيس إلا ليعبدون » ^(١) ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همّه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفي الحاجات ، فأكثر الأموال و صبّها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم و وسيلة لتفرّغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثر ماله فتنة و بليّة فأقحمه متن الخطر و منهم من أحبّه فحماء الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضوله و ساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون شغل الكسب و التعب في الجمع و الحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجرّدون لعبادة الله و الاستعداد لما بعد الموت فلا يصرفهم عنها فضول الدنيا و لا يشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة ، فحقّ الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ، و يتحقّق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه و بيانه ، فليأخذ ما يأخذه من الله رزقاً و عوناً له على الطاعة ، وليكن نيته فيه أن يتقوّي به على طاعته ، فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله تعالى فإن استعان به على معصية الله كان كافراً لأن نعم الله مستحقاً للبعد و المقت من الله .

الثانية أن يشكر المعطي و يدعو له و يشتهي عليه و يكون شكره و دعاؤه بحيث لا يخرج عن كونه واسطة ولكنّه طريق وصول نعمة الله إليه و للطريق حق من حيث جعله الله طريقاً و واسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله و قد قال عليه السلام : « من

لم يشكر الناس لم يشكر الله» (١) وقد أثنى الله على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها، وخالق القدرة عليها، نحو «نعم العبد إنه أواب» (٢) إلى غير ذلك و ليقول القاض في دعائه: طهر الله قلبك في قلوب الأبرار، و زكى عملك في عمل الأخيار، و صلى على روحك في أرواح الشهداء. وقد قال عليه السلام: «من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا أن قد كافأتموه» (٣).

أقول: و قد مرّ هذا الحديث من طريق الخاصة أيضاً مع حديث آخر في هذا الباب و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من صنع بمثل ما صنع إليه فإتّما كافأه و من أضغفه كان شكوراً و من شكر كان كريماً» (٤).

قال أبو حامد: «و من تمام الشكر أن يستر عيوب صاحب العطاء إن كان فيه عيبٌ ولا يحقره ولا يذمّه، ولا يعيره بالمنع إذا منع، و يفخّم عند نفسه و عند الناس صنيعه، فوظيفة المعطي الاستصغار، و وظيفة القاض تقلد المنّة و الاستغظام، وعلى كلّ عبد القيام بحقه و ذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير و التعظيم تتعارض و النافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير و يضرّه خلافه، و الآخذ بالعكس منه و كلّ ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله فإنّ من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل و إنّما المنكر أن يرى الواسطة أصلاً.

الثالثة أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حله تورّع عنه «فمن يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب» ولن يعدم المتورّع عن الحرام فتوحاً من الحلال فلا يأخذ من أموال الأثراك و الجنود و عمّال السلاطين و من أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق عليه الأمر و كان ما يسلم إليه لا يعرف له مالاً معيناً فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإن فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ما سيأتي بيانه في كتاب الحلال

(١) أخرجه الترمذى ج ٨ ص ١٣٣ وأحمد ج ٢ ص ٢٥٢ و أبو داود ج ٢ ص ٥٥٥.

(٢) سورة (ص): ٤٤.

(٣) أخرجه أبو داود في حديث عن ابن عمر وفيه «من صنع اليكم معروفًا» والنسائي ج ٥ ص ٨٢ في حديث وفيه «من آتني اليكم».

(٤) المصدر ج ٤ ص ٢٧.

و الحرام و ذلك إذا عجز عن الحلال فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤدّيه وهو حرام .

أقول : وليتوّج العالم من أخذ الزكاة مطلقاً ما لم يضطرّ إليه تنزيهاً لنفسه عن أوساخ أيدي الناس كما مرّ ذكره .

« الرابعة أن يتوقى مواقع الريبة و الاشتباه في مقدار ما يأخذ فلا يأخذ إلا القدر المباح ، و لا يأخذ إلا إذا تحقق أنّه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذ بالكتابة أو الغرامة فلا يزيد على قدر الدّين و إن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل ، فإن أعطى زيادة أبى و امتنع إذ ليس المال للمعطي حتى يتبرّع به ، و إن كان مسافراً لم يزد على الزاد و كراء الدابة إلى مقصده ، و إن كان غازياً لم يأخذ إلا قدر ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل و سلاح و نفقة ، و تقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حدّ ، و كذا زاد السفر ، و الورع ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ، و إن أخذ بالمسكنة فلينظر أولاً إلى أثاث بيته و ثيابه و كتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه أو يستغني عن نفاسته ، فيمكن أن يبدل بما يكفي و يفضل بعض قيمته ، و كل ذلك إلى اجتهد ، و فيه طرف ظاهر يتحقق معه أنّه يستحقّ و طرف آخر مقابل يتحقق معه أنّه غير مستحقّ و بينهما أوساط مشتبهة ، و من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، و الاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهراً ، و للمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في التضييق و التوسيع فلا ينحصر مراتبه و ميل الورع إلى التضييق و ميل المتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسّع وهو محقوت في الشرع ، ثمّ إذا تحققت حاجته فلا يأخذنّ مالا كثيراً بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث أنّ السنة إذا تكررت تكرّر أسباب الدخل ومن حيث « أن رسول الله ﷺ أدّخّر لعياله قوت سنة » (١) فهذا أقرب ما يحدّ به حقّ الفقير و المسكين ، و لو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى ، و مذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة و الصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حدّ أوجب الاقتصار على قوت يومه و ليلته لنبيه ﷺ مختلفة

(١) قال المراقى : أخرجه مسلم و البغاري من حديث عمرو فيها « بزل نفقة اهل سنة » .

عن السؤال مع الغنى « فسئل عن الغنى ، فقال : غداؤه وعشاؤه »^(١) وقال آخرون : يأخذ إلى حدّ الغنى و هو نصاب الزكاة أذ لم يوجب الله الزكاة إلا على الأغنياء ، فقالوا : له أن يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال قائلون : حدّ الغنى خمسون درهماً لقوله ﷺ : « من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة و في وجهه خموش ، قيل وما غناه ؟ فقال : خمسون أو قيمتها من الذهب »^(٢) وقال قوم : أربعون لقوله ﷺ : « من سأل وله أو قيمة فقد ألحف في السؤال »^(٣) و بالغ آخرون في التوسيع فقالوا : له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره أو يبيّتها بها بضاعة ليتجر فيها ويستغني لأنّ هذا هو الغنى فهذا ما حكى فيه ، أمّا التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد في كراهية السؤال و التردد على الأبواب ، و ذلك مستنكر وله حكم آخر ، بل التجويز إلى أن يشتري ضيعة فيستغني بها عن السؤال أقرب إلى الاحتمال و هو أيضاً مائل إلى الإسراف .

أقول : بل هذا هو الأصحّ و هو المستفاد من أخبار أهل البيت ﷺ و لا ينافية النهي عن السؤال لمن له قوت اليوم أو الأوقية لأنّ السؤال مذموم مطلقاً كما يأتي ، و الأخذ من غير سؤال إلى هذا الحدّ جائز سيّما إذا كان متعلّق القلب بأمر المعاش بدونه و لم يفتّرغ همه للعلم و العبادة و لم يكن صاحب توكل :

قال أبو حامد : « والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراه فيه خطر و فيما دونه فيه تضيق و هذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له ، ثمّ يقال للورع : استفت قلبك و إن أفتوك و أفتوك كما قال ﷺ »^(٤)

(١) أخرجه ابن حزم في المحلى ج ٦ ص ١٥٢ .

(٢) رواه ابن ماجه في السنن تحت رقم ١٨٤٠ و الغموش كالخدوش و وزناً و معنى ورواه غيره من اصحاب السنن و قال الترمذى حسن وضعفه النسائى .

(٣) أخرجه ابن حزم في المحلى ج ٦ ص ١٥٣ ، و النسائى ج ٥ ص ٩٨ وفيه « وله قيمة أوقية » .

(٤) قد مر في المجلد الاول عن أحمد رواه في المسند ج ٤ ص ٢٢٨ .

إذ الإثم حوازُّ القلوب ^(١) فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً مما يأخذه فليترك الله فيه ولا يترخص بعمله بالفتوى من علماء الظاهر فإن لفتاويهم قيوداً ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات ، والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين و عادات السالكين لطريق الآخرة .

الخامسة أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه ، فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذ .

أقول : وهذه الوظيفة ساقطة عندنا لما عرفت من عدم وجوب البسط على الأصناف إلا في الخمس على القول الأحوط ، فأنا أذكر بدلها ترك السؤال .

قال الصادق عليه السلام : « شيعتنا من لا يسأل الناس شيئاً ولومات جوعاً » ^(٢) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « شهادة الذي يسأل في كفه مرد » ^(٣) .

ونظر علي بن الحسين عليه السلام يوم عرفة إلى رجال يسألون فقال : « هؤلاء شرار من خلق الله ، الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس » ^(٤) .

وقال الصادق عليه السلام : « لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحدٌ أحداً ، ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع ما منع أحدٌ أحداً » ^(٥) .

وقال عليه السلام : « من سأل من غير فقر فإتماماً لكل الجمر » ^(٦) .

وقال الباقر عليه السلام : « أقسم بالله - وهو حق - ما فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » ^(٧) .

وقال سيد العابدين عليه السلام : « ضمنت على ربي أن لا يسأل أحدٌ أحداً من غير حاجة إلا اضطرته حاجة المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة » ^(٨) .

(١) رواه أحمد من حديث ابن مسعود وقصمرفي المجلد الاول من ٥٧ مع بيانه .

(٢) و(٣) و(٤) عدة الداعي من ٧٠ .

(٥) عدة الداعي من ٧٠ وفي الكافي ج ٤ من ٢٠ تحت رقم ٢ ، والفقير من ١٦٦ تحت

رقم ٣١ بادي اختلاف في اللفظ .

(٦) عدة الداعي من ٧٠ ورواه الطبراني في الكبير وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي

أيضاً في شعب الإيمان كما في الترغيب ج ١ من ٥٧٤ .

(٧) و(٨) الكافي ج ٤ من ١٩ تحت رقم ١٠٢ ، والفقير من ١٦٦ تحت رقم ٢٦ و ٢٧ .

وقال النبي ﷺ يوماً لأصحابه : « ألا تباعوني ؟ فقالوا : قد بايعناك يا رسول الله قال : تباعوني على أن لا تسألوا الناس شيئاً فكان بعد ذلك تقع المخرصة من يد أحدهم فينزل لها ولا يقول لأحد : ناولنيها » (١) .

وقال ﷺ : « لو أن أحدكم يأخذ جبلاً فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل » (٢) .

وقال الصادق عليه السلام : « اشتدت حال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالت له امرأته : لو أتيت النبي ﷺ فسألته ؟ فجاء إلى النبي ﷺ فسمعته يقول : من سألنا أعطينا ، ومن استغنى أغناه الله ، فقال الرجل : ما يعني غيري ، فرجع إلى امرأته فأعلمها فقالت : إن رسول الله ﷺ بشر فأعلمه فأثناء فلما رآه قال : من سألنا أعطينا ، ومن استغنى أغناه الله حتى فعل ذلك ثلاث مررات ، ثم ذهب الرجل فاستعار فاساً ، ثم أتى الجبل فصعد و قطع حطباً ثم جاء به فباعه بنصف مد من دقيق ثم ذهب من الغد فجاء بأكثر منه فباعه ولم يزل يعمل و يجمع حتى اشترى فاساً ، ثم جمع حتى اشترى بكرين و غلاماً ثم أتى وحسنت حاله فجاء إلى النبي ﷺ فأعلمه كيف جاء يسأله و كيف سمعه يقول : فقال ﷺ : قلت لك : من سألنا أعطينا ومن استغنى أغناه الله » (٣) .

وقال الباقر عليه السلام : « طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعة و مذهب للحياء ، و اليأس مما في أيدي الناس عز المؤمن ، و الطمع هو الفقر الحاضر » (٤) .

و عن النبي ﷺ « من استغنى أغناه الله ، و من استغف أعفه الله ، و من سأل

(١) عدة الداعي ص ٧٠ ، الكافي ج ٤ ص ٢١ ، و الصدوق رواه في الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٣٢ بلفظ أبسط ، وفي الترغيب ج ١ ص ٥٧٨ مثله وقال رواه مسلم و الترمذي و النسائي باختصار ، و أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٨٣٧ من السنن ، و المخرصة كالمصاء و نحوه شيء يتوكأ عليه .

(٢) عدة الداعي ص ٧١ ، و أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٨٣٦ و البخاري ج ٢ ص ١٤٥ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٣٩ تحت رقم ٧ . وعدة الداعي ص ٧١ .

(٤) الكافي ج ٢ ص ١٤٨ رقم ٤ ، عدة الداعي ص ٧١ وفي الوسائل « استلاب للعة » .

أعطاه الله ، و من فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر لا يسدُّ أدناها شيء (١) .

و سأله رجل فقال : أسألك بوجه الله ، قال : فأمر النبي ﷺ فضرب خمسة أسواط ، ثم قال ﷺ : « سل بوجهك اللئيم ولا تسأل بوجه الله الكريم » (٢) .
وهذه الأخبار كلها نقلت من عدة الداعي لأحمد بن فهد - رحمه الله - وأكثرها مذکور في الفقيه والكافي .

﴿الباب الرابع﴾

في صدقة التطوع وفضلها و آداب أخذها وإعطائها

﴿بيان فضل الصدقة﴾

قال ﷺ : « تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسدُّ من الجائع ، وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » (٣) .

وقال ﷺ : « اتقوا النار ولو بشقِّ تمرّة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » (٤) .
وقال ﷺ : « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيباً - إلا كان الله عزّ وجلّ يأخذها يمينه فيرّبّها له كما يأتي أحدكم فصيله حتّى يبلغ التمرّة مثل أحد (٥) » .

(١) عدة الداعي ص ٧١ .

(٢) أخرج النسائي في السنن ج ٥ ص ٨٣ نحوه . وفي العدة ص ٧١ مثله .

(٣) أخرجه ابن المبارك عن عكرمة مرسلًا في الزهد كما في الجامع الصغير باب التاء .

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح ج ٣ ص ٨٦ و أخرج صدره البخاري ج ٢ ص ١٣٠ ،

و رواه الشيخ في المجالس ص ٢٩٢ .

(٥) أخرج نحوه البخاري في الصحيح ج ٢ ص ١٢٨ ومسلم ج ٣ ص ٨٥ وقدم عن غيرها

من المصادر آنفاً .

وقال عليه السلام : لا يبي الدرداء : إذا طبخت مرققة فأكثر ماعها ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبرهم منه بمعروف ^(١) .

وقال عليه السلام : « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على مراكبه ^(٢) » .

وقال عليه السلام : « كل أمرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ^(٣) » .

وسئل عليه السلام : أي الصدقة أفضل ؟ قال : أن تتصدق وأنت صحيح شحيح ، تأمل البقاء ، وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا ^(٤) .

وقال عليه السلام يوماً لأصحابه : « تصدقوا فقال رجل : إن عندي ديناراً ؟ قال : أنفقه على نفسك قال : إن عندي آخر ؟ قال : أنفقه على زوجتك ، قال : إن عندي آخر ؟ قال : أنفقه على ولدك ، قال : إن عندي آخر ؟ فقال : أنفقه على خادمك ، قال : إن عندي آخر ؟ قال : أنت أبصر به ^(٥) » .

وقال عليه السلام : « لا تمحل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس ^(٦) » .

أقول : المراد بالصدقة في هذا الحديث الزكاة المفروضة كما ورد عن الصادقين عليه السلام وفي دخول الذنور والكفارات فيها قولان أما المندوبة فلا خلاف بين أصحابنا في إباحتها لهم والنصوص به مستفيضة .

وفي الصحيح عنهم عليه السلام : « إنما تلك الصدقة الواجبة على الناس لا تمحل لنا فأما

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٤٩ و ١٥٦ من حديث أبي ذر ، وفي مجمع الزوائد

ج ٥ ص ١٩ عنه وعن البراز من حديث جابر . ولعل ما ذكره الغزالي من حديث أبي الدرداء وهم أو تصحيف .

(٢) أخرجه ابن المبارك عن ابن شهاب مرسلاً كما في الجامع الصغير باب اليميم .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١٤٧ وفيه « يفصل بين الناس » .

(٤) أخرجه البخاري ج ٢ ص ٣٠ و مسلم ج ٢ ص ٩٣ وفيهما « تخش الفقر و تأمل

الغنى » وصدره النسائي ج ٥ ص ٦٨ .

(٥) أخرجه النسائي في السنن ج ٥ ص ٦٢ . و ابوداود ج ٢ ص ٣٩٣ .

(٦) أخرجه النسائي ج ٥ ص ١٠٦ .

غير ذلك فليس به بأس^(١) «وفي آخر» لو حرمت الصدقة علينا لم تحمل لنا أن نخرج إلى مكة لأن كل ما بين مكة والمدينة فهو صدقة، وفي آخر «هذه المياه عامتها صدقة»^(٢) .

﴿ومن طريق الخاصة في فضل الصدقة﴾

مارواه في الفقيه «قال : قال رسول الله ﷺ : «أرض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن فإن صدقته تظله»^(٣) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : «البر» والصدقة ينفيان الفقر ، ويزيدان في العمر ، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء»^(٤) .

وقال الصادق عليه السلام : «داووا مرضاكم بالصدقة ، وادفعوا البلاء بالدعاء ، واستنزلوا الرزق بالصدقة فإنها تفك من بين لحي سبع مائة (*) شيطان ، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن ، وهي تقع في يد الرب قبل أن تقع في يد العبد»^(٥) .

وقال عليه السلام : «الصدقة باليد تقي ميتة سوء و تدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء وتفك عن لحي سبعين شيطاناً كلهم يأمره أن لا يفعل»^(٦) .

وقال عليه السلام : «يستحب للمريض أن يعطي السائل بيده ، ويؤمر السائل أن يدعو له»^(٧) .

وقال عليه السلام : «باكروا بالصدقة فإن البلاء لا تتخطاها ، ومن تصدق بصدقة أول النهار دفع الله عنه شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم ، فإن تصدق أول الليل دفع الله عنه شر ما ينزل من السماء في تلك الليلة»^(٨) .

وقال رسول الله ﷺ : «إن الله لا إله إلا هو ليدفع بالصدقة الداء والدبيلة (*) والحرق والفرق والهدم والجنون وعد سبعين باباً من الشر»^(٩) .

وقال عليه السلام : «صدقة السر تطفى غضب الرب جل جلاله»^(١٠) .

(١) و(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٦٦ والكافي ج ٤ ص ٥٩ وقال الصدوق في الفقيه ص ١٥٧

«وصدقة غير بنى هاشم لا تحمل لبنى هاشم إلا في وجهين إذا كانوا عطاءشاً فاصابوا ماء فشربوا ، وصدقة بعضهم على بعض» . (٣) كذا وفي بعض نسخ الحديث «تفك عن لحي سبعين» .

(٣) الى (٩) الفقيه ص ١٦٤ رقم ١ الى ٨ .

(٤) الدبيلة - بضم الدال - الداهية ، والطاعون وداء في الجوف .

وروى عثمان بن الصادق عليه السلام : « قال : قال لي : « يا عثمان الصدقة والله في السر أفضل من الصدقة في العلانية فكذلك والله العباد في السر أفضل من العباد في العلانية » ^(١) ، وقال رسول الله ﷺ : « إذا طرقتكم سائل ذكر بليل فلا تردوه » ^(٢) .

وقال عليه السلام : « الصدقة بعشرة ، والقرض بشمائية عشر ، وصلة الإخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربعة وعشرين » ^(٣) .

وسئل عليه السلام : « أي الصدقة أفضل ؟ قال : على ذي الرحم الكاشح » ^(٤) (*) .

وقال عليه السلام : « لا صدقة وذو رحم محتاج » ^(٥) .

وقال عليه السلام : « ملعون ملعون من ألقي كَلِّه على الناس ، ملعون ملعون من ضيع من يعول » ^(٦) .

وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام : « ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته » ^(٧) .

و « سئل الصادق عليه السلام عن السائل يسأل ولا يدري ما هو فقال : أعط من وقع في قلبك الرحمة له » ^(٨) .

وقال عليه السلام : « أعطه دون الدرهم ، قلت : أكثر ما يعطى ؟ قال : أربعة دوايق » ^(٩) .

وروى الوصافي عن أبي جعفر عليه السلام : « قال : كان فيمانا جى الله عز وجل موسى عليه السلام أن قال : يا موسى أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل ، إنه يأتيك من ليس بأفس ولا جان ، ملائكة من ملائكة الرحمن ، يبلونك فيما خولتكم ، ويسألونك مما نولتكم ، فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران » ^(١٠) .

وقال عليه السلام : أعط السائل ولو على ظهر فرس » ^(١١) .

وقال رسول الله ﷺ : « لا تقطعوا على السائل مسأله ، فلو أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم » ^(١٢) .

(١) الى (١٦) الفقيه ص ١٦٥ تحت رقم ٩ الى ٢٥ .

(١٦) الكاشح البغض قال ابن الجوزي كانه يضم العداوة في كشحه وهي خاصرته وانما فضلت الصدقة عليه لمكان مخالفة هوى النفس وأما من أعطى من يعبه فانما يتفق على قلبه وهواه .

وروي عن الوليد بن صبيح قال : « كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فجاءه سائل فأعطاه ثم جاء آخر فأعطاه ، ثم جاء آخر فأعطاه ، ثم جاء آخر فقال : وسع الله عليك ، ثم قال : إن رجلاً لو كان له مال يبلغ ثلاثين أو أربعين ألف درهم ، ثم شاء أن لا يبقى منها شيئاً إلا وضعه في حق لفعل فيبقى لامال له فيكون من الثلاثة الذين يردّ دعاؤهم ، قال : قلت : من هم ؟ قال : أحدهم رجل كان له مال فأفقّه في غير وجهه ، ثم قال : يارب ارزقني ، فيقول الرب عز وجل : ألم أرزقك ، ورجل جلس في بيته ولا يسعى في طلب الرزق ويقول : يارب ارزقني فيقول الرب عز وجل : ألم أجعل لك سبيلاً إلى طلب الرزق ، ورجل له امرأة تؤذيه فيقول : يارب خلّصني منها ، فيقول عز وجل : ألم أجعل أمرها بيدك (١) .

وقال الصادق عليه السلام : « في السؤال أطعموا ثلاثة وإن شئتم أن تزدادوا فازدادوا إلا فقد أدبتم حق يومكم (٢) » .

وقال عليه السلام : « إذا أعطيتم فلقنوهم الدعاء ، فإنه يستجاب لهم فيكم ، ولا يستجاب لهم في أنفسهم (٣) » .

وقال الصادق عليه السلام : « في الرجل يعطي غيره الدراهم يقسمها قال : يجري له من الأجر مثل ما يجري للمعطي ولا ينقص من أجره شيئاً ، ولو أن المعروف جرى على سبعين يداً لا وجروا كلهم من غير أن ينقص من أجر صاحبه شيء (٤) » .

وسئل الصادق عليه السلام « أي الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل أما سمعت قول الله عز وجل : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (*) » هل ترى هنا فضلاً (٥) » .

(١) الى (٥) الفقيه ص ١٦٥ تحت رقم ٢١ الى ٢٥ .

(٦) الحشر : ٩ ، وفي لفظ آخر عن النبي صلى الله عليه وآله « خير الصدقة جهد من مقل » والجهد هو الطاقة وفيه اشعار ببقاء ما يستعين به على حاجته فلا ينفى قوله صلى الله عليه وآله : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى » أو تقول لكل وجه فضيلة أما صدقة المقل فلانه يحتاج اليها فيجاهد نفسه باخراجها بخلاف الغنى فانه واجد فلا يكثر بها واما صدقة الغنى فلانه لا يضطر بسببها ولا يبقى عائلاً لانه يفر من بحر زاهر والفقر ان تصدق بماله بقي عاجزاً ، ذكر السجستاني في سننه [ج ١ ص ٣٨٩] عن جابر قال : كنا ←

وقال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال وكرهتهن للأوصياء من ولدي وأتباعهم من بعدي : العبث في الصلاة ، و الرفث في الصوم ، و المن بعد الصدقة ، وإتيان المساجد جنباً ، والتطلع في الدُّور ، والضحك بين القبور (١) » .

وروي عن مسعدة بن صدقة ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام : « أن أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيضة (٢) وكان الرجل ممن يرجى نوافله (٣) و يرضى نائله ورفده ، وكان لا يسأل علياً عليه السلام ولا غيره شيئاً ، فقال رجلٌ لأmir المؤمنين عليه السلام : والله ما سألك فلانُ شيئاً ولقد كان يجزئه من الخمسة الأوساق وسقى فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لا كثر الله في المؤمنين ضربك أُعطي أنا و تبخل به أفت إذا أنا لم

سـه عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذ جاءه رجل بمثل بيضة من ذهب فقال : يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم أتاه من قبل ركنه الايمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ، ثم أتاه من قبل ركنه الايسر فأعرض عنه ، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله فخذقه بها فلو أصابته لا وجمته أولعقرته وقال : يأتي احدكم بيايملك ويقول : هذه صدقة ويقعد فيستكف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وقيل : يعني بذلك ما يفضل عن العيال فيستغنون منه وهو حسن ، وأحسن منه وأتم ما قيل : ان جهد العقل محمول على المتفرد لان الايثار على النفس حسن قال الله عز وجل : « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » وعن ظهر غنى وارد في الميل لان الايثار على العيال غير مستحسن لقوله عليه السلام : « ملعون من ضيع من يعول » ولقوله صلى الله عليه وآله : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدء بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان على ظهر غنى ، من يستغف بغير الله ومن يستغن يغنه الله » وفي معنى هذا الحديث ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام خير الصدقة ما ابقث غنى (منه - رحمه الله -) .

(١) الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٣٥ ، والكافي ج ٤ ص ٢٢ .

(٢) البغيضة - بيايين موحدين وغنيين معجمتين وفي الوسطياء مثناة وفي الاخرهاء :- ضيعة أوعين بالمدنية ، غزيرة كثيرة النخل لال الرسول ، وفي تاريخ السهودي البغيضة تصغير البقيع وهي البئر القرية الرشا و البقيعات والبغيضة عيون عملها على بن أبي طالب عليه السلام ينبع اول ماصارت اليه وتعقد بها و بلغ جذازها في زمنه ألف وسقى ومنها خيف الاراك وخيف ليلي وخيف الطاس .

(٣) النوازل : العطايا وقوله : « يرجى نوافله » في بعض نسخ الكافي « يرجو » .

أعط الذي يرجوني إلا من بعد مسألتي ، ثم أعطيته بعد المسألة فلم أعطه إلا ثمن ما أخذت منه وذلك لأنني عرضته لأن يبذل لي وجهه الذي يعفوه في التراب لربي وربّه عز وجلّ عند تعبدته له و طلب حوائجه إليه فعمل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنّه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدق الله عز وجلّ في دعائه له حيث يتمنّى له الجنة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله ، وذلك أن العبد قد يقول في دعائه : اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإذا دعا له بالمغفرة فقد طلب له الجنة ، فما أنصف من فعل هذا بالقول ولم يحققه بالفعل ، (١) .

وقال الصادق عليه السلام : « من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحى موالينا يكتب له ثواب صلتنا ، ومن لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحى موالينا يكتب له ثواب زيارتنا » (٢) .
و في الفقيه أيضا قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أول ما يبدأ به في الآخرة صدقة الماء - يعني في الأجر - » (٣) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : « إن الله تعالى يحب إيراد الكبد الحريّ ومن سقى كبداً حريّ من بهيمة وغيرها أظله الله في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله » (٤) .
و روى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة ، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحياى نفساً ، ومن أحياى نفساً فكأنما أحياى الناس جميعاً » (٥) .

❦ بيان إخفاء أخذ الصدقة و اظهاره ❦

« قد اختلف طرق طلاب الإخلاص في ذلك فمال قوم إلى أن الإخفاء أفضل ومال قوم إلى الإظهار ونحن نشير إلى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه .

أما الإخفاء ففيه خمسة معان : الأول أنّه أبهى للستر على الآخذ فإنّ أخذه ظاهراً هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصوّن المحبوب

(١) الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٣٦ ، والكافي ج ٤ ص ٢٢ .

(٢) الى (٥) الفقيه ص ١٦٧ تحت رقم ٣ . وص ١٦٤ تحت رقم ٣١ و ٣٢ .

الذي يحسب الجاهل أهله أفنياء من التعفف .

الثاني أنه أسلم لقلوب الناس ولألسنتهم فإثمهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه أخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن و الفية من الذنوب الكبائر ، وصياتهم عن هذه الجرائم أولى ، وقال أبو أيوب السخيتاني : إني لا ترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسداً . وقال بعض الزهاد : ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون : من أين له هذا ؛ وعن إبراهيم التيمي أنه رأي عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه : من أين لك هذا ؟ فقال : كسائي أخيه خيثة ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته .

الثالث إعانة المعطي على إسرار العمل فإن فضل السر على الجهر في الإعطاء أكثر ، والإعانة على إتمام المعروف معروف ، والكمتمان لا يتم إلا باثنين ؛ فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي .

دفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فردّه ، ودفع إليه آخر شيئاً في السرّ قبله ، فقيل له في ذلك ؟ قال : إن هذا عمل بالأدب في إخفاء معروفه قبلته وذاك أساء أدبه في عمله فردده عليه .

وأعطى رجل بعض الصوفية شيئاً في الملاء فردّه ، فقال : لم تردّ على الله ما أعطاك ؟ فقال : إنك أشرت غير الله فيما كان لله ، ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك . الرابع أن في إظهار الأخذ ذلاً و إمتناناً ، و ليس للمؤمن أن يذل نفسه .

كان بعض العلماء يأخذ في السرّ ولا يأخذ في العلانية ، ويقول : إن في إظهاره إذلالاً للعلم و إمتناناً لأهله ، فما كنت بالذي أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم و إذلال أهله .

الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة ، قال عليه السلام : « من أهدى له هدية و عنده قوم فهم شركاؤه فيها » (١) .

(١) قال العراقي : أخرجه المقيلى وابن حبان في الضعفاء والطبراني في الإوسط و

البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس .

اقول : و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن محمد بن مسلم قال : قال : « جلساء الرجل شركاؤه في الهدية » (١).

و عن عثمان بن عيسى رفعه قال : « إذا أهدى إلى الرجل هدية من طعام وعنده قوم فهم شركاؤه في الهدية الفاكية وغيرها » (٢).

قال أبو حامد : « و بأن يكون ورقاً أو ذهباً لا يخرج عن كونه هدية فانفراده بما يعطى بالملأ مكروه إلا برضى جميعهم و لا يخلو عن شبهة فإذا انفرد سلم عن هذه الشبهة .
وأما الاظهار والتحدث به ففيه معان أربعة :

الأول الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال و المراياة .

الثاني إسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة ، والتبرّي عن الكبرياء و دعوى الاستغناء و إسقاط النفس عن أعين الخلق ، قال بعض العارفين لتلميذه : أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً فإنك لا تخلو من أحد رجلين : رجل تسقط من قلبه إن فعلت ذلك فذلك هو المراد لآته أسلم لدينك و أقلّ لآفات نفسك ، أو رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق فذلك هو الذي يريد أخوك كأنه يزداد ثواباً بزيادة حبه لك و تعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه .

الثالث هو أن العارف لا نظر له إلا إلى الله و السرّ و العلانية في حقه واحد فاختلف الحال شرك في التوحيد .

قال بعضهم : كنّا لا نعبؤ بدعاء من يأخذ في السرّ ويردّ في العلانية ، والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال ، بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً على الواحد الفرد .

حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشقّ على الآخرين ذلك فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كل واحد منهم طائراً و قال له : اذبح هذا حيث لا يراك أحد ، فذهبوا ثم جاؤوا قد ذبح كل واحد منهم طائره إلا

(١) المصدر ج ٥ ص ١٤٣ تحت رقم ١٠ ، وفي الدروس يستحب الكفاة على الهدية

ومشاركة الجلساء فيها اذا كانت طعاماً فأكهة أو غيرها .

(٢) الكافي ج ٥ ص ١٤٤ .

ذلك المرید فأنه رد طائرہ حیاً ، فقال الشيخ : مالک لم تذبح کما ذبح أصحابک ؟ فقال : لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد فإن الله تعالى يراني في كل موضع ، فقال الشيخ : لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت إلى غير الله عز وجل .

الرابع أن الإظهار إقامة لسنة الشکر وقد قال تعالى : « و أمّا بنعمة ربّک فحدث »^(١) والکتمان کفران للنعمة ، وقد ذمّ الله تعالى من کتم ما آتاه الله وقرنه بالبخل وقال : « الذين يبخلون و يأمرّون الناس بالبخل و یکتُمون ما آتاهم الله من فضله »^(٢) . وقال ﷺ : « إذا أنعم الله تعالى علی عبد نعمة أحبّ أن تری علیه »^(٣) وأعطی رجل بعض العارفين شيئاً في السرّ فرفع به يده وقال : هذا من الدنيا والعلائیة فیها أفضل والسرّ في أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم : إذا أعطيت في الملاء فخذ ثمّ اردد في السرّ . و الشکر محثوث علیه قال ﷺ : « من لم يشکر الناس لم يشکر الله »^(٤) ، و الشکر قائم مقام المكافأة حتّى قال ﷺ : « من أسدى إليکم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطعوا فأنتموا علیه به خيراً و ادعوا له حتّى تعلموا أنکم قد كافأتموه »^(٥) ولما قالت المهاجرين في الشکر : « یا رسول الله ما رأينا خيراً من قوم نزلنا علیهم قاسمونا الأموال حتّى خفنا أن قد ذهبوا بالأجر کلّه ؟ فقال : کلاً ما شکرتم لهم و أنثیتم به علیهم »^(٦) أي هو مكافأة .

فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافاً في المسألة بل هو اختلاف حال ، فكشف الغطاء في هذا أمّا لا نحکم حکماً بتاً بأن الإخفاء أفضل في كل حال أو الإظهار أفضل ، بل يختلف ذلك باختلاف النیّات ، و يختلف النیّات باختلاف الأحوال و الأشخاص ، فینبغي أن يكون المخلص مراقباً لنفسه حتّى لا يتدلّى بحبل الغرور ، و لا ينخدع بتلّیس الطبع و مکر الشیطان ، و المکر و الخداع أغلب في معاني الإخفاء منه في الإظهار مع أن له دخلاً في كل واحد منهما ، فأمّا

(١) الضحی : ١١ . (٢) النساء : ٣٦ .

(٣) أخرجه الطیالسی فی مسنده ص ٤٠ رقم ٣١٢ باختلاف فی اللفظ مع زیادة .

(٤) و (٥) تقدماً آنفاً .

(٦) رواء الترمذی فی صحیحہ کما فی مشکاة المصابیح ص ٢٦١ .

مدخل الخداع في الأسرار من ميل الطبع إليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر من أعين الناس ونظر الخلق إليه بعين الازدراء وإلى المعطي بعين المنعم المحسن إليه فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ، و معيار كل ذلك و محكه أمر واحد وهو أن يكون تألّمه بالكشف أخذه للمصدقة كتألّمه بالكشف صدقة أخذها بعض أقرانه وأمثاله ، فإنه إن كان ينبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يشقي انتهاك الستر أو إعانة المعطي على الأسرار أو صيانة العلم عن الابتذال ، فكل ذلك مما يحصل بالكشف صدقة أخيه ، فإن كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه ، فإن إزال العلم محذور من حيث أنه علم لا من حيث أنه علم زيد أو علم عمرو ، والغيبة محذورة من حيث أنها تعرض لعرض مصون لا من حيث أنها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن أحسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه وإلا فلا يزال كثير العمل قليل الحفظ ، وأما جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث أنه تطيب لقلب المعطي واستحثاث له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في إكرامه وتفقد ، وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بأن يروج عليه هذا الغيب في معرض السنة ، ويقول له : الشكر من السنة والإخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ، ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الخبر إلى المعطي ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطية ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون إلا من يخفى ولا يشكر ، فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعته هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة وإلا فهو مغرور ، ثم إذا علم أن باعته السنة فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فإن كان هو ممن يجب الشكر والنشر فينبغي أن يخفى ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم و طلبه الشكر ظلم وإذا علم من حاله أنه لا يجب الشكر ولا يقصد فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ، ولذلك

قال **عَلِيٌّ** لِلرَّجُلِ الَّذِي مَدَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ : « ضَرَبْتُمْ عَنْقَهُ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ ^(١) » . مع أَنَّهُ **عَلِيٌّ** كَانَ يَثْنِي عَلَى قَوْمٍ فِي وَجْهِهِمْ لَثَقَتُهُ يَبْقِيْنَهُمْ وَعِلْمُهُ بِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُمْ بَلْ يَزِيدُ فِي رَغْبَتِهِمْ فِي الْخَيْرِ فَقَالَ لَوَاحِدٍ : « إِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبَرِ ^(٢) » وَقَالَ فِي آخِرٍ : « إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرَمُوهُ ^(٣) » وَسَمِعَ كَلَامَ رَجُلٍ فَأَعْجَبَهُ فَقَالَ : « إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا ^(٤) » .
 وقال : « إِذَا عَلِمَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ خَيْرًا فَلْيُخْبِرْهُ فَإِنَّهُ يَزِدَادُ رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ ^(٥) » ،
 وقال : « إِذَا مَدَحَ الْمُؤْمِنُ فِي وَجْهِهِ رَبًّا لَا يُؤْمِنُ فِي قَلْبِهِ ^(٦) » وَقِيلَ : مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لَمْ يَضُرَّهُ مَدَحُ النَّاسِ .

فدقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه ، فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق صخكة للشيطان وشماعة له لكثرة التعب وقلة النفع ، ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه : إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة . إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتمتعطل وعلى الجملة فالأخذ في المألا والردي في السر أحسن المسالك وأسلمها ، فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر يتحدث به ولا يرى .

﴿ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة ﴾

قيل : إن الأخذ من الصدقة أفضل لأن في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين

(١) قال العراقي : الحديث متفق عليه من حديث أبي بكرة بلفظ « ويحك قطعت عنق صاحبك » وزاد الطبراني في رواية « والله لو سمعها ما أفلح أبداً » : أقول : أخرج صدره أحمد في السند ج ٥ ص ٤١ .

(٢) نقله ابن الأثير في اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٩ من حديث قيس بن عاصم وأن النبي صلى الله عليه وآله قال له ذلك .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٧١٢ . وفي لفظه « إذا أتاكم الخ » . وهكذا في الكافي ج ٢ ص ٦٥٩ .

(٤) أخرجه الترمذي في الصحيح ج ٨ ص ١٨٤ .

(٥) رواه الدارقطني في العلل من حديث أبي هريرة . (المعنى) .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک كما في الجامع الصغير

باب الهمة .

وتضييق عليهم ، ولأنه ربما لا يكمل في أخذها صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب .
وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع ، وقيل : بل أخذ الزكاة أولى لأنه إعانة على واجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأنهم ، ولأن الزكاة لأمنة فيها وإنما هي حق واجب لله رزقاً لعباده المحتاجين ، ولأنه أخذ بالحاجة والإنسان يعلم حاجة نفسه قطعاً وأخذ الصدقة أخذ بالدّين فإن الغالب أن المتصدق يعطي من يعتقديه خيراً ولأن مراقبة المساكين أدخل في الدّلّ والمسكنة وأبعد عن التكبر إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز عنها وهذا تنصيص على ذلك الأخذ وحاجته .

والقول الحق في هذا أن هذا يختلف باختلاف أحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية ، فإن كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة وإذا علم أنه مستحق قطعاً كما إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضاءه فهو مستحق قطعاً فإذا خسر هذا بين الزكاة والصدقة فإن كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لولم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فإن الزكاة الواجبة يصرفه صاحبه إلى مستحقه ، ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين ، وإن كان المال معرضاً للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والأمر فيهما متقارب ، وأخذ الزكاة أشد في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال .

أقول : في الشق الأخير أيضاً أخذ الصدقة أولى لأنها أظهر لا باحتها للمعصومين عليه السلام كما عرفت سيما إذا كان الآخذ من أهل العلم والبصيرة بل لا ينبغي له أخذ الصدقة أيضاً إلا مع الضرورة الشديدة فضلاً عن الزكاة لما عرفت من حديث العسكري عليه السلام ومع الضرورة يجب الأخذ ، قال الصادق عليه السلام : « تارك الزكاة وقد وجبت له مثل ما نعه وقد وجبت عليه ^(١) » .

﴿ الباب الخامس في زكاة الجسد ﴾

روى في الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه :

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٧٨ . والكافي ج ٣ ص ٥٦٣ رقم ٢ .

« ملعون كل مال لا يزكى ، ملعون كل جسد لا يزكى ، ولو في كل أربعين يوماً مرة ، فقيل له : يا رسول الله أما زكاة المال فقد عرفناها فما زكاة الأجساد ؟ فقال لهم : أن تصاب بأفة ، قال : فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه ، قال : فلما رأهم قد تغيرت ألوانهم قال : هل تدرون ما عنيت بقولي ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : إن الرجل يخذل الخدشة ، وينكب النكبة ، ويعثر العثرة ، ويمرض المرضة ، ويشاك الشوكة وما أشبه هذا - حتى ذكر في حديثه اختلاج العين - (١) .

وعن الصادق عليه السلام : « على كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عز وجل ، بل على كل منبت شعرك ، بل على كل لحظة من لحظاتك ، فزكاة العين النظر بالعبور والفض عن الشهوات وما يضاهاها ، وزكاة الأذن استماع العلم والحكمة والقرآن و فوائد الدين من الموعدة والنصيحة وما فيه نجاتك بالإعراض عما هو ضد من الكذب والغيبة وأشباههما ، وزكاة اللسان النصح للمسلمين ، والتيقظ للغافلين ، وكثرة التسبيح والذكر وغيره ، وزكاة اليد البذل والسخاء بما أنعم الله به عليك ، وتحريكها بكتابة العلوم ، و منافع ينفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى ، والقبض عن الشرور ، وزكاة الرجل السعي في حقوق زيارة الصالحين ، ومجالس الذكر ، وإصلاح الناس ، وصلة الرحم ، والجهاد ، وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك ، هذا ما تحمّل القلوب والتقوى استعماله وما لا يشرف عليه إلا عباده المقربون المخلصون أكثر من أن يحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم (٢) .

هذا آخر كتاب أسرار الزكاة ومهماتها من المحبة البيضاء في تهذيب الأحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الصيام ومهماته والحمد لله أولاً وآخراً .

(١) المصدر ج ٢ ص ٢٥٨ تحت رقم ٢٦ . وقوله : « ينكب النكبة » هو أن يقع رجله على حجارة و نحوها ، أو يسقط على وجهه ، أو أصابته بلية خفيفة من بلايا الدهر وأمثال ذلك ، وقوله : « يشاك الشوكة » يقال : شاكته الشوكة تشوكة وشيكة إذا دخلت في جسده شوكة ، و الاختلاج حركة سريعة متواترة غير عادية تعرض لجزء من البدن .

(٢) مصباح الشريعة الباب الثاني والمشرون .

كتاب أسرار الصيام ومهباته

وهو الكتاب السادس من ربيع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنّة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنّه ، وردّ أمله وخيب ظنّه ، إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجنّة ، وفتح لهم أبواب الجنّة وعرفهم أنّ وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنّة ، وأنّ بقمعها تصبح النفس المطمئنّة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها ، قوّة المنّة ^(١) .

والصلاة على عمّد قائد الحقّ وممهد السُنّة ، وعلى آله المعصومين وأصحابه ذري العقول المرحجنة ^(٢) ، وسلّم كثيراً .

أما بعد فإنّ الصوم ربيع الإيمان بمقتضى قوله ﷺ : « الصوم نصف الصبر » ^(٣) وبمقتضى قوله : « الصبر نصف الإيمان » ^(٤) ، ثمّ هو متميّز بخاصيّة النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ : « كلّ حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلّا الصيام فإنّه لي وأنا أجزي به » ^(٥) ، وقد قال تعالى : « إنّما

(١) المنّة - بالضم - : القوة .

(٢) قال في القاموس باب النون فصل الرأه : جيش مرجن ورحى مرجنة أى ثقيلة .

(٣) أخرجه أحمد في السند ج ٤ ص ٢٦٠ . وفي لفظ ابن ماجه والبيهقي « الصيام

نصف الصبر » كما في الجامع الصغير باب الصاد .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب كما في الجامع الصغير باب الصاد .

(٥) أخرجه النسائي في سننه ج ٤ ص ١٦٢ عن أبي هريرة باختلاف في اللفظ .

يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب^(١)، والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ، ونأهيك في فضيلته قوله ﷺ : « والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل : ، إنما ينذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به »^(٢) .

وقال ﷺ : « للجنة باب يقال له : الرِّيان لا يدخل منه إلا الصائمون »^(٣) ، وهو موعودٌ بقاء الله تعالى في جزاء صومه ، قال رسول الله ﷺ : « للصائم فرحتان فرحة عند إبطاره وفرحة عند لقاء ربه »^(٤) .

وقال ﷺ : « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم »^(٥) .

وقال : « نوم الصائم عبادة »^(٦) .

أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في الفقيه^(٧) :

قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج »

(١) الزمر : ١٠ .

(٢) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٣٠ وفيه « إنما يترك شهوته » . والنسائي ج ٤ ص

١٦٣ وفيه « إنما يدع شهوته » . وخلوف الفم - بضم المعجمة واللام وسكون الواو - على المشهور وقيل بفتح المعجمة - وهو تغيير راحته .

(٣) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٣٠ ، والنسائي ج ٤ ص ١٦٨ بلفظ آخر وكذا

في سنن ابن ماجه . وقال الرزكشي : الريان فلان أى كثير الرى ضد العطش سمي به لانه جزاء الصائمين على عطشهم وجوعهم واكتفى بذكر الرى عن الشبع لانه يدل عليه من حيث أنه يستلزم .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٦٣٨ ، وفي سنن النسائي ج ٤ ص ١٥٩ .

(٥) قال المراقي : أخرجه ابن المبارك في الزهد . وقال في الجامع الصغير : أخرجه

هناد عن ضمرة بن حبيب مرسل .

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الايمان وفيه « نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح و

عمله مضاعف » كما في الجامع الصغير باب النون .

(٧) باب فضل الصيام ص ١٦٧ .

والصوم والولاية (١) .

وقال رسول الله ﷺ : « الصوم جُنَّةٌ من النار (٢) » .

وقال ﷺ : « الصائم في عبادة وإن كان قائماً على فراشه ما لم يغتصب مسلماً (٣) » .

وقال ﷺ : « قال الله تعالى : الصوم لي وأنا أجزي به ، وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلتقي ربه عز وجل ، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك (٤) » .

وقال ﷺ لأصحابه : « ألا أخبركم بشيء إن فعلتموه مباحداً للشیطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الصوم يسود وجهه ، والصدقة تكسر ظهره ، والحب في الله والموازرة على العمل الصالح تقطع دابره ، والاستغفار يقطع وتينه ، ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام (٥) » .

و قال ﷺ : « إن الله تعالى وكل ملائكة بالدعاء للصائمين ، وقال : أخبرني جبرئيل عن ربه تعالى ذكره أنه قال : ما أمرت ملائكتي بالدعاء لأحد من خلقي إلا استجبت لهم فيه (٦) » .

وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى : « استعينوا بالصبر والصلاة (٧) » قال : « يعني بالصبر الصوم » .

و قال عليه السلام : إذا نزلت بالرجل النازلة أو الشدة فليصم ، فإن الله تعالى يقول : « واستعينوا بالصبر والصلاة » (٨) .

وقال عليه السلام : « من صام لله عز وجل يوماً في شدة الحر فأصابه ظمأ وكل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى إذا أفطر ، قال الله تعالى : « ما أطيب ريحك وروحك » .

(١) الى (٦) المصدر ص ١٦٧ رقم ١ الى ٦ ورقم ١٠ و ١١ . والموازرة : المعاونة ،

و دابره أى آخره بحيث لم يبق منه شيء ويمكن أن يقال : الدابر ههنا التابع والجند أو كناية عن الاستيصال . والتوتين عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

(٧) البقرة : ٤٥ .

(٨) الكافي ج ٤ ص ٦٣ رقم ٧ ، والتهذيب ص ١٦٨ رقم ٩٠٨ .

يا ملائكتي اشهدوا أنني قد غفرت له (١) .

وقال أبو الحسن الأول عليه السلام : « قِيلُوا فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَطْعَمُ الصَّائِمَ وَيَسْقِيهِ فِي مَنَامِهِ (٢) » .

وقال الصادق عليه السلام : « نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ ، وَصَمْتُهُ تَسْبِيحٌ ، وَعَمَلُهُ مَتَقَبِّلٌ ، وَدَعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ (٣) » .

وأعظم الصيام أجراً صوم شهر رمضان ففي الحديث النبوي ﷺ « مَنْ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، وَكَفَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ عَنِ النَّاسِ قَبْلَ اللَّهِ صَوْمَهُ وَغُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَأَعْطَاهُ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ (٤) » .

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سئلَ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، فَقَامَ خَطِيْبًا فَقَالَ بَعْدَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكُمْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَلَمْ أَطُوهَا عَنْكُمْ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ بِهَا عَالِمًا أَعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّهُ مِنْ رَدَدِ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ وَهُوَ صَحِيحٌ سَوِيٌّ فَصَامَ نَهَارَهُ وَقَامَ وَرَدًّا مِنْ لَيْلِهِ وَوَأَظْبَ عَلَى صَلَاتِهِ وَهَجَرَ إِلَى جَمْعَتِهِ وَغَدَا إِلَى عِيدِهِ فَقَدْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَفَازَ بِجَائِزَةِ الرَّبِّ » ؛ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام : « فَازَ وَاللَّهِ بِجَوَائِزٍ لَيْسَتْ كَجَوَائِزِ الْعِبَادِ (٥) » .

وفي الصحيح عنه عليه السلام : « قَالَ : إِنَّمَا فَرَضَ اللَّهُ الصَّيَامَ لِيَسْتَوِيَ بِهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ وَذَلِكَ أَنَّ الْغَنِيَّ لَمْ يَكُنْ لِيَجِدْ مِنْ الْجُوعِ فَيَرْحَمَ الْفَقِيرَ لِأَنَّ الْغَنِيَّ كُلَّمَا أَرَادَ شَيْئًا قَدَّرَ عَلَيْهِ فَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسُوِّيَ بَيْنَ خَلْقِهِ ، وَأَنْ يَذِيقَ الْغَنِيَّ نَيْلَ الْجُوعِ وَالْأَلَمَ لِيَرْقَى عَلَى الضَّعِيفِ وَيَرْحَمَ الْجَائِعَ (٦) » .

(١) الكافي ج ٤ ص ٦٤ رقم ٦٥ و ٨ رقم ١٧ . والقياس ص ١٦٨ رقم ١٤ .

(٢) الكافي ج ٤ ص ٦٥ رقم ١٤ والقياس ص ١٦٨ ، رقم ١٥ وقوله : « قِيلُوا »

أمر من قال يقبل قبلولة بمعنى النوم قبل الظهر .

(٣) القياس ص ١٦٨ رقم ١٦ .

(٤) رَوَاهُ الْمُنِيذُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي الْمَقْنَمَةِ ص ٤٩ .

(٥) رَوَاهُ الصَّدُوقُ فِي الْقِيَامَةِ ص ١٧٤ تَحْتَ رَقْمِ ٤ وَ ٥ . وَ طَرَى الْحَدِيثَ كَتَبَهُ .

وَهَجَرَ إِلَى جَمْعَتِهِ أَيَّ ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي الْهَاجِرَةِ . (٦) الْقِيَامَةُ ص ١٦٧ رقم ١ .

قيل : لولم يكن في الصوم إلا الارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية إلى ذروة التشبّه بالمالائكة الروحانية لكفى به فضلاً ومنقبة .

قال أبو حامد : « إنما كان الصوم لله ومشرقاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إليه والأرض كلها له لمعينين : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سرّ ليس فيه عملٌ يشاهد فجميع الطاعات بمشهد من الخلق ودرأى والصوم لا يعلمه إلا الله تعالى فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد ، والثاني أنه قهر لعدو الله فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات ، وإنما يقوي الشهوات بالأكل والشرب و لذلك قال **وَاللَّهُ يَكْفُرُ** : « إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع ^(١) » وسأيتي فضائل الجوع في كتاب كسر الشهوتين من ربيع المهلكات ، فلمّا كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان وسداً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه استحقّ التخصيص بالنسبة إلى الله ففي قمع عدو الله نصرته لله ونصرة الله للعبد موقوفة على النصر له قال الله : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ^(٢) » ، فالبداية بالجهد من العبد الجزاء بالهداية من الله ولذلك قال : « والتّذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ^(٣) » ، وقال : « إن الله لا يغيّر ما يقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم ^(٤) » ، وإنما التّغيير بكسر الشهوات ، فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فمادامت مخصبة ^(٥) ثم ينقطع تردّدهم وماداموا يتردّدون فلا ينكشف للعبد جلال الله و كان محجوباً عن لقائه قال رسول الله **وَاللَّهُ يَكْفُرُ** : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ^(٦) » ، فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة فإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بدّ من بيان شروطه وذكر أركانه وآدابه وسننه الظاهرة والباطنة ونبين ذلك بثلاثة أبواب :

(١) أخرج صدره البخارى ج ٣ ص ٦٢ وأحمد في المسند ج ٣ ص ١٥٦ و ٢٧٥ و ٣٠٩ .

(٢) سورة محمد : ٧ . (٣) العنكبوت : ٦٩ .

(٤) الرعد : ١١ .

(٥) النخصب - بالكسر - : كثرة المشب وهو الكلاء .

(٦) أخرجه أحمد عن أبي هريرة باختلاف و قوله : « يحومون » من حام الطائر

حول الشيء إذا دار .

﴿الباب الاول﴾

﴿في الشروط والواجبات والمكروهات والسنن الظاهرة﴾

﴿واللوازم بافساده﴾

أقول : ولنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول :

أما الشروط فالصوم إنما هو على كل مكلف خال عن الحيض والنفاس ، صحيح من المرض المستضر به ، مقيم أو في حكمه ولا يصح بدونه هذه الشروط إلا من النائم والمغمى عليه والمجنون مع سبق النية منهم ومن الصبي المميز على خلاف في غير النائم أما العائض و النفساء والمرضى المتضررين به فلا يصح منهم قولاً واحداً .

وأما المسافر فلا يصح منه صوم رمضان بلاخلاف ولا غيره من الصيام الواجب إلا ثلاثة أيام بدل الهدي وثمانية عشر بدل البدنة لمن أفاض من عرفات قبل الغروب عامداً ، والنذر المشترط سفرأ وحضراً على إشكال في الأخير والأحوط عدم التعرض لايقاع مثل هذا النذر وفي المندوب أقوال ثالثها الكراهة ، والأصح المنع منه مطلقاً إلا ثلاثة أيام الحاجة عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يجزئ الصوم من أحد من ذوي الأعداء المذكورة إلا للمسافر مع جهله بالحكم والعائض والنفساء يقضيان وكذا المرضى والمسافر ، ولوزال عندهذين قبل الزوال وجب عليهما بخلاف الآخرين ، ولو حصل عندهما في الأثناء فالمرضى يفطروا ولو قبل الغروب كالمراثنين وأما المسافر فالأصح أنه إن خرج من بيته قبل الزوال أفطروا إن خرج بعده صام واعتد به كما في الصحاح المستفيضة وفيه أقوال أخر ؛ والحامل المقرب والمرضة القليلة اللبن إذا ظنتا الضرر بهما أو بولدهما فطهران وتمصدقان بمد وتفضيان وكذا الشيخ والشيخة وذوالعطاش ، ومد أن لهذه الثلاثة أحسن وأحوط ، وفي وجوب القضاء عليهم خلاف ، وفي الصحيح السقوط .

ويشترط في الصوم النية المعينة الجازمة ولو كان معيناً كرمضان والنذر المعين كفت القربة ووقتها الاختياري فيهما طول الليل والإضطراري إلى الزوال وفي غيرهما إليه

مطلقاً و في النافلة إلى قبيل الغروب كما في الصباح وفي بعضها إن هو نوى الصوم قبل أن تزول الشمس حسب له يومه وإن نواه بعد الزوال حسب له من الوقت الذي نوى فيه ، وفي أجزاء نيّة واحدة لصيام الشهر كلّ خلاف ، ويجزىء صوم يوم الشكّ عن رمضان إذا نواه ندباً ثمّ انكشف أنّه منه للاكتفاء فيه بالقربة ولا يجزىء عنه إذا نواه منه خلافاً للخلاف وإنّما يثبت الهلال بالرؤية ولو انفرد بها إذا لم يشكّ وبمضي ثلاثين من شعبان ، وبشاهدين عدلين متوافقين ، وبالشياخ المفيد للظنّ المتأخّر للعلم لا غير ، ويختلف الحكم باختلاف مطالع البلاد .

و أمّا الواجبات و لوازم الإفساد فيجب الإمساك عن تعمّد الأكل و الشرب والجماع والاستمناء والقيء والكذب^(١) بالاختلاف ، وعن تعمّد البقاء على الجنابة إلى طلوع الفجر في شهر رمضان وقضائه خاصّة على الأقوى الأشهر ، وعن الارتماس في الماء والحقنة بالماء على الأصحّ وإلا فيقضي بغير الأخيرين ، والكذب إن كان الصوم واجباً بالاختلاف ، ويكفر أيضاً بغير القيء على خلاف فيه ، وفي تعمّد البقاء على الجنابة لصوم رمضان بعقوبة رقة ، أو إطعام ستين مسكيناً أو صوم شهرين متتابعين ؛ وللنذر المعين بكفارة اليمين كما يسنّ في القرآن ، ولقضاء رمضان إن أفطر بعد العصر ، وقيل : بعد الزوال بإطعام عشرة ، ومع العجز فصيام ثلاثة .

وفي وجوب القضاء خاصّة بالارتماس ، والحقنة بالماء ، والكذب على الله ورسوله والأئمة عليهم السلام ، أو مع الكفارة أو العدم خلاف ، أمّا الحقنة بالجماد والكذب الآخر فلا يفسد .

و في إيصال الغبار إلى الحلق مطلقاً أو الغليظ منه خاصّة ثمّ في وجوب القضاء به خاصّة أو مع الكفارة أو العدم أقوال .

و في الموثّق عن الرّضا عليه السلام أنّه سئل عن الصائم يدخن بعود أو غير ذلك فتدخل الدخنة في حلقه ؟ قال : لا بأس ؛ وعن الصائم يدخل الغبار في حلقه ؟ قال : لا بأس^(٢) ، وفي معارضه ضعف سنداً ودلالة .

(١) أي على الله تعالى و رسوله والائمة عليهم السلام كما يأتي .

(٢) رواه الشيخ في التهذيب ج ١ ص ٤٤٤ .

وفي الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : « لا يضرُ الصائم ما صنع إذا اجتنب أربع خصال :

الطعام و الشراب و النساء و الارتماس في الماء (١) .

و ليس على الناسي شيءٌ و لا على الموجود في حلقه و لا المكروه و لا المتقي و لا الجاهل بالحكم و القضاء له أحوط و قيل بالكفارة أيضاً .

و من أفطر عامداً في طرفي النهار ثم ظهر أنه وقع نهائراً بالتحقيق فعليه القضاء سواء راعي الوقت أولاً ، و إن بقي على حكم ظنّه واجتهاده فلا قضاء ، و مع الشكّ يجوز فعل المفطر في أول النهار دون آخره .

و إن نام الجنب حتى أصبح فإن كان عازماً على الغسل قبل الفجر فلا قضاء عليه و إلا فيقضي و إن كان عازماً على ترك الطهارة فعليه الكفارة أيضاً .

و يجب الإمساك بقيّة النهار إن عصي بالإفطار أو قصر و يستحبّ في مواضع يأتي بيانها في الباب الثالث .

و يجوز إفساد غير المعيّن قبل الزوال مطلقاً ويكره بعده في غير قضاء رمضان وفيه لا يجوز فيكفر والأفضل للمتطوّع إذا دعي إلى طعام أن يفطر ولو بعد الزوال .

وأما المكروهات فيكره ابتلاع النخامة ، و الريق المتغيّر الطعم بظاهر إذا لم يدخله أجزاء منه ، و صبّ الدواء في الأذن و العين و الأنف إذا لم يبلغ الحلق وفي الإحليل ، و الاكتحال ، و شمّ الرائحة الغليظة وكذا الرياحين و سيماء النرجس ، و الاستنقاع في الماء للمرأة خاصة ، و بلّ الثوب على الجسد ، و الاستيأك بالرطب ، وفي أكثر ذلك قول بالإفساد شاذّ .

و لا بأس بمصّ الخاتم و مضغ الطعام للصبيّ وزقّ الطائر و ذوق المرق ، و يكره النساء تقبيلاً و لمساً و ملاعبة مع ظنّ عدم الإمناه لمن يحرك شهوته بذلك وفعل ما يوجب الضعف من دخول الحمام و إخراج الدم و نحوهما ، و إنشاد الشعر في شهر رمضان ، و السفر بعد دخوله إلا مع الضرورة ، و القول بتحريمه شاذّ .

(١) الفقيه ص ١٧٧ ، و التهذيب ج ١ ص ٤٠٩ و ٤٠٦ و ٤٤٢ .

و تزول الكراهة بمضي "ثلاثة وعشرين يوماً" منه كما في الرواية ^(١) ، و التملّي من الطعام و الشراب للمسافر و الجماع أشدّ كراهة و حرّمه بعضهم .

و اما الصنن فيستحبّ الدعاء عند رؤية هلال رمضان أوّل ليلة و إلاّ فالليلة ثلاث ^(٢) رافعاً يديه مستقبل القبلة لا إليه ، غير مشير نحوه فيقول : « اللّهمّ أهله علينا بالأمن والإيمان ، و السلامة و الإسلام ، و العافية المجلّلة ، و الرزق الواسع ، و دفع الاسقام ، اللّهمّ ارزقنا صيامه و قيامه و تلاوة القرآن فيه ، اللّهمّ سلّمه لنا و تسلمه منا » .

وأن يغتسل في أوّل ليلة منه ، و في ليلة تسع عشرة ، و إحدى وعشرين ، و ثلاث و عشرين .

و إيتان النساء أوّل ليلة منه ، و الدعاء لكلّ ليلة ويوم منه و عند دخوله و اسحاره و وداعه بالمأثور ، و كثرة تلاوة القرآن فيه و قيام ليليه كلّها و خصوصاً فراده ، و الإتيان بالنوافل المختصّة به مع دعواتها المأثورة - و قراءة سورتي العنكبوت و الروم ليلة ثلاث و عشرين ، و سورة القدر فيها ألف مرّة ، و كثرة الجود و البذل في هذا الشهر فإنّه يتضاعف في الأجر ، و تفتير الصائمين .

ففي الخبر « فترك أخاك الصائم خيراً من صيامك » ^(٣) ، و الإفطار على الحلو فإن لم يجد فالماء الفاتر فإنّه يغسل درن القلب ، و تأخيره عن الصلاة إلاّ أن ينتظر إفطاره أو نازعته نفسه .

قال الصادق عليه السلام : « قد حضرك رمضان الإفطار و الصلاة فابدأ بأفضلهما و أفضلهما

(١) التهذيب ج ١ ص ٤١٣ .

(٢) قال شيخنا البهائي - رحمه الله - : وقت الدعاء يمتد بامتداد وقت التسمية هلالاً ، و الأولى عدم تأخيره عن الأول عملاً بالمتيقن عليه لغة و عرفاً ، فان لم يتيسر فمن الثانية لقول أكثر أهل اللغة بالامتداد إليها فان فاتت فمن الثالثة لقول كثير منهم بانها آخر ليليه ، و اما ما ذكره صاحب القاموس و شيخنا الشيخ أبو علي - رحمه الله - من اطلاق الهلال عليه الى السابعة فهو خلاف المشهور لغة و عرفاً و كانه مجاز من قبيل اطلاقه عليه في الليلتين الاخرين .

(٣) الكافي ج ٤ ص ٦٨ ، و التهذيب ج ١ ص ٤٠٩ ، و المحاسن ص ٣٩٦ .

الصلاة، ثم قال : «صَلِّيْ و أَنْتَ صَائِمٌ قَبْلَتْ صَلَاتُكَ تِلْكَ وَتَخْتَمُ بِالصَّوْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ» (١) .
و تقول عند الإفطار : «اللَّهُمَّ لَكَ صَمْنَا وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا فَتَقَبَّلْهُ مِنَّا ذَهَبَ الظَّمَاءُ
وَ ابْتَلَّتْ الْعُرُوقُ وَ بَقِيَ الْأَجْرُ» .

و السحور ففي الخبر «تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجَرَحِ الْمَاءِ أَلَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ» (٢)
و يتأكد في الواجب المعتبرين - و في رمضان أكد ، و أقله الماء و أفضله السويق و التمر ،
و كلما قرب من الفجر كان أفضل .

و الاعتكاف فيه لا سيما في العشر الأخير منه و هي عادة رسول الله ﷺ كان إذا
دخل العشر الآخر طوى الفراش و شدَّ المنزر و دأب و أدأب أهله (٣) أي أداموا
النصب في العبادة إذ فيها ليلة القدر ، و الأغلب أنها في أوتارها و أشبه أوتاره ليلة إحدى
و عشرين و ثلاث و عشرين .

ولا اعتكاف عندنا أقل من ثلاثة أيام و لا في غير مسجد جامع ، و يحرم فيه
النساء جماعاً و لمساً و تقبلاً ، نهاراً و ليلاً ، و كذا المماراة و البيع و الشراء و شم الطيب
و التلذذ بالريحان و الخروج من المسجد إلا لقضاء حاجة أو حضور جمعة أو تشييع جنازة
أو عيادة مريض أو نحوها ، ثم لا يجلس حتى يرجع ، و لا بأس بالصعود إلى السطح
و الخروج ببعض بدنه أو مكرها أو سهواً .

﴿الباب الثاني﴾

﴿في أسرار الصوم و شروطه الباطنة﴾

«اعلم أن للصوم ثلاث درجات : صوم العموم و صوم الخصوص و صوم خصوص الخصوص
أما صوم العموم فهو كفُّ البطن و الفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله .
وأما صوم الخصوص فهو كفُّ السمع و البصر و اللسان و اليد و الرجل و سائر الجوارح
عن الآثام » .

(١) التهذيب ج ١ ص ٤٠٨ رواه عن زياره و فضيل عن أبي جعفر عليه السلام .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٤٠٨ و رواه أيضا في الامالي ص ٣١٧ . وفي المقنعة ص ٥ .

(٣) روى مسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٧٦ مثله .

أقول : وإليه الإشارة بما رواه أصحابنا بإسناد حسن عن الصادق عليه السلام أنه قال :
 « إذا صمت فليصم سمعك و بصرك و شعرك و جلدك - وعدّ أشياء غير هذا - وقال : لا يكون
 يوم صومك كيوم فطرك ^(١) » و زاد في خبر آخر « ودع المرء وأذى الخادم و ليكن عليك
 وقار الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وآله سمع امرأة تسبّ جاريتها وهي صائمة فدعا بطعام
 فقال لها : كلي ، فقالت إني صائمة ، فقال : كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك إن
 الصوم ليس من الطعام والشراب ^(٢) » .

قال أبو حامد : « وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنيّة
 والأفكار الدنيويّة وكفه عما سوى الله بالكليّة ، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما
 سوى الله و اليوم الآخر ، و بالفكر في الدنّيا إلا دنّيا تتراد للدنّين فإنّ ذلك زاد الآخرة
 وليس من الدنّيا حتّى قال أرباب القلوب : من تحرّكت همّته بالتصرف في نهازه لتدبير
 ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فإنّ ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه
 الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقرّبين ولا يطول النظر في تفصيله فوالأول ولكن في
 تحقيقه عملاً فإنّه إقبالٌ بكنه الهمّة على الله وانصراف عن غير الله وتلبّس بمعنى قوله
 تعالى « قل الله ثمّ ذرهم » ^(٣) .

أقول : وإليه الإشارة بما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
 « الصوم جنّة » ^(٤) أي ستر من آفات الدنّيا وحجاب من عذاب الآخرة ، فإنّ صامت فأنو
 بصومك كفّ النفس عن الشهوات وقطع الهمّة عن خطوات الشيطان ، فأنزل نفسك منزلة
 المرضي لامتنهيه طعاماً وشراباً متوقّفاً في كلّ لحظة شفاك من مرض الدنّوب ، و طهر
 باطنك من كلّ كدر و غفلة وظلمة يقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله تعالى ، قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله : « قال الله عزّ وجلّ : الصوم لي وأنا أجزي به » ^(٥) ، فالصوم يميت موادّ

(١) الكافي ج ٤ ص ٨٧ ، والفتاوى ص ١٧٧ . وكذا الخبر الآخر .

(٢) الكافي ج ٤ ص ٨٧ رقم ٣ ، والفتاوى ص ١٧٨ ، والتهذيب ج ١ ص ٤٠٧ .

(٣) الانعام : ٩١ .

(٤) الكافي ج ٤ ص ٦٢ وفيه « الصوم جنة من النار » .

(٥) رواء العامة والخاصة كما مر ، ورواه أحمد ج ١ ص ١٩٥ .

النفس وشهوة الطبع ، وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعماراة الظاهر و الباطن و الشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء و زيادة التضرُّع و الخشوع والبكاء وجبل الإلتجاء إلى الله وسبب انكسار الهمة و تخفيف الحساب و تضعيف الحسنات ، وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرناه منبهاً لمن عقل و وفق لا استعماله .

قال أبو حامد : « وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كفُّ الجوارح عن الآثام و تمامه بستة أمور :

الأوّل غشُّ البصر وكفُّه عن الاتساع في النظر إلى كلّ ما يندم ويُكره ، وإلى كلّ ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله ، قال عليه السلام : « النظره سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاله في قلبه ^(١) » .
وعنه عليه السلام : « خمس يفطرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة و اليمين الكاذبة والنظر بشهوة ^(٢) » .

الثاني حفظ اللسان عن الهذيان ، و الكذب ، و الغيبة ، و النميمة ، و الفحش ، و الجفاء و الخصومة ، و المراء ، و إلزامه السكوت أو شغله بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان ، و قد قال عليه السلام : « إنما الصوم جُنّة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إني صائم ^(٣) » ، وجاء في الخبر ^(٤) « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله عليه السلام فأجهدا الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله عليه السلام تستأذناه في الإفطار ، فأرسل إليهما قدحاً وقال : قل لهما فيئافيه ما أكلتما ، فقادت إحداهما نصفه دماً عبيطاً ولحماً غريضاً ، وقادت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتهما ، فعجب الناس من ذلك ، فقال عليه السلام : ها تان صامتا عما أحلّ الله لهما و أفطرتا على ما حرّم الله عليهما ، فعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان

(١) رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٦٣ .

(٢) قال العراقي : الحديث أخرجه الأزدی في الضعفاء من رواية جابان .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ٣٠٦ و ٣١٣ و ٣٥٦ و ج ٦ ص ٢٤٤ .

(٤) رواه أحمد في المسند كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٧١ .

الناس فهذا ما أكلتنا من لحومهم» .

أقول : و من طريق الخاصة مارواه الصدوق بإسناده إلى النبي ﷺ أنه قال :
« من اغتاب مسلماً بطل صومه و نقض وضوؤه فإن مات وهو كذلك مات و هو مستحل »
لما حرّم الله (١) .

و في الكافي (٢) بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : « إن الكذبة لتفطر الصائم ، قلت :
وأيّنا لا يكوننّ ذلك منه ؟ قال : ليس حيث تذهب إثمًا ذاك الكذب على الله وعلى رسوله
وعلى الأئمة عليهم السلام » .

« الثالث كفّ السمع عن الأصغاء إلى كلّ مكروه لأنّ كلّ ما حرّم قوله حرّم
الإصغاء إليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع للكذب و آكل السحت فقال : « سماعون
للكذب أكلون السحت » (٣) و قال تعالى : « لولا ينهاهم الربّانيون و الأجرار عن
قولهم الإثم و أكلهم السحت » (٤) فالسكوت على الغيبة حرام و قال أيضاً : « إنكم إذا
مثلتم (٥) » ولذلك قال النبي ﷺ : « المغتاب و المستمع شريكان في الإثم » (٦) .

الرابع كفّ بقية الجوارح من اليد و الرجل عن المكروه و كفّ البطن عن الشبهات
وقت الإفطار فلامعنى للصوم و هو كفّ عن الطعام الحلال ، ثمّ الإفطار على الحرام ، فمثال
هذا الصائم مثال من يبني قصرأ و يهدم مصرأ ، فإنّ الطعام الحلال إنّما يضرّ بكثرة
لابنوعه فالصوم لتقليله و تارك الاستكثار من الدّواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول
السمّ كان سقيهاً و الحرام سمّ يهلك الدّين و الحلال دواء ينفع قليله و يضرّ كثيره ، و قصد
الصوم لتقليله و قد قال ﷺ : « كم من صائم ليس له من صومه إلّا الجوع و العطش » (٧) .

(١) رواه في عقاب الاعمال .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٣٤ تحت رقم ٩ .

(٣) المائدة : ٤٢ . (٤) المائدة : ٦٣ .

(٥) النساء : ١٤٠ .

(٦) جامع الاخبار باب الغيبة مثله و قال المراقى : الحديث غريب و للطبراني من

حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيبة و عن الاستماع الى الغيبة

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٤٤١ .

ف قيل : هو الذي يفطر على الحرام ، وقيل : هو الذي يمسك عن الطعام الحلال و يفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام ، وقيل : هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام .
الخامس أن لا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتليء فما من وعاء أبغض إلى الله من بطن مليء من حلال وكيف يستفاد من الصوم فهدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره ، وربما يزيد في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن يدخر جميع الأطعمة لرمضان فيأكل كل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ، ومعلوم أن مقصود الصوم الخوى^(١) وكسر الهوى ليقوي النفس على التقوى ، وإذا دفعت المعدة ضحوة النهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها ، وتضاعفت قوتها ، وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها ، فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في القود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلة التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، وأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلاً فلم ينتفع بصومه ، بل من الآداب أن لا يكثّر النوم بالنهار حتى يحسّ بالجوع والعطش ، ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدر آمن الضعف حتى يخفّ عليه تهيجته وأوراده ، فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء ، وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ^(٢) » ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخالة من الطعام فهو عنه محجوب ، ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتى يخلو همته عن غير الله تعالى وذلك هو الأمر كله ، ومبدء جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله .

السادس أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء إذ ليس بدري أيقبل صومه فهو من المقرّين أو يردّ عليه فهو من الممقوتين ، وليكن كذلك في آخر

(١) الخوى - بفتح المعجمة وفتح الواو مقصوراً - والغواء - ممدوداً :- خلو الجوف من الطعام .

(٢) القدر : ٢ .

كلَّ عبادة يفرغ منها ، فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن أنه مرَّ بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال : « إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل شهر رمضان مضمراً لخلقه ، يستبقون فيه لطاعته ، فسبق أقوامٌ ففازوا ، وتخلَّف أقوامٌ فخابوا ، فالعجب كلَّ العجب للضحك اللابح في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون ، أما والله لو قد كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء عن إساءته » أي كان سرور المقبول يشغله عن اللَّعب ، وحسرة المردود تسدُّ عليه باب الضحك .

أقول : وهذا الخبر رواه في الفقيه (١) في كتاب الصلاة عن الحسن بن عليٍّ عليه السلام ، وفي كتاب الصوم (٢) عن الحسين بن عليٍّ عليه السلام بأدنى تغيير في اللَّفظ .
قال أبو حامد : « فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم .

﴿فصل﴾

فإن قلت : فمن اقتصر على كفِّ شهوة البطن و الفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء : صومه صحيح فما معناه ؟
فاعلم أنَّ فقهاء الظاهر يُثبتون شروطه الظاهرة بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لا سيما الغيبة و أمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكاليفات إلَّا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحتها ، فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول و بالقبول الوصول إلى المقصود و يفهمون أنَّ المقصود من الصوم التخلُّق بخلق من أخلاق الله تعالى ، وهو الصمديَّة و الاقتداء بالملائكة في الكفِّ عن الشهوات بحسب الإمكان ، فإنَّهم منزَّهون عن الشهوات ، و الإنسان رتبة فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، و دون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه و كونه مبتلى بمجاهدتها ، فكلَّمَا انهمك في الشهوات انحط إلى

(١) المصدر ص ١٣٥ تحت رقم ٢٧ .

(٢) المصدر ص ١٩٧ تحت رقم ١٩ .

أسفل السافلين و التحق بعمار البهائم ، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين ،
والتحق بأفق الملائكة ، و الملائكة مقرَّبون من الله ، و الذي يقتدي بهم و يتشبهه
بأخلاقهم يقرب من الله كقربهم ، فإن الشبيه من القريب قريب ، و ليس القرب ثمة
بالمكان بل بالصفات و إذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب و أصحاب القلوب فأَيُّ
جدوى لتأخير أكلة و جمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول
النهار ، ولو كان مثله جدوى فأَيُّ معنى لقوله ﷺ : « كم من صائم ليس له من صومه إلا
الجوع و العطش » ، و لهذا قال أبو الدرداء : يا حبذا نوم الأكياس و فطرمهم ، كيف يغبنون
صوم الحمقى و سهرهم ، و لذرة من ذي يقين و تقوى أفضل و أرجح من أمثال الجبال
عبادة من المغترِّين ؛ و لذلك قال العلماء : كم من صائم مفطر ، و كم من مفطر صائم ؛
و المفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام و يأكل و يشرب ، و الصائم المفطر
هو الذي يجوع و يعطش و يطلق جوارحه ، و من فهم معنى الصوم و سره علم أنَّ مثل
من كفَّ عن الأكل و الجماع و أفطر بمقارفة الآثام كمن مسح كل عضو من أعضائه
في الوضوء و أتى بجميع الآداب و السنن و الأذكار فقد وافق في الفضائل إلا أنه ترك
المهم و هو الفصل ، فصلاته مردودة عليه لجبهله ، و مثل من أفطر بالأكل و صام بجوارحه
عن المكراه كمن غسل أعضائه الواجب غسلها و مسح الواجب مسحه و اقتصر على الفرائض ،
فصلاته صحيحة متقبلة لإحكامه الأصل و إن ترك الفضل ، و مثل من جمع بينهما كمن جمع
بين الأصل و الفضل في الوضوء و هو الكمال ، و قد قال ﷺ : « إنما الصوم أمانة
فليحفظ أحدكم أمانته » ^(١) و « لما تلا قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها » وضع يده على سمعه و بصره فقال : السمع أمانة و البصر أمانة » ^(٢) و لولا
أنه من أمانات الصوم لما قال : « فليقل إنني صائم » أي إنني أودعت لساني لأحفظ فكيف

(١) قال العراقي : أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود في

حديث الامانة والصوم و اسنده حسن .

(٢) الاية في سورة النساء : ٥٨ و الخبر أخرجه ابن أبي حاتم و الحاكم و ابن حبان

و ابوداود كما في الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٥ . بدون قوله : « السمع أمانة و البصر أمانة » .

أطلقه بجوابك ، فإن قد ظهر أن لكل عبادة ظاهراً و باطناً و قشراً و لباً ، و للقشور درجات و لكل درجة طبقات ، فأليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتجسس إلى غمار أرباب الألباب ^(١).

﴿الباب الثالث﴾

﴿ في التطوع بالصيام ﴾

أقول : روى في الفقيه عن علي عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : من صام يوماً تطوعاً أدخله الله عزّ وجلّ الجنة » ^(٢).

و عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من ختم له بصيام يوم دخل الجنة » ^(٣) .
و قال رسول الله ﷺ : « من صام يوماً في سبيل الله كان له كعدل سنة يصومها » ^(٤) .

وقال عليه السلام : « ما من صائم يحضر قوماً يطعمون إلا سبّحت له أعضاؤه وكانت صلاة الملائكة عليه و كانت صلاتهم استغفاراً » ^(٥).

قال : و روى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن محمد بن مروان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « كان رسول الله ﷺ يصوم حتى يقال : لا يفطر ، و يفطر حتى يقال : لا يصوم ، ثمّ صام يوماً و أفطر يوماً ، ثمّ صام الاثنين و الخميس ثمّ آل من ذلك إلى صيام ثلاثة أيام في الشهر : الخميس في أوّل الشهر ، و أربعاء في وسط الشهر و خميس في آخر الشهر ، و كان يقول : ذلك صوم الدهر » .

و قد كان أبي عليه السلام يقول : « ما من أحد أبغض إلى الله عزّ وجلّ من رجل يقال : له : كان رسول الله ﷺ يفعل كذا و كذا ، فيقول : لا يعدّ بني الله على أن أجتهد في

(١) غمار الناس جميعهم المتكاثف (النهاية) .

(٢) الى (٥) المصدر من ١٧١ رقم ٢ و ٣ و ٤ و ٥ .

الصلاة و الصوم كأنه يرى أن رسول الله ﷺ ترك شيئاً من الفضل عجزاً عنه ، (١) .
 و في رواية حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « صام رسول الله ﷺ حتى قيل : ما يفطر ثم أفطر حتى قيل : ما يصوم ، ثم صام صوم داود عليه السلام يوماً ويوماً لا ، ثم قبض ﷺ على صيام ثلاثة أيام في الشهر وقال : يعدلن صوم الدهر ويذهبن بوجهر الصدر ، قال حماد : الوحر الوسوسة ؛ قال حماد فقلت : وأي الأيام هي ؟ قال : أوّل خميس في الشهر ، وأوّل أربعاء بعد العشر منه ، و آخر خميس فيه ، فقلت : وكيف صارت هذه الأيام تصام فيهن ؟ فقال : لأنّ من قبلنا من الأمم كانوا إذا نزل على أحدهم العذاب نزل في هذه الأيام فصام رسول الله ﷺ هذه الأيام لأنها الأيام المخوفة (٢) .
 وروى الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا صام أحدكم الثلاثة الأيام من الشهر فلا يجادلنّ أحداً ولا يجهل ولا يسرع إلى الحلف والإيمان بالله وإن جهل عليه أحد فليتحمل (٣) » .

و روى عبد الله بن المغيرة عن حبيب النخعي قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني عن التطوُّع وعن هذه الثلاثة الأيام إذا أجنب في أوّل الليل فأعلم أنني أجنب فأنام متعمداً حتى ينفجر الفجر أصوم أو لا أصوم ؟ قال : صم (٤) » .
 وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كلّ شهر يذهب ببلايل الصدر ، و صيام ثلاثة أيام في كلّ شهر صيام الدهر ، إن الله عزّ وجلّ يقول : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (٥) » .

و في رواية عبد الله بن سنان قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « إذا كان في أوّل الشهر

(١) المصدر ص ١٦٩ رقم ١ ، والكافي ج ٤ ص ٩٠ رقم ٣ .

(٢) الفقيه ص ١٦٩ رقم ٣ ، والكافي ج ٤ ص ٨٩ رقم ١ .

(٣) الكافي ج ٤ ص ٨٨ تحت رقم ٤ ، وفي الفقيه ص ١٧٠ رقم ٥ .

(٤) الفقيه ص ١٧٠ رقم ٦ .

(٥) الانعام : ١٦٠ . والبلبال : الهم والحزن والوسواس والخبر في الفقيه ص ١٧٠

خميسان فصم أو لهما فإنه أفضل ، وإذا كان في آخر الشهر خميسان فصم آخرهما فإنه أفضل (١) ،

وسئل العالم عليه السلام « عن خميسين يتفقان في آخر العشر (*) فقال : صم الأول فلعلك لا تلحق الثاني (٢) » .

و سأل عيص بن القاسم أبا عبد الله عليه السلام « عمن لم يصم الثلاثة من كل شهر وهو يشتد عليه الصيام هل فيه فداء ؟ فقال : مد من طعام في كل يوم (٣) » .

و روى ابن مسكان عن إبراهيم بن المثنى قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنني قد اشتد علي صوم ثلاثة أيام في كل شهر فما يجزي عني أن أتصدق مكان كل يوم بدرهم ؟ فقال : صدقة درهم أفضل من صيام يوم (٤) » .

وروى الحسن بن محبوب عن الحسن بن أبي حمزة قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : أو لأبي عبد الله عليه السلام : صوم ثلاثة أيام في الشهر آخره في الصيف إلى الشتاء فإني أجده أهون علي ؟ فقال : نعم فاحفظها (٥) » .

وفي رواية ابن بكير عن زرارة « أن صوم الثلاثة الأيام جميع ما جرت به السنة في الصوم (٦) » .

﴿فصل﴾

ومن الصيام المتأكد صوم رجب وشعبان أو ما تيسر منهما فإن رجب شهر أمير المؤمنين عليه السلام وشعبان شهر رسول الله ﷺ كما أن رمضان شهر الله عز وجل ؛ وقد ورد في صومها الحث الأكيد والثواب الجزيل ، وكذا في أبعاضهما على التفصيل يوماً ويومين وثلاثة إلى الثلاثين تطوي ذكرها رومالاختصار .

وفي الفقيه (٧) « روي عن موسى بن جعفر عليه السلام قال : من صام أول يوم من ذي الحجة

(٥) لعل الصواب « آخر الشهر » كما في بعض نسخ الفقيه .

(١) الى (٦) الفقيه ص ١٧٠ رقم ١٨١٠ و ١٨١١ و ١٢١ و ١٣ و ١٤ .

(٧) المصدر ص ١٧١ رقم ٧ .

كتب الله له صوم ثمانين شهراً فإن صام التسع كتب الله عز وجل له صوم الدهر وقال الصادق عليه السلام : « صوم يوم التروية كفارة سنة ويوم عرفة كفارة سنتين » (١) .
وروي « أن في أول ذي الحجة أنزلت توبة داود عليه السلام فمن صام ذلك اليوم كان كفارة سبعين سنة » (٢) .

وروي عن يعقوب بن شعيب قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صوم يوم عرفة قال : إن شئت صمت وإن شئت لم تصم » (٣) .

وروي حنان بن سدير عن أبيه قال : « سألت عن صوم يوم عرفة فقلت : جعلت فداك إنهم يزعمون أنه يعدل صوم سنة ، قال : كان أبي عليه السلام لا يصومه ، قلت : ولم جعلت فداك ؟ قال : يوم عرفة يوم دعاء ومسألة فأنتخوف أن يضعفني عن الدعاء وأكره أن أصومه أنتخوف أن يكون يوم عرفة يوم الأضحى وليس يوم صوم » (٤) .

وروي الحسن بن علي الوشاء قال : « كنت مع أبي وأنا غلام فتعشينا عند الرضا عليه السلام ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ، فقال له : ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم ، وولد فيها عيسى ابن مريم ، وفيها دحيت الأرض من تحت الكعبة ، فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستين شهراً » (٥) .

وروي « أن في تسع وعشرين من ذي القعدة أنزل الله عز وجل الكعبة وهي أول رحمة نزلت فمن صام ذلك اليوم كان كفارة سبعين سنة » (٦) .

وروي الحسن بن راشد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قلت : جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين ؟ قال : نعم يا حسن وأعظمهما وأشرفهما ، قال : قلت له : فأَيُّ يوم هو ؟ قال : يوم نصب أمير المؤمنين علي عليه السلام علماً للناس ، قلت : جعلت فداك وأيُّ يوم هو ؟ قال : إن الأيام تدور وهو يوم ثمانية عشر من ذي الحجة ، قال : جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه ؟ قال : تصومه باحسن وتكثر فيه الصلاة على محمد وأهل بيته وآلهم وتبرأ إلى الله عز وجل ممن ظلمهم حقهم ، فإن الأنبياء عليهم السلام كانت تأمر الأوصياء باليوم الذي كان يقام فيه الوصي أن يتخذ عيداً ، قال : قلت : ما لمن صامه منّا ؟ قال : صيام ستين

شهرًا ولا تدع صيام يوم سبعة وعشرين من رجب فإنه هو اليوم الذي أنزلت فيه النبوة على محمد ﷺ وثوابه مثل ستين شهرًا لكم» (١).

و روى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « صوم يوم غدیر خم كفارة ستين سنة » (٢).

و « في أول يوم من المحرم دعا زكريا عليه السلام ربه عز وجل فمن صام ذلك اليوم استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام » (٣).

قال : (٤) وسأل محمد بن مسلم وزرارة بن أعين أبا جعفر الباقر عليه السلام عن صوم يوم عاشورا فقال : « كان صومه قبل شهر رمضان فلما نزل شهر رمضان تركه ».

أقول : ويؤيد ذلك ما ورد عن أهل البيت عليه السلام أيضاً « أن من صامه كان حظّه من ذلك حظّ ابن مرجانة وآل زياد وهو النار » (٥).

وأما ما ورد « أن صومه كفارة سنة » (٦) ، فمحمول على التقية أو على الإمساك إلى العصر على وجه الحزن كما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : « صمه من غير تبذير وأفطره من غير تشميت ، ولا تجعله يوم صوم كملأ ، وليكن إفطارك بعد العصر بساعة على شربة من ماء فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيعة عن آل رسول الله ﷺ وانكشفت الملحمة عنهم » (٧).

وينبغي العمل على هذا الحديث لا اعتبار سنده ، ومثل هذا الصوم يسمى بصوم التأديب وهو الإمساك عن المفطرات في بعض النهار تشبيهاً بالصائمين ، وهو ثابت في سبعة مواطن غير هذا بالنص والإجماع : المسافر إذا قدم أهله أو بلداً يعزم فيه إقامة عشرة فما زاد بعد الزوال أو قبله وقد أفطر ، وكذا المريض إذا برئ ، والحائض والنفساء إذا طهرتا في أثناء

(١) إلى (٣) المصدر من ١٧١ رقم ١٩ و ٢٠ و ٢١.

(٤) يعنى الصدوق رحمه الله - فى الفقيه من ١٧١ تحت رقم ١ .

(٥) التهذيب ج ١ ص ٤٣٧ ، الكافي ج ٤ ص ١٤٧ .

(٦) التهذيب ج ١ ص ٤٣٧ ، الاستبصار ج ٢ ص ١٣٤ .

(٧) رواه الشيخ فى مصباح المتجهد ص ٥٤٧ . وفى النهاية الملحمة هى الحرب

و موضع القتال .

النهار ، والكافر إذا أسلم ، والصبي إذا بلغ ، والمجنون إذا أفاق ، وكذا المغمى عليه ، ويلحق به تمرين الصبي لتسع سنين .

﴿فصل﴾

يحرم صوم العيدين وأيام التشريق لمن كان بمنى ، ويوم الشك بنية رمضان ، وصوم المرأة والمملوك ندباً بغير إذن الزوج والمولى ؛ وفي المرض والسفر إلا ما استثنى ؛ وصوم الصمت والوصال .

وفي الفقيه روى معاوية بن عمار قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صيام أيام التشريق ، قال : إنما نهى رسول الله ﷺ عن صيامها بمنى فأما بغيرها فلا بأس ، ونهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصيام وكان يواصل فقيل له في ذلك ، فقال : إنني لست كأحدكم إنني أظل عند ربي فيطعمني ويسقيني ^(١) . »

وقال الصادق عليه السلام : « الوصال الذي نهى عنه هو أن يجعل الرجل عشاءه سحوره ^(٢) ، وسأل زرارة أبا عبد الله عليه السلام عن صوم الدهر ، فقال : لم يزل مكروهاً ، وقال : لا وصال في صيام ولا صمت يوماً إلى الليل ^(٤) . »

وفي حديث الزهري ^(٥) عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : « وأما الصوم الحرام فصوم يوم الفطر ويوم الأضحي وثلاثة أيام التشريق وصوم يوم الشك أمرنا به ونهيناعنه ، أمرنا أن نصومه مع شعبان ونهيناعنه أن يتفرّد الرجل بصيامه في اليوم الذي يشك فيه الناس ، فقلت له : جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع قال : ينوي ليلة الشك أنه صائم من شعبان فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه وإن كان من شعبان لم يضره ، فقلت له : وكيف يجزىء صوم تطوّل عن صوم فريضة ؟ فقال : لو أن رجلاً صام يوماً من شهر رمضان تطوّلًا وهو لا يدري ولا يعلم أنه من شهر رمضان ثم علم بعد ذلك أجزأ عنه لأن الفرض إنما وقع على اليوم بعينه ، وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرام ، وصوم نذر المعصية حرام ، وصوم الدهر حرام . »

(١) الى (٤) الفقيه من ١٩٦ و ١٩٧ تحت رقم ٧٠٩ و ١١١٠ .

(٥) الكافي ج ٤ ص ٧٥ ، والفقيه من ١٦٩ .

قال عليه السلام : « وأما الصوم الذي يكون صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين ، وصوم البيض ، وصوم ستة أيام من شوال بعد شهر رمضان ، وصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء كل ذلك صاحبه فيه بالخيار ، إن شاء صام وإن شاء أفطر .
أقول : يعني أن هذه الأيام ليست لها مزية على سائر الأيام للصيام كما زعمته العامة .
قال عليه السلام : « وأما الصوم في السفر والمرضى فإن العامة اختلفت فيه فقال قوم : يصوم ، وقال قوم : لا يصوم ، وقال قوم : إن شاء صام وإن شاء أفطر ، فأما نحن فنقول : يفطر في الحالتين جميعاً فإن صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء وذلك لأن الله عز وجل يقول : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » .
وذكر الصدوق في علل الشرايع ^(١) أن صوم أيام البيض منسوخ بصوم الخميس والأربعاء وربما يشعر به بعض النصوص وفسر بعض علمائنا الأيام البيض بذلك والمشهور خلافهما .

وأما صوم الستة الأيام فقد ورد في بعض الأخبار من طريقنا أيضاً إلا أن في الصحيح « لاصيام بعد الأضحى ثلاثة أيام ولا بعد الفطر ثلاثة أيام أكل وشرب ^(٢) » وهو المعتمد .
وفي الققيه أيضاً « روى الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إذا دخل رجل بلدة فهو ضيف على من بها من أهل دينه حتى يرحل عنهم ، ولا ينبغي للضيف أن يصوم إلا بإذنهم لئلا يعملوا شيئاً يفسد ، ولا ينبغي لهم أن يصوموا إلا بإذن الضيف لئلا يحتشمهم فيشتهي فيتركه لهم ^(٣) » .

و روى نسيط بن صالح عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : من فقه الضيف أن لا يصوم تطوعاً إلا بإذن صاحبه ، ومن طاعة المرأة لزوجها أن لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه وأمره ، ومن صلاح العبد وطاعته ونصيحته لمولاه أن لا يصوم تطوعاً إلا بإذن مولاه ، ومن بر الولد بأبيه أن لا يصوم تطوعاً إلا بإذن أبيه وأمرهما ، وإلا كان الضيف جاهلاً وكانت المرأة عاصية و كان العبد فاسقاً عاصياً ، و كان

(١) المصدر ص ١٣٣ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٤٤٥ ، والكافي ج ٤ ص ١٤٨ .

(٣) المصدر ص ١٩١ تحت رقم ٢٠١ باب صوم الاذن .

الولدعاقاً» (١) .

قال : (٢) وروى الأخبار والآثار عن الأئمة عليهم السلام « أنه لا يجوز أن يتطوع الرجل بالصيام وعليه شيء من الفرض » وممن روى ذلك الحلبي وأبو الصباح الكناني عن أبي عبد الله عليه السلام .

قال : (٣) وروى داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لا يفطارك في منزل أخيك أفضل من صيامك سبعين ضعفاً أو تسعين ضعفاً » .

و روى جميل بن دراج عنه عليه السلام أنه قال : « من دخل على أخيه وهو صائم فافطر عنده ولم يعلمه بصومه فيمن عليه كتب الله له صوم سنة » (٤) ، قال : وقال مصنف هذا الكتاب - رحمه الله - : هذا في السنة والتطوع جميعاً .

أقول : أراد بالسنة صوم الثلاثة الأيام من كل شهر وبالتطوع ما عداه من الصيام المستحب .

قال أبو حامد : « وإن ظهر أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية القلب وتفريق الهم لله ، والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم ، وقد يقتضي دوام الفطر ، وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم ، فإذا فهم المعنى وتحقق حدّه في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيباً مستمراً ، ولذلك روي « أنه عليه السلام كان يصوم حتى يقال : إنه لا يفطر ويفطر حتى يقال : لا يصوم ، وينام حتى يقال : لا يقوم ويقوم حتى يقال : لا ينام » (٥) وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات والحمد لله .

هذا آخر كتاب أسرار الصيام ومهماته من المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الحج ومهماته والحمد لله أولاً وآخراً .

(١) المصدر ص ١٩١ تحت رقم ٢ باب صوم الاذن .

(٢) الفقيه ص ١٨٦ رقم ١ .

(٣) و(٤) الفقيه ص ١٧٠ تحت رقم ١٥ و١٦ و١٧ .

(٥) مرصد الحديث آنفاً .

كتاب أسرار الحج ومهمات

وهو الكتاب السابع من ربيع العبادات من المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزاً وحصناً ، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمناً ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفاً وتخصيصاً ومنياً ، وجعل زيارته والتطواف به حجاباً بين العبد وبين العذاب ومجنناً ، والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الأمة وعلى آله المعصومين وأصحابه المرضيين قادة الحق وسادة الخلق ، وسلم تسليمًا كثيراً. أما بعد فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر ، وتمام الإسلام ، وكمال الدين فيه ، قال النبي ﷺ : « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً »^(١).

أقول : ومن طريق الخاصة ما ورد في الصحيح عن الصادق عليه السلام : « من مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه منه فليمت يهودياً أو نصرانياً »^(٢).

قال أبو حامد : « فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقد الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال ، وأجلد بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها ، وجملة ذلك تنكشف بتوفيق الله في ثلاثة أبواب : الباب الأول

(١) قال العراقي : أخرجه ابن عدى . أقول : أخرجه نحوه ابن مردويه بإسناده عن

علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله كما في تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٦ .

(٢) الفقيه ص ٢٦٥ تحت رقم ٣ ، والكافي ج ٤ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ وقوله : « تجحف »

في القاموس أجحف به : ذهب ، وبه الفاقة : أقرته الفاقة وإيضاً قاربه ودنا منه ، وحمل

على البهالة .

في فضائل مكة و البيت العتيق و جعل أركانها و شرائط و جوبها ؛ الباب الثاني في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدء السفر إلى الرُّجوع ؛ الباب الثالث في آدابها الدقيقة ، وأسرارها الخفية ، وأعمالها الباطنة .

فلنبده بالباب الأول وفيه فصلان : الفصل الأول في فضائل الحج والبيت و مكة والمدينة وشد الرحال إلى المشاهد .

﴿ فضيلة الحج ﴾

قال الله تعالى : « و أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ^(١) ، قَالَ قَتَادَةُ : لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج نادى يا أيها الناس إِنْ لَّهِ بَيْتٌ فَحُجُّوهُ فَأَسْمِعَ اللَّهُ نِدَاءَهُ كُلِّ مَنْ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَحُجَّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَوْ قَالَ : وفي الفقيه « أَنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام نادى هَلُمَّ إِلَى الْحَجِّ هَلُمَّ إِلَى الْحَجِّ فُلُوْا نَادَاهُمْ هَلُمَّوْا إِلَى الْحَجِّ لَمْ يَحُجَّ إِلَّا مَنْ كَانَ يَوْمئِذٍ إِنْسِيًّا مَخْلُوقًا وَلَكِنَّهُ نَادَى هَلُمَّ إِلَى الْحَجِّ ، فَلَبَّى النَّاسُ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ ، فَمَنْ لَبَّى مَرَّةً حَجٌّ حَجَّةً ، وَمَنْ لَبَّى عَشْرًا حَجٌّ عَشْرَ حَجَجٍ ، وَمَنْ لَمْ يَلْبَ لَمْ يَحُجَّ » ^(٢) . وفيه قال الله تعالى : « فَرَّوْا إِلَى اللَّهِ » ^(٣) يعني حجوا إلى الله ومن اتخذ محملاً للحج كان كمن ارتبط فرساً في سبيل الله ^(٤) .

قال : وروي أن الجبارجل جلاله يقول : « إِنْ عَبْدًا أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ وَأَجْمَلْتَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزِرْنِي فِي هَذَا الْمَكَانِ فِي كُلِّ خَمْسِ سِنِينَ لِمَحْرُومٍ » ^(٥) :

وقال أبو جعفر عليه السلام : « مَا مِنْ عَبْدٍ يُوَثِّرُ عَلَى الْحَجِّ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا إِلَّا نَظَرَ إِلَى الْمُحَلِّفِينَ قَدْ انْصَرَفُوا قَبْلَ أَنْ يَقْضَى لَهُ تِلْكَ الْحَاجَةُ » ^(٦) .

(١) الحج : ٢٧ والضاير : البعير والفرس المهزول .

(٢) المصدر ص ٢١٢ باب نكت في حج الانبياء والمرسلين .

(٣) الذاريات : ٥٠ .

(٤) الفقيه ص ٢٠٤ باب فضائل الحج .

(٥) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٣٠ .

(٦) الفقيه ص ٢٥٨ باب علة التغلف عن الحج .

وقال الصادق عليه السلام : « ما تخلف رجلٌ عن الحجِّ إلا بذنب ، وما يعفو الله أكثر ^(١) » .
و « سئل عليه السلام عن رجل ذي دين يستدين ويحجُّ ؟ فقال : نعم هو أفضى للدين ، انتهى كلام الفقيه ^(٢) » .

و في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام : « أن رسول الله ﷺ لقيه أعرابيٌّ فقال : يا رسول الله إنني خرجت أريد الحجَّ ففانني وأنا رجلٌ ميلٌ ^(٣) فمرني أن أصنع في مالي ما أبلغ به مثل أجر الحاجِّ » ، قال : فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال : انظر إلى أبي قبيس فلو أن أبا قبيس لك ذهبة همراء أفقفت في سبيل الله ما بلغت ما يبلغ الحاجُّ ، ثم قال : إن الحاجَّ إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلا كتب له عشر حسنات ، ومحا عنه عشرين سيئات ، ورفع له عشر درجات ، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفاً ولم يضعه إلا كتب الله له مثل ذلك ، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه ، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه ، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه ، فإذا رمى الجمار خرج من ذنوبه ، [قال : فعد رسول الله ﷺ كذا وكذا موقفاً إذا واقفها الحاجُّ خرج من ذنوبه] ، ثم قال : أتى لك أن تبلغ ما تبلغه الحاجُّ ، قال أبو عبد الله عليه السلام : ولا يكتب عليه الذنوب أربعة أشهر ويكتب له الحسنات إلا أن يأتي بكبيرة ^(٤) .

و في الصحيح عن معاوية بن عمار عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : الحجُّ والعمره ينفيان الفقر كما ينفي الكير خبث الحديد ، قال معاوية : فقلت : حجة أفضل أو عتق رقبة ؟ قال : حجة أفضل ، قلت : فثنتين ؟ قال : حجة أفضل ، فلم أزل أزيد ويقول : حجة أفضل حتى بلغت ثلاثين رقبة ، فقال : حجة أفضل ^(٥) » .

و في الصحيح « الحاجُّ ثلاثة أصناف : صنف يعتق من النار ، وصنف يخرج من

(١) الفقيه باب علة التخلف عن الحج من ٢٥٨ ، وفي الكافي ج ٤ ص ٢٧٠ نحوه .

(٢) المصدر من ٢٦٢ تحت رقم ٥ .

(٣) يعني كثير المال وفي بعض النسخ [اني رجل ميل] وهو بمعناه .

(٤) التهذيب ج ١ ص ٤٤٧ حسبما رقمناه .

(٥) التهذيب ج ١ ص ٤٤٨ .

ذنبه كبشة يوم ولدته أمه ، وصنف يحفظ في أهله و ماله و هو أدنى ما يرجع به الحاج (١) .

و في الفقيه « قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ما من مهل يهل بالتلبية إلا أهل من عن يمينه من شيء إلى مقطع التراب و من عن يساره إلى مقطع التراب ، و قال له الملكان : أبشر يا عبد الله و ما يبشر الله عبداً إلا بالجنة ، و من لبس في إحرامه سبعين مرة إيماناً و احتساباً أشهد الله له ألف ملك براءة من النار و براءة من النفاق ، و من انتهى إلى الحرم فنزول و اغتسل و أخذ نعليه بيده ، ثم دخل الحرم حافياً تواضعاً لله عز وجل محامداً عنه مائة ألف سيئة و كتب الله له مائة ألف حسنة و بنى له مائة ألف درجة و قضى له مائة ألف حاجة ، و من دخل مكة بسكينة غفر الله له ذنبه و هو أن يدخلها غير متكبر و لا متعبر و من دخل المسجد حافياً على سكينة و وقار و خشوع غفر الله له ، و من نظر إلى الكعبة عارفاً بحقها غفر الله له ذنبه و كفى ما أهمته » (٢) .

و فيه « قال علي بن الحسين (عليهما السلام) : الساعي بين الصفا و المروة تشفع له الملائكة فتشفع فيه بالإيجاب » (٣) .

و قال أبو جعفر (عليه السلام) : « ما يقف أحد على تلك الجبال ير ولا فاجر إلا استجاب الله له فأما البر فيستجاب له في آخرته و أما الفاجر فيستجاب له في دنياه » (٤) .

و قال الصادق (عليه السلام) : « ما من رجل من أهل كورة وقف بعرفة من المؤمنين إلا غفر الله عز وجل لأهل تلك الكورة من المؤمنين و ما من رجل وقف بعرفة من أهل بيت من المؤمنين إلا غفر الله لأهل ذلك البيت من المؤمنين » (٥) .

و فيه « و أعظم الناس جرماً من أهل عرفات الذي ينصرف من عرفات وهو يظن

(١) الكافي ج ٤ ص ٢٥٣ ، و التهذيب ج ١ ص ٢٤٨ .

(٢) المصدر ص ٢٠٥ تحت رقم ٣ .

(٣) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٢٤ .

(٤) الفقيه ص ٢٠٧ تحت رقم ٣٢ .

(٥) الفقيه ص ٢٠٧ تحت رقم ٣٣ .

أنه لم يغفر له - يعني الذي يقنط من رحمة الله عز وجل - ، (١) .
 وأسند أبو حامد إلى الحديث من طريق أهل البيت عليهم السلام .
 قال : « و يقال : إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة وقد أسنده
 جعفر بن محمد عليه السلام إلى رسول الله ﷺ » .

وفي الفقيه قال الصادق عليه السلام : « من حجّ حجة الإسلام فقد حلّ عقدة من النار
 من عنقه ، و من حجّ حجتين لم ينزل في خير حتى يموت ، و من حجّ ثلاث حجج متوالية
 ثم حجّ أو لم يحجّ فهو بمنزلة مد من الحجّ » (٢) .
 و روي « أن من حجّ ثلاث حجج لم يصبه فقر أبداً ، و أيما بعير حجّ عليه ثلاث
 سنين جعل من نعم الجنة - و روي سبع سنين - » (٣) .

و قال الرضا عليه السلام : « من حجّ بثلاثة من المؤمنين فقد اشترى نفسه من الله عز
 وجلّ بالثمن و لم يسأله من أين اكتسب ماله من حلال أو حرام » (٤) و من حجّ أربع حجج
 لم يصبه ضغطة القبر أبداً و إذا مات صور الله عز وجلّ الحجج التي حجّ في صورة حسنة أحسن
 ما يكون من الصور بين عينيه تصلي في جوف قبره حتى يبعثه الله عز وجلّ من قبره ،
 و يكون ثواب تلك الصلاة له ، و اعلم أن الركعة من تلك الصلاة تعدل ألف ركعة من
 صلاة الآدميين ، و من حجّ خمس حجج لم يعدّ به الله أبداً ، و من حجّ عشر حجج
 لم يحاسبه الله أبداً ، و من حجّ عشرين حجة لم يرجعهم و لم يسمع شهيقها ولا زفيرها ،
 و من حجّ أربعين حجة قيل له : اشفع فيمن أحببت و يفتح له باب من أبواب الجنة ،
 يدخل منه هو و من يشفع له ، و من حجّ خمسين حجة بني له مدينة في جنة عدن فيها
 ألف قصر ، في كل قصر ألف حوراء من حور العين ، و ألف زوجة ، و يجعل من رفقاء

(١) المصدر ص ٢٠٧ رقم ٣٦ .

(٢) و (٣) المصدر ٢٠٨ تحت رقم ٤٨ و ٤٩ .

(٤) قال الصدوق في العيون بعد نقل تمام الخبر: يعني بذلك أنه لم يسأله عما وقع
 في ماله من الشبهة ويرضى عنه خصمائه بالعوض . و قال المؤلف بعد نقله في الوافي :
 لعل ذلك بشرط التوبة وعدم معرفة أصعاب المال بأعيانهم ليرده عليهم .

عند رَأَيْتُكَ فِي الْجَنَّةِ ، و من حجَّ أكثر من خمسين حجة كان كمن حجَّ خمسين حجة مع محمد و الأوصياء صلوات الله عليهم و كان ممن يزوره الله تبارك و تعالى كل جمعة وهو ممن يدخل جنة عدن التي خلقها الله عزَّ و جلَّ بيده ، و لم ترها عين ، و لم يطلع عليها مخلوق ، و ما من أحد يكثر الحجَّ إلَّا بنى الله عزَّ و جلَّ له بكل حجة مدينة في الجنة فيها غرف في كل غرفة منها حوراء من حور العين ، مع كل حوراء ثلاثمائة جارية لم ينظر الناس إلى مثلهنَّ حسناً وجمالاً» (١).

و قال الصادق عليه السلام من حجَّ سنة و سنة لا فهو ممن أدام الحجَّ» (٢).

و قال إسحاق بن عمار قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « إني قد وطنت نفسي على لزوم الحج كل عام بنفسي أو يرجل من أهل بيتي بمالي ، فقال : و قد عزمت على ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : إن فعلت ذلك فأيقن بكثرة المال أو أبشر بكثرة المال » (٣).

و روي « أنه ما تقرَّب العبد إلى الله عزَّ و جلَّ بشيء أحبَّ إليه من المشي إلى بيته الحرام على القدمين ، و أنَّ الحجة الواحدة تعدل سبعين حجة ، و من مشى عن جملة كتب الله له ثواب ما بين مشيه و ركوبه ، و الحاج إذا انقطع شمع نعله كتب الله له ثواب ما بين مشيه حافياً إلى متنعله ، و الحج ركباً أفضل منه ماشياً لأنَّ رسول الله صلى الله عليه و آله حجَّ ركباً» (٤).

و الجمع ما بين الخيرين في هذا المعنى ما رواه أبو بصير عن الصادق عليه السلام « أنه سأله عن المشي أفضل أو الركوب ؟ فقال : إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أقلَّ لنفقتة ، فالركوب أفضل» (٥).

و كان الحسن بن علي عليه السلام يمشي و تساق معه المحامل و الرجال» (٦).

و قد روي « أنَّ الحجَّ أفضل من الصلاة و الصيام لأنَّ المصلِّي إنما يشتغل عن أهله ساعة و أنَّ الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم و أنَّ الحاجَّ يشخص بدنه ، و يضحى نفسه ، و ينفق ماله ، و يطيل الغيبة عن أهله لا في مال يرجوه ولا إلى تجارة» (٧).

(١) إلى (٦) الفقيه ص ٢٠٨ رقم ٥١ إلى ٥٥ .

(٧) الفقيه ص ٢٠٩ تحت رقم ٧٠ .

و روي عن إسحاق بن عمار قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن رجلاً استشارني في الحجّ وكان ضعيف الحال فأشرت عليه أن لا يحجّ ، فقال : ما أخلقك أن تمرض سنة قال : فمرضت سنة » (١) .

وقال الصادق عليه السلام : « ليحذر أحدكم أن يعوق أخاه عن الحجّ فتصيبه فتنة في دينه مع ما يدخر له في الآخرة » (٢) .

وسئل الصادق عليه السلام عن الرجل يحجّ عن آخر ، له من الأجر والثواب شيء ؟ فقال : « للذي يحجّ عن الرجل أجر وثواب عشر حجج ، ويغفر له ولأبيه ولأُمّه ولابنه ولا بنته ولأخيه ولأخته ولعمته ولعمته ولخاله ولخالته ، إن الله واسع كريم » (٣) .
وقال الصادق عليه السلام : « من حجّ عن إنسان اشتركا حتى إذا قضى طواف الفريضة انقطعت الشراكة ، فما كان بعد ذلك من عمل كان لذلك الحاج » (٤) .

وقال الصادق عليه السلام : « لو أشرت ألفاً في حجّتك كان لكل واحد حجّ من غير أن ينقص من حجّتك شيء » (٥) .

وروي « أن الله تبارك وتعالى جاعلٌ له ولهم حجّاً وله أجرٌ لصلته إياهم » (٦) .
وقال الصادق عليه السلام : « من أنفق درهماً في الحجّ كان خيراً له من مائة ألف درهم ينفقها في حق » (٧) .

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام : « يا معشر من لم يحجّ استبشروا بالحاجّ إذا قدموا فصافحوهم وعظموهم فإنّ ذلك يجب عليكم ، تشاركوهم في الأجر » (٨) .

وقال عليه السلام : « بادروا بالسلام على الحاجّ والمعتمرين ومصافحتهم من قبل أن يخالطهم الذنوب » (٩) .

(١) إلى (٣) الفقيه ص ٢٠٩ تحت رقم ٦٨ و ٦٩ و ٨٣ وقوله : « ما أخلقك » أي ما أليق بك ذلك .

(٤) و (٥) و (٦) المصدر ص ٢١٠ رقم ٧٤ و ٧٥ و ٧٧ .

(٧) الكافي ج ٤ ص ٢٥٥ تحت رقم ١٥ .

(٨) المصدر ج ٤ ص ٢٦٤ تحت رقم ٤٨ .

(٩) المصدر ج ٤ ص ٢٥٦ تحت رقم ١٧ .

﴿ فضيلة البيت ومكة ﴾

في الفقيه قال أبو جعفر عليه السلام : لما أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن متن الماء حتى صار موجاً ، ثم أزيد فصار زبدًا واحداً فجمعه في موضع البيت ، ثم جعله جبلاً من زبد ، ثم دحا الأرض من تحته وهو قول الله عز وجل : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً » ^(١) فأول بيت خلقت من الأرض الكعبة ، ثم مدت الأرض منها ، ^(٢) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : « أتى آدم عليه السلام هذا البيت ألف أمية على قدميه ، منها سبعمائة حبة و ثلاثمائة عمرة ، و كان يأتيه من ناحية الشام ، وكان يحج على ثور ، و المكان الذي تيب فيه عليه الحطيم ، و هو ما بين باب البيت و الحجر الأسود ، و طاف آدم قبل أن ينظر إلى حواء مائة عام ، و قال له جبرئيل عليه السلام : حيّاك الله ولباك - يعني أصلحك - ، ^(٣) .

وقال الصادق عليه السلام : « لما أفاض آدم من منى تلقته الملائكة بالأطعم فقالوا : يا آدم برحمتك أما إنما قد حججنا هذا البيت قبل أن تصحبه بألفي عام ، ^(٤) .

و روى سعيد بن عبد الله الأعرج عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « أحب الأرض إلى الله عز وجل مكة ، ما تربة أحب إلى الله عز وجل من تربتها ، ولا حجر أحب إلى الله عز وجل من حجرها ، ولا شجر أحب إلى الله عز وجل من شجرها ، ولا جبال أحب إلى الله عز وجل من جبالها ، ولا ماء أحب إلى الله عز وجل من مائها ، ^(٥) .

و في خير آخر « ما خلق الله تبارك و تعالى بقعة في الأرض أحب إليه منها - و أو ما يبدنه نحو الكعبة - و لا أكرم على الله عز وجل منها ، لها حرم الله الأشهر الحرم

(١) آل عمران : ٩٥ .

(٢) المصدر باب ابتداء الكعبة و فضائلها . ص ٢١٤ . و في الكافي ج ٤ ص ١٨٩ .

(٣) المصدر ص ٢١١ باب نكت في حج الانبياء و في بعض نسخه « حيّاك الله و يياك » .

(٤) الكافي ج ٤ ص ١٩٤ تحت رقم ٣ .

(٥) الفقيه ص ٢١٥ تحت رقم ٨ .

في كتابه يوم خلق السماوات والأرض ، (١) .

و روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : « إن الله عز وجل اختار من كل شيء شيئاً ، واختار من الأرض موضع الكعبة » (٢) .

و قال عليه السلام : « لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة » (٣) .

و روي عن أبي حمزة الثمالي قال : قال لنا علي بن الحسين عليه السلام : « أي البقاع أفضل ؟ قلت : الله و رسوله و ابن رسوله أعلم ، فقال : أما أفضل البقاع ما بين الركن و المقام و لو أن رجلاً عمر ما عمر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يصوم النهار و يقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي الله عز وجل بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً » (٤) .
و قال علي بن الحسين عليه السلام : « من ختم القرآن بمكة لم يموت حتى يرى رسول الله ﷺ ، و يرى منزله من الجنة ، و تسبيحة بمكة تعدل خراج العراقيين ينفق في سبيل الله ، و من صلى بمكة سبعين ركعة قرأ في كل ركعة بقل هو الله أحد ، و إننا أنزلناه ، و آية السخرة (٥) ، و آية الكرسي لم يموت إلا شهيداً ، و الطاعم بمكة كالصائم فيما سواها ، و صيام يوم بمكة تعدل صيام سنة فيما سواها ، و الماشي بمكة في عبادة الله عز وجل » (٦) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : « من جاور سنة بمكة غفر الله له ذنوبه و لأهل بيته و لكل من استغفر له و لعشيرته و لجيرانه ذنوب تسع سنين وقد مضت ، و عصموا من كل سوء أربعين ومائة سنة ، و الانصراف و الرجوع أفضل من المجاورة ، و النائم بمكة كالمجتهد في البلدان ، و الساجد بمكة كالمتشحط بدعه في سبيل الله ، و من خلف حاجاً في أهله بخير كان له كأجره حتى كأنه يستلم الحجر » (٧) .

و قال الصادق عليه السلام : « إن الله تبارك و تعالی حول الكعبة عشرين و مائة رحمة

(١) الى (٤) القبة ص ٢١٥ تحت رقم ٩ الى ١١ و رقم ١٨ .

(٥) المراد منها قوله تعالى في سورة الاعراف آية ٥٤ الى ٥٦ « ان ربكم الله الذي خلق

السماوات و الارض . الى قوله - ان رحمة الله قريب من المحسنين » .

(٦) و (٧) القبة ص ٢١١ تحت رقم ٩١ و ٩٢ .

منها ستون للطائفين ، و أربعون للمصلين ، و عشرون للناظرين ،^(١) .
و روي « أن من نظر إلى الكعبة لم يزل يكتب له حسنة و يمحي عنه سيئة حتى يصرف بصره »^(٢) .

و قال الصادق عليه السلام : « الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه الجنة ، و قال : فيه باب من أبواب الجنة لم يفتح منذ فتح ، وفيه نهر من الجنة يلقى فيه أعمال العباد »^(٣) .

و روي « أنه يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه »^(٤) .
و روي « أنه من روى من ماء زمزم أحدث له به شفاء ، و صرف عنه داء ، و كان رسول الله ﷺ يستهدي ماء زمزم وهو بالمدينة »^(٥) .

قال أبو حامد : « قال النبي ﷺ : « إن الله وعد هذا البيت أن يحجبه في كل سنة ستمائة ألف ، فإن نقصوا أكملهم الله باللائكة ، و إن الكعبة تحشر كالعروس المزفوف و كل من حجها يتعلق بأستارها يسمعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها »^(٦) .

و في الخبر « أن الحجر يا قومة من يواقيت الجنة و أنه يبعث يوم القيامة له عينان و لسان ينطق به و يشهد لمن استلمه بحق و صدق »^(٧) و كان ﷺ يقبله كثيراً^(٨) .

و روي « أنه سجد عليه ، و كان يطوف على الراحلة و يضع المحجن عليه ثم يقبل

(١) المصدر ص ٢٠٦ تحت رقم ١٥ .

(٢) الكافي ج ٤ ص ٢٤٠ تحت رقم ٤ .

(٣) إلى (٥) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٢٠ إلى ٢٢ .

(٦) قال العراقي : لم أجد لهذا الحديث أصلاً .

(٧) أخرجه الطبراني في مسنده الكبير من طريق بكر بن محمد بأدنى اختلاف كما

في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٤٢ . ونحوه الترمذي في الصحيح ج ٤ ص ١٨٢ و ١٠٨ .

(٨) راجع في كل ذلك مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٤١ و سنن النسائي ج ٥ ص ٢٣٣

وصحيح البخاري ج ٢ ص ١٧٦ وصحيح مسلم ج ٤ ص ٦٦ وصحيح الترمذي ج ٤ ص ٩٣ .

طرف المحجن (١) ، وقبّله عمر ثم قال : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلتك لما قبلتك ، ثم بكى ثم علا نسيجه فالتفت إلى ورائه فرأى علياً عليه السلام فقال : يا أبا حسن ههنا تسكب العبرات ، فقال علي عليه السلام : يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع ، قال : وكيف ؟ قال : إن الله عز وجل لما أخذ الميثاق على النّبي كُتب عليهم كتاباً ثم أُلقي هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود ، قيل : فذلك هو قول الناس عند الاستلام : «اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك».

﴿ فضيلة المقام بمكة وكرامته ﴾

قال أبو حامد : «كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة : أحدها خوف التبرّم والانس بالبيت ، فإنّ ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام ، والثاني تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فإنّ الله جعل البيت مثابة للناس أي يتوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطراً ، وقال بعضهم : لأن تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلّق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرّم بالمقام وقلبك في بلد آخر ، الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فإنّ ذلك خطر وبحري أن يورث مقت الله لشرف الموضع . قال ابن مسعود : ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » (٢).

أقول : و من طريق الخاصة ما رواه معاوية بن عمار في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « سألت عن قول الله عز وجل : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » قال : كل ظلم إلحاد وضرب الخادم في غير ذنب من ذلك الإلحاد » رواه في الفقيه (٣).

(١) أخرجه البخاري ج ٢ ص ١٧٦ ومسلم ج ٤ ص ٦٧ وأبو داود ج ١ ص ٤٣٣

بدون الزيادة التي رواها أن علياً عليه السلام وراه . وأخرجه مع الزيادة العاكم في المستدرک ج ٢ ص ٤٥٧ بدون شرط الشيخين .

(٢) الحج : ٢٥ .

(٣) ص ٢١٧ تحت رقم ٣٥ .

قال : و في رواية أبي الصباح الكنابي عنه عليه السلام قال : « كل ظلم يظلمه الرجل نفسه بمكة من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظلم فإني أراه إلحاداً ، ولذلك كان يتقي الفقهاء أن يسكنوا مكة » (١) .

قال : و روى العلاء عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا ينبغي للرجل أن يقيم بمكة سنة ، قلت : كيف يصنع ؟ قال : يتحول عنها ، و لا ينبغي أن يرفع بناء فوق الكعبة (٢) ، و روي أن المقام بمكة يقسي القلب (٣) .

و روى داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « إذا فرغت من نسكك فارجع فإنه أشوق لك إلى الرجوع » (٤) .

قال أبو حامد : « ولا تظن أن كراهية المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علقتها ضعف الخلق و قصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا : « إن ترك المقام به أفضل » أي بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم ، فأما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيئات و كيف لا ؟ ولما عاد عليه السلام إلى مكة استقبل القبلة و قال : « إنك لخير أرض و أحب بلاد الله تعالى إليّ و لولا أنني أخرجت منك ما خرجت » (٥) و كيف لا والنظر إلى البيت عبادة و الحسنات فيها مضاعفة .

أقول : قال : في الفقيه دلم يبت أمير المؤمنين عليه السلام بمكة بعد أن هاجر منها حتى قبض لأنه كان يكره أن يبيت بأرض قد هاجر منها .

﴿ فضيلة المدينة و سائر البلاد ﴾

قال أبو حامد : « ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة الرسول عليه السلام فالأعمال فيها أيضاً تضاعف » .

قال عليه السلام : « صلاة في مسجدني هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد

(١) الفقيه ص ٢١٧ تحت رقم ٣٦ .

(٢) الى (٤) جميع تلك الاخبار في الفقيه ص ٢١٨ تحت رقم ٤٣ الى ٤٥ .

(٥) أخرجه أبو يعلى كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٨٣ . وأخرج الترمذي مثله .

الحرام ، (١) « وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فإن الصلاة فيها بخمسائة ، (٢) وكذا سائر الأعمال .

أقول : وقد مرّ الحديث في ذلك من طريق الخاصة في كتاب الصلاة وفي الفقيه : روى خالد بن ماذ الغلاني ، عن الصادق عليه السلام أنه قال : « مكة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي بن أبي طالب عليه السلام الصلاة فيها بمائة ألف صلاة ، والدرهم فيها بمائة ألف درهم ، والمدينة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي بن أبي طالب عليه السلام الصلاة فيها بعشرة آلاف صلاة ، والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم ، والكوفة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي بن أبي طالب عليه السلام الصلاة فيها بألف صلاة ، وسكت عن الدرهم ، (٣) .
وقال أبو جعفر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي : « المساجد الأربعة : المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد بيت المقدس ، ومسجد الكوفة يا أبا حمزة الفريضة فيها تعدل حجة ، والنافلة تعدل عمرة ، (٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « من أتى مسجدني مسجد قبا فصلّى فيه ركعتين رجع بعمرة ، (٥) .

ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة قال : « اللهم حبّب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد » وبارك في صاعها ومدّها واثقل حمّاتها ووبأها إلى الجحفة ، (٦) .
وروي « أن الصادق عليه السلام ذكر الدجال فقال : لا يبقى منها منهل إلا وطئه إلا مكة والمدينة ، فإنّ على كلّ ثقب من أنقابها ملك يحفظهما من الطاعون والدجال ، (٧) .

(١) رواه أحمد والبراز كافي مجمع الزوائد ج ٤ ص ٤ وأيضاً أبو يعلى والطبراني في الكبير كما في المجمع أيضاً ج ٤ ص ٥ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات كما في المجمع ج ٤ ص ٧ .

(٣) المصدر ص ٦١ باب فضل المساجد وحرمتها من كتاب الصلاة رقم ١ وفي الكافي

ج ٤ ص ٥٨٦ وفيه « والدرهم فيها بألف درهم » .

(٤) و(٥) الفقيه ص ٦١ تحت رقم ٥ و٧ .

(٦) و(٧) الفقيه ص ٢٩٣ تحت رقم ٧ و٨ ، وروى نحوه البخاري ج ٣ ص ٢٧

عن النبي صلى الله عليه وآله .

و سأل عبد الأعلى مولى آل سام أبا عبد الله عليه السلام : كم كان مسجد رسول الله ﷺ ؟ قال : كان ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة ^(١) .

وقال الصادق : « حد مسجد الكوفة آخر السراجين ، خط آدم عليه السلام وأنا أكره أن أدخله راكباً ، قيل : فمن غيره عن خطته ؟ قال : أما أول ذلك فالطوفان في زمن نوح عليه السلام ، ثم غيره كسرى و النعمان ، ثم غيره زياد بن أبي سفيان ، وكأني أنظر إلى ديراني في مسجد الكوفة في دير له فيما بين الزاوية والمنبر فيه سبع نخلات وهو مشرف من ديره على نوح يكلمه ^(٢) .

وقال أبو بصير : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « نعم المسجد مسجد الكوفة ، صلى فيه ألف نبي وألف وصي ومنه فار التنور ، وفيه نجرت السفينة ، ميمنته رضوان الله ، و وسطه روضة من رياض الجنة ، و ميسرته مكر - يعني منازل الشياطين - » ^(٣) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، و مسجد رسول الله ﷺ ، و مسجد الكوفة ^(٤) (*) » .

وقال النبي ﷺ : « لما أسري بي مررت بموضع مسجد الكوفة ، وأنا على البراق و معي جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد أنزل فصل في هذا المكان قال : فنزلت فصلت فقلت : يا جبرئيل أي شيء في هذا الموضع ؟ قال : يا محمد هذه كوفان ، وهذا مسجدك أما إنني فقد رأيتها عشرين مرة خراباً ، و عشرين مرة عمراناً بين كل مرة خمسمائة سنة ^(٥) .

و روي عن الأصمعي بن نباتة قال : بينما نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين عليه السلام

(١) إلى (٥) الفقيه ص ٦١ باب فضل المساجد من كتاب الصلاة تحت رقم ٤ و رقم ١٤

إلى ١٨ .

(*) هذا الحديث رواه أبو حامد عن النبي صلى الله عليه وآله و ذكر بدل مسجد الكوفة المسجد الأقصى ، قال : و استدل به بعض العلماء على عدم جواز السفر لزيارة المشاهد و أجاب بأن المراد من الحديث المساجد خاصة دون المشاهد وغيرها لأن غير هذه المساجد سواء في الفضيلة و ليس بلد الأوفى مسجد أو أكثر فلا وجه للسفر لها ، قال : و لو شمل الحديث المشاهد أيضاً لما جاز السفر لزيارة قبور الأنبياء و هو باطل قطعاً بل لما جاز السفر لزيارة الأحياء من العلماء و الصالحين و ليس كذلك - منه رحمه الله - .

في مسجد الكوفة إذ قال : يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب به أحداً من فضل مصلاكم ، فيه بيت آدم و بيت نوح و بيت إدريس ومصلى إبراهيم الخليل ومصلى أخي الخضر ومصلاتي ، وإن مسجدكم هذا لأحد الأربعة المساجد التي اختارها الله تعالى لأهلها وكأني به قد أوتي به يوم القيامة في ثوبين أبيضين يتشبه بالمحرم و يشفع لأهله و لمن يصلي فيه فلا ترد شفاعته ولا تذهب الأيام و الليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه و ليأتين عليه زمان يكون مصلى المهدي من ولدي و مصلى كل مؤمن ولا يبقى على الأرض مؤمن إلا كان به أو حن قلبه إليه فلا تهجره ، و تفرقوا إلى الله عز وجل بالصلاة فيه و ارجعوا إليه في قضاء حوائجكم فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج ،^(١)

وأما مسجد السهلة فقد قال الصادق عليه السلام : « لو استجار عمتي زيد به لأجاره الله سنة ، ذاك موضع بيت إدريس الذي كان يخط فيه ، و هو الموضع الذي خرج منه إبراهيم إلى العمالق ، و هو الموضع الذي خرج منه داود إلى جالوت ، و تحته صخرة خضراء فيها صورة وجه كل نبي خلقه الله عز وجل ، و من تحته أخذت طينة كل نبي و هو موضع الراكب ، فقيل له : وما الراكب ؟ قال : الخضر عليه السلام ،^(٢) .

وأما مسجد براثا فيغدق فصلى فيه أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من قتال أهل النهروان ،^(٣) انتهى .

﴿ الفصل الثاني ﴾

في شروط وجوب الحج ، - وصحته ، و واجباته و أركانه ، ومحظوراته ، وأنواعه . أقول : و لنذكرها على طريقة أهل البيت عليه السلام .
و أما الشروط فشرط صحة الحج اثنان : الوقت و الاسلام ، فيصح حج الصبي

(١) الفقيه من ٦٢ باب فضل المساجد من كتاب الصلاة تحت رقم ١٩ .

(٢) و (٣) المصدر من ٦٣ تحت رقم ٢١ و ٢٢ .

و يحرم بنفسه إن كان ميمّزاً ، و يحرم عنه وليّه إن كان صغيراً و يفعل به المناسك من الطواف والسعي وغيره .

و أمّا الوقت فهو شوال ، و ذو القعدة ، و تسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر يوم النحر فمن أحرم في غير هذه المدّة فهي عمرة ، و جميع السنة وقت العمرة و أفضله رجب ، و لكن من كان معكوفاً على النسك أيتام مني ، فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لاشتغاله بأعمال مني ، و لا ينبغي أيضاً أن يجعل بين العمرين أقلّ من شهر .
و أمّا شروط وقوعه عن حجة الإسلام فخمسة : الإسلام ، و الحرّيّة ، و البلوغ ، و العقل ، و الوقت . فإن أحرم الصبي أو العبد ولكن اعتق العبد و بلغ الصبي بأحد الموقفين أجزأهما عن حجة الإسلام ، و يشترط هذه الشروط في وقوع العمرة عن فرض الإسلام إلا الوقت في غير التمتع .

و أمّا شرط وقوع الحجّ نفلاً عن الحرّ البالغ فهو براءة ذمّته عن الواجب .
و أمّا شرط لزوم الحجّ فخمسة : الإسلام ، و البلوغ ، و الحرّيّة ، و العقل ، و الاستطاعة . و من لزمه فرض الحجّ لزمه فرض العمرة و من أراد دخول مكّة لزيارة أو تجارة و لم يكن ممن يتكرّر دخوله كالحطّاب و الحشاش لزمه الإحرام ثمّ يتحلّل بعمل عمرة أو حجّ .

و أمّا الاستطاعة فنوعان : أحدهما المباشرة وذلك له أسباب إمّا في نفسه فالصحّة ، وإمّا في الطريق فبأن يكون خصبة آمنة ، و إمّا في المال فبأن يجد نفقة ذهابه و إياجه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأنّ مفارقة الوطن شديدة ، وأن يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه المدّة ، وأن يملك ما يقضي به ديونه ، و أن يقدر على راحلة أو كراها ، و يحمل أو زاملة إن احتاج إلى ذلك .

و أمّا النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله^(١) أن يستأجر من يحجّ عنه ويكفي نفقه الذّهاب في هذا النوع ، والابن إذا عرض طاعته على الأب الزمّن صاربه مستطيعاً ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعاً لأنّ الخدمة بالبدن فيه شرف للولد و بذل المال فيه

(١) المعضوب : الضيف ، الزمّن ، المتخول لحرّاك له .

منة على الوالد ، ومن استطاع لزمه الحج فوراً وتأخيره كبيرة موبقة .

وأما واجباته فسبعة عشر : الإحرام ، والتلبية أو ما يقوم مقامها ، وليس ثوبي الإحرام ، والوقوف بعرفة ، والمبيت بالمشعر الحرام ، والوقوف به ، ورمي جرة القصوى ، وذبح الهدي إن كان ، والحلق أو التقصير ، وطواف الزيادة ، وركعتاه ، والسعي بين الصفا والمروة ، وطواف النساء ، وركعتاه ، والمبيت بمنى ليالي التشريق ، ورمي الجمرات الثلاث ، والترتيب بين الأفعال .

والركن منها سبعة : الإحرام ، والتلبية ، والوقوفان ، والطواف ، والسعي ، والترتيب ، فيبطل بترك شيء منها عمداً لا سهواً إلا أن يكون الفائت الوقوفين معاً فيبطل وإن كان سهواً ، ويسقط في العمرة الوقوفان ، والمبيت بالمشعر ، ومناسك منى ، وطواف النساء ، فواجباتها ثمانية وأركانها خمسة .

وأما محظوراتها فسبعة : الأول لبس القميص ، وال سراويل ، والخف ، والعمامة ، والقباء ، والثوب المزركر ، والمدرع بل ينبغي أن يلبس إزاراً ورداءً وتعلين فإن لم يجد تعلين فمكعباً فإن لم يجد إزاراً ف سراويل ويجوز المنطقة والهميان وكذا الخف والجورب مع الضرورة ، وكذا الطيلسان إذا لم يزره عليه ، ولا يلبس الخام للزينة وجاز للسنة والفارق القصد ، ولا يستظل بالمحمل راكباً ولا يغطي رأسه فإن إحرام الرجل في رأسه . وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فإن إحرامها في وجهها . الثاني الطيب فليجتنب كل ما يعد العفلاء طيباً والأدهان المطيبة وإن أدهن بها قبل الإحرام إذا بقيت رائحته إليه وأما غير المطيبة من غير ضرورة ففيه قولان ، وليجتنب الإكتحال بما فيه طيب .

الثالث الزينة والتنظيف وما يتبع ذلك فليجتنب الإكتحال بالسواد والنظر في المرأة وإزالة الشعر وتقليم الأظفار ، وقتل هوام الجسد ، وإخراج الدّم ، ويكره الحناء للزينة ، ودخول الحمام وتدليك الجسد .

الرابع الجماع ومقدماته من التقبيل ، واللمس ، والنظر بشهوة ، والاستمناء ، والنكاح ، والإناكح ، والشهادة على العقد وإقامتها .

الخامس سيد البرّ أعني ما يؤكل عندقوم ، ومطلق المتمتع بالأصالة عندآخرين
إلا الأفعي والعرب والفارة ، وقيل : كل ما خيف منه ويحرم حيازته وذبحه وأكله والدلالة
عليه والاشارة إليه والتسبيب بإعادة سلاح ونحوه .

السادس ، و السابع : الفسوق ، والجدال ، وفسر الأول بالكذب والسباب ، وفي
الصحيح الكذب والمفاخرة ، والثاني بقول : « لا والله » ، « بلى والله » ، وقيل : بل كل
ما يسمى يميناً .

وكفارة هذه المحظورات وسائر أحكامها مذكورة في الكتب الفقهية ، ولا فرق بين
العمرة والحج في شيء من ذلك .

وأما أنواعه فثلاثة : التمتع ، والقران ، والإفراد ، والتمتع أفضلها ويتقدم عمرته
على حجه ويرتبط به وتوقع في أشهر الحج وتسمى العمرة المتمتع بها إلى الحج ، وما
سواها تسمى بالعمرة المفردة ، والتمتع فرض من تأى عن مكة بشمانية وأربعين ميلاً ، وليس
لهؤلاء غير التمتع عند أصحابنا لنص القرآن والصالح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام
إلا مع الاضطرار كضيق الوقت أو طره الحيض ونحو ذلك والآخرا فرض أهل مكة ومن
بينه وبينها دون المسافة المذكورة على التخير بينهما ولا يجوز لهم العدول إلى التمتع على
الأصح إلا مع الاضطرار فالمتطوع يتخير بين الأنواع الثلاثة إلا أن الأفضل له التمتع
وكذا الناذر إذا لم يعين أحدها ، وكذا من له منزلان بمكة وغيرها يتساويان في إقامته
فيهما ، فإن غلب أحدهما عليه لزمه فرضه ، ومن أقام بمكة سنتين فهو من أهل مكة لامتعة له .
والقران إنما يتميز عن الإفراد ويفضل عليه بسياق الهدي عند إحرامه فحسب
عند الأكثر ، وقيل به وبالجمع بين العبادتين فيه من غير تحلل بينهما ولهذا سمي بالقران .

﴿ الباب الثاني ﴾

« في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشر حمل :
أقول : و أنا أتمصرف في تقرير الجمل كلها وأذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام
سوى الأولى فأمر كها على حالها لعدم بعدها عنها ولا تأتي سأورد ما فيها على طريقتهم

ﷺ في كتاب آداب السفر من ربح العادات إن شاء الله .

«الجملة الأولى في السنن من أول الخروج إلى الإحرام وهي ثمانية :

الأولى في المال فينبغي أن يبدء بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، و يرد ما عنده من الودائع ويستصحب المال من الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقير ، بل على وجه يمكنه معه التوسيع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ، ويتصدق بشيء قبل خروجه ، و يشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا يضعف أو يكثرها فإن اكثرى فليظهر للمكاري كل ما يريد أن يحمله من قليل وكثير و يحصل رضاه فيه .

الثانية في الرفق ينبغي أن يلتبس رفيقاً صالحاً محباً للخير معيناً عليه ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن جبن شجعه ، وإن عجز قواه ، وإن ضاق صدره صبره . وأما رفاقه المقيمون وإخوانه فيودعهم و يلتبس أدعيتهم ، فإن الله تعالى جاعل في دعائهم خيراً والسنة في الوداع أن يقول : « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم ملك » و كان رسول الله ﷺ يقول لمن أراد السفر : « في حفظ الله وكنته ، زدك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، و وجهك للخير أينما توجهت » .

الثالثة في الخروج من الدار ينبغي إذا هم بالخروج أن يصلي أولاً ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل : يا أيها الكافرون ، و في الثانية الإخلاص فإذا فرغ يرفع يديه ودعا الله عن إخلاص صاف و نية صادقة ، و قال : « اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في المال والأهل والولد والأصحاب ، احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة ، اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتوفيق والتقوى ومن العمل ما ترضاه ، اللهم إنا نسألك أن تطوي لنا الأرض ، وتهوّن علينا السفر ، وأن ترمزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال ، و تبلغنا حج بيتك الحرام وزيارة قبر نبيك ﷺ ، اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكتابة المنقلب ^(١) و سوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب ، اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ، ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ، ولا تغفر ما بنا وبهم

(١) الوعشاء : المشقة والتعب . والكأب والكآبة : الغم والعزن .

من عافيتك .

الرابعة إذا حصل على باب الدار قال : « بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، رب أعوذ بك أن أضلّ أو أضلّ ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل عليّ ، اللهم إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء لفرضك واتباع سنة نبيك ﷺ وشوقاً إلى لقاءك ، فإذا مشى قال : اللهم بك انتشرت ، وعليك توكلت ، وبك اعتصمت ، وإليك توجهت ، اللهم أنت تقني وأنت رجائي فاكفني ما أهممتني ، وما لم أهتم به ، وما أنت أعلم به مني ، عزّ جارك ، وجلّ ثناؤك ، ولا إله غيرك ، اللهم زدني التقوى ، واغفر لي ذنبي وجنّني للخير أينما توجهت » - ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه .

الخامسة في الركوب فإذا ركب الراحلة يقول : « بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرّين ^(١) ، وإنا إلى ربّنا لمنقلبون ، اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك و توكلت في جميع أموري عليك ، أنت حسبي ونعم الوكيل ، فإذا استوي على الراحلة واستوت تحته قال : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر - سبع مرّات - وقال : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، اللهم أنت الحامل على الظهر ، وأنت المستعان على الأمور » .

السادسة في النزول والسنة أن لا ينزل حتّى يحمي النهار ويكون أكثر سيره في الليل ، قال ﷺ : « عليكم بالدلجة فإنّ الأرض مطوي بالليل مالا تطوي بالنهار » ^(٢) و ليقفل نومه بالليل حتّى يكون عوناً على السير ، ومهما أشرف على المنزل فليقل :

(١) أقرن أي أطلق .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٤٤٥ . و رواه الصدوق في الفقيه ص ٢٢٢ وفيه « عليكم بالسير بالليل » والدلجة بمعناه و أخرجه بلفظه أبو يعلی والبراز و ابوداود كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢١٣ .

« اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا ذَرَيْنِ ^(١) ، وَرَبَّ الْبَحَارِ وَمَاجِرِينَ ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْمَنْزِلِ وَخَيْرَ أَهْلِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذَا الْمَنْزِلِ وَشَرِّ مَا فِيهِ . أَصْرَفَ عَنِّي شَرَّ شَرَارِهِمْ » فَإِذَا نَزَلَ الْمَنْزِلُ صَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يَجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقْتَ » فَإِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ يَقُولُ : « يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبِّكَ اللَّهُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ وَشَرِّ مَا فِيكَ وَشَرِّ مَا دَبَّ عَلَيْكَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ أَسَدٍ وَأَسَدٍ وَحَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ وَمِنْ شَرِّ سَاكِنِ الْبَلَدِ وَالِدِ وَمَا وَلَدَ ، وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

السابعة في الحراسة ينبغي أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفرداً خارج القافلة لأنه ربما يقتال أو ينقطع ، ويكون بالليل متحفظاً عند النوم ، وإن نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصباً وجعل رأسه في كفه ، هكذا كان بنام رسول الله ﷺ في أسفاره ، فإنه ربما يستنقل في النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما في الحج . والأحب بالليل أن يتناوب الرفيقان في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة ، وإن قصده عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي ، وشهد الله ، والإخلاص ، والمعوذتين وليقل : « بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، حَسْبِيَ اللَّهُ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا يَأْتِي بِالْخَيْرَاتِ إِلَّا اللَّهُ ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى ، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا ، لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مَنْتَهَى ، وَلَا دُونَ اللَّهِ مَلْجَأٌ ، كَتَبَ اللَّهُ لَا غَلْبَانَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ، تَحَصَّنْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَاسْتَعْنْتَ بِالْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، اللَّهُمَّ احْرُسْنَا بَعِينِكَ الَّتِي لَا نَنَامُ وَاكْنُفْنَا بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا بِقُدْرَتِكَ عَلَيْنَا فَلَا نَهْلِكُ وَ أَنْتَ ثَقْتُنَا وَرَجَاؤُنَا ، اللَّهُمَّ اعْطِفْ عَلَيْنَا قُلُوبَ عِبَادِكَ وَإِمَائِكَ بِرَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » .

الثامنة مهما علا نَشْرُ ^(٢) من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثاً ثم يقول :

(١) ذرى الريح التراب : أطارته وفرقته .

(٢) النشز - محرقة - : المكان المرتفع .

«اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال» ومهما هبط سبّح ، ومهما خاف الوحشة في سفره قال : « سبحان الله الملك القدوس ربّ الملائكة والروح جللت السماوات والأرض بالعزّة والجبروت »

الجملة الثانية في آداب الإحرام من الميقات وهي ستة : الأول أن يفتسل وينوي به غسل الإحرام أغني إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه وإن كان لحجّ التمتع فيحرم من مكّة ولا يجزىء من غير ذلك إلا مع الجهل أو النسيان ويتم غسله بالتنظيف أو لاً والاطلاء سيّما للعانة والإبطين ، وتقليم الأظفار ، وقصّ الشارب ، والسواك وينبغي أن يوفّر شعر رأسه من أول ذي العقدة وهو من السنن الوكيدة . الثاني أن يفارق الثياب المخيطة و يلبس ثوب الاحرام فيتزرو ويرتدي بثوبين طاهرين نظيفين أبيضين مما يجوز فيه الصلاة .

الثالث أن يحرم عقيب فريضة فإن لم يشفق صلى ركعتين ، وفي بعض الأخبار ست ركعات وأفضل الساعات للإحرام عند زوال الشمس .

الرابع أن يدعو عقيب الصلاة ويتلفظ بما يعزم عليه ويشترط أن يحلّه الله حيث حبسه وإن لم تكن حجة فعمرة ، وفي صحيحة معاوية بن عمار ^(١) ، عن أبي عبد الله عليه السلام : « فإذا انتقلت من الصلاة فأحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه و صلّ على النبي وآله » وتقول : « اللهم إني أسألك أن تجعلني ممن استجاب لك و آمن بوعده و اتبع أمرك فأنتي عبدك و في قبضتك لا أوفي إلا ما وقبت ولا آخذ إلا ما أعطيت وقد ذكرت بالحجّ فأسألك أن تعزم لي عليه على كتابك وسنة نبيك وتقويني على ما ضعفت عنه و تتسلم مني ^(٢) مناسكي في سر منك وعافية واجعلني من وفدك الذي رضيته و ارتضيت و سميت و كتبت ، اللهم إني خرجت من شقة بعيدة ، وأنفقت مالي ابتغاء مرضاتك ، اللهم فتمم لي حجتي ، اللهم إني أريد التمتع بالعمرة إلى الحجّ على كتابك وسنة

(١) التهذيب ج ١ ص ٤٦٨ . والكافي ج ٤ ص ٣٣١ . والفتاوى ص ٢٣٦ ، وقوله

«انتقلت» أي انصرفت .

(٢) أي تقبل مني ، وفي الكافي بعلف إحدى التامين .

نبينا صلواتك عليه وآله ، فإن عرض لي عارضٌ يحبسني فحلّني حيث حبسني لقدرك الذي قدّرت عليّ ، اللهم إن لم تكن حجةً فعمرة^(١) أحرم لك شعري و بشري ولحمي و دمي و عظامي و مخي و عصبي من النساء والثياب و الطيب أبتغي بذلك وجهك و الدار الآخرة ، يجزئك أن تقول : « هذا مرة واحدة حين تحرم ثم قم فامش هنيئة فإذا استوت بك الأرض^(٢) ماشياً كنت أو راكباً قلباً » .

و في صحيحة حماد بن عثمان عنه عليه السلام قال : « قلت : إني أريد أن أتمتع بالعمرة إلى الحج فكيف أقول ؟ قال : تقول : « اللهم إني أريد أن أتمتع بالعمرة إلى الحج على كتابك و سنة نبينا » و إن شئت أضمرت الذي تريد »^(٣) .

الخامس أن يصير بعد التهيؤ و العزم حتى ينبعث به راحلته إن كان راكباً أو يبتدىء السير إن كان راجلاً ، ثم يأتي بالتلبية كما مرّ في الرواية المتقدمة . و في صحيح آخر « و الأفضل أن تمضي قليلاً ثم تلبي »^(٤) .

و صورة التلبية « لبّيك اللهم لبّيك ، لبّيك لا شريك لك لبّيك ، إن الحمد و النعمة لك ، و الملك لا شريك لك » - و إن زاد قال : - « لبّيك ذا المعارج لبّيك » و إن شاء زاد عليه بما ورد في الأخبار من التلبيات ، و ينبغي أن يذكر في تلبية عمرة التمتع الحجّ و العمرة معاً فينوي فعل العمرة أولاً ثم الحجّ بعدها باعتبار دخولها في حج التمتع . و في الصحيح « أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول فيها : « لبّيك بحجة و عمرة معاً لبّيك »^(٥) و لو أهلّ المتمتع بالحجّ جاز لدخول عمرة التمتع فيه .

و من وقت الإحرام حرّم عليه المحظورات التي ذكرناها من قبل . و القارن بالخيار بين أن يعقد إحرامه بالتلبية أو الإشعار أو التقليد و بأيها بدأ كان الآخر مستحباً ، و لا يلزم الإحرام إلّا بأحدها .

(١) أي ان لم يتيسر لي اتمام الحج فيكون هذا الاحرام للعمرة فأتىها عمرة .

(٢) أي سلكت فيها .

(٣) الكافي ج ٤ ص ٢٣٢ .

(٤) الفقيه ص ٢٣٧ من رواية هشام بن الحكم . تحت رقم ٦ .

(٥) التهذيب ج ١ ص ٤٧٠ في حديث .

و الإِشعار أن يطمئن في سنامها من الجانب الأيمن ، قيل : و يلمطخ صفحته بدمه ، و التقليد أن يكلد في رقبته نعلًا خلفًا و يختص به البقر والغنم لضعفهما .

السادس أن يكثر من التلبية و يكثر رها في دوام الإِحرام و خصوصاً قوله : «لبيك ذا المعارج لبيك» و يجددُها ، كلما لقي راكباً أو علا أكمة ^(١) ، أو هبط وادياً ، ومن آخر الليل ، و عند الاستيقاظ ، و في أدبار الصلوات ، و عند كل ركوب و نزول رافعاً بها صوته ؛ و في رواية حريز ^(٢) « أن رسول الله ﷺ لما أحرم أماء جبرئيل عليه السلام فقال : مر أصحابك بالمعج و الثج ، فالعج رفع الصوت بالتلبية ، و الثج صحر البدن » .

ومن أحرم من مسجد الشجرة و كان راكباً فالأفضل أن لا يجهر بالتلبية حتى علت راحلته البداء ، و من أحرم من مكة فلا يلبي حتى ينتهي إلى الرقطاء ^(٣) ولا يجهر بها حتى يشرف على الأبطح ^(٤) ، و يجب قطعها عند زوال الشمس من يوم عرفة إن كان حاجاً ، و إذا شاهد بيوت مكة إن كان معتمراً بمتعة ، و عند مشاهدة الكعبة إن كان معتمراً بمفردة و قد خرج من مكة للإِحرام ، وإن أحرم من خارج فعند دخول الحرم .

الجملة الثالثة في آداب دخول الحرم إلى الطواف وهي ستة : الأول أن يفتسل لدخول الحرم من بئر ميمون أو من فح ^(٥) و يقول عند دخوله : « اللهم إنيك قلت في كتابك المنزل - وقولك الحق - « و أذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ؛ اللهم و إني أرجو أن أكون ممن أجاب دعوتك و قد جئت من

(١) الأكمة - محرقة - : التل من القف من حجارة واحدة أو هي دون الجبال أو

الموضع يكون أشد ارتفاعاً مساحوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً . (القاموس)

(٢) الكافي ج ٤ ص ٣٣٦ تحت رقم ٥ .

(٣) الرقطاء : موضع دون الردم والرمد هو الحاجز الذي يمنع السيل عن البيت

المحرم وسمى المدعى .

(٤) الأبطح : مسيل واسع فيه دفاق الحمى أوله عند متقطع الشعب بين وادي منى

وآخره متصل بالمقبرة التي تسمى المعلى عند أهل مكة .

(٥) بئر ميمون بمكة بأعلاها دفن عندها المنصور . وفح - بفتح أوله و تشديد

ثانيه واد بمكة قتل به الحسين بن علي بن الحسن العلوي يوم التروية سنة تسع وستين

ومائة و قتل جماعة من أهل بيته . (المراصد) .

شقة بعيدة ومن فج عميق، سامعاً لندائك ومستجيباً لك، مطيعاً لأمرك وكل ذلك بفضلك علي وإحسانك إليّ فلك الحمد على ما وفقّنتني له، أبتغي بذلك الزلفة عندك والقربة إليك، والمنزلة لديك والمغفرة لذنوبي والتوبة عليّ منها بمنك، اللهم صلّ على محمد وآل محمد وحرّم بدني على النار وآمنّي من عذابك وعقابك برحمتك يا كريم، .

الثاني أن يدخل مكة على غسل بسكينة ووقار من جانب الأبطح من ثنية كذا - بفتح الكاف - قيل : عدل رسول الله ﷺ من جادة الطريق إليها وإذا خرج خرج من ثنية كذا - بضم الكاف - وهي الثنية السفلى، والأولى هي العليا .

الثالث أن يدخل المسجد الحرام على غسل بسكينة ووقار من باب بني شيبه حافياً مقدّمًا للرجل اليمنى بخشوع فإتته من دخله بخشوع غفرله، ويقول وهو على باب المسجد : «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، بسم الله وبالله ومن الله وما شاء الله، والسلام على رسول الله وآله، والسلام على إبراهيم وآله، والسلام على أنبياء الله ورسله، والحمد لله رب العالمين» .

الرابع أن يقول عند النظر إلى الكعبة «الحمد لله الذي عظمك وشرّفك وكرّمك، وجعلك مثابة للناس وأمنًا، مباركاً وهدى للعالمين» .

الخامس أن يقول عند النظر إلى الحجر الأسود وهو مستقبل إليه : «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، اللهم صلّ على محمد وآل محمد كأفضل ماصليّ وباركت ورحمتك على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلامٌ على جميع النبيّين والمرسلين، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أو من بوعدك وأصدق رسلك وأتبع كتابك» .

السادس أن يستلم الحجر ويقبله، فإن لم يقدر فيمسه بيده ويقبلها، فإن لم يقدر فيشير إليه بيده ويقبلها ويقول : «أمانتي أدّيتها وميثاقي تماعدهم لتشهد لي بالمؤافاة، آمنت بالله وكفرت بالجبّ والطاغوت والآلات والعزى وعبادة الشيطان وعبادة

الأوثان وعبادة كل من يدعى من دون الله.

الجملة الرابعة في الطواف ، ويجب أن يراعى فيه شروط الصلاة من طهارة الحدث والنخب في الثوب والبدن والمطاف وستر العورة ، وأن يكون مختولاً ، والطهارة إنما يشترط في الطواف الواجب دون المندوب ، ويجب فيه النية والبداة بالحجر والختم به وتكفي البداة العرفية ، والمتأخرون أوجبوا جعل أول جزء من الحجر محاذياً لأول جزء من مقادير بدنه بحيث يمر عليه بعد النية بجميع بدنه علماً أو ظناً ، ويجب جعل البيت على يساره وأن يدخل الحجر ^(١) في الطواف ، وأن يطوف بين البيت والمقام مراعيًا قدر ما بينهما من جميع الجهات إلا مع الضرورة وأن يكمله سبعا .

و يستحب أن يكون على سكينة وقار ، وأن يقارب بين خطاه ، وأن يدنو من البيت ولكن لا يطوف على الشادروان فإنه من البيت ، وأن يقبل الحجر في كل شوط كما وصفناه ، ويلتزم الأركان كلها سيما اليماني فإذا بلغ باب البيت قال : « سائلك فقيرك مسكينك يابك فتصدق عليه بالجنة ، اللهم البيت بيتك ، والحرم حرملك ، والعبد عبدك ، وهذا مقام العائذ المستجير بك من النار ، فأعتقني ووالدي وأهلي ولدي وإخواني المؤمنين من النار يا جواديا كريم » .

فإذا بلغ مقابل الميزاب قال : « اللهم أعتق رقبتني من النار ووسع علي من الرزق الحلال وادبر عني شرقة العرب والعجم ، وشرقة الجن والإنس ؛ ويقول وهو جائر : « اللهم إني إليك فقير وإتي منك خائف مستجير فلا تبدل اسمي ولا تغير جسمي » . ويقول في الطواف : « اللهم إني أسألك باسمك الذي يمشى به على طلل الماء ^(٢) كما يمشى به على جدد الأرض ، وأسألك باسمك المخزون المكنون عندك ، وأسألك باسمك الأعظم الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت ، وإذا سئلت به أعطيت أن تصلي علي محمد وآل محمد ، وأن تفعل بي كذا وكذا » .

فإذا بلغ الركن اليماني التزمه وقبله وصلى على النبي وآله في كل شوط ويقول بين هذا الركن والركن الذي فيه الحجر : « ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي

(١) بكسر الهملة وسكون المعجمة . (٢) الطلي : الموضع المرتفع .

الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار، فإذا كان في الشوط السابع وقف بالمستجار وهو مؤخر الكعبة مما يلي الركن اليماني بهذا باب الكعبة، فبسط يديه على البيت وألزم خده وبطنه بالبيت وقول: «اللهم البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النار، اللهم إني حلت بفنائك فاجعل قرأي مغفرك، وهب لي ما بيني وبينك، واستوهبني من خلفك» ويدعو بما شاء ثم يقرأ لربه بذنوبه ويقول: «اللهم من قبلك الروح والراحة والفرج والعافية، اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه لي واغفر لي ما طلعت عليه مني وخفي على خلفك، أستجير بالله من النار، ويكثر لنفسه من الدعاء ثم يستلم الركن اليماني والذي فيه الحجر الأسود ويقبله ويختم به ويقول: «اللهم قنني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني».

فإذا فرغ من الطواف أتى مقام إبراهيم ويصلي ركعتين ويجعل المقام أمامه ويقرأ في الأولى بعد الحمد التوحيد، وفي الثانية الجحد، ثم يتشهد ويسلم ويحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي وآله ويسأل الله أن يتقبله منه وأن لا يجعله آخر العهد منه فيقول: «الحمد لله بمحامده كلها على نعمائه كلها حتى ينتهي الحمد إلى ما يحب ربي ويرضى، اللهم صل على محمد وآل محمد، وتقبل مني، وطهر قلبي، وزك عملي، وليجتهد في الدعاء ثم يأتي الحجر الأسود فيستلمه ويقبله أو يمسه يده أو يشير إليه ويقول ما قاله أولاً فإنه لا بد من ذلك، وقد عرفت أن الطواف ركن في كل من الحج والعمرة، من تركه عامداً بطل حجه أو عمرته، فلو كان ناسياً قضاء ولو بعد المناسك، ولو شق العود استتاب فيه.

الجملة الخامسة في السعي فإذا فرغ من الطواف وتوابعه أتى زمزم فإن قدر أن يشرب من مائه قبل أن يخرج إلى الصفا ليفعل ويقول حين يشرب: «اللهم اجعله علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء وسقم، إنك قادر يا رب العالمين».

ثم يخرج إلى الصفا من بابيه ويقوم عليه حتى ينظر إلى البيت ويسقبل الركن الذي فيه الحجر ويحمد الله ويثني عليه ويدكر من آلائه وحسن ما صنع إليه ما قدر عليه، ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت

وهو على كل شيء قدير» - ثلاث مرّات - ويقول : «اللهم إني أسألك العفو والعافية واليقين في الدنيا والآخرة» - ثلاث مرّات - ويقول : «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» - ثلاث مرّات - ويقول : «الحمد لله» مائة مرّة و«الله أكبر» مائة مرّة و«سبحان الله» مائة مرّة و«لا إله إلا الله» مائة مرّة و«أستغفر الله وأتوب إليه» مائة مرّة و«صلّ على محمد وآل محمد» مائة مرّة ، ويقول : «يا من لا يخيّب سائله ، ولا ينفد نائله ، صلّ على محمد وآل محمد ، وأعدني من النار برحمتك» ويدعو لنفسه بما أحبّ ، وليكن وقوفه على الصفا أوّل مرّة أطول من غيرها ، ثمّ ينحدر ويقف على المرقاة الرابعة حيال الكعبة ويقول : «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وفتنته وغرْبته ووحشته وظلمته وضيقه وضنكه ، اللهم أظّلني في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلا ظلك» ، ثمّ ينحدر عن المرقاة وهو كاشف عن ظهره ويقول : «يا ربّ العفو ، يا من أمر بالعفو ، يا من هو أولى بالعفو ، يا من يثيب على العفو ، العفو العفو العفو ، يا جواد يا كريم ، يا قريب يا بعيد اردد عليّ نعمتك ، واستعملني بطاعتك ومرضاتك» ثمّ يمشي وعليه السكينة والوقار حتّى يصير إلى المنارة وهي طرف المسعى فيسعى ملء فروجه ويقول : «بسم الله والله أكبر ، اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعزّ الأكرم ، واهدني للتي هي أقوم ، اللهم إن عملي ضعيف فضاغفه لي وتقبل منّي ، اللهم لك سعيي ، وبك حولي وقوتي ، تقبل عملي يا من يقبل عمل المتقين ، فإذا جاز رزاق المطارين يقطع الهرولة ويمشي على سكون و وقار ويقول : «يا ذا المنّ والطول والكرم والنعماء والجود ، صلّ على محمد وآل محمد واغفر لي ذنوبي إنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت يا كريم» فإذا أتمى المروة يصعد عليها ويقوم حتّى يبدوله البيت ويدعو كما دعا على الصفا ويسأل الله حوائجه ويقول في دعائه : «يا من أمر بالعفو ، يا من يجزيء على العفو ، يا من دلّ على العفو ، يا من زينّ العفو ، يا من يثيب على العفو ، يا من يحبّ العفو ، يا من يعطي على للعفو ، يا من يعمو على العفو ، يا ربّ العفو العفو العفو» ويتضرّع إلى الله ويبكي فإن لم يقدر على البكاء فيتباكى ويجهد أن يخرج من عينيه الدموع ولو مثل رأس الذّباب ويجهد في الدعاء ، ثمّ ينحدر عن المروة إلى الصفا وهو

يمشي ، فإذا بلغ زقاق العطارين يسعى ملء فروجه إلى المنارة التي تلي الصفا ، فإذا بلغها يقطع الهرولة ويمشي حتى يأتي الصفا ويقوم عليه ويستقبل البيت بوجهه و يقول مثل ما قاله في الدفعة الأولى حتى يأتي المروة فيطوف بين الصفا والمروة سبعة أشواط يكون وقوفه على الصفا أربعاً وعلى المروة أربعاً والسعي بينهما سبعاً بيده بالصفا وينتخم بالمروة ، ومن ترك الهرولة في السعي في بعض المكان لم يحول وجهه ورجع القهقري حتى يبلغ الموضع الذي ترك فيه الهرولة ثم يهرول منه إلى الموضع الذي ينبغي له أن يقطعها فيه . ويستحب في السعي الطهارة من الحدث والنخب وقد عرفت أن السعي ركن في الحج والعمرة ، من تركه عامداً بطل حجه أو عمرته فلو كان ناسياً أتى به فإن شق عليه استناب فيه .

فإذا فرغ من السعي نزل من المروة وقصر من شعر رأسه من جوانبه ومن حاجبه ومن لحيته و يأخذ شاربه ويقلم أظفاره ويكفي مسمى الأخذ من الشعر أو الظفر ، فإذا فعل ذلك فقد أحل من كل شيء أحرم منه .

الجملة السادسة في الوقوف بعرفات وما قبله ، الحاج إذا أحرم بالحج توجه
إلى منى مليئاً كامراً ، وينبغي أن يكون ذلك يوم التروية إما قبل أن يصلّي الظهرين أو بعد على التخيير إلا الإمام فقبل لأن عليه أن يوقعهما بمنى مؤكداً ، ويقول وهو متوجه إلى منى : « اللهم إني أرجو ، وإني أدعو ، فبلغني أملي ، وأصلح لي عملي » فإذا أتم منى يقول : « الحمد لله الذي أقد منيها صالحاً في عافية وبلغني هذا المكان ، اللهم وهذه منى وهي مما مننت به علي أولياك من المناسك أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تمن علي فيها بما مننت علي أولياك وأهل طاعتك ، فإنما أنا عبدك وفي قبضتك » ، ثم يصلّي بها المغرب والعشاء الآخرة والفجر في مسجد الخيف ، ولتكن صلاته فيه عند المنارة التي في وسط المسجد وعلى ثلاثين ذراعاً من جميع جوانبها فذاك مسجد النبي ﷺ ومصلى الأنبياء الذين صلّوا فيه قبله ﷺ وما كان خارجاً من ثلاثين ذراعاً حولها من كل جانب البيت فليس من المسجد ، وينبغي أن يبيت بمنى إلى طلوع الفجر من يوم

عرفة لكن لا يجوز وادي محسر^(١) إلا بعد طلوع الشمس ويكره الخروج منها قبل الفجر إلا لضرورة وعلى الإمام أن يقيم بها إلى طلوع الشمس . ثم يمضي إلى عرفات ويقول وهو متوجه إليها : « اللَّهُمَّ إِلَيْكَ صَدَدْتُ ، وَإِيَّاكَ اعْتَمَدْتُ ، وَوَجْهَكَ أَرَدْتُ ، وَقَوْلَكَ صَدَّقْتُ ، وَأَمْرَكَ اتَّبَعْتُ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَبَارِكَ لِي فِي أَجَلِي ، وَأَنْ تَقْضِيَ لِي حَاجَتِي ، وَأَنْ تَجْعَلَ لِي مَنِّمًا بِمَا هِيَ بِهِ الْيَوْمَ مِنْ هُوَ أَفْضَلُ مَنِّي » ثم يلبس هوماراً إلى عرفات فإذا أتى عرفات يضرب خباء بنمرة قريباً من المسجد ، فإن ثمة ضرب رسول الله ﷺ خباء وقبسته ، فإذا زالت الشمس يوم عرفة يقطع التلبية ، ويغتسل ويصلي بها الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين ، وإثماً يتعجل في الصلاة ويجمع بينهما ليفرغ للدعاء فإنه يوم الدعاء والمسألة .

ثم يأتي الموقف وعليه السكينة والوقار ويقف بسفح الجبل في ميسرته ويدعو بدعاء الموقف ويدعو لأبويه كثيراً ويستوحيهما من ربه عز وجل ، ولا يقف إلا وهو على طهر وقد اغتسل ، وجمع رحله وتوجه بقلبه إلى الدعاء ويجب الوقوف بها إلى الغروب فإن أفاض قبله عامداً جبره ببدنة ، ولو كان جاهلاً أو ناسياً فلا شيء عليه .

قال في الفقيه^(٢) روى زرعة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إِذَا أَتَيْتَ الْمَوْقِفَ فَاسْتَقْبِلِ الْبَيْتَ وَسَبِّحْ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةً وَكَبِّرْ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةً وَتَقُولُ : « مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » مِائَةَ مَرَّةً ، وَتَقُولُ : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُمِيتُ وَيُحْيِي ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » مِائَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ تَقْرَأُ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، ثُمَّ تَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَتَقْرَأُ آيَةَ الْكَرْسِيِّ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْهَا ، ثُمَّ تَقْرَأُ آيَةَ السَّخَرَةِ « إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ » إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ تَقْرَأُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْهُمَا ، ثُمَّ تَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ

(١) قال عبد المؤمن البغدادي في الراصد : « محسر » - بالضم ثم الفتح ثم كسر السين المشددة وراء - واد بين منى ومزدلفة ، ليس من منى ولا من مزدلفة . هذا هو المشهور . وقيل : موضع بين مكة وعرفة . وقيل : بين منى وعرفة .

(٢) المصدر ص ٢٨٦ تحت رقم ٣٠ .

عليك و تذكر أنعمه واحدة واحدة ما أحصيت منها و تحمده على ما أنعم عليك من أهل أو مال و تحمد الله على ما أبلاك و تقول : « اللهم لك الحمد على نعمائك التي لا تحصى بعدد ولا تكافي بعمل ، و تحمده بكل آية ذكر فيها الحمد لنفسه في القرآن ، و تسبحه بكل تسبيح ذكر به نفسه في القرآن ، و تهلله بكل تهليل هلل به نفسه في القرآن ، و تصلي على محمد و آل محمد و تكثر منه ، و يجتهد فيه ، و تدعو الله تعالى بكل اسم سمى به نفسه في القرآن ، و بكل اسم تحسنه و تدعوه بأسمائه التي في آخر الحشر و تقول : « أسألك يا الله يا رحمن بكل اسم هو لك و أسألك بقوة و قدرتك و عزتك و بجميع ما أحاط به علمك و بجمعك و بأركانك كلها و بحق رسولك ﷺ ، و باسمك الأكبر الأكبر ، و باسمك العظيم الذي من دعاك به كان حقاً عليك أن تجيبه ، و باسمك الأعظم الأعظم الذي من دعاك به كان حقاً عليك أن لا تردّه و أن تعطيه ما سأل أن تغفر لي جميع ذنوبي في جميع علمك في » و تسأل الله حاجتك كلها من أمر الآخرة والدنيا و ترغب إليه في الوفاة في المستقبل و في كل عام ، و تسأل الله الجنة - سبعين مرة - و تتوب إليه - سبعين مرة - و ليكن من دعائك « اللهم فكّني من النار ، و أوسع عليّ من رزقك الحلال الطيب ، و ادراً عنّي شرّ فسقة الجنّ و الإنس و شرّ فسقة العرب والعجم ، فإن تقدّم هذا الدعاء ولم تغرب الشمس فأعده من أوّله إلى آخره ، و لا تملّ من الدعاء و التضرّع والمسألة .

و روى معاوية بن عمار ^(١) ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : ألا أعلمك دعاء يوم عرفة و هو دعاء من كان قبلي من الأنبياء ؟ فقال علي عليه السلام : بلى يا رسول الله ، قال : فتقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، ويميت ويحيي وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، اللهم لك الحمد أنت كما تقول و خير ما يقول الفائلون ، اللهم لك صلاتي و ديني و محياي و مماتي و لك ترائي و بك حولي و منك قوتي ، اللهم إني أعوذ بك من الفقر و من وسواس الصدر و من شتات الأمر و من عذاب النار و من عذاب القبر ، اللهم

(١) الفقيه ص ٢٨٧ رقم ٣١ ، وفي التهذيب ج ١ ص ٤٩٨ بسند آخر مع زيادة في آخره .

إنني أسألك من خير ما تأمني به الرياح ، وأعوذ بك من شر ما تأمني به الرياح ، وأسألك
خير الليل والنهار .

و رواية عبد الله بن سنان ^(١) : اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي و بصري
ولحمي ودمي وعظامي وعروفي ومفاصلي ومقعدتي ومقامي ومدخلي ومخرجي نوراً
وأعظم لي نوراً يا رب يا رب يوم ألقاك إنك على كل شيء قدير .
قال مصنف هذا الكتاب ^(٢) : هذا الدعاء تام كاف لموقف عرفة وقد أخرجت دعاء
جامعاً لموقف عرفة في كتاب دعاء الموقف فمن أحب أن يدعو به دعا به إن شاء الله . انتهى
كلام الفقيه .

وأقول : دعاء الموقف لحسين بن علي ^(٣) مشهور وكذا لعلي بن الحسين ^(٤) عليه السلام
في الصحيفة المباركة ^(٥) ومسمى الكون بعرفة ركن من تركه عامداً فلا حج له وإن كان
لعذر تداركه ولوقبل الفجر من يوم النحر إن أمكنه وإلا اجتزأ بالوقوف بالمشعر ولو
تردد في إمكان إدراكه قبل الفجر لم يجب عليه إتيانه ويكتفي بالمشعر وقد تم حجه .
الجملة السابعة في الإفاضة من عرفات إلى المشعر الحرام والوقوف به قال في
الفقيه ^(٥) فإذا غربت الشمس يوم عرفة فامش وعليك السكينة والوقار وافض بالاستغفار
فإن الله عز وجل يقول : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » ^(٦) واستغفروا الله إن الله
غفور رحيم .

و روي زرعة عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله ^(٧) : « إذا غربت الشمس يوم
عرفة فقل : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا الموقف ، وارزقنيه أبدأ ما أهيئني

(١) الفقيه ص ٢٨٧ تحت رقم ٣٢ . وفي التهذيب ج ١ ص ٤٩٨ ذيل حديث .

(٢) من كلام الصدوق - رحمه الله - في ذيل الخبر .

(٣) راجع اقبال الاعمال للسيد ابن طاووس ص ٣٠٩ .

(٤) راجع الصحيفة السجادية الدعاء السابع والاربعين .

(٥) المصدر ص ٢٨٧ تحت رقم ٣٣ .

(٦) البقرة : ١٩٩ .

واقبلني اليوم مفلحاً منجحاً ، مستجاباً لي مرحوماً مغفوراً لي بأفضل ما ينقلب به اليوم أحدٌ من وفدك و حجاج بيتك الحرام ، واجعلني اليوم من أكرم وفدك عليك و أعطني أفضل ما أعطيت أحداً منهم من الخير و البركة و الرحمة و الرضوان و المغفرة ، وبارك لي فيما أرجع إليه من أهل و مال أو قليل أو كثير و بارك لهم في " ، فإذا أفضت فاقتصد في السير و عليك بالدعة و امرك الوجيف^(١) الذي يصنعه كثير من الناس في الجبال والأودية فإن رسول الله ﷺ كان يكف ناقة حتى تبلغ رأسها الورك ويأمر بالدعة ، وسنته السنة التي تتبع فإذا انتهيت إلى الكثيب الأحمر وهو على يمين الطريق قل : «اللهم أرحم موقفي وبارك لي في عملي و سلم لي ديني و تقبل مناسكي ، فإذا أتيت مزدلفة وهي جمع^(٢) فأنزل في بطن الوادي عن يمين الطريق قريباً من المشعر الحرام ، فإن لم تجد فيه موضعاً فلا تتجاوز الحياض التي عند وادي محسر ، فإنها فصل ما بين جمع ومنى وصل المغرب و العشاء بأذان واحد و إقامة ، ثم صل نوافل المغرب بعد العشاء ولا تصل المغرب ليلة النحر إلا بالمزدلفة ، وإن ذهب ربع الليل إلى ثلثه فبت بمزدلفة ، و ليكن من دعائك فيها « اللهم هذه جمع فاجمع لي فيها جوامع الخير كله ، اللهم لا تؤسني من الخير الذي سألتك أن تجمع له لي في قلبي ، و عرفني ما عرفت أوليائك في منزلي هذا ، و هب لي جوامع الخير و اليسر كله » و إن استطعت أن لا تنام تلك الليلة فافعل فإن أبواب السماء لا تغلق لأصوات المؤمنين ، لها دوي كدوي النحل ، يقول الله تعالى : «أنا ربكم و أنتم عبادي ، يا عبادي أدبتم حقّي و حقّ عليّ أن أستجيب لكم » فيحط تلك الليلة ممن أراد أن يحط عنه ، و يغفر ذنوبه لمن أراد .

قال : و خذ حصي الجمار من جمع و إن شئت أخذتها من رحلك بمنى ، ولا تأخذ من حصي الجمار الذي قد رمي ، ولا تكسر الأحجار كما يفعل عوام الناس ، ولا بأس أن تأخذ حصي الجمار من حيث شئت من الحرم إلا من المسجد الحرام و مسجد الخيف

(١) الوجيف : ضرب من سير الابل .

(٢) انما سمي المزدلفة جمعاً لا اجتماع الناس فيه أو لانه يجمع فيه بين المغرب

والعشاء بأذان وإقامتين .

و تكون منقطعة كحلية مثل الأنملة أو مثل حصى الخثف ، و اضلها و هي سبعون حصاة و شدّها في طرف ثوبك و احفظ بها .

فإذا طلع الفجر فصلّ الفداة ، وقف بالمشعر الحرام بسفح الجبل ، و يستحبّ للضرورة أن يعلّم المشعر برجله أو بإحبلته إن كان راكباً قال الله تعالى : « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام و اذكروه كما هداكم و إن كنتم من قبله لمن الضالّين »^(١) وليكن وقوفك و أنت على غسل و قل : « اللهم ربّ المشعر الحرام ، و ربّ الركن و المقام ، و ربّ الحجر الأسود و زمزم ، و ربّ الأيام المعلومات فكّر ربّتي من النار و أوسع عليّ من رزقك الحلال ، و ادركني شرّ فسقة الجنّ و الإنس ، و شرّ فسقة العرب و العجم ، اللهم أنت خير مطلوب إليه و خير مدعوّ و خير مسؤل ، و لكلّ و افد جائزتي فاجعل جائزتي في موطني هذا أن تقبلني عثرتي ، و تقبل معذرتي ، و تتجاوز عن خطيئتي و تجعل التقوى من الدنيا زادي ، و تقبلني مفلحاً ، منجحاً ، مستجاباً لي بأفضل ما يرجع به أحد من وفدك ، و حجّاج بيتك الحرام » .

و ادع الله تعالى كثيراً لنفسك و لوالديك و ولدك و أهلك و مالك و إخوانك المؤمنين و المؤمنات ، فإنّه موطن شريف عظيم و الوقوف فيه فريضة .

فإذا طلعت الشمس فاعترف لله تعالى بذنوبك - سبع مرّات - و أسأله التوبة - سبع مرّات - و إذا كثرت الناس بجمع و ضاقت عليهم ارتفعوا إلى المأزمين . انتهى كلامه^(٢) .

و أقول : مسمّى الكون بالمشعر ركن من تركه عامداً فلا حجّ له و إن كان لعذر تداركه و لو قبل الزوال و إلّا بطل حجّه و إن أدرك اختياري عرفة على الأصحّ .

الجملة الثامنة في الإفاضة من المشعر الحرام إلى منى و قضاء مناسكها قال في الفقيه : فإذا طلعت الشمس على جبل ثبير^(٣) و رأت الإبل مواضع أخفافها فأفّض وإيّاك

(١) البقرة : ١٩٨ .

(٢) يعنى الصدوق - رحمه الله - و في القاموس المأزم و يقال له : المأزمان مضيق بين جمع و عرفة و آخرين مكة و منى .

(٣) ثبير - بتقديم المثلثة على الموحدة - : جبل بين مكة و منى ، و يرى من منى وهو على بين الدّاخل منها الى مكة . (المصباح)

أن تفيض منها قبل طلوع الشمس فيلزمك دم شاة ، وأفض عليك السكينة والوفار
واقصد في مشيك إن كنت راجلاً ، وفي مسيرك إن كنت راكباً ، وعليك بالاستغفار فإن
الله تعالى يقول : «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيم» (١) ،
وبكره المقام عند المشعر الحرام بعد الإفاضة ، فإذا انتهيت إلى وادي محسر وهو وادي
عظيم بين جمع ومنى وهو إلى منى أقرب فاسع فيه مقدار مائة خطوة ، وإن كنت راكباً
فحرك راحلتك قليلاً ، وقل : «رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز
الأكرم» كما قلت في السعي بمكة ، وكان رسول الله ﷺ يحرك ناقته فيه ويقول :
«اللهم سلم عهدي» (٢) وأقبل ثوبي ، وأجب دعوتي ، وأخلفني فيما تركت بعدي .
ومن ترك السعي في وادي محسر فعليه أن يرجع حتى يسعى فيه ومن لم يعرف
موضعه سأل الناس عنه .

ثم امض إلى منى فإذا أتيت رحلك بمنى فاقصد إلى جرة العقبة وهي القصوى
و أنت على طهر ، وأخرج مما معك من حصي الجمار سبع حصيات وتقف في وسط الوادي
مستقبل القبلة يكون بينك وبين الجمرة عشر خطوات أو خمس عشرة خطوة ، وتقول
و أنت مستقبل القبلة والحصي في كفك اليسرى : «اللهم هذه حصياتي فأحصن لي
وارفعن في عملي» ثم تتناول منها واحدة واحدة وترمي الجمرة من قبل وجهها ولا ترميها
من أعلاها ، وتقول مع كل حصاة إذا رميتها : «الله أكبر اللهم ادر عنّي الشيطان» (٣)
وجنوده اللهم اجعله حجاً مبروراً ، وعملاً مقبولاً ، وسعيّاً مشكوراً ، وذنباً مغفوراً ،
اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك وعلى سنة نبيك محمد ﷺ ، حتى ترميها بسبع
حصيات ، ويجوز أن تكبر مع كل حصاة ترميها تكبيرة ، فإن سقطت منك حصاة في
الجمرة أو في طريقك فخذ مكانها من تحت رجلك ولا تأخذ من حصي الجمار الذي
قد رمي .

(١) البقرة: ١٩٩.

(٢) في الكافي ج ٤ ص ٤٧١ «اللهم سلم لي عهدي» .

(٣) دحره أى طرده وأبعده .

قال : و ترمي يوم الثاني و الثالث و الرابع كل يوم بأحد و عشرين حصاة و ترمي إلى الجمرة الأولى بسبع حصيات ، و تقف عندها و تدعو ، و إلى الجمرة الثانية بسبع حصيات ، و تقف عندها و تدعو ، و إلى الجمرة الثالثة بسبع حصيات و لا تقف عندها فإذا رجعت من رمي الجمار يوم النحر إلى رحلك بمنى فقل : « اللهم بك وثقت و عليك توكلت فنعم الرب أنت و نعم المولى و نعم النصير » .

و اشتر هديك إن كان من البدن أو من البقر أو من الغنم و إلا فاجعله كبشاً سميناً فحلاً ، فإن لم تجد فحلاً فموجوهاً^(١) من الضأن فإن لم تجد فتيساً فحلاً ، فإن لم تجد فما تيسرك ، و عظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ، و لا تعط الجزار جلودها و لا فلالها و لا جلالها و لكن تصدق بها و لا تعط السلاح منها شيئاً .

فإذا اشتريت هديك فاستقبل القبلة و انحره أو اذبحه و قل : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض حنيفاً مسلماً و ما أنا من المشركين ، إن سلامي و نسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت و أنا من المسلمين ، اللهم منك و لك بسم الله و الله أكبر ، اللهم تقبل مني » ثم اذبح و لا تمنع حتى تموت و يبرد ، ثم كل و تصدق و أطعم و أهد إلى من شئت .

اقول : و لا يجزى في الهدي أقل من واحد إلا مع الضرورة فيجزى البقرة عن خمسة إذا كانوا أهل خوان واحد ، و في الصحيح يشترط أن يكون ثنياً في غير الضأن و فيه يكفي الجذع و الثني من الإبل ما دخل في السادسة و من الآخرين ما دخل في الثالثة ، و قيل : الثانية و أن يكون تاماً فلا يجزى العوراء و لا العرجاء و لا المقطوعة الأذن إلا أن يكون مشقوقاً أو مثقوباً و لم يذهب منهما شيء .

و في الفقيه قال رسول الله ﷺ : « لا تضحي بعرجاء بين عرجها ، و لا بالعوراء بين عورها ، و لا بالعجفاء ، و لا بالجرباء ، و لا بالجذعاء ، و لا بالعضباء ، و هي المكسورة القرن ، و الجذعاء المقطوعة الأذن »^(٢) .

(١) الموجوه : من الوجاء - بالكسر و الـد - و هورس عروق البيهتين حتى تنفضها

فيكون شبيهاً بالخصاء ، و قيل : هورس الخصيتين . و في الفقيه « موجئاً » .

(٢) المصدر ص ٢٧٣ تحت رقم ٧ .

ويستحب أن يكون سميناً ينظر في سواد و يمشي في سواد و يأكل و يشرب في سواد كما ورد في الأخبار ، و الوجوه الثلاثة في تفسيرها مشهورة ، و قيل : كلها مروية عن أهل البيت عليهم السلام ، و أن يكون مما عرف به أي احضر عشيّة عرفة بعرفات ، و أن يكون اثني من الإبل و البقر و فحلاً من الغنم ، و أن ينحر الإبل قائمة قد ربطت بين الخف و الركبة و يطعمها من الجائب الأيمن ، و أن يتولى الذبح بنفسه إذا أحسن وإلا وضع يده مع يد الذابح .

و إذا فرغ من الذبح حلق رأسه بأن يستقبل القبلة و يديه بالناصية و يقول : «اللهم أعطني بكل شعرة نوراً يوم القيامة» ويدفن شعره بمنى وإن شاء قصر ، و الحلق للضرورة و الملبّد أولى بل يتعيّن ^(١) .

و إذا حلق فقد حلّ له كل شيء إلا الطيب و النساء ، فإذا طاف للحج و سعى حلّ له الطيب و إذا طاف للنساء حللن له .

و يجب على المتمتع أن يمضي إلى مكة لطواف الزيارة و السعي و طواف النساء يوم النحر أو من غده ولا يؤخر عن ذلك و موسّع للمفرد أن يؤخر .

و يجب على الحاج أن يبيت بمنى ليلتي الحادي عشر و الثاني عشر ، فإن بات بغيرها فعليه عن كل ليلة دم شاة إلا أن يكون مشغولاً بالعبادة أو يخرج من منى بعد انتصاف الليل .

الجملة التاسعة في النفر. من منى قال في الفقيه ^(٢) : فإذا أردت أن تنفر من منى يوم الرابع من يوم النحر نفرت إذا طلعت الشمس ولا عليك أي ساعة نفرت ورميت قبل الزوال أو بعده ، فإذا أردت أن تنفر في النفر الأول و هو يوم الثالث فانفر إذا زالت الشمس فإنه ليس لك أن تنفر قبل الزوال ، وإن أنت أقمّت إلى أن تغيب الشمس فليس لك أن تخرج من منى و وجب عليك المقام إلى يوم الرابع من يوم النحر و هو النفر الأخير

(١) تلبيد الشعر أن يجعل فيه شيء من صمغ أو غطى وغيره عند الاحرام لتلاشع

و يقلل اتقاء على البشر . (مجمع البحرين)

(٢) المصدر ص ٢٩١ تحت رقم ٥٧ .

وافض إلى مكة مهكلاً وممجداً وداعياً ، فإذا بلغت مسجد النبي ﷺ وهو مسجد الحصباء
 دخاته واستلقيت فيه على قفاك بقدر ما تستريح ، ومن نرف في النفر الأول فليس عليه أن
 يحصب ، ثم ادخل مكة وعليك السكينة والوفار وقد فرغت من كل شيء لزمك في حج
 أو حرة وابتع بدرهم تمرأ ومصدق به يكون كفارة لما دخل عليك في إحرامك بمالم تعلم .
 وإن أحببت أن تدخل الكعبة فادخلها وإن شئت لم تدخلها إلا أن تكون ضرورة
 فلا بد لك من دخولها ، واقتسل قبل أن تدخلها وقل : إذا دخلتها : « اللهم إني قلت
 في كتابك : « ومن دخله كان آمناً » فآمنني من عذابك عذاب النار » ، ثم صل بين
 الاسطوأتين على البلاطة الحمراء ^(١) ركعتين تقرأ في الأولى الحمد وحمل السجدة ، وفي الثانية
 عدد آياتها من القرآن وتصلّي في زواياها وتقول : « اللهم من تبعني أو تبعاً أو أعداً أو استعدت
 لوفادة إلى مخلوق رجاء رفته ونوافله وجوائزه فأليك ياسيدي تهيتني وإعدادي واستعدادي
 رجاء رفته ونوافلك وجائزتك ، فلا تخيب اليوم رجائي يا من لا يخيب عليه سائل ، ولا
 ينقصه نائل ، ولا يبلغ مدحته قائل ، فأني لم آتكم بعمل صالح قدّمته ، ولا شفاعة مخلوق
 رجوتها ، لكنني أتييتكم مفرأ بالظلم والإساءة على نفسي ، أتييتكم بلا حجة ولا عذر فأسألك
 يا من هو كذلك أن تعطيني منيتي وتقبلني برحمتك ولا تردني محروماً خائباً ، يا عظيم
 عظيم أرجوك للعظيم ، أسألك يا عظيم أن تغفر لي الذنب العظيم ، فأنت لا يغفر الذنب
 العظيم إلا العظيم ، ولا تدخلها بحذاء ولا خف ولا تبرق فيها ولا تمتخط .

فإذا أردت وداع البيت فطف به أسبوعاً وصل ركعتين حيث أحببت من الحرم
 وأنت العظيم - والعظيم ما بين باب الكعبة والحجر الأسود - فتعلق بأستار الكعبة وأنت
 قائم وأحد الله تعالى وأثن عليه وصل على النبي وآله ثم قل : « اللهم عبدك وابن عبدك ابن
 أمتك حملته على دوابك وسيرته في بلادك وأقدسته المسجد الحرام ، اللهم وقد كان في أملي
 ورجائي أن تغفر لي فإن كنت يارب قد فعلت ذلك فازدعني رضى وفر بني إليك زلفى
 وإن لم تكن يارب فعلت ذلك ، فمن الآن فاغفر لي قبل أن تنأى داري عن بيتك ، غير راغب عنه
 ولا مستبدل به ، هذا أو أن انصرافي إن كنت قد أذنت لي ، اللهم فاحفظني من بين يدي ،

(١) البلاط : الحجارة المفروشة في الدار وغيرها .

ومن خلفي ، ومن تحتي ، ومن فوقي وعن يميني ، وعن شمالي حتى تُقدمني أهلي صالحاً ، فإذا أقدمتني أهلي فلا تدخل مني ، واكفني مؤونة عيالي ومؤونة خلقي » .
فإذا بلغت باب الحنّاطين فاستقبل الكعبة بوجهك وخرّ ساجداً وأسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبّله منك ولا يجعله آخر العهد منك ، ثمّ تقول وأنت مارٌّ : « آمين ، تائبون ، حامدون لرّبنا ، شاكرون ، إلى الله راغبون ، وإلى الله راجعون ، وصلى الله على محمد وآله كثيراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها ، وزيارة أهل البيت عليهم السلام .

روى في الفقيه ^(١) عن محمد بن سليمان الدّيلمى عن إبراهيم بن أبي حجر الأسلمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : من أتى مكّة حاجاً ولم يرزني إلى المدينة جفوته يوم القيامة ، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي ، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة ، ومن مات في أحد الحرمين مكّة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب ومات مهاجراً إلى الله عزّ وجلّ وحشر يوم القيامة مع أصحاب بدر » .
وروي فيه عن هشام بن المثنى ، عن سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال له : « ابدؤوا بمكّة واختموا بنا ^(٢) » .

وعن عمر بن أذينة ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثمّ يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم ^(٣) » .
وفيه قال الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام لرسول الله ﷺ : « يا أبتاه ما جزاء من زارك ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا بنيّ من زارني حيّاً أو ميتاً ، أو زار أباك ، أو زار أخاك ، أو زارك كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأُخلّصه من ذنوبه ^(٤) » .
وروى الحسن بن عليّ الوشاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته ، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم ، وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أثمتهم شفاعتهم يوم القيامة ^(٥) » .

(١) و(٢) و(٣) و(٤) المصدر ص ٢٩٣ و ٢٩٢ و ٢٩٦ .

(٥) المصدر ص ٢٩٧ .

وروى علي بن الحكم عن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « ما من نبي ولا وصي نبي يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتى يرفع بروحه وعظمه ولحمه إلى السماء وإنما يؤتى مواضع آثارهم ويبلغونهم من بعيد السلام ^(١) » .
وأما الآداب فإذا توجه من مكة إلى المدينة فيستحب أن يصلي في مسجد غدير خم إذا انتهى إليه .

ففي القبة عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنه يستحب الصلاة في مسجد الغدير لأن النبي صلى الله عليه وآله أقام فيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو موضع أظهر الله عز وجل فيه الحق » .

وأن ينزل معرس النبي صلى الله عليه وآله فيه ^(٢) عن معاوية بن عمار قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « إذا انصرفت من مكة إلى المدينة وانتهيت إلى ذي الحليفة وأنت راجع إلى المدينة من مكة فائت معرس النبي صلى الله عليه وآله فإن كنت في وقت صلاة مكتوبة أو نافلة فصل ، وإن كان غير وقت صلاة فأنزل فيه قليلاً ، فإن النبي صلى الله عليه وآله قد كان يعرس فيه ويصلي فيه » .

وروى علي بن مهزيار عن محمد بن القاسم بن الفضيل قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : « جعلت فداك إن جئنا مرسنا ولم ينزل المعرس ؟ فقال : لا بد أن ترجعوا إليه فرجعنا إليه ^(٣) » .

وسأل العيص بن القاسم أبا عبدالله عليه السلام عن الغسل في المعرس ، فقال : « ليس عليك فيه غسل ^(٤) » .

والتعرس هو أن يصلي فيه ويضطجع فيه ليلاً مرّ به أو نهراً ^(٥) .
قال أبو حامد : « فمن قصد الزيارة للمدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وآله في طريقه كثيراً فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال : « اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب » وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرّة » .

(١) القبة ص ٢٩٧ .

(٢) إلى (٥) المصدر ص ٢٩٢ .

وليتهطيب ويلبس أنظف ثيابه ، فإذا دخلها فليدخلها متواضعاً معظماً .

وقال في الفقيه : إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها أو حين تدخلها ، ثم أت قبر النبي ﷺ وادخل المسجد من باب جبرئيل عليه السلام فإذا دخلت فسلم على رسول الله ﷺ ثم قم عند الأستوانة المقدّمة من جانب القبر من عند زاوية القبر وأنت مستقبل القبلة ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر ومنكبك الأيمن مما يلي القبر فإنه موضع رأس النبي ﷺ ثم تقول : « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أنك رسول الله ، وأشهد أنك محمد بن عبد الله ، وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك ، وجاهدت في سبيل الله ، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأديت الذي عليك من الحق » وأنت قد رؤفت بالماؤمنين وغلظت على الكافرين ، فبلغ الله بك أشرف محل المكرمين ، الحمد لله الذي استتقنا بك من الشرك والضلالة ، اللهم اجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقرّين وعبادك الصالحين وأنبيائك المرسلين وأهل السماوات والأرضين ومن سبج لك يا رب العالمين من الأولين والآخرين على محمد عبدك ورسولك ونبيك وأمينك ونجيبك وحبيبك وصفيك وخاصتك وصفوتك من بريتك وخيرتك من خلقتك ، اللهم وأعطه الدرجة والوسيلة من الجنة ، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرين ، اللهم إنك قلت وقولك الحق : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » وإني أئمت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبي يا رسول الله إني أوجه بك إلى الله ربي وربك ليغفر لي ذنوبي .

و إن كانت لك حاجة فاجعل النبي ﷺ خلف كتفك واستقبل القبلة و ارفع يديك واسأل حاجتك فإنك حري أن تفضى لك إن شاء الله .

ثم قل وأنت مسند ظهرك إلى المروة الخضراء الدقيقة العرض مما يلي القبر وأنت مسند إليه مستقبل القبلة : « اللهم إليك ألجأت أمري وإلى قبر محمد عبدك ورسولك صلواتك عليهم وآله أسنعت ظهري والقبلة التي رضيت لمحمد استقبلت ، اللهم إني أصبحت لأملك نفسي خيراً أرجولها ، ولا أدفع عنها شراً أحذر عليها ، وأصبحت لأجور يديك فلا فقير

أفقر مني ، إنني لما أنزلت إلي من خير فقير ، اللهم ارددني منك بخير لا راد لفضلك ، اللهم إنني أعوذ بك من أن تبدل اسمي ، وأن تغير جسمي أو تزيد نعمتك عني ، اللهم زيني بالتقوى ، وجعلني بالنعمة ، وأغمرني بالعافية ، وارزقني شكر العافية .

ثم أت المنبر فامسح عينيك ووجهك برماتيه فإنه يقال : إنه شفاء للعين ، وقم عنده واحمد الله وأثن عليه وسل حاجتك فإن رسول الله ﷺ قال : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وإن منبري على ترعة من ترع الجنة وقوائم المنبر ربت في الجنة » والترعة هي الباب الصغير .

ثم أت مقام النبي ﷺ وصل عنده ما بدا لك ، ومتى دخلت المسجد فصل على النبي ﷺ وكذلك إذا خرجت .

ثم أت مقام جبرئيل عليه السلام وهو تحت الميزاب فإنه كان مقامه إذا استأذن على نبي الله ثم قل : أي جواد أي كريم أي قريب أي بعيد أسألك أن ترد علي نعمتك ، وذلك مقام لا تدعو فيه حائض فتستقبل القبلة إلا رأت الطهر ، ثم تدعوبدعاء الدّم تقول : « اللهم إنني أسألك بكل اسم هو لك أو تسميت به لأحد من خلقك أو هو مأثور في علم الغيب عندك وأسألك باسمك الأعظم الأعظم الأعظم ، وبكل حرف أنزلته على موسى ، وبكل حرف أنزلته على عيسى ، وبكل حرف أنزلته على محمد صلواتك عليه وآله وعلى أنبياء الله إلا فعلت بي كذا وكذا » .

والحائض تقول : « إلا أذهبت عني هذا الدّم » ، وإن كان لك بالمدينة مقام ثلاثة أيام صمت يوم الأربعاء وصليت ليلة الأربعاء عند أسطوانة التوبة وهي اسطوانة أبي لبابة التي ربط نفسه إليها ، وتعد عندها يوم الأربعاء ، ثم تأتي ليلة الخميس الأسطوانة التي عليها تما يلي مقام النبي ﷺ فتعد عند هابلتك ويومك وتصوم يوم الخميس ثم تأتي الأسطوانة التي يلي مقام النبي ﷺ ومصلا ليلة الجمعة فتصلي عندها ليلتك ويومك وتصوم يوم الجمعة ، وإن استطعت أن لا تتكلم بشيء هذه الأيام إلا بما لا بد منه ولا تخرج من المسجد إلا لحاجة ، ولا تنام في ليل ولا نهار إلا القليل فافعل ، واحمد الله عز وجل يوم الجمعة وأثن عليه وصل على النبي وآله ثم سل حاجتك ، ثم قل : « اللهم ما كانت

لي إليك من حاجة شرعت في طلبها والتماسها أولم أشرع سألتكها أولم أسألكها فإني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة في قضاء حوائجي صغيرها وكبيرها .
ويستحب زيارة فاطمة عليها السلام في المسجد قال في الفقيه ^(١) « اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيدة العالمين عليها السلام . فمنهم من روى أنها دفنت في البقيع . ومنهم من روى أنها دفنت بين القبر والمنبر وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما قال : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » ^(٢) لأن قبرها بين القبر والمنبر . ومنهم من روى أنها دفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية في المسجد سارت في المسجد وهذا هو الصحيح عندي .

قال : وهو عند الأسطوانة التي تدخل إليها من باب جبرئيل عليه السلام إلى مؤخر الحظيرة التي فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ذكر زيارتها كلاماً طويلاً من أراد فليطلبه من الفقيه ^(٣) .

وقال : إذا أميت قبر الأئمة عليهم السلام بالبقيع فاجعله بين يديك ، ثم قل : « السلام عليكم يا أئمة الهدى ، السلام عليكم يا أهل التقوى ، السلام عليكم يا حجج الله على أهل الدنيا ، السلام عليكم أيها القوامون في البرية بالقسط ، السلام عليكم يا أهل الصفة ، السلام عليكم يا أهل النجوى أشهد أنكم قد بلغت من نصحتكم وسبرتم في ذات الله عز وجل » وكذا يتم واسمى إليكم ففغرتهم ، وأشهد أنكم الأئمة الراشدون ، وأن طاعتكم مفترضة ، وأن قولكم الصدق ، وأنكم دعوتهم فلم يجابوا . وأمرتهم فلم تطاعوا ، وأنكم دعائم الدين ، وأركان الأرض فلم تزالوا بعين الله ينسخكم في أصلاب المطهرين ، وينقلكم من أرحام المطهرات ، لم تدنسكم الجاهلية الجاهلاء ، ولم يشترك فيكم فتن الأهواء ، طبتهم وطاب منبتكم ، أتم الذين من الله علينا بكم ديناً الدين فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وجعل صلاتنا عليكم رحمة لنا وكفارة لذنوبنا إذ اختاركم لنا

(١) المصدر ص ٢٩٥ .

(٢) ورواه الكليني في الكافي ج ٤ ص ٥٥٣ و ٥٥٤ .

(٣) ص ٢٩٥ .

وطيب خلقنا بما من علينا من ولايتكم وكنا عنده بفضلكم معترفين ، وبصدقنا إياكم مقررين وهذا مقام من أسرف وأخطأ واستكان وأقر بما جنى ورجا بمقامه الخلاص وأن يستنقذه بكم مستنقذ الهلكى من النار ، فكونوا لي شفعاء فقد وفدت إليكم إذ رغب عنكم أهل الدنيا ، واتخذوا آيات الله هزوا واستكبروا عنها ، يا من هو قائم لا يسو ، و دائم لا يلهو ، ومحيط بكل شيء ، لك المن بما وفقني وعرفتني بما ائتمنتني عليه إذ صد عنه عبادك ، وجعلوا معرفتهم ، واستخفوا بحقهم ومالوا إلى سواهم ، وكانت المنّة منك عليّ مع أقوام خصصتهم بما خصصتني ، به فلك الحمد إذ كنت عندك في مقامي مكتوباً ، فلا تحرمني مارجوت ، ولا تخيبني فيما دعوت ، وادع لنفسك بما أحببت .

ثم صلّ ثمان ركعات في المسجد الذي هناك وتفرّغ فيها ما أحببت وتسلّم في كلّ ركعتين ، وقال : إنه مكان صلّت فيه فاطمة عليها السلام .

قال : ^(١) ولا تدع أن تأتي المشاهد كلّها مسجد قبا ومشربة أمّ إبراهيم ومسجد الفضيح وقبور الشهداء ومسجد الأحزاب وهو مسجد الفتح ، وتطوّع فيها بما أحببت من الصلاة ، وإذا أتيت قبور الشهداء قل : «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» وإذا أتيت مسجد الفتح قل : «يا صريح المكروبين ، ويا مجيب المضطرين اكشف غمي غمي وهمني وكرمي كما كشفت عن نبيك صلواتك عليه وآله همته وغمته وكرمه وكفيته هول عدوه في هذا المكان » .

فإذا أردت أن تخرج من المدينة فأت موضع رأس النبي صلى الله عليه وآله فسلم عليه ، ثم أت المنبر وصلّ عنده على النبي صلى الله عليه وآله ما استطعت ، وادع لنفسك بما أحببت للدّين والدنيا ثم ارجع إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله والزرق منكبك الأيسر بالقبر قريباً من الأسطوانة التي دون الأسطوانة المخلفة عند رأس النبي صلى الله عليه وآله فصلّ ست ركعات أو ثمان ركعات واقراً في كلّ ركعة الحمد وسورة واقفت في كلّ ركعتين ، فإذا فرغت منها استقبلت رسول الله صلى الله عليه وآله وقلت مودّعاً له صلى الله عليه وآله : «صلى الله عليك ، السلام عليك ، لا جملته الله آخر تسليمي عليك ، اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر نبيك صلواتك عليه وآله ،

(١) ينسب الصدوق - رحمه الله - في الفقيه .

وان توفيتني قبل ذلك ، فإني أشهد في مماتي على ما أشهد في حياتي أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك .

أقول : وأما زيارة سائر الأئمة عليهم السلام في مواضعهم وآدابها والكلام عندها وفضائلها فيأتي ذكرها في كتاب آداب السفر من ربح العادات إن شاء الله .

قال أبو حامد : « وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول : « اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً » ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدمه كيلا يقدم عليهم بغتة ، فذلك هو السنة ، ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلاً ، فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولاً وليصل ركعتين فهو السنة فإذا دخل بيته قال : « توباً توباً لربنا أوباً لا يفادر علينا حوباً » فإذا استقر في منزله فلا ينبغي أن ينسي ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمة وقبر نبيه صلى الله عليه وآله فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فمما ذلك علامة الحج المبرور ، بل علامته أن يعود زاهداً في الدنيا ، راقباً في الآخرة متاهباً للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

﴿ الباب الثالث ﴾

في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة .

﴿ بيان دقائق الآداب وهي عشرة ﴾

الأول أن تكون النية حلالاً ، وتكون البدخالياً عن تجارة تشغل القلب ، وتفرق الهم حتى تكون الهم مجرداً لله ، والقلب مطمئناً منصرفاً إلى ذكر الله وتعظيم شعائره وقد روي في خبر من طريق أهل البيت عليهم السلام : « إذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزعة ، وأغنياءهم للتجارة ، وفقراءهم للمسألة وقرأهم للسُّمعة » (١) وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي يتصور أن تتصل بالحج وكل ذلك مما (١) أخرجه الخطيب في تاريخه بدون ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب الساتين بلفظ آخر كما في المتن .

يمنع فضيلة الحجّ و يخرجّه عن حيثّ حجّ الخصوص لاسيّما إذا كان متّجراً بنفس الحجّ بأنّ يحجّ لغيره بأجرة فيطلب الدّنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون و أرباب القلوب ذلك إلّا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه .

أقول : أو يكون قصده نفس الحجّ ولم يكن ممّن قد حجّ ولم يكن له ما يبلغه قطّ . قال : ^(١) فلا بأس أن يأخذ على هذا القصد ، لا يتوسّل بالدين إلى الدنيا ، بل بالدنيا إلى الدين ، و عند ذلك ينهني أن يكون قصده زيارة بيت الله ، و معاونة أخيه المسلم بإسقاط الغرض عنه ، و في مثله قوله ^(٢) : « يدخل الله تعالى بالحجّة الواحدة ثلاثة الجنّة : الموصي بها ، و المتخذ لها ، و من حجّ بها عن أخيه » ^(٣) و لست أقول : لا تحمل الأجرة أو يحرم عليه ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه ، ولكنّ الأولى أن لا يفعل و لا يتخذ ذلك مكسبه و متجره فإنّ الله يعطي الدنيا بالدين و لا يعطي الدين بالدنيا ، و في الخبر « مثل الذي يغزو في سبيل الله و يأخذ أجراً مثل أمّ موسى ترضع ولدها و تأخذ أجراً » ^(٤) فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحجّ مثال أمّ موسى فلا بأس بأخذه فإنّه يأخذ ليتمكّن من الحجّ و الزيارة وليس يحجّ ليأخذ الأجرة كما كانت تأخذ ليتيسّر بها الإرضاع بتلبّيس حالها عليهم .

الثاني : أن لا يعاون أعداء الله بتسليم المكس ^(٥) إليهم وهم الصادّون عن المسجد الحرام من أمراء مكة و الأعراب المترصدين في الطرق فإنّ تسليم المال إليهم إعانة على الظلم و تميسير لأسبابه عليهم فهو كالإعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء - ولا بأس بما قاله - : إنّ ترك التنفّل بالحجّ و الرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فإنّ هذه بدعة أحدثت ، و في الإقياد لها ما يجعلها

(١) يعنى أباحامد .

(٢) قال العراقي : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث جابر بسند ضعيف .

(٣) أخرجه ابن عدي في مراسيله وفيه « مثل الذين يغزون من امتي » و أخرجه

البيهقي عن جبير بن نفيل مرسل كما في الجامع الصغير باب الميم .

(٤) المكس : دراهم كانت يأخذها اعيان الدولة عن اشياء معينة . عند يمعها او عند

ادخالها المدن .

سنة مطردة وفيه ذلٌّ وصغار على المسلمين ببذل جزية ، ولا معنى لقول القائل : إن ذلك يؤخذ منّي وأنا مضطّرُّ فأبته لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ بل ربما يظهر أسباب الترفه فيكثر مطالبته و لو كان في زيّ الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه إلى حالة الإضرار .

الثالث : التوسيع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإتفاق في غير مقتير ولا إسراف بل على الاقتصاد ، وأعني بالإسراف التمتع بإطابة الأطعمة ، و الترفه بأشرف أنواعها على عادة المترفين ، فأما كثرة البذل فلا إسراف فيه إذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل ، وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله و الدرهم بسبعمائة درهم ، قال عليه السلام : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، فقيل له : يا رسول الله ما برُّ الحج ؟ قال : طيب الكلام وإطعام الطعام » (١) .

أقول : وفي الفقيه قال رسول الله ﷺ : « من شرف الرجل أن يطيب زاده إذا خرج في سفر » ، وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا سافر إلى مكة إلى الحج أو العمرة تزود من أطيب الزاد ، من اللوز و السكر و السوق المحمض و المحلّ ، (٢) .

وقال الصادق عليه السلام : « إذا سافرت فامتنعوا سفرة و تنوّقوا فيها ، وفي رواية أنه يكره ذلك في زيارة الحسين عليه السلام » ، (٣) .

الرابع : « ترك الرف و الفسوق و الجدل كما نعلق به القرآن ، والرف اسم جامع لكل لغو و خنى و فحش من الكلام و يدخل فيه مغازلة النساء (٤) و مداعبتهن و التحدث بشأن الجماع و مقدماته ، فإن ذلك يبيح داعية الجماع المحظور والداعي إلى المحظور محظور ، و الفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله ، و الجدل هو

(١) أخرجه صدره مسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٠٧ . و ذيله العاظم في الاستدرك

ج ١ ص ٤٨٣ . وتمامه أحمد في المستدرج ٣ ص ٣٢٥ و ٣٣٤ .

(٢) المصدر ص ٢٢٧ باب الزاد في السفر .

(٣) المصدر ص ٢٢٦ باب اتعاذ السفرة في السفر و باب السفر الذي يكره فيها اتعاذ

السفرة . (٤) الغنى : الفحش ، و المغازلة : المعاداة و المراءاة .

المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ^(١) و يفرق في الحال الهمة و يناقض حسن الخلق ، و قد جعل في الحديث طيب الكلام مع إطعام الطعام من برّ الحج ، و المماراة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه و جماله و على غيرهما من أصحابه بل يلين جانبه و يحض جناحه للسائرين إلى بيت الله ، ويلزم حسن الخلق و ليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى ، و قيل : سمي السفر سراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال و لذلك قيل لمن زعم أنه يعرف رجلاً : هل صحبته في السفر ؟ فقال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه .

الخامس : أن يحج ماشياً إن قدر عليه فذلك أفضل و في التردد من مكة إلى الموقف و إلى منى أكد منه في الطريق ، و قال بعض العلماء : الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق و المؤونة و لأنه أبعد من ضجر النفس و أقل لأذاء و أقرب إلى سلامته و تمام حجه ، و هذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأول بل ينبغي أن يفصل و يقال : من سهل عليه المشي فهو الأفضل ، و إن كان يضعف و يؤدي ذلك به إلى سوء خلق و قصور عن عمل فالركوب له أفضل .

و سئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها أفضل أو يكتري حماراً بدرهم ، فقال : إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشي و إن كان المشي أشد عليه كالأغنياء فالمشي أفضل و كأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه و لكن الأفضل أن يمشي و يصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضاً من إيذاء الدابة ، فإذا كان لا يتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس و نقصان المال فماذا كره غير بعيد .

أقول : ويدل على هذه الجملة من طريق الخاصة ما رواه في التهذيب عن الصادق عليه السلام أنه قال : « ما عبد الله بشيء أشد من المشي ولا أفضل » ^(٢) .

و عنه عليه السلام « الركوب أفضل من المشي لأن رسول الله ﷺ ركب » ^(٣) .

و في رواية أخرى « من كبر أحب إليّ فإن ذلك أقوى على الدعاء والعبادة » ^(٤) .

(١) الضغائن جمع الضغينة وهي العقدة .

(٢) و (٣) و (٤) المصدر ص ٤٤٨ .

وفي أخرى : « لا تمشوا واركبوا ، فقيل : بلغنا أن الحسن بن علي عليه السلام حجّ عشرين حجة ماشياً ، فقال : إن الحسن بن علي كان يمشي ويساق معه محامله وراحاله ، ^(١) .

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام : « أنه سئل عن المشي أفضل أو الركوب ؟ فقال : إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أقلّ لنفقته فالركوب أفضل ، ^(٢) .

السادس : « أن يجتنب المحمل إلا إذا كان يخاف على الزائلة أن لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان : أحدهما التخفيف عن البعير فإن المحمل يؤذيه ، والثاني اجتناب زي المترفين والمتكبرين ، حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله على راحلة وكان تحته رجل رثّ وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم ^(٣) ، وطاف على الراحلة ^(٤) لينظر الناس إلى هديه وشمائله وقال : « خذوا عني مناسككم » ^(٥) .

وقيل : إن هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها .
السابع : أن يكون رثّ الهيئة أشعث أفبر ، غير مستكثر من الزينة ، ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر ، فيكتب في المتكبرين والمترفين ، ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين ، فقد أمر عليه السلام بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعّم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد ^(٦) وفي الخبر : « إنما الحاجّ الشعث الغبر

(١) التهذيب ص ٤٤٨ . (٢) المصدر ص ٢٠٨ رقم ٥٥ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه تحت رقم ٢٨٩٠ .

(٤) سنن ابن ماجه تحت رقم ٢٩٤٨ ، والنسائي ج ٥ ص ٢٣٣ .

(٥) أخرج مسلم ج ٤ ص ٧٩ والنسائي ج ٥ ص ٢٧٠ نحوه .

(٦) قال العراقي : الامر بالشعث والاحتفاء أخرجه البغوي والطبراني من حديث عبدالله بن أبي حنبل قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : « تعمدوا واخشوشنوا وانصلوا وامشوا حفاة » ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة . وكلاهما ضعيف ؛ وحديث فضالة في النهي عن التنعّم والرفاهية وأن النبي صلى الله عليه وآله كان ينهى عن كثير من الارفاه ولا حمد من حديث معاذ « اياك والتنعّم » . أقول : وأخرج ابن ماجه تحت رقم ٢٩٣٩ عن ابن عباس قال : « كانت الانبياء تدخل الحرم مشاة حفاة ويطوفون بالبيت ويقضون المناسك حفاة مشاة » .

التفت، ^(١) يقول الله عز وجل: «انظروا إلى زوار بيتي قد جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج عميق»، ^(٢) وقال تعالى: «ثم ليقضوا تفثهم» ^(٣) و التفت الشعث و الاغبرار وقضاؤه بالخلق و قص الأظفار .

الثامن: «أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها، والنوم عليها يؤذيها و يشغل عليها، كان أهل المورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة» ^(٤) عن قومود و كانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ: «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي» ^(٥) ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشيّة يروحها بذلك فهو سنة و فيه آثار عن السلف و كان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة، ثم كان ينزل ليكون بذلك محسناً إلى الدابة فيكون في حسناته، و يوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري، و كل من آذى بهيمة و حملها مالا تطيق طولب به في القيامة .

وعلى الجملة لكل كبد حرّى رطبة ^(٦) أجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعاً، وفي نزوله ساعة ترويح الدابة و سرور قلب المكاري، و رياضة البدن و تحريك الرجلين و الحذر من خدر الأعصاب بطول الركوب .

أقول: و تمام بيان هذا الأدب يأتي في كتاب آداب السفر من ربع العادات إن شاء الله على طريقة أهل البيت عليهم السلام.

التاسع: «أن يتقرب بإقامة دم و إن لم يكن واجباً ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه، قيل في تفسير قوله تعالى: «ذلك ومن يعظم شعائر الله» ^(٧) إنه تحسينه

(١) أخرجه الترمذى وابن ماجه تحت رقم ٢٨٩٦ من حديث ابن عمر وقال غريب .

(٢) أخرجه الحاكم ج ١ ص ٤٦٥ .

(٣) الحج : ٢٩ ، وقال الازهرى : لا يعرف التفت فى لغة العرب الا من قول المفسرين

والمعنى أن يزيلوا و سخهم بقص الاظفار والشارب وحلق الرأس كما فى الكافى والفقيه .

(٤) الغفوة - بفتح المعجمة و سكون الفاء - : النوم الخفيفة .

(٥) الجعفریات ص ٨٥ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ج ٢ ص ١٠٠ ، و أحمد

فى المسند ج ٣ ص ٤٤٠ .

(٦) كلمة « رطبة » ليست فى نسخ الاحياء . (٧) الحج : ٣٣ .

و تسمينه ، و سوق الهدي من الميقات أفضل إن كان لا يجده ولا يكده ، و لترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث و يكرهون المكاس فيهن : الهدي والأضحية والرقبة ، فإن أفضل ذلك أعلى ثمناً و أنفسه عند أهله ، وليس المقصود تكثير اللحم إنما المقصود تزكية النفس و تطهيرها من صفة البخل و تزيينها بجمال التعظيم لله فدل أن الله لا يحومها و لا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم^(١) و ذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة .

أقول : روى في الكافي عن رجل يسمى سودة قال : « كنّا جماعة بمنى فعزّت الأضاحي » ، فنظرنا فإذا أبو عبد الله عليه السلام واقف على قطيع يساوم بغنم و يما كسهم مكاساً شديداً فوقفنا ننظر ، فلمّا فرغ أقبل علينا فقال : أنظركم قد تعجبتن من مكاسي ؟ فقلنا : نعم ، فقال : إن المغبون لا محمود ولا مأجور ،^(٢) .

قال أبو حامد : « وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما برّ الحج » فقال : العجّ و الثج »^(٣) والعجّ هو رفع الصوت بالتلبية و الثجّ هو نحر البدن .

و عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « ما عمل آدمي يوم النحر [عملاً] أحبّ إلى الله من إهراقه دماً و إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها و أظلافها فإن الدّم يقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفساً »^(٤) .

و في الخبر : لكم بكلّ صوفة من جلدها حسنة و كلّ قطرة من دمه حسنة و إنها لتوضع في الميزان فأبشروا^(٥) .

العاشر : أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة و هدي و بما أصابه من خسران و مصيبة في مال و بدن إن أصابه ذلك ، فإن ذلك من دلائل قبول حجه فإن المصيبة في طريق الحج

(١) الحج : ٣٧ .

(٢) المصدر ج ٤ ص ٤٩٦ تحت رقم ٣ ، و الماكسة في البيع : التناقص في الثمن .

(٣) مر نحوه هذا الحديث ص ١٦٨ ، و أخرج مثله أبو يعلى ، و في إسناده رجل ضعيف

راجع مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٢٤ ، و أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٤٤-٤٦ و استغربه و قال العراقي : أخرجه ابن ماجه و الحاكم و البزار و اللفظ له .

(٤) و (٥) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣١٢٦ عن عائشة ، و تحت رقم ٣١٢٧

عن زيد بن أرقم .

تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة درهم و هو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أنى احتمله و خسران أصابه ثواب و لا يضيع منه شيء عند الله تعالى ، و يقال : إن من علامة قبول الحج ترك ما كان عليه من المعاصي ، وأن يستبدل بإخوانه البطالين إخواناً صالحين و بمجالس اللهو و الغفلة بمجالس الذكر و اليقظة .

) بيان الاعمال الباطنة ()

*) (و وجه الإخلاص في النية و طريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة و كيفية)
(الافتكار فيها و التذكّر لأسرارها و معانيها من أول الحج إلى آخره)
اعلم أن أول الحج الفهم أعني تفهم موقع الحج من الدين ، ثم الشوق إليه ، ثم العزم عليه ، ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الإحرام ، ثم شراء الزاد ، ثم اكتراء الرحلة ، ثم الخروج ، ثم السير في البادية ، ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ، ثم دخول مكة ، ثم استتمام الأفعال كما سبق ، و في كل واحدة من هذه الأمور تذكرة للمتذكّر ، و عبرة للمعتبر ، و نية للمريد الصادق ، و تعريف وإشارة للفظن ، فلنر من إلى مفاتيحها حتى إذا افتتح بابها و عرف أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه ، و طهارة باطنه ، و غزارة علمه .

أما الفهم فاعلم أنه لا وصول إلى الله تعالى إلا بالتنزّه عن الشهوات ، والكف عن اللذات ، والاقتصار على الضرورات فيها ، و التجرد لله سبحانه في جميع الحركات و السكنات و لأجل هذا انفرد الرّاهين^(١) في الملل السالفة عن الخلق و انحازوا إلى قلل الجبال و آثروا التوحش عن الخلق لطلب الأمن بالله فتركوا اللذات الحاضرة و ألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعاً في الآخرة ، و أثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال : ذلك بأن منهم قسيسين و رهباناً و أنهم لا يستكبرون ،^(٢) فلما اندرس ذلك و أقبل الخلق على اتباع الشهوات و هجروا التجرد لعبادة الله تعالى و فتروا عنها بعث الله تعالى محمداً ﷺ

(١) جمع رهبان - بالفتح - و هو البالغ في الخوف كالنخشان .

(٢) البائدة : ٨٢ و القسيس و القس من رؤساء النصارى .

لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها، فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياسة في دينه فقال ﷺ : « أبدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف » يعني الحج^(١) « وسئل ﷺ عن السائحين فقال : هم الصائمون »^(٢) فأنعم الله سبحانه على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم ، فشرّف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه ونصبه مقصداً لعباده ، وجعل ماحواً إليه حرماً لبيته وتفخيماً لأمره وجعل عرفات كالليدان على فناء حرمه وأكّد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك بقصده الزوّار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق ، شعناً غبراً ، متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزّه ، مع الاعتراف بتنزّهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتمّ في إذعانهم وانقيادهم ، ولذلك وظّف عليهم فيها أعمالاً لا يأس بها النفوس ولا يهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرقّ والعبودية ، فإن الزكاة إرفاق ووجهه معلوم مفهوم وللعقل إليه ميل ، والصوم كسر للشهوة التي هي عدواً لله وتفريغ للعبادة بالكفّ عن الشواغل ، والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله تعالى بأفعال هي هيئة التواضع ، وللنفوس أنس بتعظيم الله تعالى فأمّا ترددات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظّ للنفس ولا أنس للطبع فيها ولا اعتداء للعقل إلى معانيها ، فلا يكون في الإقدام عليها باعثٌ إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث أنه أمر واجب الاتّباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وسرف النفس والطبع عن محلّ أنسه ، فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثاً معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرقّ والانقياد ، ولذلك قال ﷺ في الحجّ على الخصوص : « لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً »^(٣) ولم يقل ذلك في صلاة وغيرها وإذا

(١) أخرج أبو داود ج ٢ ص ٥ نحوه .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة كما في المنى .

(٣) رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٢٣ ، وقال

العراقي : رواه الدارقطني في الملل من حديث أنس .

اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بأن يكون أعمالهم على خلاف هوى وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعداد كان ما لا يهتدي إلى معانيه أبلغ أنواع التعبّدات في تركية النفوس و صرفها عن مقتضى الطبع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق ، وإذا تفتّنت لهذا فهت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذّهل عن أسرار التعبّدات وهذا القدر كاف في تفهيم أصل الحج .

وأما الشوق فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقيق بأن البيت بيت الله وأنه وضع على مثال حضرة الملوك فقا صدمه قاصداً إلى الله تعالى وزائراً له ، وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم والفوز بقلائه سبحانه ، فالشوق إلى لقاء الله مشوّقه إلى أسباب اللقاء لا محالة ، هذا مع أن المحبّ يشّاق إلى كلّ ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله فبالحري أن يشّاق إليه بمجرّد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل .

أقول : لاتفهم من لفظة النظر إلى وجه الله سبحانه حيث ما قيل في الكتاب والسنة وغيرهما النظر بعين الرأس وإلى الوجه كالوجه - تعالى الله عن ذلك - بل له معنى آخر يعرفه الراسخون في العلم . قال :

«**وأما العزم** فليعلم أنه بعزمه قاصدٌ إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات ، متوجّهاً إلى زيارة بيت الله تعالى فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره ، وأن من طلب عظيمًا خاطر العظيم وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقّق أنّه لا يقبل من قصده وعمله إلّا الخالص وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك و حرمة و المقصود غيره فليصحّح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتتاب كلّ ما فيه رياء وسمعة وليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

وأما قطع العلائق فمعناه ردّ المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جميع المعاصي

وكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتبليبه ^(١) ينادي عليه ويقول : إلى أين تتوجه ؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيق أمره في منزلك هذا ومستهن به ومهمل له أو لا تستحيي من أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك ، فإن كنت راغباً في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وعب إليه أولاً من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجهاً إليه بوجه قلبك كما أنت متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك ، فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولاً إلا النصب والشقاء وآخر إلا الطرد والرد ، وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه ، وقدر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأهله ولأولاده فإن المسافر ومتاعه على قلت ^(٢) إلا ما وفى الله وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على القرب وما تقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير ، فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر .

وأما الزاد فيطلبه من موضع حلال وإذا أحس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر ، وأن زاده التقوى ، وأن ماعداً مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه ، فلا يبقى معه كالطعام والرطب الذي يفسد من أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيراً محتاجاً لاهيلة له ، فليحذر أن يكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل تفسد ها شوائب الرياء وكدورات التقصير .

وأما الرحلة إذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله له الدواب ليتحمل عنه الأذى ويخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المراكب الذي يركبه إلى الدار الآخرة وهي الجنائز التي يحمل عليها ، فإن أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ولينظر يصلح سفره على هذا المراكب لأن يكون زاداً لذلك السفر على ذلك المراكب ، فما أقرب ذلك منه وما يدره لعل الموت قريب ، ويكون ركوبه للجنائز قبل

(١) التبليب : موضع اللب من الثياب ويعرف بالطوق .

(٢) القلت - بالتحريك - : الهلاك والفساد .

ركوبه للجمّازة فر كوب الجنّازة مقطوع به ، وتيسير أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ، ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن .
وأما شراء ثوب الإحرام فليبتدئ كثره عند الكفن ، ولفه فيه فإنه سيرتدي ويتشزّر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله ، وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة ، فكما لا يلقى بيت الله إلا غالفاً عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت إلا في زي يخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب ، إذ ليس فيها مخيط كما لا مخيط في الكفن .

وأما الخروج من البلد فليعلم أنه فارق الأهل والوطن متوجّهاً إلى الله في سفر لا يضاهاه أسفار الدنيا فليحضر في قلبه ماذا يريد وأين يتوجّه وزبارة من يقصد وأنه متوجّه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين إليه الذين نودوا فأجابوا ، وشوقوا فاشتاقوا ، واستنهبوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره مسلّين بقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ، ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم ، وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا إيلالاً بأعماله في الارمحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل وأدركته المنية في الطريق لقي الله وأفداً إليه إذ قال : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » (١) .

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليبتدئ كثرها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأحوال والمطالبات وليبتدئ كثر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكروكبير ، ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات ، ومن انفراد عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكرهته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متروداً لمخاوف القبر .

وأما الإحرام والتلبية بالميقات فليعلم أن معناه إجابة نداء الله فارح أن يكون مقبولاً واخش أن يقال لك : لا لبيك ولا سعديك ، فكن بين الزجاء والخوف متردداً وعن

حولك وقوتك متبرئاً وعلى فضل الله وكرمه متسكلاً فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محل الخطر ، قال سفيان بن عيينة^(١) : « حج علي بن الحسين عليه السلام فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبس ، فقيل له : لم لا تلبس ؟ فقال : أخشى أن يقول لي ربي : لا لبس لك ، ولا سعديك ، فلما لبس غشي عليه وسقط من راحلته ، فلم يزل يعتربه ذلك حتى فضى حجه » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : كنت مع أبي سليمان الداراني حين أراد الإحرام فلم يلبس حتى سرامياً وأخذته الغشية ثم أفاق ، وقال : يا أحمد إن الله عز وجل أوحى إلى موسى : « مرظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكرى فأتني أذكر من ذكرى منهم باللعنة » ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حله ثم لبس قال الله عز وجل له : لا لبس ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما تأمن أن يقال لنا ذلك .

وليتذكر الملبس عند رفع الأصوات بالتلبية في الميقات إجابة لنداء الله تعالى إذ قال : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً » نداء الخلق بنفخ الصور ، وحشرهم من القبور ، وازدحامهم في عرصات القيامة معجبين لنداء الله ، ومنقسمين إلى مفرقين ومموتين ، ومقبولين ومردودين ومرددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا .

وأما دخول مكة فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم آمن و يرج عنه أن

(١) قال في التقيح بعد نقل أقوال المشايخ حول الرجل : « على كل حال فلا يمكن الاعتماد على روايته بعد جزم جمع من الاساطين بكونه عامياً و عدم ثبوت وثاقته ، نعم من اعتبر توثيق المامى اكتفى بتوثيق ابن حجر في تقريره بقوله : ثقة حافظ فقيه امام حجة الا أنه تغير حفظه وكان دلس لكن عن الثقة من رؤوس الطبقة الثامنة - الى آخر قوله - لكن الاعتماد على توثيقهم مشكل لان عدالتهم كطهارة المساء يبيى تميز لا يخل بها شيء وكذا تراه يشترط بتدليس ومع ذلك يوثقه ويحصله اماماً وحجة ، وقد شهد بتدليس في معكى اوائل جامع الاصول حيث قال ما معصه : المعكى أن من القوم من يدلس الحديث فيقول : قال فلان و بعد التفتيش يظهر طريق سماعه ، منهم سفيان بن عيينة و هو امام من أئمة أهل مكة الخ » .

يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخول الحرم خائباً مستحقاً للمقت وليكن رجاءه في جميع الأوقات غالباً ، فالكرم عظيم و شرف البيت عظيم و حق الزائر مرعي و زمام المستجير اللائذ غير مضيع .

وأما وقوع البصر على البيت فينبغي أن تحضر عنده عظمة البيت في القلب وتقدر كأنك مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمك وارج أن يرزقك لقاءه كما رزقك لقاء البيت واشكر الله على تبليغه إياك هذه الرتبة والحاقه إياك بزمره الوافدين إليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ، ثم انقسامهم إلى مأذنين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين و مردودين ولا تغفل عن تذكرة أمور الآخرة في شيء مما تراه ، فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة .

وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة و أحضر قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة و اعلم أنك في الطواف متشبه بالملائكة المقر بين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدىء الذكر إلا به ، ولا يختم إلا به كما يبتدىء الطائف الطواف من البيت ويختم بالبيت ، واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهو في عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب ، وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السماوات بإزاء الكعبة ، وأن طواف الملائكة بها كطواف الانس بهذا البيت ، ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم ، والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال : إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله .

وأما الاستلام فاعتقد عنده أنك مبايع لله على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت ، وقد روى ابن عباس عنه عليه السلام أنه قال :

« الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصفح بها خلقه كما يصفح الرجل أخاه ^(١) .
وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فليكن نيّتك في الالتزام طلب
القرب حبّاً وشوقاً للبيت ولربّ البيت ، وتبرّكاً بالماسّة ، ورجاءاً للتحصّن عن النار
في كلّ جزء لاقى البيت وليكن نيّتك في التعلّق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال
الأمان كالمذنب المتعلّق بشيأ من أذنب إليه ، المتضرّع إليه في عفوه عنه ، المظهر له أنّه
لا ملجأ له منه إلّا إليه ، ولا مفرّج له إلّا عفوه وكرمه ، وأنّه لا يفارق ذيله إلّا بالعفو وبذل
الأمن في المستقبل .

وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فيضاهي تردّد العبد بفناء دار الملك
جائياً وذاهباً مرّة بعد أخرى إظهاراً للخلوس في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة
كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقّه من قبول
أورد ، فلا يزال يتردّد على فناء الدار مرّة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم
يرحم في الأولى ، وليتذكّر عند تردّده بين الصفا والمروة تردّده بين كفتي الميزان في
عرصات القيامة وليمثّل الصفا بكفّة الحسنات والمروة بكفّة السيئات وليتذكّر تردّده
بين الكفتين ناظراً إلى الرحجان والنقصان مردداً بين العذاب والغفران .

وأما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدهام الخلق ، وارتفاع الأصوات ، واختلاف
اللغات ، واتّباع الفرق أمّتهم في التردّدات على المشاعر اقتفاء لهم وسيراً بسيرتهم عرصات
القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمّة واقتفاء كلّ أمة نبيّها وطمعهم في شفاعتهم
وتحسّرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الردّ والقبول ، وإذا تذكّرت ذلك فالزم قلبك
الضراعة والابتهاال إلى الله فتحشّر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالإجابة
فالوقوف شريف والرحمة إنّما تصل من حضرة الجلال إلى كافّة الخلق بواسطة القلوب
العزيزة من أوتاد الأرض ولا ينفكّ الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقات من

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه وابن عساكر عن جابر وقد مرّ آنفاً وأخرجه

الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٤٥٧ بدون شرط الشيخين و بدون قوله : « كما يصفح
الرجل أخاه » .

الصالحين وأرباب القلوب ، فإذا اجتمعت همهم وتجردت للضراعة والابتغال قلوبهم وارتفعت إلى الله أيديهم ، وامتدت إليه أعناقهم ، وشخصت نحو السماء أبصارهم ، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظنون أنه يخيب أملهم ، ويضيع سعيهم ، ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ، ولذلك قيل : إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده ، ولذا قال عليه السلام : « الحج عرفة » ^(١) فلا طريق إلى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد .

أقول : وأما الوقوف بالمشعر فاستحضر أنه قد أقبل عليك مولاك بعد أن كان مدبراً عنك طارداً لك عن بابه ، فأذن لك في دخول حرمة فإن المشعر من جملة الحرم وعرفة خارجة عنه فقد أشرفت على أبواب الرحمة وهبت عليك نسيمات الرأفة وكسيت خلع القبول بالإذن في دخول حرم الملك ، وإنما لم يذكره أبو حامد لأنه ليس بفريضة عند العامة حرّمهم الله من هذا الركن العظيم .

قال : وأما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرق والعبودية وانتهاضاً لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم أقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس عليه اللعنة في هذا الموضع ليدخل على حجة شبهة أو فتنة بمعصية فأمره الله أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأصله ، فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماء وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان فإنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمّر في الرمي فبه تُرغم أنف الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثال أمر الله تعظيماً له بمجرد الأمر من غير حظ النفس والعقل فيه .

وأما ذبح الهدي فاعلم أنه تعرب إلى الله بحكم الامتثال ، وأكمل الهدي

(١) رواه أحمد وأحمد والبيهقي كلهم عن عبد الرحمن بن عمر بسند صحيح كما في الجامع الصغير باب الجيم .

و أجزاءه وارج أن يعتق بكل جزء منها جزءاً منك من النار ، فهكذا ورد الوعد ، فكلمنا كان الهدى أكثر وأجزاءه أوفر كان فداؤك من النار أعم .

وأما زيارة المدينة فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه ﷺ وجعل إليها هجرته وأنها داره التي فيها شرع فرائض ربه وسننه وجاهد عدوه وظهر بها دينه إلى أن توفاه الله ، ثم جعل تربته فيها ثم مثل في نفسك مواقع أقدام رسول الله ﷺ عند تردده فيها وأنه ما من موضع قدم تطلوه إلا وهي موقع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه إلا على سكينه وجل و تذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفع ذكره حتى قرنه بذكر نفسه وإحباط عمل من هتك حرمة ولو برفع صوته فوق صوته ، ثم تذكر ما من الله به على الذين أدر كوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه ثم اذكر أنه قد فاتتك رؤيته في الدنيا وأنت من رؤيته في الآخرة على خطر وأنت ربما لا تمراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله إيتاك لسوء عمالك كما قال ﷺ : « يرفع إلي أقوام فيقولون : يا محمد يا محمد فأقول : يا رب أصبحاي ، فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول : بعداً وسحقاً » (١) .

أقول : لا يذهب على أهل المعرفة واللب معنى الحديث والمراد من الأصحاب وحدثهم ، وظاهر أن الأصحاب لا يطلق على جميع الأمة .

قال : « فإن تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محبته ، وليعظم مع ذلك رجائك أن لا يحول الله بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشغلك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ، ولا حظ في دنيا بل لمحض محبتك له وتشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمعت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك بأن ينظر الله إليك بعين الرحمة ،

(١) راجع صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٩ و ١٥٠ باب الحوض من كتاب الدعوات ،

فإذا بلغت المسجد فاذا ذكر أن فرائض الله تعالى أول ما أقيمت في تلك العرصة و أنها جمعت أفضل خلق الله حياً وميتاً فليعظم أملك في الله عز وجل أن يرحمك بدخولك إياه ، فادخله خاشعاً معظماً ، وما أجدر هذا المكان بأن يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن .

و أما زيارة رسول الله ﷺ فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه و تزوره ميتاً كما تزوره حياً ، ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً و اعلم أنه عالم بحضورك و قيامك و زيارتك وأنه يبلغه سلامك و صلواتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعاً على اللحد بإزائك و أحضر عظيم رغبته في قلبك فقد روي عنه ﷺ « أن الله تعالى و كل بقير ملكاً يبلغه سلام من سلم عليه من أمته » (١) هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن و قطع البوادي شوقاً إلى لقائه و اكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة ، و قد قال ﷺ : « من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً » (٢) فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته بيده ، ثم أتت المنبر و توهّم صعود النبي ﷺ المنبر و مثل في قلبك طلعه البهية قائماً على المنبر و قد أحرق به المهاجرون و الأنصار و هو يحشهم على طاعة الله بخطبته ، و سل الله أن لا يفرق في القيامة بينك و بينه فهذا وظيفة القلب في أعمال الحج .

فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الهم و الحزن و الخوف ، فإنه ليس يدري أقبل حجه و أثبت في زمرة المحبوبين أو رد حجه و ألحق بالمطرودين ، و ليعرف ذلك من قلبه و من أعماله ، فإن صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور و انصرافاً إلى الأنس بالله و وجد أعماله قد اتمزت بميزان الشرع فليثق بالقبول ، فإن الله لا يقبل إلا ممن أحبه و من أحبه تولاؤه و أظهر عليه آثار محبته ، و كف عنه سطوة عدوه إبليس ، فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول ، و إن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حفظه من السفر العناء و التعب نعموز بالله منه .

(١) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٤٣ و لفظه « ان الله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني

من امتي السلام » .

(٢) أخرجه النسائي في السنن ج ٣ ص ٥٠ بالفاظ مختلفة .

﴿فصل﴾

أقول : و لنختم الكلام بما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في أسرار الحج ودقائقه تبر كآ بكلامه عليه السلام ومشرىفاً للختام .

روى في مصباح الشريعة عنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده الطاهرين أنه قال : « إذا أردت الحج فاجر قلبك لله تعالى من كل شغل وحجاب كل حاجب ، وفو من أمورك كلها إلى خالقك و توكل عليه في جميع ما تظهر من حركاتك و سكناتك و سلم لقضائه وحكمه وقدره ، ودع الدنيا والراحة والخلق ، و اخرج من حقوق يلزمك من جهة المخلوقين ، ولا تعتمد على زادك و راحلتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة أن يصير ذلك عدواً وبالأ فإن من ادعى رضا الله ^(١) واعتمد على ماسواه صيره عليه وبالأ وعدواً ليعلم أنه ليس له قوة وحيلة ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع وأحسن الصحبة ، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وآله وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وإيثار الزاد على دوام الأوقات ، ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك ، والبس كسوة الصديق والصفاء والخضوع والخشوع ، وأحر من كل شيء يمنحك عن ذكر الله ويحببك عن طاعته ، و لب بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك متمسكاً بالعروة الوثقى ، و طف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت ، وهرول هرولة من هواك وتبر من حولك وقوتك ، و اخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى ولا تمنى ما لا يحل لك ولا تستحقه ، واعترف بالخطايا بعرفات ، وجد دعوتك عند الله تعالى بوحدانيته وتقرّب إليه ، واتقه بمزدلفة ، و اصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل ، و اذبح حنجره الهوى والطمع عند الذبيحة ، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات ،

(١) كذا و هكذا أيضاً في المصدر وفيه : الظاهر «فان من ابنتي رضى الله» .

و اخلق العيوب الظاهرة و الباطنة بخلق شعرك و ادخل في أمان الله و كنفه و ستره
و كلامه من متابعة مرادك بدخولك الحرم و دُر حول البيت متحققاً لتعظيم صاحبه
و معرفة جلاله و سلطانه ، واستلم الحجر رضا بقسمته و خضوعاً لعزته و ودع ما سواه (١)
بطواف الوداع و اصف روحك و سرك للقاءه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا و كن بمرأى
من الله ، نقيماً أو صافك عند المروة ، واستقم على شرط حجَّتكَ هذه و وفاء عهدك الذي عاهدت
به مع ربك و أوجبت له إلى يوم القيامة ، و اعلم بأن الله تعالى لم يفرض الحجّ ولم يخصه
من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى : « و لله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلاً » و لا شرع بنبه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه إلا للاستعانة
و الإشارة إلى الموت و القبر و البعث و القيامة و فضل بيان السبق من الدخول في
الجنة أهلها و دخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحجّ من أولها إلى آخرها لأولى
الأبواب و أولى النهى (٢) .

انتهى كلامه صلوات الله عليه و سلامه .

و بانتهائه تمّ و ختم كتاب أسرار الحجّ و مهماته من المحجّة البيضاء في تهذيب
الاحياء ، و يتلوه كتاب آداب عمادة القرآن و الحمد لله أولاً و آخرأ و ظاهراً و باطناً
و صلى الله على محمد و آله .

(١) في بعض النسخ من المصدر و الكتاب [ودع ما سواه] .

(٢) المصدر الباب العادي و العشرون .

﴿كتاب آداب تلاوة القرآن﴾

و هو الكتاب الثامن من ربيع العبادات من المحبة البيضاء في تهذيب الأحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي امتنَّ على عباده بنبيِّه المرسل و كتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتَّى اتسع على أهل الابتكار طرق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار ، و اتضح به سلوك المنهج القويم و الصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام و فرق بين الحلال والحرام ، فهو الضياء والنور ، وبه النجاة من الغرور ، وفيه شفاء الصدور فمن خالفه من الجبايرة قصمه الله ، و من ابتغى العلم في غيره أضله الله ، وهو جبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى ، هو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير ، لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه ، ولا يحيط بفوائده عند أهل الفهم تحديد ، ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة التردد ، هو الذي أرشد الأولين و الآخرين ، ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولّوا إلى قومهم منفرين فقالوا : « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ (١) » فكلُّ من آمن به فقد وفق ، ومن قال به فقد صدق ، و من تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز ، وقد قال الله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَاحْفَظُونَهُ (٢) » ، ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بأدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لأبد من بيانه وتفصيله و ينكشف مقاصده في أربعة أبواب : الباب الأول في فضل القرآن وأهله . الباب الثاني في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث في الأعمال الباطنة عند التلاوة . الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره .

(١) إشارة الى قوله تعالى في سورة الجن : ٢-٣ .

(٢) الحجر : ٩ .

﴿الباب الاول﴾

﴿فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته﴾

فضيلة القرآن : قال النبي ﷺ : « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغرها عظمه الله ^(١) » .

وقال ﷺ : « ما من شفع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن ، لأنبي ولا ملك ولا غيره ^(٢) » .

وقال ﷺ : « لو كان القرآن في إهاب ما مسسته النار ^(٣) » .

وقال ﷺ : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن ^(٤) » .

وقال ﷺ : « إن الله قرأ طه ، و يس ، قبل أن يخلق الخلاق بألف عام ؛ فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل هذا عليها ، وطوبى لأجواف يحمل هذا ، وطوبى لألسنة تنطق بهذا ^(٥) » .

وقال ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ^(٦) » .

(١) أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن عمر بسند ضعيف كما في المغنى ويأتى عن قريب عن الكافي .

(٢) قال العراقي : رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسل ، و للطبراني من كلام ابن مسعود « القرآن شافع مشفع » و لمسلم من كلام أبي امامة « اقرؤوا القرآن فانه يجيب يوم القيامة شفيماً لصاحبه » .

(٣) رواه الشريف المرتضى في الامالى ج ١ ص ٤٢٦ عن عتبة بن عامر مع بيانه وج ٢ ص ٣٠٩ نحوه ، و أخرجه الدارمي ج ٢ ص ٤٣٠ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس واسنادهما ضعيف كما في المغنى .

(٥) أخرجه الدارمي ج ٢ ص ٤٥٦ من حديث أبي هريرة .

(٦) أخرجه البخاري ج ٦ ص ٢٣٦ ، والدارمي ج ٢ ص ٤٣٧ ، وابن ماجه تحت رقم

٢١١ ، و بلفظ « أفضلكم » تحت رقم ٢١٢ ، وأخرجه الترمذي ج ١١ ص ٣٢ بلفظه .

وقال عليه السلام : « يقول الله : من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين ^(١) » .

وقال عليه السلام : « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود ، لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس منهم رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوماً هم به راضون ^(٢) » .

وقال عليه السلام : « أهل القرآن أهل الله وخاصته ^(٣) » .

وقال عليه السلام : « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقل : يا رسول الله وما جلاؤها ؟ فقال : تلاوة القرآن وذكر الموت ^(٤) » .

وقال عليه السلام : « أشدُّ اذنأ إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته ^(٥) » .

أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

« قال رسول الله عليه السلام : إن أهل القرآن في أعلى درجة من آدميين ما خلا النبيين والمرسلين ، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم ، فإن لهم من الله العزيز الجبار مكاناً علياً ^(٦) » .

(١) أخرجه الترمذى فى صحيحه ج ١١ ص ٤٦ من حديث أبى سعيد بادنى اختلاف

وقال حسن غريب وقال العراقى : أخرجه ابن شاهين بلفظ المصنف .

(٢) أخرجه أحمد والترمذى والطبرانى من حديث ابن عمر باختلاف فى حديثين كما

فى الجامع الصغير باب الثاء .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢١٥ ، والحاكم فى المستدرک ج ١ ص ٥٥٦ .

(٤) أخرجه البغوى فى مشكاة النبایح ص ١٨٩ عن البيهقى من حديث ابن عمر بسند

ضعيف ، و صدق - من باب علم و شرف - : الحديد علاه مادة لونها يأخذ من الحمرة والشقرة تتكون على وجه الحديد .

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرک ج ١ ص ٥٧١ على شرط الشيخين ، والبيهقى

فى السنن الكبرى ج ١٠ ص ٢٣٠ . و القينة - بالفتح - الامة القنية . و أدنى فقرة من قعر الظهر .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٦٠٣ تحت رقم ١ .

و بإسناده عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : تعلموا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون ، فيقول له : أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك ، وأنظمت هواجره ، وأجففت ريقك ، وأسلت دمعك ، وأوول معك حيث ما ألت ، وكل تاجر من وراء تجارته وأنا لك اليوم من وراء تجارة كل تاجر ، وسيأتيك كرامة الله تعالى فأبشر ، قال : فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ، ويعطى الأمان يمينه والخلد في الجنان بيساره ، ويكسى حلّتين ، ثم يقال له : اقرأ وارق ، فكلما قرأ آية صعد درجة ، ويكسى أبواه حلّتين إن كانا مؤمنين ثم يقال لهما : هذا لما علمتما القرآن ،^(١) .

و بإسناده عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : القرآن هدى من الضلال ، و نبيان من العمى ، واستقالة من العثرة ، ونور من الظلمة ، وضياء من الأجداث ، وعصمة من الهلكة ، و رشد من الغواية ، و بيان من الفتن ، و بلاغ من الدنيا إلى الآخرة ، وفيه كمال دينكم ، وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار ،^(٢) .

و بإسناده عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : أيتها الناس إنكم في دار هدة ، وأنتم على ظهر سفر ، والسير بكم سريع ، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يلبان كل جديد ، و يقر بان كل بعيد ، و يأتيان بكل موعود ، فأعدوا الجهاز لبعده المجاز ، قال : فقام مقداد بن الأسود فقال : يا رسول الله وما دار الهدنة ؟ فقال : دار بلاغ و انقطاع ، فإذا التبت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع ، و ما حل مصدق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، و من جعله خلفه ساقه إلى النار ، و هو الدليل يدل على خير سبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل ، و بيان و تحصيل ، وهو الفصل ليس بالهزل ، و له ظهر و بطن ، فظاهره حكم و باطنه علم ، ظاهره أتيق و باطنه عميق ، له تخوم و على تخومه تخوم ، لا تحصى عجائبه ، ولا تبلى غرائب ، فيه مصاييح الهدى

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٠٣ تحت رقم ٣ . والشاحب : المتغير اللون و الجسم

لعارض من مرض او سفرو نعوها . و قوله : « تجارة كل تاجر » لعل المراد انه ان كان لكل تاجر فائدة فلك تلك الفائدة مع أنى كنت لك من ورائها . واستعار اليقين والشمال للملكية لان القبض والاخذ بهما .

(٢) المصدر ص ٦٠٠ تحت رقم ٨ فى حديث .

و منار الحكمة ، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة ، فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ، ينج من عطب ، و يخلص من شوب ، فإن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ، فعليكم بحسن التخلص وقلة التبرس^(١) .

و بإسناده عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة و كتابه وأهل بيته ثم أمّتي ، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله و أهل بيته »^(٢) .

و حديث الثقلين المتفق عليه بين الفريقين مشهور و قد مر ذكره بألفاظه المختلفة في كتاب قواعد العقائد^(٣) .

و بإسناده عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : إن أحق الناس بالتخشع في السر والعلانية لحامل القرآن ، وإن أحق الناس في السر والعلانية بالصوم لحامل القرآن ، ثم نادى بأعلى صوته يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله ولا تعزّز به فيذلك الله ، يا حامل القرآن تزيّن به لله يزينك الله به ، ولا تزيّن به للناس فيشينك الله به ، من ختم القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه ، ولكنه لا يوحى إليه ، ومن جمع القرآن فنوله^(٤) لا يبجل مع من يبجل عليه ، ولا يغضب فيمن يغضب عليه ، ولا يحد فيمن يحد و لكنه يعفو ويصفح ويغفر ويحلم لتعظيم القرآن ، ومن أوتي القرآن فظن أن أحدا من الناس أوتي أفضل مما أوتي فقد عظم ما حقر الله وحقر ما عظم الله »^(٥) .

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٩٨ رقم ٢ وقوله : « شافع مشفع » أي مقبول الشفاعة ، ويقال : محل به إذا سعى به إلى السلطان وهو ماحل . والانق : الفرح والسرور ، وأنق بالكسر - يأنق : الشيء أحبه ، وأنيق أي حسن معجب ، وقوله : « له نخوم » في بعض النسخ من الكافي [له نجوم] . وقوله : « دليل على المعرفة » أي لمن عرف كيفية التعرف وإشارات القرآن ونكت بيانها وعلم معانيه . والعطب : الهلاك . والتبرس : الانتظار .
(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٠ تحت رقم ٤ .

(٣) المجلد الاول ص ١٩٣ .

(٤) من قولهم : « نولك أن تفعل كذا » أي حثك وينبئ لك وأصله من التناول .

(٥) الكافي ج ٢ ص ٦٠٤ تحت رقم ٥ .

و بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، و من قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ، و من قرأ مائة آية كتب من الفائزين ، و من قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين ، و من قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين ، و من قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين ، و من قرأ ألف آية كتب له قطار من برٍّ ، القطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب ، و المثقال أربعة وعشرون فيراطاً أصفرها مثل جبل أحد و أكبرها ما بين السماء والأرض » (١).

و بإسناده عن سعد الأسكاف قال : « قال رسول الله ﷺ : أعطيت السور الطول مكان التوراة ، و أعطيت المثني مكان الإنجيل ، و أعطيت المثاني مكان الزبور ، و فضلت بالمفصل ثمان و ستون سورة ، و هو مهيم على سائر الكتب ، فالتوراة لموسى ، و الإنجيل لعيسى ، و الزبور لداود عليه السلام » (٢).

وفي نهج البلاغة (٣) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام « ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفئ مصابحه ، و سراجاً لا يخبو توقده ، و بحراً لا يدرك قعره ، و منهاجاً لا يضل بهجه ، و شعاعاً لا يظلم نوره » (٤) ، و فرقاناً لا يخمد برهانه ، و بنياناً لا تهدم أركانه ، و شفاء لا تخشى أسقامه ، و عزاً لا تهزم أنصاره ، و حقاً لا تمخذل أعوانه ، فهو معدن الإيمان و محبوبته ، و ناييب العلم و بحوره ، و رياض العدل و غدرانه ، و أثافي الإسلام (٥) و بنيانه ، و أودية الحق و غيطانه ، و بحر لا ينزفه المستنزفون ، و عيون لا ينضبها

(١) المصدر ج ٢ ص ٦١٢ تحت رقم ٥ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠١ رقم ١٠ ، و السور الطول - كسر د - هي السبع الأولى بعد الفاتحة على أن تعد الانفال والبراءة واحدة لنزولها جميعاً في مغازي النبي صلى الله عليه وآله وتدعيان قريتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة أو السابعة سورة يونس ، و المثاني هي السبع التي بعد هذه السبع سميت بها لانها انتهت واحداً مثني مثل معاني ومعنى وقد تطلق الثاني على سور القرآن كلها طوالها وقصارها وأما المثون فهي من بني إسرائيل الى سبع سور سميت بها لان كلا منها على نحو من مائة آية كذا في بعض التفسير .

(٣) خطبة ١٩٦ . (٤) في بعض نسخ النهج [خوؤه] .

(٥) غدران جمع الغدير ، و الاثافي - بالتشديد جمع ائفية - بالضم و بالكسر - الحجر

يوضع عليه القدر .

الماتحون ، و مناهل لا يفيضها الواردون^(١) ، و منازل لا يضل نهجها المسافرون ، و أعلام لا يعمى عنها السائرون ، و آكام لا يجوز عنها القاصدون ، جملة الله تعالى رباً لمعش العلماء ، و رباعاً ممرعاً لقلوب الفقهاء ، و محاج لطرق الصلحاء^(٢) ، و دواء ليس بعده داء ، و نوراً ليس معه ظلمة ، و حبلاً وثيقاً عروته ، و معقلاً منيعاً ذروته ، و عزاً لمن تولاه ، و سلماً لمن دخله و هدى لمن اتهم به ، و عنراً لمن اتحلله ، و برهاناً لمن تكلم به ، و شاهداً لمن خاصم به و فلجاً لمن حاج به ، و حاملاً لمن حملة ، و مطية لمن أعمله ، و آية لمن توسم ، و جنة لمن استلام^(٣) ، و علماً لمن وعى ، و حديثاً لمن روى ، و حكماً لمن قضى .

و في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان في وصية أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه « اعلّموا أن القرآن هدى النهار ونور الليل المظلم على ما كان من جهده وفاقة »^(٤) . و بإسناده عن الزهري قال : سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول : « آيات القرآن خزائن العلم فكلمها فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها »^(٥) .

و بإسناده عنه قال : « قال علي بن الحسين عليه السلام : « لومات من بين المشرق و المغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي ؛ وكان عليه السلام إذا قرأ ملك يوم الدين ، يكرّرها حتى كاد أن يموت »^(٦) .

و بإسناده عنه قال : « قلت لعلي بن الحسين عليه السلام : أي الأعمال أفضل ؟ قال : الحال المرتحل ، قلت : و ما الحال المرتحل ؟ قال : فتح القرآن و ختمه ، كلما جاء بأوله ارتحل في آخره »^(٧) .

و بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « يجيى القرآن يوم القيامة في أحسن منظور

(١) القوط والناط والقوطة : المطمئن من الأرض والجمع غياط وغيطان . ونصب أى نزع ، والماتح : المستقى من البئر بالدلو من أعلى البئر . ولا يفيضها أى لا ينقصها . والأكام جمع اكم وهو جمع أكمة وهى التل .

(٢) أمرع المكان : أنصب . والمحاج : جمع محجة .

(٣) استلام أى لبس اللأمة وهى الدرع أو جميع أدوات الحرب .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٦٠٠ تحت رقم ٦ . (٥) المصدر ج ٢ ص ٦٠٩ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٦٠٢ . (٧) المصدر ج ٢ ص ٦٠٥ .

إليه سورة ، فيمر بالمسلمين فيقولون : هذا رجل منا ، فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون : هو منا ، فيجاوزهم إلى الملائكة المقرئين ، فيقولون : هو منا ، حتى ينتهي إلى رب العزة عز وجل فيقول : يا رب فلان بن فلان أظلمات هواجره وأسهرت ليله في دار الدنيا ، وفلان بن فلان لم أظلمأ هواجره ولم أسهر ليله ، فيقول تعالى : أدخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه ، فيقول للمؤمن : اقرأ وارقه ، قال : فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها ، (١)

و بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الدواوين يوم القيامة ثلاثة : ديوان فيه النعم ، وديوان فيه الحسنات ، و ديوان فيه السيئات ، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم عامة الحسنات ويبقى ديوان السيئات فيدعى بآدم المؤمن للحساب فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة ، فيقول : يا رب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ، و يطيل ليله بترتيلي ، وتفويض عيناه إذا مهبجد ، فأرضه كما أراضني ، قال : فيقول العزيز الجبار : عبدي أبسط يمينك فيما لها من رضوان الله العزيز الجبار ، ويملا شماله من رحمة الله ، ثم يقال : هذه الجنة مباحة لك فاقرأ واصعد ، فإذا قرأ آية سعد درجة ، (٢)

و بإسناده عنه عليه السلام قال : « الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة ، (٣) . و بإسناده عنه عليه السلام قال : « إن العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه ، وهو الصادق البار ، فيه خيركم ، وخير من قبلكم ، وخير من بعدكم ، وخير السماء والأرض ، ولو أنا كم من بخيركم عن ذلك لتعجبتم ، (٤)

و بإسناده عنه عليه السلام قال : « ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو أن يكون في تعلمه ، (٥)

و بإسناده عنه عليه السلام أنه قال : « إن الذي يعالج القرآن ويحفظه بمشقة منه

(١) في المصدر ج ٢ ص ٦٠١ عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٢ . (٣) المصدر ج ٢ ص ٦٠٣ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٩٩ . (٥) المصدر ج ٢ ص ٦٠٧ .

و قلّة تحفظ له أجران ، (١).

و بإسناده عنه عليه السلام « من نسي سورة من القرآن مثلت له في صورة حسنة و درجة رفيعة في الجنة ، فإذا رآها قال : من أنت ما أحسنك ، ليتك لي ؟ فتقول : أما تعرفني ؟ أنا سورة كذا و كذا و لو لم تنسني لرفعتك إلى هذا » (٢).

و بإسناده عنه عليه السلام قال : « من قرأ القرآن فهو الغنى و لا فقر بعده و إلا ما به غنى » (٣).

و بإسناده عن حفص بن غياث قال : سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول لرجل : « أتحب البقاء في الدنيا ؟ فقال : نعم فقال : ولم ؟ قال : لقراءة « قل هو الله أحد » فسكت عنه ، فقال لي بعد ساعة : يا حفص من مات من أوليائنا و شيعتنا و لم يحسن القرآن علم في قبره ليرفع الله به من درجته فإن درجات الجنة على قدر آيات القرآن يقال له : اقرأ و ارق ، فيقرأ ثم يرقى ، ثم قال حفص : ما رأيت أحداً أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليه السلام و لا أرجى الناس منه ، وكانت قراءته حزناً فإذا قرأ فكأنما يخاطب إنساناً » (٤).

❦ (في ذم تلاوة الغافلين)

أقول : روى في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « اقرأوا القرآن بألحان العرب و أصواتها ، و إيتاكم ولحون أهل الفسق و الكبائر فإني سيحبيهم بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء و النوح و الرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة و قلوب من يعجبه شأنهم » (٥).

و بإسناده عنه عليه السلام أنه سئل عن قول الله تعالى : « و رتل القرآن ترتيلاً » قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : تبيينه تبياناً و لا تهذؤ هذه الشعرو لا تنثره نثر الرمل و لكن أقرعوا قلوبكم القاسية و لا يكن هم أحدكم آخر السورة » (٦).

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٠٦ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٥ .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٤ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٦١٤ و الآية في سورة الزمل : ٤ . و هذه : هذا : قطعه سريعاً

او قطعه مطلقاً - و هذا الحديث : سرده .

وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قرأ القرآن ثلاثة : رجل قرأ القرآن فاتخذته بضاعة واستند^١ به الملوك ، واستطال به على الناس ، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده وأقامه إقامة القدح ، فلا كثر الله هؤلاء من حملة القرآن ، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه ، فأسهر به ليله وأظلمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجاوى به عن فراشه ، فبأولئك يدفع الله العزيز الجبار البلياء ، وبأولئك يديل الله من الأعداء ، وبأولئك ينزل الله الغيث من السماء ، فوالله لهؤلاء في قرأ القرآن أعز^٢ من الكبريت الأحمر^(١) .

وبإسناده ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن من الناس من يقرأ القرآن ليقال : فلان قارى ، ومنهم من يقرأ القرآن ليطلب به الدنيا ولاخير في ذلك ، ومنهم من يقرأ القرآن لينتفع به في صلاته و ليله ونهاره^(٢) .
وفي الأثر « رب تال القرآن والقرآن يلعبه^(٣) .

قال أبو حامد : « وقال ابن مسعود : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وينهاره إذا الناس يفرطون ، و يحزنه إذا الناس يفرحون ، و يبكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يفتخرون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليناً^(٤) ولا ينبغي أن يكون جافياً ولا ممارباً ولا صيحاخاً ولا مستخاباً ولا حديداً .

وقد قال عليه السلام : « أكثر مناقبي هذه الأمة قرأؤها^(٥) .
وقال عليه السلام : « أقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فلست تقرأه^(٦) .

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٢٧ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٩ في حديث .

(٣) ما عثرت عليه إلا من قول انس بن مالك .

(٤) في بعض النسخ [أن يكون سكيناً ليناً] .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٥١ و ١٥٥ . ورواه الطبراني والبيهقي كما في الجامع الصغير باب الالف .

(٦) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر كما في الجامع الصغير .

وقال عليه السلام : « ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه » (١).

وقال بعض السلف : إنَّ العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها وإنَّ العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل : كيف ذلك ؟ قال : إذا أحلّ حلالها وحرّم حرامها صلت عليه وإلا لعنته .

وقال بعض العلماء : إنَّ العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرأه إلا لعنة الله على الظالمين ، وهو ظالم نفسه ، « ألعنة الله على الكاذبين » وهو منهم .

وفي التوراة : « يا عبدي أما تستحي منّي يا أمّيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعّد لأجله وتقرأ وتندبّر حرقاً حرقاً حتى لا يفوتك منه شيء ، وهذا كتابي أنزلته إليك أنظر كم وصلت لك فيه من القول ؟ وكم كرّرت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ؟ ثمّ أنت معرض عنه ، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي ، يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكلّ وجهك وتصني إلى حديثه بكلّ قلبك ، فإن تكلم متكلّم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كفّوها أنا ذا مقبلٌ عليك ومحدّث لك وأنت معرض بقلبك عني ، فجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك » .

﴿ الباب الثاني ﴾

﴿ في آداب ظاهر التلاوة وهي عشرة ﴾

الأول في حال القاريء وهو أن يكون على الوضوء ، واقفاً على هيئة الأدب والسكون ، إمّا قائماً وإمّا جالساً مستقبل القبلة ، مطرفاً رأسه ، غير متربّع ولا متكبيء ولا جالس على هيئة التكبر ، ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي أستاذه ، وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً ، وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال . أقول : بل الأفضل أن يقرأ في بيته لأنّه أبعد من الرياء ، ولما رواه في الكافي عن ليث بن أبي سليم رفعه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « نوروا يومكم بتلاوة القرآن » (١) أخرجه الترمذي في صحيحه ج ١١ ص ٤٠ ، والبيهقي في المصابيح ج ١ ص ١٤٥ .

ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى ، صلّوا في الكنائس والبيع ، وعطّلوا يومهم فإنّ البيت إذا كثّر فيه تلاوة القرآن كثّر خيره واتّسع أهله ، وأضاء لأهل السماء كما يضيئ نجوم السماء لأهل الدنيا ،^(١)

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ البيت إذا كان فيه المرء المسلم يتلو القرآن يترأى أهل السماء كما يترأى أهل الدنيا الكواكب الدرّيّة في السماء » ،^(٢)

وعنه عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بر كنهه وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيئ لأهل السماء كما يضيئ الكواكب لأهل الأرض ، وإنّ البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه تقلّ بر كنهه وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين » ،^(٣)

وفي عدّة الدّاعي عن الرضا عليه السلام يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اجعلوا لي بيوتكم نصيباً من القرآن فإنّ البيت إذا قرئ فيه القرآن يسرّ على أهله وكثر خيره و كان سكّانه في زيادة » ، وإذا لم يقرأ فيه القرآن ضيق على أهله و قلّ خيره و كان سكّانه في نقصان » ،^(٤)

قال أبو حامد : « وإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجماً في الفراش فله أيضاً فضل ولكنّه دون ذلك ، قال الله تعالى : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ » ،^(٥) فأثني على الكلّ ولكن قدّم القيام في الذكر ، ثمّ القعود ، ثمّ الذكر مضطجماً .

قال علي عليه السلام : « من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكلّ حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكلّ حرف خمسون حسنة ، ومن قرأ في غير صلاة وهو على وضوء فخمسون وعشرون حسنة »^(٦) ومن قرأ على غير وضوء فعشر

(١) الى (٣) المصدر ج ٢ من ٦١٠ رقم ١ الى ٣ . والكنائس جمع كنيسة وهي معبد اليهود والنصارى والكفار . والبيع - بكسر الهمزة وفتح الياء - تحريك الشّاة - جمع بيعة وهي معبد النصارى .

(٤) المصدر من ٢١١ .

(٥) آل عمران : ١٩١ .

(٦) الى هنارواه الكليني عن أبي جعفر عليه السلام كما يأتي في كلام المؤلف .

حسنات و ما كان من القيام بالكيل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب .

قال أبوذر الغفاري - رضي الله عنه - : إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل .
أقول : « و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي ^(١) عن أبي جعفر عليه السلام قال :
« من قرأ القرآن قائماً في صلاته كتب له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأ في صلاته
جالساً كتب له بكل حرف خمسون حسنة ، و من قرأه في غير صلاة كتب له بكل حرف
عشر حسنات » .

و عن بشر بن غالب الأسدي ، عن الحسين بن علي عليه السلام قال : « من قرأ آية من
كتاب الله في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مائة حسنة ، فإن قرأها في غير صلاة كتب
له بكل حرف عشر حسنات ، فإن استمع القرآن كتب له بكل حرف حسنة فإن ختم
القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن ختمه نهاراً صلت عليه الحفظة حتى
يمسي وكانت له دعوة مجابة ^(٢) ، وكان خيراً له مما بين السماء إلى الأرض قلت : هذا لمن
قرأ القرآن ، فمن لم يقرأ ؟ قال : يا أخا بني أسد إن الله جواد مجيد كريم إذا قرأ معه
أعطاه الله ذلك » ^(٣) .

و عن محمد بن بشير عن علي بن الحسين عليه السلام قال : و قد روي هذا الحديث عن
أبي عبد الله عليه السلام قال : « من استمع حرفاً من كتاب الله من غير قراءة كتب الله له به حسنة
و محاً عنه سيئة و رفع له درجة ، و من قرأ نظراً من غير صوت كتب الله له بكل حرف
حسنة و محاً عنه سيئة و رفع له درجة ، و من تعلم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر
حسنات ، و محاً عنه عشر سيئات ، و رفع له عشر درجات ، قال : لا أقول : بكل آية
ولكن بكل حرف باء أو ناء أو شبيههما ، قال : و من قرأ حرفاً ظاهراً وهو جالس في صلاة كتب
الله له به خمسين حسنة ، و محاً عنه خمسين سيئة ، و رفع له خمسين درجة ، و من قرأ حرفاً
و هو قائم في صلاته كتب الله له [بكل حرف] مائة حسنة ، و محاً عنه مائة سيئة ، و رفع

(١) المصدر ج ٢ ص ٦١١ .

(٢) لعل المراد بخته ليلاً ونهاراً فراغه منه فيهما وأما الدعوة المجابة فانما يترتب

على ختمه كما في الوافي .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١١ .

له مائة درجة ، ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخرة أو معجلة ، قال : قلت : جعلت فداك ختمه كله ؟ قال : ختمه كله ، (١) .

الثاني في مقدار القراءة أقول : ولنعرض عما ذكره أبو حامد في ذلك نقلاً عن عادات أصحابه من الختم في اليوم و الليلة مرة أو مرتين أو ثلاثاً فإنه مبالغة في الاستكثار و خروج عن طريقة العقل و النقل عن أهل البيت عليهم السلام ، و روى هو عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه » (٢) ثم استحب الختم في الأسبوع مرتين أو مرة .

و في الكافي بإسناده عن محمد بن عبدالله قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أقرء القرآن في ليلة ؟ قال : لا يعجبني أن تقرأ في أقل من شهر ، (٣) .

و عن علي بن أبي حمزة قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال له أبو بصير : جعلت فداك أقرء القرآن في شهر رمضان في ليلة ؟ فقال : لا ، قال : ففي ليلتين ؟ قال : لا ، قال : ففي ثلاث ؟ قال : ها - وأشار يده - ثم قال : يا أبا محمد إنَّ لرمضان حقاً و حرمة ولا يشبهه شيء من الشهور (٤) و كان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يقرء أحدهم القرآن في شهر أو أقل ، إنَّ القرآن لا يقرء هدرمة (٥) ولكن ترمل ترميلاً ، و إذا مررت بآية فيها ذكر الجنة قف عندها و اسأل الله تعالى الجنة ، و إذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها و تموِّذ بالله من النار ، (٦) .

و عن حسين بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : في كم أقرء القرآن ؟ فقال : أقرء أخصاساً ، أقرء أسباعاً ، أما إنَّ عندي مصحفاً مجزئاً أربعة عشر جزءاً ، (٧) .

(١) المصدر ج ٢ ص ٦١٢ تحت رقم ٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في الصحيح ج ١١ ص ٦٥ وابن ماجه تحت رقم ١٣٤٧ من ابن عمر بتقديم وتأخير .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٧ .

(٤) علل عليه السلام في الثلاث في شهر رمضان بحق الشهر و حرمت و اختصاصه بين الشهور .

(٥) الهدرمة : السرعة في القراءة .

(٦) و (٧) المصدر ج ٢ ص ٦١٧ .

أقول : و ينبغي لمن كان من العابدين السالكين بطريق العمل أن يأخذ بالاسبوع كما في هذا الحديث ، و لمن كان من السالكين بأعمال القلب و ضروب الفكر أو من المشغولين بنشر العلم أن يأخذ بالشهر كما في الحديثين الأولين ، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي بأقل من ذلك لحاجته إلى كثرة التردد والتأمل فيأخذ بما ورد أنه ينبغي أن يقرأ منه في كل يوم خمسون آية وهو أقل ما يقرأ .

قد روى في الكافي بإسناد حسن عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية » (١) .

الثالث في وجه القسمة أما من ختم بالاسبوع مرة فيقسم القرآن بسبعة أحزاب فقد حزب الصحابة القرآن أحزاباً ، فروي أن بعضهم كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، و ليلة الأحد يوسف إلى مريم ، و ليلة الاثنين بطله إلى القصص ، و ليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، و ليلة الأربعاء بتزويل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس .

و كان ابن مسعود يقسم سبعة أقسام لا على هذا الترتيب ، و قيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور ، و الحزب الثاني خمس سور ، و الحزب الثالث سبع سور ، و الحزب الرابع تسع سور ، و الخامس إحدى عشرة سورة ، و السادس ثلاث عشرة سورة ، و السابع المفصل من ق فهكذا حزبه الصحابة و كانوا يقرؤونه كذلك و فيه خبر عن رسول الله ﷺ و هذا قبل أن تعمل الأقسام و الأعشار و الأجزاء فما سوى هذا فهو محدث .

الرابع في الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن و تبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة و غيرها فإنه تزيين و تبيين و صد عن اللحن و الخطأ لمن يقرأه و قد كان بعضهم ينكر الأقسام و العواشر والأجزاء ، و منهم من أنكر النقط بالحمرة و أخذ الأجراً على ذلك و كانوا يقولون : جردوا القرآن ؛ و الظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً

من أن يؤدي إلى إحداث زيادات ، و حسماً للباب ، و شوقاً إلى حراسة القرآن عما يطرّق إليه تغييراً ، و إذا لم يؤدّ إلى محذور واستقرّ الأمر فيه على ما يحصل به من مزيد معرفة فلا بأس به ، و بعضهم كان يقول : أقرأ من المصحف المنقوط و لا أنقطه بنفسي .
و قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير : كان القرآن مجرداً في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا : لا بأس به فأنته نوره ، ثم أحدثوا بعده نقطاً كبيراً عند منتهى الآية فقالوا : لا بأس به يعرف به رأس الآية ، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواصم و الفوائج .

و قيل : إن الحجاج هو الذي أحدث ذلك و أحضر القراء حتى عدّوا كلمات القرآن و حروفه و سوّوا أجزاءه و قسموه إلى ثلاثين جزءاً و إلى أقسام آخر .
أقول : روى في الكافي بإسناده عن محمد بن الوراق قال : عرضت على أبي عبد الله عليه السلام كتاباً فيه قرآن مختم معشر بالذهب و كتبت في آخره سورة بالذهب فأرسته إياه فلم يعب فيه شيئاً إلا كتابة القرآن بالذهب ، و قال : لا يعجبني أن يكتب القرآن إلا بالسواد كما كتب أول مرة (١) .

و عن داود بن سرحان عنه عليه السلام قال : « ليس بتحلية المصاحف و السيوف بالذهب و الفضة بأس » (٢) .

« الخامس الترميل هو المستحب في هيئة القراءة لأننا سنبيّن أن المقصود من القراءة التفكر ، و الترميل يعين عليه و لذلك نعتت أم سلمة قراءة رسول الله ﷺ فاذا هي نعتت قراءة مفسّرة حرفاً حرفاً (٣) .

و قال ابن عباس : لأن أقرأ البقرة و آل عمران أرتلها و أمدبرهما أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كلّ هنزمة .

أقول : وقد مرّ في ذلك حديث عن أهل البيت عليه السلام و في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٢٩ .

(٢) المصدر ج ٦ ص ٤٧٥ .

(٣) أخرجه أبوداود ج ١ ص ٣٣٨ ، و راجع سنن الترمذ ج ١١ ص ٤٣ أبواب

فضائل القرآن و ٤٨ أبواب القراءات ، و تفسير المجمع ج ١٠ ص ٣٧٨ .

قال : « أعرب القرآن فإنته عري » ، (١) .

و في القرآن المجيد « ورتل القرآن ترتيلاً » ، (٢) والترتيل هو حفظ الوقوف وبيان الحروف كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وفسر الأول بالوقف التام والحسن ، والثاني بالإتيان بصفاتها المعتبرة من الجهر والهمس والإطباق والاستعلاء وغيرها .
و في رواية أخرى عنه عليه السلام في معنى الترتيل « بينه بياناً ولا تهذه هذا الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن أفزع به القلوب القاسية ، ولا يكون : هم أحدكم آخر السورة » ، (٣) .

قيل : أي أقره متفكراً على هنيئتك كما قيل : إنته يكون بحيث لو أراد السامع عد حروف الكلمات بعده ، كما روي في قراءة رسول الله ﷺ (٤) .
و عن أبي عبد الله عليه السلام « هو أن تمكث وتحسن به صوتك » ، (٥) .
قال أبو حامد : « واعلم أن الترتيل مستحب للمجرد التدبر فإن المعجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له أيضاً في القراءة الترتيل والتؤدة (٦) لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيراً في القلب من الهدمة والاستعجال .
السادس البكاء مستحب مع القراءة ، قال رسول الله ﷺ : « ائملوا القرآن وابتكوا فإن لم تبكوا فتبكوا » ، (٧) .
و قال صالح المري (٨) : قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال لي : يا صالح هذه القراءة أين البكاء ؟ .

- (١) المصدر ج ٢ ص ٦١٥ . (٢) المزمل : ٤ .
(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٤ . والهد سرعة القراءة أي لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ولا تفرق كلماته بحيث لا تكاد تجتمع كندرات الرمل . وقد يقر « أقرع به » .
(٤) مر آنفاً من حديث أم سلة عن الترمذي وأبي داود ورواه النسائي أيضاً .
(٥) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٨ .
(٦) التؤدة - بضم التاء وفتح الهمزة وسكونها - : الرزاقة والثاني .
(٧) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٩٦ من حديث سعد بن أبي وقاص دون قوله : « ائملوا القرآن » .

(٨) أحد زهاد البصرة وهو ضعيف متروك كما قاله الذهبي .

وقال ابن عباس : إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فببك قلبه .

و إنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء .

قال عليه السلام : « إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا » (١) .

أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن القرآن نزل بالحزن فاقرؤوه بالحزن » (٢) .

وفيه عنه عليه السلام : « إن الله أوحى إلى موسى بن عمران إذا وقفت بين يدي فقف موقف الذليل الفقير ، وإذا قرأت التوراة فاسمعنيها بصوت حزين » (٣) .

قال أبو حامد : « ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود ، ثم يتأمل تفسيره في أوامره وزواجره فيحزن له لا محالة ويبكي فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء ، فإن ذلك أعظم المصائب .

السابع أن يراعي حق الآيات فإذا مرّ بآية سجود سجد وكذلك إذا سمع من غيره » .

أقول : في القرآن خمس عشرة سجدة أربع منها واجبة تسمى بالعزائم والبواقي مستحبة وفي الحجّ سجدتان ، وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض ، و أكمله أن يراعي شرائط سجود الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الخبث والحدث وأن يكبر ويسجد على الأعضاء السبعة ويدعو في سجوده ويكبر عند الرفع منه ، و وقته عند التلفظ بموجبه (٤) وهو فوري ولا يستقط بالتأخير ، وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « أنه سئل عن الرجل يقرأ السجدة فينساها حتى يركع ويسجد ؟

(١) قال العراقي : أخرجه أبو يعلى وابونعيم في العلية من حديث ابن عمر .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦١٤ تحت رقم ٢ .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٥ تحت رقم ٦ .

(٤) و الموجب مجوع الابة ولا يجب بقراءة بعضها .

قال : يسجد إذا ذكر إذا كانت من العزائم ، (١) .

وفيه عنه عليه السلام : « إذا قرأ أحدكم السجدة من العزائم فليقل في سجوده : » سجدت لك تعبدًا و رِقًا ، لا مستكبرًا عن عبادتك ولا مستنكفًا ولا متعظمًا بل أنا عبد ذليل خائف مستجير » (٢) .

قال أبو حامد : « و يدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى : « خروا سجدةً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون » فيقول : « اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدي وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك » وإذا قرأ قوله : « و يسرُّون للأذقان يسكون و يزيدهم خشوعاً » فليقل : « اللهم اجعلني من الباكين الخاشعين لك » وكذلك في كل سجدة .

الثامن أن يقول في مبدأ قراءته : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين و أعوذ بك رب أن يحضرون » و ليقره « قل أعوذ برب الناس » و سورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة : « صدق الله تعالى و بلغ رسوله الكريم ، اللهم أفعنا به و بارك لنا فيه ، الحمد لله رب العالمين ، وأستغفر الله الحي القيوم » و في أثناء القراءة إذا مرّ بآية تسبيح وتكبير سبّح وكبّر ، وإن مرّ بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، و إن مرّ بمرجوّ سأل ، و إن مرّ بمخوف استعاذ ، يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول : سبحان الله ، نعوذ بالله ، اللهم ارزقنا ، اللهم ارحمنا ، قال حذيفة : صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فابتدأ سورة البقرة وكان لا يمرّ بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبّح فإذا فرغ قال : ما كان يقوله صلوات الله عليه عند ختم القرآن « اللهم ارحمني بالقرآن و اجعله لي إماماً و نوراً و هدى و رحمة ، اللهم ذكرني منه ما نسيت ، وعلمني منه ما جهلت ، و ارزقني تلاوته آتاء الليل و النهار ، و اجعله حجةً لي يا رب العالمين » (٣) .

(١) رواه البزطي في نوادره كما في مستطرفات السرائر وأيضاً في التهذيب ج ١ ص ٢١٩ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٢٨ تحت رقم ٢٣ .

(٣) روى صدره أحمد وابويطي كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٧٢ و قال العراقي : رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الارجاني في فضائل القرآن وابوبكر بن الضحاك في الشامل كلاهما من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود بن قيس مفعلاً .

أقول : وإن اقتصر في الابتداء بقوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى امتثالاً لقوله عز وجل : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » ^(١) قيل : هو تطهير للسان عما جرى عليه من ذكر غير الله ليستعد لذكر الله وكنس لحجرة القلب من تلوث الوسوسة لينزل فيها سلطان المعرفة و ينبغي استشعار ذلك حال الاستعاذة .

وعن الصادق عليه السلام : « إذا أخذت المصحف للقراءة فقل : اللهم إني أشهدك أن هذا كتابك المنزل من عندك على رسولك محمد بن عبد الله وكلامك الناطق على لسان نبيك جعلته هادياً منك إلى خلفك ، وحلاً متصلاً فيما بينك وبين عبادك ، اللهم إني نشرت عهدك وكتابك ، اللهم فاجعل نظري فيه عبادة و قراءتي فيه ذكراً وفكري فيه اعتباراً واجعلني ممن اتعظ ببيان مواعظك فيه وأجتنب معاصيك ، ولا تطع عند قراءتي على قلبي ولا على سمعي ، ولا تجعل على بصري غشاوة ، ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبر فيها بل اجعلني أمدبر آياته وأحكامه آخذاً بشرائع دينك ، ولا تجعل نظري فيه غفلة ولا قراءتي هذراً إنك أنت الرؤوف الرحيم » ^(٢)

وقد روي للفراغ أنه يقول : « اللهم إني قد قرأت ما قضيت من كتابك الذي أنزلته على نبيك الصادق عليه السلام فلك الحمد ربنا ، اللهم اجعلني ممن يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويؤمن بمحكمه ومتشابهه واجعله أنساً في قيري وأنساً في حشري واجعلني ممن ترفيه بكل آية درجة في أعلى عليين آمين رب العالمين » ^(٣) .

وعنه عليه السلام : « إذا مرّ يا أيها الناس ، يا أيها الذين آمنوا ، قال : لبيك ربنا ، وإذا ختم سورة الشمس قال : صدق الله وصدق رسوله ، وإذا قرأ : « الله خير أمأشر كون » قال : الله خير الله أكبر ، وإذا قرأ « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » قال : كذب العادلون بالله وإذا قرأ الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك - الآية - ، كبر ثلاثاً وإذا فرغ من الإخلاص قال : « كذلك الله ربّي » .

وروي عند قوله تعالى « فمن يأتيكم بماء معين » الله ربنا ، وعند قوله : « أليس

(١) النحل : ٩٨ .

(٢) و (٣) رواه المفيد - رحمه الله - في الاختصاص ص ١٤١ .

ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ، سبحانه بلى ، وعند قوله : « أنتم مخلوقوه أم نحن الخالقون » بل أنت الله الخالق ، وعند « أم نحن الزارعون » بل أنت الله الزارع ، وعند « أم نحن المنشئون » بل أنت الله المنشيء ، وعند قوله عز وجل : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » لا بشيء من آلائك رب الكذب ، إلى غير ذلك ، والظاهر انسحابه إلى كل ما يناسب ^(١) .

ولختم القرآن دعوات مشهورة أحسنها وأتمها ما في الصحيفة السجادية على مصدرها الصلاة والسلام ^(٢) .

التاسع في الجهر بالقراءة ولا شك في أنه لا بد وأن يجهر به إلى حد يسمع نفسه وأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ، ويدل على استحباب الإسرار ما روي أنه عليه السلام قال : « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » ^(٣) وفي لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمرسر بالصدقة » ^(٤) .

وفي الخبر العام « يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً » ^(٥) ، وكذلك قوله : « خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي » ^(٦) .

(١) راجع الكافي ج ١ ص ١٩ ، التهذيب ج ١ ص ١٧١ ، وص ٢٢١ ، وص ٢٤٧ .

و ثواب الاعمال أيضاً . وانسحب أي انجر .

(٢) الدعاء الثاني والاربعون أوله « اللهم صل على محمد وآله وأفرشني مهاد

كرامتك » . (٣) ما عثرت عليه بهذا اللفظ .

(٤) أخرجه أبو داود ج ١ ص ٣٠٦ وأيضاً الترمذي ج ١١ ص ٤١ وقال : حسن

غريب ورواه الطبراني في الكبير من طريقين بلفظ آخر كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب كما في المغني وراجع وسائل الشريعة باب استحباب

العبادة في السر واختيار ما على العبادة في العلانية من أبواب مقدمة العبادات .

(٦) أخرجه أحمد وابن حبان والبيهقي عن سعد بن أبي قاص بسند صحيح كما في الجامع

الصغير باب الغناء .

وفي الخبر « لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء »^(١)، وسمع سعيد بن المسيّب ذات ليلة في مسجد النبي ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لفلانه : اذهب إلى هذا المصلي فمره بأن يخفض من صوته ، فقال الفلام : إن المسجد ليس لنا وللملوك جل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال : يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عز وجل بصلواتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فاقمهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً فسكت عمر ، وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة .

و يدل على استحباب الجهر ما روي أنه ﷺ سمع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك^(٢) ، وقد قال ﷺ : « إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته »^(٣) فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الأسرار أبعد عن الرباء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائده تتعلق أيضاً بغيره والخير المتعدي أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القاري ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم برفع الصوت ، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ، ولأنه يرجو بجهره تيقظ قائم فيكون هو سبب إحيائه ، ولأنه قد يراه بطل غافل فينشط بسبب نشاطه ويستاق إلى الخدمة ، فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات يضاعف الأجر وبكثرة النيات يترك عمل الأبرار ويتضاعف أجورهم فإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة أجور ولهذا نقول : قراءة القرآن في المصحف أفضل إن يزيد عمل البصر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه . وقد قيل : الختمة من المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضاً عبادة وكان كثير

(١) أخرجه أبو داود ج ١ ص ٣٠٦ بدون ذكر المغرب والعشاء ورواه أحمد وأبو يعلى بلفظ آخر كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٦٥ . (٢) أخرجه أبو داود ج ١ ص ٣٠٦ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير في حديث كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٦٦ .

من الصحابة يقرؤون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولهم ينظروا في المصحف .
 أقول : وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أعطوا أعينكم حظها من العبادة ،
 قالوا : وما حظها من العبادة يا رسول الله ؟ قال : النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار
 عند عجائبه » (١) .

وروى العلامة الطوسي - رحمه الله - في آدابه عن النبي ﷺ أنه قال : « أفضل
 عبادة أمتي تلاوة القرآن نظراً » (٢) .

وفي الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من قرأ القرآن في المصحف
 متسع ببصره وخفف عن والديه وإن كانا كافرين » (٣) .

و بإسناده عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : « جعلت
 فداك إنني أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرؤه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف ؟
 قال : فقال : بل أقرء وانظر في المصحف فهو أفضل ، أما علمت أن النظر في المصحف عبادة » (٤) .
 والأولى أن يجعل النظر في المصحف أدباً آخر من آداب التلاوة .

« العاشر تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم
 فذلك سنة ، قال رسول الله ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم » (٥) .

و قال ﷺ : « ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن » (٦) وقال : « ليس
 منّا من لم يتغنّ بالقرآن » (٧) فقيل : أراد به الاستغناء وقيل : أراد به الترتيم وترديد
 الألحان وهو أقرب عند أهل اللغة .

وروي أنه ﷺ استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ثم قال : « من أراد أن

(١) أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن أبي سعيد كما في الجامع الصغير .

(٢) ص ١٥١ من كتاب آداب المتعلمين طبعه الملحق بشرح الباب العاشر عشر .

(٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ٦١٣ تحت رقم ١ و ٣ .

(٥) أخرجه الدارمي ج ٢ ص ٤٧٤ ، ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجه هكذا .

وفي سنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٣٠ « زينوا أصواتكم بالقرآن » . والتعطيط : المد .

(٦) و (٧) أخرجهما البخاري ومسلم كما في سنن البيهقي ج ٢ ص ٥٤ و ج ١ ص ٢٢٩ .

و إذا « يجهر به » وهكذا في سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٧١ و ٤٧٢ .

يقرأ القرآن غصّاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد،^(١).

وقال عليه السلام لابن مسعود: «اقرأ فقال: يا رسول الله أقرأ عليك أنزل؟ فقال: «إنني أحب أن أسمع من غيري، فكان يقرء ورسول الله صلى الله عليه وآله عيناه تفيضان،^(٢) وقال عليه السلام: «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نوراً يوم القيامة، وفي الخبر كتب له عشر حسنات،^(٣) ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع.

أقول: ومن طريق الخاصة في هذا الباب ما رواه في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله: لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن،^(٤) وعنه عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله: من أجل الجمال الشعر الحسن ونعم النغمة الصوت الحسن،^(٥).

وعنه عليه السلام قال: «ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت،^(٦) وعنه عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السفاؤون يسمعون يبابه يستمعون قراءته، وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً،^(٧) وعن علي بن محمد النوفلي عن أبي الحسن عليه السلام قال: ذكرت الصوت عنده فقال: «إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرء فرجاً مرّ به المارّ يصعق من حسن صوته، وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس، قلت: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون،^(٨).

وعن أبي بصير قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٣٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٩٥ و ١٩٦ .

(٣) أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة هكذا: من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة وسنده ضعيف كفاي الجامع الصغير باب البسم .

(٤) الى (٨) الكافي ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن .

جاءني الشيطان فقال : إنما تراني بهذا أهلك و الناس ، قال : يا أبا محمد أقرء قراءة بين القراءتين تسمع أهلك و رجّع بالقرآن صوتك فإن الله تعالى يحب الصوت الحسن ، ترجّع به ترجيعاً ، (١) .

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت : « إن قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أوحّدوا به صق أحدهم حتّى يري أن أحدهم لوقطعت يده أو رجلاه لم يشعر بذلك ، فقال : سبحانه الله ذلك من الشيطان ما بهذا نعتوا إنما هو اللّين و الرقة و الدّمة والوجل » (٢) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : أقرؤوا القرآن بألحان العرب و أصواتها ، و إيّاكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنّه سيّجىء بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرّهباينة لا تجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة و قلوب من يعجبه شأنهم » (٣) .

وفي الفقيه « سأل رجل عليّ بن الحسين عليه السلام عن شراء جارية لها صوت ؟ فقال : ما عليك لو اشتريتها فذكرتك الجنة ، يعني بقراءة القرآن والزهد والفضائل التي ليست بغناء فأما الغناء فمحظور - انتهى كلامه - (٤) .

وأما استماع القرآن عند قراءة الغير فكذلك يكون واجباً لورود الأمر به في الكتاب والسنة ؛ قال الله عز وجل : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » (٥) .

وفي التهذيب بإسناد الصحيح عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « سألت عن الرجل يؤم القوم وأنت لا ترضى به في صلاة يجهر فيها بالقراءة ؟ فقال : إذا سمعت كتاب الله يتلى فأنت له ، قلت : فإنّه يشهد عليّ بالشرك ، قال : إن عصي الله فأطع الله ، فرددت عليه ، فأبى أن يرخّص لي ، قال : قلت له : أوصلي إذن في بيتي ثم أخرج إليه ؟ فقال : أنت وذاك ، وقال : إن عليّاً عليه السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوا وهو

(١) الى (٣) الكافي ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيب القرآن بالصوت الحسن .

(٤) المصدر ص ٤٨٢ تحت رقم ٩ .

(٥) الاعراف : ٢٠٤ .

خلفه : « ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين » فأنصت علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ، ثم عاد في قراءته ، ثم أعاد ابن الكوا الآية فأنصت علي عليه السلام أيضاً ، ثم قرأ فأعاد ابن الكوا فأنصت علي عليه السلام ، ثم قال : « فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » ، ثم أتم السورة ، ثم ركع ^(١) .

و بإسناده الموثق عن ابن بكير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « سألته عن الناصب يؤمننا ما تقول في الصلاة معه ؟ فقال : أما إذا جهر فأنصت للقرآن واستمع ثم أركع واسجد أنت لنفسك » ^(٢) .

﴿الباب الثالث﴾

﴿في أعمال الباطن في التلاوة﴾

« وهي عشرة : فهم أصل الكلام ، ثم التعظيم ، ثم حضور القلب ، ثم التدبر ثم التفهم ، ثم التخلي عن موانع الفهم ، ثم التخصيص ، ثم التأثر ، ثم الترقى ، ثم التبري .
الأول فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله تعالى و لطفه بخلقه في تزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه ، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ، وكيف تجلّت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ، و لتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه و سبحات نوره ، ولولا تثبيت الله موسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليّه حيث صار دكاً ، ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حدّ فهم الخلق ولهذا عبّر بعض العارفين عنه فقال : إن كل حروف

(١) المصدر ج ٢ ص ٢٥٥ . وقوله : « ولقد أوحى » في سورة الزمر : ٦٥ .

وقوله : « فاصبر إن وعد الله حق » الروم : ٦٠ . وأخرجه البيهقي في السنن ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٢٥٥ .

من كلام الله في اللوح أعظم من جبل قاف ، وإن الملائكة لواجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته لكن الله طوّقه ذلك واستعمله به .

ولقد تأنق بعض الحكماء ^(١) في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان مع قصور رتبته و ضرب له مثلاً لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض الملوك إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما يحتمله فهمه ، فقال الملك : أرأيت ما يأتي به الأنبياء إذا ادّعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله تعالى فكيف يطيق الناس حمله ؟ فقال الحكيم : إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطيور ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنواع عقولهم مع حسنه وترتيبه و بديع نظمه فنزلوا إلى درجه تمييز البهائم وأوسلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لا ثقة بهم من النقر والصغير والأصوات القريبة من أصواتهم التي يطيقون حملها ، وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه وكمال صفاته ، فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصغير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من أن يشرّف الكلام أي الأصوات لشرفها ويعظم لتعظيمها ، فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً والحكمة للصوت نفساً وروحاً ، فكما أن أجساد البشر تكرم وتعزّز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرّف للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة ، رفيع الدرجة ، قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل ، وهو القاضي العادل ، والشاهد المنرضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ، ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ، ويستدلّون به على حوائجهم فقط ، فالكلام كالمملك المحجوب الغائب وجهه ، والمشاهد أمره وكالشمس

(١) تأنق في الكلام : وانعم . عنه بالافتقار والحكمة .

العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها ، و كالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها ، فهو مفتاح الخزائن النفيسة ، و شراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ، و دواء الأسقام الذي من سقى منه لم يسقم ، فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام ، و الزيادة عليه لا يليق بعلم المعاملة ، فينبغي أن يقتصر عليه .

الثاني التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ، و يعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر ، وأن في تلاوة كلام الله غاية الخطر فإنه تعالى قال : « لا يمسه إلا المطهرون »^(١) و كما أن ظاهر جلد المصحف و ورقه محروس عن ظاهر بشرة اللئس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزه و جلاله محبوب عن باطن القلب إلا إذا كان منقطعاً عن كل رجس و مستتيراً بنور التعظيم و التوقير ، و كما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ، و لمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه ، و يقول : هو كلام ربي ، هو كلام ربي ، فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم ولن يحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته و أفعاله ، فإذا خطر بباله العرش و الكرسي و السماوات و الأرضون و ما بينهما من الجن و الإنس و الدواب و الأشجار ، و علم أن الخالق لجميعها و القادر عليها و الرازق لها واحد ، و أن الكل في قبضة قدرته ، مهدد و من فضله و رحمته ، و بين نعمته و سطوته ، إن أنعم بفضله ، و إن عاقب ببعده ، وأنه الذي يقول : هؤلاء في الجنة و لا أبالي ، و هؤلاء في النار و لا أبالي ، و هذه غاية العظمة و التعالي ، فالتفكر في أمثال هذا يخطر تعظيم المتكلم ، ثم تعظيم الكلام .

الثالث حضور القلب و ترك حديث النفس ، قيل في تفسير « يا يحيى خذ الكتاب بقوة »^(٢) أي بجد و اجتهاد ، و أخذه بالجد أن يكون متجرباً له عند قراءته ، منصرف الهم إليه عن غيره ، و قيل لبعضهم : إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء ؟ فقال : أو شيء أحب إلي من القرآن أحدث به نفسي ؟ و كان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية ، و هذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن المعظم للكلام الذي يتلوه

يشتبش به ويستأنس ولا يغفل عنه ، ففي القرآن ما يستأنس به القلب ، إن كان التالي أهلاً له فكيف يطلب الأُنس بالفكر في غيره ؟ وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ، وقد قيل : إن في القرآن ميادين و بساين ومقاصير وعرايس وديابيح ورياضات وخانات ، فالميمات ميادين القرآن ، وآراءات بساين القرآن ، والحامدات مقاصيره ، والمسبحات عرايس القرآن ، والحاميمات ديباج القرآن ، والمفصل رياضه ، والخانات ما سوى ذلك فإذا دخل القارئ في الميادين ، وقطف من البساين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرايس ، ولبس الديباج ، وتنزه في الرياض ، وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك ، وشغله عما سواه ، فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره .

الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن به من نفسه وهو لا يتدبره ، والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن في الترميل لأن الترميل في الظاهر يمكن من التدبر في الباطن ، قال علي عليه السلام : « لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها » ^(١) وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بتريد فليردد إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئاً ، مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك إذا كان في تسييح الركوع وهو متفكر في آية قرأها فهذا وسواس ، فقد روي عن عامر بن عبد قيس أنه قال : الوسواس يعتريني في الصلاة فقل : في أمر الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف في السنة أحب إلي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي وأني كيف أنصرف ، فعذ ذلك وسواساً وهو كذلك فإنه يشتغل عن فهم ما فيه والشیطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بهمهم ديني لكي يمنعه به عن الأفضل . وروي أنه عليه السلام قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة ^(٢) وإنما رددتها لتدبره في معانيها .

وعن أبي ذر رضي الله عنه - قال : قام بنا رسول الله ﷺ فقام ليلة بآية يرددوها

(١) رواه الحسن بن علي بن شعبة الحراني في تحف العقول ص ٢٠٤ مرسل .

(٢) رواه أبو ذر الهروي في معجمه من حديث أبي هريرة كما في المغني .

« إن تعدّ بهم فأتهم عبادك » - الآية - (١) .

وقام تميم الدّاري ليلة بهذه الآية « أم حسب الذين اجترحوا السيئات - الآية - » (٢) .
وقام سعيد بن جبير ليلة يردّد هذه الآية « و امتازوا اليوم أيّها المجرمون » (٣) .
وقال بعضهم : إني لأفتح السورة فتوقفتني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها
حتى يطلع الفجر .

و كان بعضهم يقول : كلّ آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لأعدها ثواباً .
وحكي عن أبي سليمان الدّاراني أنّه قال : إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع
ليال وخمس ليال ولولا أنني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها .
و عن بعض السلف أنّه بقي في سورة هود ستة أشهر يكرّرها ولا يفرغ من
التدبر فيها .

وقال بعض العارفين : لي في كلّ جمعة ختمة ، وفي كلّ شهر ختمة ، وفي كلّ سنة
ختمة ، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد ؛ وذلك بحسب درجات تدبره
وتفتيشه ؛ وكان هذا يقول : أقمت نفسي مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومسابعة ومشاهدة
ومسابقة (٤) .

الخامس التفهيم وهو أن يستوضح من كلّ آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل
على ذكر صفات الله وذكر أفعاله وذكر أحوال أنبيائه ﷺ وذكر أحوال المكذّبين لهم ،
و أنّهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار ، أمّا صفات الله
فكقوله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٥) وكقوله : « الملك القدّوس السلام
المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » (٦) فليتأمل معاني هذه الأسماء و الصفات

(١) البائدة : ١١٨ والنّور أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٣٥٠ .

(٢) البجائية : ٢١ . (٣) يس : ٥٩ .

(٤) يومه يوماً ومياومة : عامله بالايام . وسابعه مسابقة وسباعاً حامله بالاسبوع .
وفي بعض النسخ [ومعجامة] بمعناه - من الجمعة - وشاهره شهاراً : استأجره بالشهر . وسأنه
مسابقة عامله بالسنة كسأنه .

(٥) الشورى : ١١ . (٦) العشر : ٢٣ .

لينكشف له أسرارها فتحتهم معاني مدفونة لا ينكشف إلا للموفقين وإليه أشار علي عليه السلام بقوله : « ما أسر إلي رسول الله ﷺ شيئاً كتمه عن الناس إلا أن يؤتي الله تعالى عبداً فهماً في كتابه فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم » ^(١) ، وقال ابن مسعود : من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن ^(٢) فأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله وصفاته إن لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لا يفة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها .

و أمّا أفعاله فكذلك خلق السماوات والأرض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فيدل عظمته على عظمته فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل ، فمن عرف الحق رآه في كل شيء إذ كل شيء منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ، ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه لا أنه سيبطل في ثاني الحال ، بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات و بطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبني من مباني علم المكشوفة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله : « أفرايتم ما تخرجون » . « أفرايتم الماء الذي تشربون » . « أفرايتم النار التي تورون » « أفرايتم ما تمنون » ^(٣) أن لا يقصر نظره على الماء والنار والحربة والمنى ، بل يتأمل في المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم

(١) قال العراقي : أخرجه النسائي من رواية أبي جعيفة قال : « سألنا علياً قتلنا :

هل عندكم من رسول صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه . . . » وهو عند البخاري بلفظ « هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس في القرآن » وفي رواية « وقال مرة ما ليس عند الناس » ولا يبي داود والنسائي « قتلنا : هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعده إلى الناس ؟ قال : لا إلا ما في كتابي هذا . . . » ولم يذكر « الفهم في القرآن » . (٢) ثار يشور الشيء : هاج ومنه ثارت بينهم الفتنة . وثوره أي هيجه وثور الكتاب :

بحث عن معانيه . ومنه « من أراد العلم فليثور القرآن » .

(٣) الواقعة : ٦٣ و ٦٨ و ٧١ و ٥٨ على الترتيب .

والعظم والعروق والعصب وكيفية شكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ، ثم إلى ما ظهر فيه من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيره ، ثم إلى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكفر والجهل ، والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى : « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نقطة فاذا هو خصيم مبين ^(١) » فيتأمل هذه العجائب ليرقى منها إلى أعجب الأعاجيب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الأعاجيب ، فلا يزال ينظر إلى الصنعة حتى يرى الصانع . وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام فاذا سمع منها كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم ، فليفهم منه صفة استغناء الله تعالى عن الرسل والمرسل إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله وإرادته لنصرة الحق .

وأما أحوال المكذبين كعاد و ثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته و تقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فرهما يدركه النعمة و تنفذ فيه القضيّة ، وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن ، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه « ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » ^(٢) « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً » ^(٣) ، ولذلك قال علي عليه السلام : « لو شئت لأوفرت سبعين بعبيراً من تفسير فاتحة الكتاب » ^(٤) فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى : « ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ما ذا قال آتفاً » فقال تعالى : « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم » ^(٥) والطابع هو الموانع التي سبقت في معاني الفهم ، وقد قيل : لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد ، ويعرف منه النقصان من المزيد ، ويستغني بالمولى عن العبيد .

(١) يس : ٧٧ . (٢) الانعام : ٥٩ . (٣) الكهف : ١٠٩ .

(٤) ما عثرت على أصل له . (٥) سورة محمد : ١٦ .

السادس التخلي عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا من فهم معاني القرآن لأسباب و حجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال **عليه السلام** : « لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت » (١) .
و معاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس و لم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت ؛ وحجب الفهم أربعة :

أولها أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقرآن ليصرفهم عن معاني كلام الله و لا يزال يحلمهم على ترداد الحرف ، يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأتى ينكشف له المعاني ، وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التليس .

ثانيها أن يكون مقلداً للمذهب سمعه بالتقليد و جدد عليه و ثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة و مشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه فإن لمع برق على بُعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة ، و قال : كيف يخطر هذا ببالك و هو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه و يحترز عن مثله ؛ و بمثل هذا قالت الصوفية : إن العلم حجاب ، و أرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم ، فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف و المشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجاباً و هو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلاً فيكون مانعاً كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن و الاستقرار ، فإن خطر له مثلاً في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ، و لو استقر ذلك في نفسه لانتجرت إلى كشف ثان و ثالث و لتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل

(١) مر الخبر سابقاً عن الخطيب وغيره .

وقد يكون حقاً ويكون أيضاً مانعاً من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدء ظاهر و غور باطن وجود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه من الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد .

ثالثها أن يكون مصرّاً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جليلة الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرين وكلما كانت الشهوات أشدّ تراكمات معاني الكلام أشدّ احتجاباً وكلما خفّ عن القلب أُنْقَل الدُّنيا قرب تجلّى المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدء ومعاني القرآن مثل الصور التي تترامى في المرآة والرياضة للقلب بإمالة الشهوات مثل تصفيل الجلاء للمرآة ولذلك قال عليه السلام : « إذا عظمت أُمّتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرّموا بركة الوحي » ^(١) قال الفضيل : يعني حرّموا فهم القرآن وقد شرط الله الإجابة في الفهم والتذكّر ، وقال : « تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » ^(٢) وقال : « وما يتذكّر إلّا من ينيب » ^(٣) ، وقال : « إنّما يتذكّر أولو الألباب » ^(٤) فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب فلذلك لا ينكشف له أسرار الكتاب .

رابعها أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنّه لا معنى لكلمات القرآن إلّا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأنّ ما وراء ذلك تفسير بالرأي وأنّ من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار ، فهذا أيضاً من الحجب العظيمة وسبب من معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وأنّ ذلك لا يناقض قول علي عليه السلام : « إلّا أن يؤتي الله العبد فهماً في القرآن » وأنّه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه .

(١) قال العرقى : أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الامر بالمعروف مفصلاً من حديث

الفضيل بن عياض .

(٢) ق : ٨ . (٣) المؤمن : ١٣ .

(٤) الرعد : ٢١ و الزمر : ٩ .

السابع التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نبياً قدر أنه هو المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبيا علم أن السر^(١) غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعفه ما يحتاج إليه فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي وأُمَّته ولذلك قال تعالى: «ما ثبت به فؤادك»^(٢)، فليقدر العبد أن الله تعالى شئت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الأذى وثباتهم في الدين لا تنتظر نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال: «واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة»^(٣) وقال: «لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم»^(٤) «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم»^(٥) «كذلك يضرب الله للناس أمثالهم»^(٦) «واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم»^(٧) «هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون»^(٨) «هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين»^(٩)، وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد القاري، مقصود فيماله ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود، قال تعالى: «وأوحى إليّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ»^(١٠).

قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله تعالى وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل قرأه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتب إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه، ولذلك قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أمتنا من قبل ربنا بهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنة المتبعة، وكان مالك بن دينار يقول: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إن القرآن ربيع

(١) أي حديث الليل.

(٢) هود: ١٢٠.

(٣) البقرة: ٢٣١.

(٤) الانبياء: ١٠.

(٥) النحل: ٤٤.

(٦) سورة محمد: ٣.

(٧) الزمر: ٥٥.

(٨) الجاثية: ٢٠.

(٩) آل عمران: ١٣٨.

(١٠) الانعام: ١٩٠.

المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض ، وقال قتادة : لم يجالس أحد القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان ، قال الله تعالى : « هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » ^(١) .

الثامن التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد ووجل يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها ، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فإن التصديق غالب على آيات القرآن ، فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن يلبها كقوله : « وإني لفقار » ثم إيماعه ذلك بأربعة شروط « لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » ^(٢) وقوله تعالى : « والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » ^(٣) ذكر أربع شرائط وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ^(٤) فلا إحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن ، ولذلك قيل : والله ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه ، وقل فرحه ، وكثر بكأؤه ، وقل ضحكته ، وكثر نصبه وشغله ، وقلت راحته وبطالته ، وقال وهيب بن الورد : نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرد ^(٥) للقلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره ، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوّة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضائل من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسيع ووعده المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله وأسمائه يتطأطأ خضوعاً للجلال واستشعاراً لعظمته وعند ذكر الكفار وما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله ولداً وصاحبة يفض صوته وينكسر في باطنه حياءً من قبح مقالهم ، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً إليها وعند وصف النار يرد فرائض خوفاً منها ولما قال رسول الله ﷺ لا ينسوا سورة النساء فلما بلغت فكيف إذا جئنا من

(٢) طه : ٨٢ .

(١) الاسراء : ٨٢ .

(٤) الاعراف : ٥٦ .

(٣) العصر : ٢-٤ .

(٥) في الاحياء [أردق] .

كل أمة بشهيد وجنابك على هؤلاء شهيداً^(١)، رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن، وهذا لأن مشاهدة ملك الحالة استغرقت قلبه بالكليّة ولقد كان في الخائفين من خرم مغشياً عليه عند سماع آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فبمثل هذه الأحوال يخرج عن أن يكون حاكياً في كلامه، فإذا قال: «إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم»^(٢)، فإذا لم يكن خائفاً كان حاكياً، وإذا قال: «عليك توكلنا وإليك أنبنا»^(٣)، ولم يكن حاله التوكل والإجابة كان حاكياً، وإذا قرأ: «ولنصبرن على ما آتيتونا»^(٤)، فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجتهد تلاوة التلاوة، فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حفظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله: «ألا لعنة الله على الظالمين»^(٥)، وفي قوله: «كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»^(٦)، وفي قوله: «وهم في غفلة معرضون»^(٧)، وفي قوله: «فأعرض ممن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا»^(٨)، وفي قوله: «ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون»^(٩)، إلى غير ذلك وكان داخلاً في معنى قوله تعالى: «و منهم أُمّيون لا يعلمون الكتاب إلّا أماني»^(١٠)، يعني التلاوة المجردة، وفي قوله: «وكأين من آية في السماوات والأرض يعرفون عليها وهم عنها معرضون»^(١١)، لأن القرآن هو المبيّن لتلك الآيات في السماوات والأرض، ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها ولذلك قيل: إن من لم يكن متصفاً بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه تعالى: مالك

(١) الآية في سورة النساء: ٤٠ والخبر أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري والترمذي والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن مسعود وأخرج مثله الحاكم في المستدرک وصححه عن عمرو بن حريث كما في الدر المنثور ج ٢ ص ١٦٣.

- | | |
|-----------------------------|------------------|
| (٢) الانعام: ١٥ والزمر: ١٣. | (٣) المتحنة: ٤. |
| (٤) إبراهيم: ١٢. | (٥) هود: ١٨. |
| (٦) الصف: ٣. | (٧) الانبياء: ٢. |
| (٨) النجم: ٢٩. | (٩) الحجرات: ١١. |
| (١٠) البقرة: ٧٨. | (١١) يوسف: ١٠٥. |

ولكلامي وأنت معرضٌ عني، دع عنك كلامي إن لم تنب إليّ، ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرّره مثال من يكرّر كتاب الملك كل يوم مرّات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغولٌ بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعلّه لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت، ولذلك قال يوسف بن أسباط: إني لأهم بقراءة القرآن وإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار، والمعرض عن العمل به أريد بقوله تعالى: «فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون»^(١) ولذلك قال رسول الله ﷺ: «افروا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم ولا نث له جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه» وفي بعضها «فإذا اختلفتم فقوموا عنه»^(٢) وقال تعالى: «الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون»^(٣) وقال ﷺ: «إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يرقأ أريت أنه يخشى الله عز وجل»^(٤) وقال أيضاً: «لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله تعالى»^(٥).

فالقرآن إنما يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب وللعمل به وإلا فالمؤونة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القرّاء: قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فاتهرني وقال: جعلت القراءة عليّ عملاً أذهب فاقره على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وعمّاذ ينهك وماذا يفهمك، ولهذا كان شغل الصحابة في الأحوال والأعمال، فمات رسول الله ﷺ عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين، وكان الذي يحفظ البقرة والأ نعام من علمائهم، وملا جاء واحد ليتعلّم القرآن وانتهى إلى قوله:

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) أخرجه البخاري ج ٦ ص ٢٤٤، والدارمي ج ٢ ص ٢٤١.

(٣) الانفال: ٣.

(٤) رواه الدارمي ج ٢ ص ٤٧١ عن مسمر عن عبد الكريم بلفظ آخر.

(٥) قال العراقي: رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم النافقي في كتاب

فضائل القرآن.

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »^(١)، فقال : يكفيني هذا وانصرف فقال (ص) انصرف الرجل وهو فقيه^(٢)، فإِنما العزيز مثل تلك الحالة التي يمنُّ الله بها على القلب عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جديرٌ بأن يكون هو المراد بقوله : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً وحشره يوم القيمة أعمى »^(٣) وبقوله تعالى : « كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »^(٤) أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فإنَّ المقصود في الأمر يقال : إنه نسي الأمر ، وتلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحفظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحفظ العقل تفسير المعاني ، وحفظ القلب الاتمعاظ والتأثر بالانزجار والالتزام ، فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعطف .

التاسع الترقى وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله تعالى لامن نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدّر العبد كأنه يقرؤه على الله تعالى وإفقا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عندهذا التقدير السؤال والتعلق والتضرع والابتهاج؛ الثانية أن يشهد بقلبه كأنَّ ربّه يخاطبه بالطفافه ويناجيه باِنعامه وإحسانه ، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم ؛ الثالثة أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ، ولا إلى قراءته ، ولا إلى تعلق الإِنعام به من حيث إنّه منعم عليه ، بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنّه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقرّبين وما قبله من درجات أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين ، وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال : « والله لقد تجلّى الله لخلق في كلامه ولكن لا يبصرون »^(٥) .

(١) الزلزال : ٧ و ٨ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٥٣٢ بادنى اختلاف فى اللفظ .

(٣) طه : ١٢٤ .

(٤) طه : ١٢٦ .

(٥) نقله الشهيد فى أسرار الصلاة ص ٢٠٤ .

وقال أيضاً : وقد سأله عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشياً عليه فلمّا سُري عنه قيل له في ذلك ، فقال : ما زلت أردد الآية على قلبي وعلى سمعي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ، وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء : كنت أقرأ القرآن فلا أجده حلاوة حتى تملوته كأنني أسمع من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه ، ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأنني أسمع من جبرئيل عليه السلام يلقيه على رسول الله ﷺ ، ثم جاء الله تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمع من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعماً لا أصبر عنه .

وقال حذيفة : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وذلك لأنها بالطهارة يترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني : كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة ، وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممثلاً لقوله تعالى : « فقرأوا إلى الله ^(١) » ، ولقوله : « ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر ^(٢) » فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره ، وكل ما التفت إليه العبد تضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي ، بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله .

العاشر التبرّي وأعني به أنه يتبرّي عن حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصدّيقين فيها ويتشوق أن يلحقه الله بهم ، وإذا تلا آية المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقد رآته المخاطب خوفاً وإشفاقاً .

أقول : وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله : « إذا مرّوا بآية تخوف أصغوا إليها مسامح قلوبهم ، وظنّوا أن زفير جهنم في آذانهم ^(٣) » .

قال أبو حامد : « فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فإن من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه إلى درجة أخرى في القرب »

(١) الذاريات : ٥٠ .

(٢) الذاريات : ٥١ .

(٣) النج : خطبة ١٩١ .

وراءها ومن شهد القرب في البعد مكربه بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ، ومهما كان شاهداً نفسه بعين الرضا صار محجوباً بنفسه وإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله في قراءته انكشف له الملكوت بحسب أحواله ، فحيث يتلو آيات الرجاء ^(١) ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له سورة الجنة فيشاهد ها كأنه يراها عياناً ، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطن ، فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات ينقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستمد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحداً والمسموع مختلف إذ فيه كلام راض ، وكلام غضبان وكلام منعم ، وكلام منتقم ، وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل .

﴿فصل﴾

أقول : وروى عن الصادق عليه السلام أنه قال : « من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشئ حزناً ووجلاً في سره فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسراناً مبيئاً ، فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء : قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال ، فإذا خشع الله قلبه فرمته الشيطان الرجيم قال الله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » ^(٢) وإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيجرمه نور القرآن وفوائده ، وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل من الخلق بعد أن أتمى بالخصلتين الأوليين استأنس روحه وسره بالله ووجد حلوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصهم بقبول كراماته وبدائع إشاراته ، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً ولا على ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كل طاعة

(١) في بعض النسخ [آيات الرحمة] .

(٢) النحل : ٩٨ .

وعباداً لأنَّ فيه المناجاة مع الرَّبِّ بلا واسطة ، فانظر كيف تقرأ كتاب ربِّك و منشور ولايتك و كيف تجيب أوامره ونواهيهِ و كيف تمثل حدوده فإنَّه كتابٌ عزيزٌ لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فرمِّله ترميلاً وقف عند و عدمه و وعيده و تفكَّر في أمثاله و مواعظه واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده^(١).

﴿الباب الرابع﴾

﴿ في فهم القرآن و تفسيره بالرأى من غير نقل ﴾

لعلَّك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن بما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيها فكيف يستحب ذلك وقد قال وَاللَّهُ يَكْفِيكَ : « من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار »^(٢) وعلى هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المنسوين إلى التصوف في تأويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس و سائر المفسرين وذهبوا إلى أنه كفر ، فإن صحَّ ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصحَّ ذلك فما معنى قوله وَاللَّهُ يَكْفِيكَ : « من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار » .

فاعلم أنه من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدِّ نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه ، و لكنَّه مخطئ في الحكم بردِّ الخلق كافة إلى درجته التي هي حدُّه وخطاه ، بل الأخبار والآثار تدلُّ على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم قال علي عليه السلام : « إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن »^(٣) فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟ .

(١) مصباح الشريعة الباب الرابع عشر .

(٢) أخرجه الترمذي ج ١١ ص ٦٧ بالفاظ مختلفة عن ابن عباس و رواه الصدوق

في الغنية في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله بلفظ آخر .

(٣) قد مرَّ آنفاً .

وقال عليه السلام : «إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلماً» ^(١) ويروى أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع ؟
وقال علي عليه السلام : لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب ، فما معنى ذلك ؟ وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار .

وقال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً .

وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر .
وقال آخر : القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي ألف علم ، لكل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعاً إذ لكل واحد ظاهر وباطن وحد ومطلع ، وترديد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بسم الله الرحمن الرحيم » عشرين مرة ^(٢) لا يكون إلا لتدبره باطن معانيه وإلا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكريره ، وقول ابن مسعود : من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن ؛ وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر ، وبالجمله فالعلوم كلها داخله في أفعال الله تعالى وصفاته ، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لانهاية لها ، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجعة إلى فهم القرآن ، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك ، بل كل ما أشكل على النظر واختلف فيه الخلاف في النظريات والمعقولات ففي القرآن رموزٌ إليه ودلالات عليه ويختص أهل الفهم بدركه فكيف يفهم بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اقرؤوا القرآن والتمسوا غرائب » ^(٣) .

(١) قال العراقي : أخرجه ابن جبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه . أقول : ورواه العياشي بلفظ آخر في تفسيره كما في تفسير البرهان ج ١ ص ٢٠ وقد مر في المجلد الاول .

(٢) قال العراقي : أخرجه أبو ذر الهروي في صحيحه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(٣) كذا دللته تصحيح لان الخبر أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي عن أبي هريرة هكذا « اعرّبوا القرآن والتمسوا غرائب » وللعاكم في المستدرك مثله كما في الجامع الصغير باب الالف .

وقال في حديث عليٍّ عليه السلام ^(١) : «والذي بعثني بالحق لتنترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتي وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله تعالى فإن فيه بناء ما كان قبلكم ، وبناء ما يأتي بعدكم ، وحكم ما بينكم ، من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله ، هو جبل الله المتين ونوره المبين وشفأؤه النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقام ، ولا يزيغ فيستقيم ، ولا ينقض عجايبه ، ولا يخلقه كثرة الرد ، الحديث .

وفي حديث حذيفة لما أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفرقة بعده قال : فقلت : يا رسول الله فما تأمرني إن أدرت ذلك ؟ قال : تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك ، قال : فأعدت ذلك عليه ثلاثاً فقال ثلاثاً : تعلم كتاب الله تعالى واعمل بما فيه ففيه النجاة ^(٢) .

وقال عليٌّ عليه السلام : «من فهم القرآن فسر جعل العلم» ^(٣) أشار به إلى أن القرآن مشيرٌ إلى مجامع العلوم كلها .

و قال ابن عباس في قوله تعالى : «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» ^(٤) يعني الفهم في القرآن وقال الله سبحانه : «فهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً» ^(٥) سمى ما آتاهما علماً وخصص ما أفرد سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدماً على العلم والحكمة .

فهذه أمورٌ تدلُّ على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالفاً وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك منه .

و أما قوله ﷺ : «من فسر القرآن برأيه» و بهيه عنه و قول بعض أصحابه : أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأبي إلى غير ذلك مما ورد في الآثار

(١) مقدمة تفسير مجمع البيان الفن السادس رواء عن العارث الاور عنه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله . و أخرجه الترمذى ج ١١ ص ٣٠ دون ذكر افتراق الامة .

(٢) راجع مسند احمد ج ٥ ص ٣٨٦ و ٣٨٨ و ٣٩٠ ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٣ .

(٣) معاشرت على أصله . (٤) البقرة : ٢٦٩ .

(٥) الا نبياء : ٧٩ .

والأخبار من النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاختصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمر آخر وباطل قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه لوجوه :

أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعاً من رسول الله ﷺ ومسنداً إليه وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأمّا ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من عند أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال : هو تفسير بالرأي لأنكم لم تسمعه من رسول الله ﷺ وكذا غيرهم من الصحابة .

والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع جميعها من رسول الله ﷺ محال ، ولو كان الواحد مسموعاً لترك الباقي فتبين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا : في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل قليل : « أكر » هي حروف « الرحمن » وقيل : إن « الألف » الله ، و « اللام » لطيف ، و « الراء » رحيم ، وقيل غير ذلك ، والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعاً .

والثالث أنه ﷺ دعا لابن عباس وقال : « اللهم فقهه في الدين ، و علمه التأويل » ^(١) فإن كان التأويل مسموعاً كالتفزيل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك ؟ . والرابع أنه تعالى قال : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ^(٢) أثبت لأهل العلم استنباطاً ، ومعلوم أنه وراء السماع ، و جملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال ، فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه و حدّ عقله .

أقول : التكلم الممنوع منه في القرآن بغير سماع إنما هو التفسير الذي هو عبارة عن كشف المراد عن اللفظ المشكل أو التأويل الذي هو عبارة عن ردّ أحد احتملي اللفظ

(١) أخرجه البخاري ج ٥ ص ٣٤ بلفظ « اللهم علمه الحكمة » وفي آخر « علمه

الكتاب » وفي الاستيعاب في ترجمته : « اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن » وصحح اسناده .

(٢) النساء : ٨٣ .

إلى ما يطابق الآخر دون تجويز أن يكون في الكلام إشارة إلى معنى آخر غير معناه المراد منه ثبت حقيقته بدليل آخر على سبيل الاحتمال من دون جزم ولا حصر فيه إذ لا حرج في مطلق ذلك بل في بعض أفرادها كما يأتي تحقيقه في كلامه .

وأما الوجوه التي ذكرها فلا يتمشى شيء منها على طريقتنا .

أما الأول فلا نأشترط السماع إما من رسول الله أو من أحد من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين المرادين بالرأسخين في العلم في قوله سبحانه : « وما يعلم تأويله إلا الله والرأسخون في العلم » وقد صادفنا ذلك فيما لا بد لنا من تعلمه من الآيات فيما ورد من أحاديثهم عليهم السلام وهو يكفيننا ولا حجة لنا في قول غيرهم ولا حاجة .

وأما الثاني فلا نأسلم أن أقوال الصحابة والمفسرين كلها غير مسموعة من الرسول ﷺ وأن ذلك هو سبب الاختلاف ولكننا لا نعتمد على شيء منها لعدم الحجية فيها .

وأما الثالث فلأن الدعاء إنما ورد في شأن أمير المؤمنين عليه السلام وإن صح وروده في شأن ابن عباس أيضاً فيجوز أن يكون التأويل فيه بالمعنى الأخير أو يكون دعاء له بالتوفيق لسماع التأويل من أهله وفهمه عنهم عليهم السلام .

وأما قوله : « وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال » فهو كلام صحيح والآثار من طريق الخاصة في هذا المعنى أيضاً كثيرة طويناها خوفاً من الإطناب .

قال : « وأما النهي فإنه ينزل على أحد وجهين أحدهما أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه و يترجح ذلك الجواب برأيه وهواه فيكون قد فسر القرآن برأيه أي رأيه هو الذي حمل على ذلك التفسير

و لولا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه ، و تارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن و يستدلّ عليه بما يعلم أنّه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدلّ بقوله عليه الصلاة والسلام «تسحّروا فإنّ السحور بركة» ^(١) ويزعم أنّ المراد به التسحّر بالذكر وهو يعلم أنّ المراد به الأكل و كالذي يدعو إلى مجاهدة القلب الفاسي فيقول : قال الله تعالى : « اذهب إلى فرعون إنّهُ طغى » ^(٢) ويشير إلى قلبه و يومي إلى أنّه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعّاط في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام و ترغيباً للمستمع و هو ممنوع و قد يستعمله الباطنيّة في المقاصد الفاسدة لتفريغ الناس و دعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزّلون القرآن على وفق رأيهم على أمور يعلمون قطعاً أنّه غير مراد به ، فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي و يكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح و الرأي يتناول الصحيح و الفاسد و الموافق للهوى قد يخصّص باسم الرأي . الوجه الثاني أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العريّة من غير استظهار بالسماع و النقل فيما يتعلّق بفرائب القرآن و ما فيها من الألفاظ المبهمة و المبدّلة و ما فيها من الاختصار و الحذف و الاضمار و التقديم و التأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير و يادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العريّة كثر غلطه و دخل في زمرة من يفسّر بالرأي فالنقل والسماع لا بدّ منه في ظاهر التفسير أوّلاً ليتّقي مواضع الغلط ، ثمّ بعد ذلك يتّسع تفهّم و الاستنباط و الفرائب التي لا تفهم إلّا بالسماع كثيرة و نحن نرّمز إلى جهل منها ليستدلّ بها على أمثالها ، و يعلم أنّه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أوّلاً ، ولا مطمح في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، و من ادّعى فهم أسرار القرآن و لم يحكم التفسير فهو كمن يدّعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدّعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فإنّ ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بدّ منها للفهم و ما لا بدّ فيها من السماع فنون كثيرة :

(١) الخبر رواه البخاري ومسلم عن انس بن مالك في كتاب الصوم وقد مرفى

المجلد الاول وأخرجه الطيالسي ص ٢٦٨ .

(٢) طه : ٢٦ .

منها إلا يجاز بالحذف والإضمار كقوله تعالى : «وآتيناهم مائدة مبصرة فظلموا بها»^(١) معناه أتيها آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العريضة يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري أنهم بماذا ظلموا وأتهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم وكذلك قوله : «وأشربوا في قلوبهم العجل»^(٢) أي حب العجل ، فحذف الحب ، وقوله : «إننا لأزفناك ضعف الحياة وضعف الممات»^(٣) أي ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى ، فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت ، كل ذلك جائز في فصيح اللغة .

وقوله : «واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها»^(٤) أي أهل القرية والأهل محذوف مضمر ، وقوله : «ثقلت في السموات والأرض»^(٥) معناه : خفيت على أهل السماوات والأرض فالشيء إذا خفي ثقل فأبدل اللفظ وأقيم «في» مقام «على» وأضمر الأهل وحذف وقوله تعالى : «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون»^(٦) أي شكر رزقكم ، وقوله : «ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك»^(٧) أي على ألسنة رسلك فحذف الألسنة ، وقوله : «إننا أنزلناه في ليلة القدر»^(٨) أراد القرآن وما سبق له ذكر وقال : «حتى توارت بالحجاب»^(٩) أراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله : «الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم»^(١٠) أي يقولون : ما نعبدهم وقوله : «فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً» ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك»^(١١) معناه لا يفقهون يقولون ما أصابك فإن لم يرد هذا كان منافضاً لقوله تعالى : «قل كل من عند الله»^(١٢) .

ومنها المنقول المنقلب كقوله : «وطور سينين» أي طور سيناء ، وقال تعالى :

(١) الاسراء : ٥٩ . (٢) البقرة : ٩٣ .

(٣) الاسراء : ٧٥ . (٤) يوسف : ٨٢ .

(٥) الاحراف : ١٨٧ . (٦) الواقعة : ٨٢ .

(٧) آل عمران : ١٩٤ . (٨) القدر : ١ .

(٩) ص : ٣٢ . (١٠) الزمر : ٢ .

(١١) و (١٢) النساء : ٧٨ و ٧٩ .

« سلام على ال ياسين ، ^(١) أي على إلياس و قيل : إدرس لأن في حرف ابن مسعود « سلام على إدرا سين » .

ومنها المكرر انقطاع لوصول الكلام في الظاهر كقوله : « وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن » ^(٢) و قوله : وقال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ، ^(٣) معناه قال الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا .

ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله تعالى : « ولو لا كلمة سبقت من ربك لكان لزماً وأجل مسمى » ^(٤) معناه ولو لا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزماً وبه ارتفع الأجل ولولا لكان نصباً كاللزام . وقوله تعالى : « يسألونك كأنك حفي عنها » ^(٥) أي يسألونك عنها كأنك حفي . وقوله : « لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم * كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ^(٦) فهذا كلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق : « قل الأنفال لله والرسول » ^(٧) « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » أي فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض بخروجك وهم كارهون ، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ، ومن هذا النوع قوله : « حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه » ^(٨) .

ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان في كلمة أو حرف ، أمّا الكلمة فالشيء والقرين والأمة والروح ونظائرها قال الله تعالى : « ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء » ^(٩) أراد به النقة مما رزق ، وقوله : « وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء » ^(١٠) أي الأمر بالعدل والاستقامة ، وقوله : « فإن اتبعنني فلا تسألني عن شيء » ^(١١) أراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال

(١) الصافات : ١٣٠ . (٢) يونس : ٦٦ .

(٣) الاعراف : ٧٥ . (٤) طه : ١٢٩ .

(٥) الاعراف : ١٨٧ . (٦) الانفال : ٤ و ٥ .

(٧) الانفال : ٢ . (٨) البقرة : ٤ .

(٩) والكهف : ٧٥ و ٧٦ . (١١) الكهف : ٧٠ .

عنها حتى يبتدىء العارف بها في أوان الاستحقاق ، وقوله : « أم خلُقوا من غير شيء »^(١) ، أي من غير خالق فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيء إلا من شيء .
 و أمّا القرين فقوله تعالى : « وقال قرينه هذا ما لدي عتيد »^(٢) أراد الملك الموكل به ، وقوله : « قال قرينه ربنا ما أطغيته »^(٣) أراد به الشيطان ، وأمّا الأمة فتطلق على ثمانية أوجه : الأمة الجماعة كقوله : « وجد عليه أمة من الناس يسقون »^(٤) وأتباع الأنبياء كقولك « نحن من أمة محمد » ، ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى : « إن إبراهيم كان أمة فانتأ لله »^(٥) ، والأمة الدين كقوله تعالى : « إنا وجدنا آباءنا على أمة »^(٦) ، والأمة الحين والزمان كقوله تعالى : « إلى أمة معدودة »^(٧) ، وقوله تعالى : « وادكر بعد أمة »^(٨) ، والأمة القامة يقال : « فلان حسن الأمة » أي القامة ، و أمة رجل متفرد بدين لا يشركه فيه أحد ، قال النبي ﷺ : « يبعث زيد ابن عمرو بن نفيل أمة واحدة »^(٩) ، والأمة الأم يقال : « هذه أمة زيد » أي أم زيد .
 والروح أيضاً ورد في القرآن لمعان كثيرة فلا نطول بإيرادها .

وكذلك قد يقع الإبهام في الحروف مثل قوله تعالى : « فأثرن به نقعاً * فوسطن به جمعاً »^(١٠) فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي الموريات أثرن بالحوافر نقعاً ، والثانية كناية عن الإغارة وهي « المغيرات صبحاً » وسطن به جمع المشركين فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى : « فأنزّلنا به الماء »^(١١) يعني بالسحاب ، « فأخرجنا به من كل الثمرات » يعني بالماء ، وأمثال هذا في القرآن لا تنحصر .

ومنها التدرج في البيان كقوله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن »^(١٢)

(٢) ق : ٢٣ .

(١) الطور : ٣٥ .

(٤) القصص : ٢٣ .

(٣) ق : ٢٧ .

(٦) الزخرف : ٢٣ .

(٥) النحل : ١٢٠ .

(٨) يوسف : ٤٥ .

(٧) هود : ٨ .

(١٠) العاديات : ٤ و ٥ .

(٩) اسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٦ .

(١٢) البقرة : ١٨٥ .

(١١) الاعراف : ٥٧ .

إذ لم يظهر به أنه ليل أو نهار وبان بقوله : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ » ^(١) ولم يظهر أنه في أي ليلة وظهر بقوله « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » ^(٢) وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله لا يغني فيه إلا النقل والسماع والقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب وكان مشتملاً على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفهماً لهم ومعجزاً في حقهم ، فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الآية المعنى الأشهر منها فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا سمعه في موضع آخر مال رأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه وترك تبسّع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منهياً دون التفهيم لأسرار المعاني كما سبق ، فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ، ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني . ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله تعالى قال : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ^(٣) . فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فإنه إثبات للرّمي وفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ، ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله وكذلك قال الله تعالى : « قاتلوهم يعدّ بهم الله بأيديكم » ^(٤) فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وإن كان الله هو المعذب بتحريك أيديهم فمأعنى أمرهم بالقتال حقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات ، لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله تعالى حتى ينكشف بعد اتّضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

ولعلّ العمر لو أنفق في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدّماته و لواحقه لا تقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ، وما من كلمة من القرآن إلا وتحققها يحوج إلى

(٢) القدر : ٢ .

(١) الدخان : ٣ .

(٤) التوبة : ١٤ .

(٣) الانفال : ١٧ .

مثل ذلك ، وإتّما ينكشف للراسخين في العلم من أسرارهِ بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفّر دواعيهم على التدبّر والتجرّد للمطلب ويكون لكلّ واحدٍ في الترقّي إلى درجة منه ، فأتمّ الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً فإنّ أسرار كلمات الله لا نهاية لها فتتدفّ الأبحر قبل أن تنفذ كلمات الله فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير ، وظاهر التفسير لا يغني عنه .

ومثال فهم أرباب القلوب من قوله ﷺ في سجوده : « أعوذ برضاك من سخطك و أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (١) أنه قيل له : « واسجد واقترب » (٢) فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعان ببعضها من بعض ، فإنّ الرضا والسخط وصفان ، ثمّ زاد قربه فاندرج القربان الأوّل فيه فرقى إلى الذات وقال : « أعوذ بك منك » ثمّ زاد قربه بما استحصى به عن الاستعانة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله : « لا أحصي ثناء عليك » ثمّ علم أنّ ذلك قصور ، فقال : أنت كما أثنيت على نفسك ، فهذه خواطر تنفتح لأرباب القلوب ثمّ لها أغوار وراه هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعانة من صفة بصفة ومنه به ، و أسرار ذلك كثيرة ولا يدلّ تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضاً لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره ، فهذا ما نريد به فهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم .

﴿فصل﴾

أقول : المستفاد من كثير من الروايات من طريق أهل البيت ﷺ أنّ القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد ﷺ بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ومنه ما هو مغيّر محرّف وقد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم عليّ عليه السلام في كثير من المواضع

(١) أخرجه أبوداود في كتاب الصلاة باب الدعاء في الركوع والسجود ج١ ص ٢٠٣ ،

وأخرجه مسلم ج ٢ ص ٥١ ، والترمذي ج ١٣ ص ٢٨ .

(٢) العلق : ١٩ .

و منها غير ذلك ، و أنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله و عند رسوله ، قال عليّ ابن إبراهيم بن هاشم - رحمه الله - في تفسيره : وأما ما كان خلاف ما أنزل الله فهو قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » (١) فقال أبو عبد الله عليه السلام لقارئ هذه الآية : « خير أمة يقتلون أمير المؤمنين و الحسين ابن عليّ ؟ » قيل له : فكيف نزلت يا ابن رسول الله ؟ فقال : إنما نزلت خير أمة أخرجت للناس ، ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية « تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » (٢) ، و مثله أنه قرئ على أبي عبد الله عليه السلام « الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذرياتنا قرّة أعين و اجعلنا للمتقين إماماً » فقال أبو عبد الله عليه السلام : « لقد سألو الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين إماماً ، قيل له : يا ابن رسول الله كيف نزلت ؟ فقال : إنما نزلت « واجعل لنا من المتقين إماماً » (٣) . و قوله : « له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله » (٤) فقال أبو عبد الله عليه السلام : « كيف يحفظ الشيء من

(١) و (٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) الآية في سورة الفرقان : ٧٥ و الخبر رواه القمي تارة في مقدمة تفسيره مرسلًا و أخرى كذلك في ذيل الآية و سياق الآيات يأباه لأن الله تعالى وصف فيها عباداً كانت مرتبتهم فوق مرتبة المتقين بدرجات راجع السورة قوله : « و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً - إلى قوله تعالى - حسنت مستقراً و مقاماً » يذكر فيه أوصافاً جليلة لا تجتمع كلها في أحد إلا المعصومين عليهم السلام كما نص عليه الباقر عليه السلام و قال : « هذه الآيات للأوصياء » راجع تفسير البرهان ج ٣ ص ١٧٣ فهذا السؤال ليس منهم بعظيم بل هو مقتضى مقامهم الشامخ على أن هذه الرواية تناقض الخبر الذي رواه هو مستنداً عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال أبان : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : « الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا - الآية - فقال : هم نحن أهل البيت » و أيضاً الخبر الذي رواه عن غيره أن المراد بأزواجنا خديجة و بذرّيأتنا فاطمة و قرّة أعين الحسن و الحسين و اجعلنا للمتقين إماماً على بن أبي طالب عليهم السلام . فتأمل .

(٤) الآية في سورة الرعد : ١١ و الخبر أيضاً في تفسير القمي و قوله : « له معقبات » ظاهر معناه له ملائكة يتعاقبون عليه حافظين له ، و قوله : « من أمر الله » يعني بأمر الله كما نص عليه في الرواية التي رواها القمي أيضاً عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام في ذيل الآية أيضاً فلا إشكال و العلم عند الله .

أمر الله ؟ وكيف يكون المعقب من بين يديه ؟ ف قيل له : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ فقال : إنما أنزلت له معقبات من خلفه و قريب من بين يديه يحفظونه بأمر الله ، ومثله كثير . و أمّا ما هو محرف منه فهو قوله : « لكن الله يشهد بما أنزل إليك (في علي) » كذا نزل « أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون » ^(١) و قوله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (في علي) » وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، ^(٢) و قوله : « إن الذين كفروا وظلموا (آل محمد حصم) لم يكن الله ليغفر لهم » ^(٣) و قوله : « و سيعلم الذين ظلموا (آل محمد حصم) أي منقلب ينقلبون » ^(٤) و قوله : « ترى الذين ظلموا (آل محمد حصم) في غمرات الموت » ^(٥) ومثله كثير نذكره في مواضعه - انتهى كلام علي بن إبراهيم - رحمه الله - . ^(٦)

و عن علي عليه السلام أنه قرأ عنده رجل « وطلع منضود » ^(٧) فقال : وطلع . و ما شأن الطلع و قرأ قوله تعالى : « لها طلعٌ نضيد » ^(٨) ف قيل له أو نحو لها فقال : إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول .
و عن ابن عباس أنه قيل له : « وطلع منضود » قال : لا « وطلع منضود » و مثله عن الصادق عليه السلام .

و روى في الكافي بإسناده عن ابن أبي نصر قال : « دفع إليّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال : لا تنظر فيه ففتحته وقرأت فيه : « لم يكن الذين كفروا » فوجدت فيها اسم

(١) النساء : ١٦٦ .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) النساء : ١٦٨ .

(٤) الشعراء : ٢٢٧ .

(٥) ليست هذه الآية بهذا اللفظ في المصحف و التي فيه هكذا في سورة الانعام : ٩٣

« و لو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت » .

(٦) راجع مقدمة تفسيره و لا يخفى عليك أن هذا الكلام هو قوله و من هذا حذائوه و على خلافه جم غفير من أعاضل علماءنا ، و الاخبار التي رواها أكثرها ضعاف أو مراسيل أو مغدوش لا يحتاج بها كما عرفت راجع مقدمة تفسير آلاء الرحمن للعلامة الشيخ جواد البلاغي - رحمه الله - و البيان في تفسير القرآن لسماحة آية الله السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ص ١٣٦ .

(٧) الواقعة : ٢٩ و الخبر في الكشف ذيلها . (٨) سورة (ق) : ١٠ .

سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم ، قال : فبعث إليّ أبعث إليّ بالمصحف ، (١) .
و بإسناده عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجلٌ عليّ أبي عبد الله عليه السلام وأنا أستمع
حرفاً من القرآن ليس عليّ ما يقرؤه الناس ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : مه كفّ عن هذه
القراءة اقرء كما يقرء الناس حتّى يقوم القائم فإذا قام القائم قرأ كتاب الله عليّ حدّه
وأخرج المصحف الذي كتبه عليّ عليه السلام ، وقال : أخرجه عليّ عليه السلام إلى الناس حين فرغ
منه و كتبه فقال لهم : هذا كتاب الله تعالى كما أنزل الله عليّ محمد وآل محمد وقد جمعته بين
اللّوحين فقالوا : هوذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لاحاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ما
تروونه بعد يومكم هذا أبداً إنّما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه ، (٢) .

و يرد عليّ هذا كلّ إشكال وهو أنّه عليّ هذا التقدير لم يبق لنا اعتمادٌ عليّ شيء
من القرآن إذ عليّ هذا يحتمل كلّ آية منه أن يكون محرّفاً ومغيّراً ويكون عليّ خلاف
ما أنزل الله فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلاً فينتفي فائدته وفائدة الأمر باتّباعه
والوصيّة بالتمسك به (٣) إلى غير ذلك ، وأيضاً قال الله عزّ وجلّ : « وإنّه لكتاب عزيزٌ
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (٤) وقال : « إنّا نحن نزلنا الذّكر وإنّا له
لحافظون » (٥) فكيف يتطرّق إليه التحريف والتغيير .

ويخطر بالبال في دفع هذا الإشكال - والعلم عند الله - أن مرادهم عليه السلام بالتحريف
والتغيير والحذف إنّما هو من حيث المعنى دون اللفظ فمعنى قولهم عليه السلام : « كذا نزلت »
أن المراد به ذلك ، لا ما يفهمه الناس من ظاهره ، وليس مرادهم أنّها نزلت كذلك
في اللفظ فحذف ذلك إخفاء للحق وإطفاء لنور الله ، ومما يدلّ عليّ هذا ما رواه في الكافي

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٣١ والبراد أنّه وجد تلك الاسماء مكتوبة في ذلك المصحف
تفسيراً لقوله تعالى « لم يكن الذين كفروا » لأنّها كانت من القرآن والتأمّل في تلك
السورة يعلم جداً أن ذكر سبعين رجلاً من قريش مثل زيد ، عمرو ، بكر ، خالد وأمثالها
بين قوله « مشركين » وخبره « منفيكين » يخرج الآية عن نظام القرآن ويخالف فصاحته
وبلاغته يقيناً كما لا يخفى .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٣٢ تحت رقم ٢٢ . (٣) وعرض الاخبار عليه .

(٤) فصلت : ٤١ و ٤٢ . (٥) العنبر : ٩ .

بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير ^(١) «وكان من بينهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يروونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية - الحديث -» .

وأما مصحف أبي الحسن عليه السلام المدفوع إلى ابن أبي نصر ونبيه عليه السلام عن النظر فيه، ونهى أبي عبد الله عليه السلام الرجل عن القراءة على غيره ما يقرؤه الناس فيحتمل أن يكون ذلك تفسيراً منهم عليهم السلام للقرآن على طبق مراد الله عزّ وجلّ ووفق ما أنزل الله جلّ جلاله، لأن تكون تلك الزيادات بعينها أجزاء لفاظته المنزلة .

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام : يا عليّ القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه وأجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراة ، فانطلق عليّ فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته وقال : لا أردي حتى أجمعه ، قال : كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى يجمعه ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو أن الناس قرؤوا القرآن كما أنزل ما اختلف اثنان » .

قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن عليّ بن بابويه القميّ - رحمه الله - : اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين وما في أيدي الناس ، ليس بأكثر من ذلك ، ومبلغ سورة عند الناس مائة وأربعة عشر سورة وعندنا و الضحى و ألم نشرح سورة واحدة ولا يلاف و ألم تركيب سورة واحدة ، ومن نسب إلينا أننا نقول : إنه أكثر من ذلك فهو كاذب ، وما روي من ثواب قراءة كل سورة من القرآن و ثواب من ختم القرآن كلّهُ و جواز قراءة سورتين في كلّ ركعة نافلة و النهي عن القرآن بين سورتين في ركعة فريضة تصديق لما قلنا في أمر القرآن وأنّ مبلغه ما في أيدي الناس ، وكذلك ما روي من النهي عن قراءة القرآن كلّهُ في ليلة واحدة و أنه لا يجوز أن يختم في أقلّ من ثلاثة أيام تصديق لما قلناه أيضاً . انتهى كلامه - رحمه الله - .

هذا آخر كتاب آداب تلاوة القرآن من المحبّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب الأذكار والدعوات والحمد لله أولاً وآخراً .

﴿كتاب الأذكار والدعوات﴾

و هو الكتاب التاسع من ربيع العبادات من المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الشامل رافقه ، العام رحمته ، الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره ، فقال تعالى : «فأذكروني أذكركم»^(١) ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره ، فقال : «أدعوني أستجب لكم»^(٢) وأطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله تعالى : «فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان»^(٣) ، والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفائه وسلم تسليماً كثيراً . أمّا بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله تعالى عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعانة وغيرها ، ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب أربعة :

الباب الأول في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلاً .

الباب الثاني في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ .

الباب الثالث في أدعية منتخبة محذوفة الإسناد من الأدعية المأثورة .

الباب الرابع في الأذكار المأثورة عند حدوث الحوادث .

(٢) المؤمن : ٦٠ .

(١) البقرة : ١٥٢ .

(٣) البقرة : ١٨٦ .

﴿الباب الاول﴾

﴿في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الايات والاخبار﴾

و يدلُّ على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله تعالى : « فاذكروني اذ ذكركم » قال ثابت البناني : إني أعلم متى يذكّرني ربي ففرعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك ؟ فقال : إذا ذكرته ذكرني ، وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً » ^(١) ، وقال : « فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله » ^(٢) وقال : « فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً » ^(٣) ، وقال تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » ^(٤) ، وقال تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم » ^(٥) قال ابن عباس : أي بالليل والنهار ، في البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعانية ، وقال تعالى في ذم المنافقين : « ولا يذكرون الله إلا قليلاً » ^(٦) ، وقال : « واذكروا ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » ^(٧) وقال عز وجل : « ولذكر الله أكبر » ^(٨) ، قال ابن عباس : له وجهان أحدهما أن ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إياه ، والآخر أن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه . إلى غير ذلك من الآيات .

واما الاخبار فقد قال عليه السلام : « ذاكر الله في الغافل كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم » ^(٩) .

(١) الاحزاب : ٤١ .

(٢) البقرة : ١٩٨ .

(٣) البقرة : ٢٠٠ .

(٤) آل عمران : ١٩١ .

(٥) النساء : ١٠٣ .

(٦) النساء : ١٤٢ .

(٧) الاعراف : ٢٠٤ .

(٨) المنكبات : ٤٥ .

(٩) أخرجه ابونعيم في العلبة عن ابن عمر بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

وقال عليه السلام : « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين » (١).
 وقال عليه السلام أيضاً : « ذاكر الله في الغافلين كالحي بين الأموات » (٢).
 وقال عليه السلام : « يقول الله تعالى : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرك بي شفتاه » (٣).
 وقال عليه السلام أيضاً : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى ، قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ، ثم تضرب به حتى ينقطع ، ثم تضرب به حتى ينقطع » (٤).
 وقال عليه السلام : « من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله » (٥).
 وسئل عليه السلام أي الأعمال أفضل ؟ فقال : « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله » (٦).
 وقال عليه السلام : « قال الله عز وجل : إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني في ملاذ كرتة في ملاذ خير من ملاذ ، وإذا تقرّب مني شبراً تقرّبت منه ذراعاً ، وإذا تقرّب مني ذراعاً تقرّبت منه باعاً ، وإذا مشى إليّ هرولت إليه » (٧) يعني بالهرولة سرعة الإجابة .

-
- (١) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود وفيه « بنزلة الصابر في الفارين » ورواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٥٠٢ بأدنى اختلاف أيضاً .
 (٢) لم أجده إلا أن في المصاييح للبغوي ج ١ ص ١٤٨ قال : « مثل النى يذكره والنى لا يذكر مثل الحي والميت » وأخرجه مسلم وغيره هكذا .
 (٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٧٩٢ . وقال صاحب المشكاة : أخرجه البخاري أيضاً وأخرجه البيهقي وابن حبان من حديث أبي هريرة والحاكم من حديث أبي الدرداء .
 (٤) أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير كما في مشكاة المصابيح ص ١٩٩ .
 (٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ باسناد ضعيف كما في المعنى . وقد مر في المجلد الاول ص ٨٦ عن معاني الاخبار وجامع الترمذي و مصاييح السنة للبغوي ج ١ ص ١٤٩ هكذا « إذا مررت برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر » .
 (٦) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٣ عن معاذ بن جبل .
 (٧) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٦٧ ، والبغوي ج ١ ص ١٤٨ ، وصدره الطيالسي ص ٢٦٥ .

أقول : ومن طريق الخاصة مارواه في الكافي بإسناده الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الله تعالى يقول : من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطني من سألني ، (١) » .

وبإسناده عنه عليه السلام قال : « قال الله تعالى : من ذكرني سرّاً ذكرته علانية ، (٢) » .
وبإسناده عن ابن فضال رفعه قال : « قال الله تعالى لعيسى : يا عيسى اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي ، واذا ذكرني في ملائكتك اذكرك في ملائخير من ملائكة آدميين ، يا عيسى ألن لي قلبك ، وأكثر ذكرني في الخلوات ، واعلم أنّ سروري أن تبصص إليّ وكن في ذلك حياً ولا تكن ميتاً ، (٣) » .

وعنه عليه السلام قال : « من أكثر ذكر الله أظله الله في جنته ، (٤) » .
وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : من أكثر ذكر الله أحبه الله ، ومن ذكر الله كثيراً كتبت له براتين : براة من النار ، و براة من النفاق ، (٥) » .

وعنه عليه السلام قال : « شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً ، (٦) » .
وعنه عليه السلام قال : « ما من شيء إلا وله حدٌّ ينتهي إليه إلا الذكر فليس له حدٌّ ينتهي إليه ، فرض الله تعالى الفرائض فمن أدّاهنّ فهو حدٌّ هنّ ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه ، والحجّ فمن حجّ فهو حدّه إلا الذّكر فإن الله تعالى لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ثمّ تلا : يا أيّها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً ، (٧) » وقال : لم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ، قال : وكان أبي كثيراً وسبحوه كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله ، وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله ، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذّكر حتّى تطلع الشمس ويأمر بالفراة من كان يقرء منّا ، ومن كان لا يقرء منّا أمره بالذّكر ، والبيت الذي يقرء فيه القرآن ويذكر الله فيه تمكث بركنه وتحضره .

(١) و(٢) و(٣) المصدر ج ٢ ص ٥٠١ و ٥٠٢ والتبصص : التملق .

(٤) المصدر ص ٥٠٠ تحت رقم ٥ .

(٥) و(٦) المصدر ص ٤٩٩ رقم ٣ و ٢ .

(٧) الاحزاب : ٤١ و ٤٢ والاصيل الوقت بعد العصر والمغرب .

الملائكة وتهجره الشياطين و يضئ لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدري لأهل الأرض ، والبيت الذي لا يقرء فيه القرآن ولا يذكر الله فيه تفل بر كته ، وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين ، وقد قال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم بخير أعمالكم ، أرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم ، خير لكم من الدينار والدرهم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم ؟ قالوا : بلى ، قال : ذكر الله تعالى كثيراً ، ثم قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : من خير أهل المسجد ؟ فقال : أكثرهم لله ذكراً ؛ وقال رسول الله ﷺ : من أعطي لساناً ذا كراً فقد أعطي خير الدنيا والآخرة ، وقال في قوله : « ولا تمنن تستكثر » ^(١) قال : لا تستكثر ما عملت من خير الله ، ^(٢) .

وعنه ﷺ قال : « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لا تفرح بكثرة المال ، ولا تدع ذكرى على كل حال ، فإن كثرة المال تنسي الذنوب ، وإن ترك ذكرى يفسى القلوب » ^(٣) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : مكتوب في التوراة التي لم تغير أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال : إلهي إنه يأتي علي مجالس أعزك وأجلك أن أذكرك فيها ، فقال : يا موسى إن ذكري حسن على كل حال ، ^(٤) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام « لا بأس بذكر الله وأنت تبول ، فإن ذكر الله حسن على كل حال ، فلا تسأم من ذكر الله » ^(٥) .

وعنه عليه السلام « أن الصواعق لا تصيب ذا كراً » ^(٦) .

❖ (فضيلة مجالس الذكر) ❖

« قال النبي ﷺ : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » ^(٧) .

(١) البدثر. ٦. (٢) المصدر ج ٢ ص ٤٩٨ تحت رقم ١ .

(٣) و(٤) و(٥) المصدر ج ٢ ص ٤٩٧ رقم ٧ و٨ و٩ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٥٠٠ رقم ٢ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٨ ص ٧٢ . واحد في السند ج ٣ ص ٣٣ والترمذي

ج ١٢ ص ٢٧١ كلهم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري .

وقال ﷺ: « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » (١).
وقال ﷺ أيضاً: « ما قعد قومٌ مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة » (٢).

وقال داود عليه السلام: « إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها علي ».
وقال ﷺ: « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف مجلس من مجالس السوء » (٣).

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الله عز وجل ملائكة سيّاحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله سبحانه تنادوا هلموا إلى بغيتكم، فيجيئون فيحرقون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى: على أي شيء تركتم عبادي يصنعونه؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك، فيقول: وهل رأوني؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف ولورأوني؟ فيقولون: لورأوك لكانوا أشدّ مسيحاً وتمجيداً وتمجيداً، فيقول لهم: من أي شيء يتعبدون؟ فيقولون: من النار، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: فكيف أو رأوها؟ فيقولون: لورأوها لكانوا أشدّ هرباً منها وأشدّ نفوراً، فيقول: وأي شيء يطلبون؟ فيقولون: الجنة، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف ولورأوها؟ فيقولون: لورأوها لكانوا أشدّ حرصاً عليها فيقول: فإنني أشهدكم أنني قد غفرت لهم، فيقولون: كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » (٤).

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٤٢ .

(٢) رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٤٩٧ وأخرج الترمذي ج ١٢ ص ٢٧٢ نحوه وحسنه من حديث أبي هريرة وفي المصابيح ج ١ ص ١٤٩ بأدنى اختلاف في اللفظ .

(٣) قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرج له ولده ولذلك لم أجده له إسناداً .

(٤) أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٠٨ ورواه مسلم مختصراً ج ٨ ص ٦٨ وأخرجه الهاكم ج ١ ص ٤٩٥ والترمذي ج ١٣ ص ٨٩ ، والبقوي في المصابيح ج ١ ص ١٤٨ .

أقول : و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي بإسناده الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ما من مجلس يجتمع فيه أبرارٌ وفجارٌ فيقومون على غير ذكر الله إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة » (١) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله تعالى و لم يصلوا على نبيهم إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم » (٢) .

وعنه عليه السلام قال : « ما اجتمع في مجلس قومٌ لم يذكروا الله تعالى ولم يذكروا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة ، ثم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إن ذكرنا من ذكر الله و ذكر عدونا من ذكر الشيطان » (٣) .

و بإسناده الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : « مكتوب في التوراة التي لم تغيّر أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال : يارب أقرب أنت مني فأناجيك ، أم بعيد فأناديك ؟ فأوحى الله إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني ، فقال موسى : فمن في سترك يوم لا ستر إلا سترك ؟ قال : الذين يذكرونني فأذكركهم ويشعّابون في فأحبهم ، فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم » (٤) .

❖ (فضيلة التهليل) ❖

« قال النبي ﷺ : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له » (٥) .

وقال عليه السلام : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كأنني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون : الحمد لله الذي أذهب

(١) المصدر ج ٢ ص ٤٩٦ تحت رقم ١ .

(٢) مر آنفاً .

(٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ٤٩٦ تحت رقم ٢ و ٤ .

(٥) أخرجه الترمذی ج ١٣ ص ٨٣ في حديث وقال : هذا حديث غريب ، ورواه البيهقي

في السنن الكبرى ج ٥ ص ١١٧ .

عَنَّا الْحَزَنُ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (١) .

و قال ﷺ : « ليدخلن الجنة كلُّكم إلَّا من تابى وشرد على الله شرد البعير على أهله ، فقيل : يا رسول الله من الذي تابى ؟ قال : من لم يقل : لا إله إلا الله ، فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها ، فإتباعها كلمة التوحيد ، وهي كلمة الإخلاص ، وهي كلمة التقوى ، وهي الكلمة الطيبة ، وهي دعوة الحق ، وهي العروة الوثقى ، وهي ثمن الجنة » (٢) .

وقال تعالى : « هل جزاء الإحسان إلَّا الإحسان » (٣) ، فقيل : الإحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله وفي الآخرة الجنة . وكذا قوله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » (٤) .
اقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة لا إله إلا الله ، إن الله عز وجل لا يعدله شيء ولا يشره في الأمور أحد » (٥) .

و عن الوصافي رفعه قال : « قال رسول الله ﷺ : من قال : لا إله إلا الله غرست له شجرة في الجنة من يا قوة حمراء منبتها في مسك أبيض أحلى من العسل وأشدّ بياضاً من الثلج ، وأطيب ريحاً من المسك ، فيها أمثال ثدي الأبقار تملعون سبعين حلة » (٦) .
وقال رسول الله ﷺ : « خير العبادة قول لا إله إلا الله » (٧) .

(١) أخرجه الطبراني في المسند الكبير عن ابن عمر بسند ضعيف كما في الجامع الصغير باب اللام .

(٢) قال العراقي : أخرجه البخاري « كل امتى يدخلون الجنة إلا من أبى » وزاد الحاكم وصححه « وشرد على الله شرد البعير إلى أهله » قال البخاري « قالوا يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » ولا بن عدى وأبى يعلى والطبراني في الدعاء « أكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها » وفيه ابن وردان أيضاً ولا يابى الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمار التميمي مرسل « إذا قلت : لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد » .

(٣) الرحمن : ٦٠ . (٤) يونس : ٢٦ .

(٥) إلى (٧) المصدر ج ٢ ص ٥١٦ و ٥١٧ .

وقال رسول الله ﷺ : « خير العبادة قول « لا إله إلا الله » ، وقال : « خير العبادة الاستغفار » وذلك قول الله تعالى في كتابه : « فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك » (١) .
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ثمن الجنة قول « لا إله إلا الله والله أكبر » (٢) .
وعنه عليه السلام قال : « قال جبرئيل عليه السلام لرسول الله ﷺ : « طوبى لمن قال من أمّتك : « لا إله إلا الله وحده وحده وحده » (٣) .

وبإسناده الصحيح عنه عليه السلام قال : « من قال عشر مرات قبل أن تطلع الشمس وقبل غروبها : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، ويحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير » كانت كفارة لذنوبه ذلك اليوم » (٤) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : من صلى الغداة فقال قبل أن ينفض ركبتيه عشر مرات : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ويحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير » وفي المغرب مثلها ، لم يلق الله عز وجل عبداً بعمل أفضل من عمله إلا من جاء بمثل عمله » (٥) .
وعنه عليه السلام « من قال عشر مرات في كل يوم : « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً » كتب الله له خمسة وأربعين ألف حسنة ، ومحا عنه خمسة ، وأربعين ألف سيئة ، ورفع له خمسة وأربعين ألف درجة » (٦) .

وفي رواية أخرى « وكن له حرزاً في يومه من الشيطان والسلطان ، ولم تحط به كبيرة من الذنوب » (٧) .

وعنه عليه السلام « من قال في كل يوم : « لا إله إلا الله حقاً حقاً ، لا إله إلا الله عبودية ورقياً ، لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً » أقبل الله تعالى عليه بوجهه ولم يصرف وجهه عنه حتى يدخل الجنة » (٨) .

(١) الى (٣) المصدر ج ٢ ص ٥١٧ .

(٤) و(٥) المصدر ج ٢ ص ٥١٨ .

(٦) الى (٨) المصدر ج ٢ ص ٥١٩ .

وعن أبان بن تغلب عنه عليه السلام قال : « يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً وجبت له الجنة » قال : قلت له : يأتيني من كل صنف من الأصناف أفأروي لهم هذا الحديث ؟ قال : نعم يا أبان إنه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين فتسلب لا إله إلا الله منهم إلا من كان على هذا الأمر ^(١) .
وفي بعض الأخبار « وإخلاصه بها أن يحجزه عما حرم الله عز وجل » ^(٢) .
وروى الصدوق عن إسحاق بن راهويه قال : لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يرحل منها إلى المأمون فاجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له : يا ابن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيد منك ، وقد كان قعد في العمارة فأطلع رأسه وقال : « سمعت أبي موسى بن جعفر يقول : سمعت أبي جعفر بن محمد يقول : سمعت أبي عبد الله يقول : سمعت أبي علي بن الحسين يقول : سمعت أبي الحسين بن علي يقول : سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سمعت جبرئيل عليه السلام يقول : سمعت الله جل وعز يقول : « لا إله إلا الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي » فلما مرت الراحلة نادانا بشروطها وأنا من شروطها » ^(٣) .

❖ (فضيلة سائر الاذكار) ❖

في الكافي بإسناده الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله إن الأغنياء لهم ما يمتقون وليس لنا ، ولهم ما يحجون وليس لنا ، ولهم ما يتصدقون وليس لنا ، ولهم ما يجاهدون وليس لنا ، فقال رسول الله ﷺ : « من كبر الله تعالى مائة مرة كان أفضل من عتق مائة رقبة ، ومن سبح الله مائة مرة كان أفضل من سباق مائة بدنة ، ومن حمد الله مائة مرة كان أفضل من حملان مائة فرس ^(٤) »

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٢٠ . (٢) مر الخبر في المجلد الاول .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ص ٢٧٥ .

(٤) قال في النهاية : قال أبو موسى : « أرسلني أصحابي إلى النبي صلى الله عليه وآله أسأله الحملان - الحملان - بضم الحاء - مصدر حمل يحمل حملاناً ، وذلك أنهم أرسلوه يطلب منه شيئاً يركبون عليه .

في سبيل الله بسرجهما ولجمها وركبها ، و من قال : « لا إله إلا الله » مائة مرة كان أفضل الناس عملاً ذلك اليوم إلا من زاد ؛ قال : فبلغ ذلك الأغنياء فصنعوه ، قال : فعاد الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله قد بلغ الأغنياء ماقلت فصنعوه ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، (١) .

و عن أحدهما عليه السلام قال : « أكثروا من التهليل والتكبير فإنه ليس شيء أحب إلى الله من التهليل والتكبير » (٢) .

وعنه عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام - وفي بعض النسخ رسول الله ﷺ - : التسبيح نصف الميزان ، و الحمد لله يملأ الميزان ، و الله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض » (٣) .

و بإسناده الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : « مر رسول الله ﷺ برجل يفرس غرساً في حائط له ، فوقف عليه و قال : ألا أدلك على غرس أثبت أصلاً وأسرع إيناعاً و أطيب ثمراً و أبقي ؟ قال : بلى فدلني يا رسول الله ، فقال : إذا أصبحت و أمسيت فقل : « سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر » فإن لك إن قلته بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنة من أنواع الفاكهة و هن من الباقيات الصالحات ، قال : فقال الرجل : فإني أشهدك يا رسول الله أن حائطي هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين أهل الصدقة فأنزل الله تعالى آيات من القرآن « فأما من أعطى واتقى * و صدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى » (٤) .

و بإسناده عن المفضل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ، علمني دعاء جامعاً فقال لي : « أحد الله فإنه لا يبقى أحد يصلي إلا دعا لك يقول : « سمع الله لمن حمده » (٥) .

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٠٥ .

(٢) و (٣) المصدر ج ٢ ص ٥٠٦ .

(٤) سورة الليل : ٦ إلى ٨ والخبر في الكافي ج ٢ ص ٥٠٦ .

(٥) المصدر ج ٢ ص ٥٠٣ .

وعن محمد بن مروان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ فقال : « أن تحمده »^(١) . وفي بعض النسخ أن تمجده .

وعنه عليه السلام قال : « كان رسول الله ﷺ يحمد الله في كل يوم ثلاثمائة مرة وستين مرة عدد عروق الجسد يقول : الحمد لله رب العالمين كثيراً على كل حال »^(٢) .

وعنه عليه السلام : « من قال أربع مرات إذا أصبح : « الحمد لله رب العالمين » فقد أدى شكر يومه ، و من قالها إذا أمسى فقد أدى شكر ليلته »^(٣) .

وعنه عليه السلام قال : « تسيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله تعالى : « اذكروا الله ذكراً كثيراً »^(٤) .

وعنه عليه السلام : « من قال عشر مرات : « يا رب ، يا رب » قيل له : لبيك ما حاجتك »^(٥) .

وعنه عليه السلام : « من قال : « يا الله يا الله » عشر مرات قيل له : لبيك ما حاجتك »^(٦) .

وعنه عليه السلام : « من قال : « يا رب يا الله ، يا رب يا الله ، يا رب يا الله » حتى ينقطع نفسه قيل له : لبيك ما حاجتك »^(٧) .

وعنه عليه السلام قال : « إذا دعا الرجل فقال بعد مادعا : « ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله » قال الله تعالى : استبسل عبدي واستسلم لأمرى ، افضوا حاجته »^(٨) .

وعنه عليه السلام : « من قال : « ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله » سبعين مرة صرف الله عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء أيسر ذلك الخنق ، قيل : وما الخنق ؟ قال : لا يعتل بالجنون فيخلق »^(٩) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام مرفوعاً « ما من عبد يقول حين يمسي ويصبح : « رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ، وبالقرآن بلاغاً ، وبعليٍّ إماماً » ثلاثاً

(١) الى (٣) الكافي ج ٢ ص ٥٠٣ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٠٠ . (٥) المصدر ج ٢ ص ٥٢٠ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٥١٩ . (٧) المصدر ج ٢ ص ٥٢٠ .

(٨) و(٩) المصدر ج ٢ ص ٥٢١ والمستبسل : الذي يوطن نفسه على الموت .

إلا كان حقاً على الله العزيز الجبار أن يرضيه يوم القيامة^(١).

وبإسناده الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : « مامن عبد يقول إذا أصبح قبل طلوع الشمس : « الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، والحمد لله رب العالمين كثيراً ، لا شريك له ، وصلى الله على محمد وآله ، إلا ابتدرهن ملك وجعلهن في جوف جناحه وصعد بهن إلى السماء الدنيا ، فيقول له الملائكة : مامعن؟ فيقول : معي كلمات قالهن رجل من المؤمنين وهي كذا وكذا ، فيقولون : رحم الله من قال هؤلاء الكلمات وغفر له ، قال : وكلما مرّ بسماء قال لأهلها مثل ذلك ، فيقولون : رحم الله من قال هؤلاء الكلمات وغفر له ، حتى ينتهي بهن إلى حلة العرش فيقول لهم : إن معي كلمات تكلم بهن رجل من المؤمنين وهي كذا وكذا ، فيقولون : رحم الله هذا العبد وغفر له ، انطلق بهن إلى حفظة كنوز مقالة المؤمنين فإن هؤلاء كلمات الكنوز حتى تكتبهن في ديوان الكنوز^(٢) .

﴿فصل﴾

قال أبو حامد : « فإن قلت : فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ؟
فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكشفة ؛ والغدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب ، فأما الذكر والقلب لا فهو قليل الجدوى ، وفي الأخبار ما يدل عليه أيضاً ، وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله سبحانه مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به يشرف سائر العبادات وذلك غاية ثمرة العبادات العملية ، وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الأتس والحب وآخره يوجب الأتس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأتس ، فإن المريد في بداية الأمر قد يكون متكلفاً يصرف قلبه ولسانه عن الوسوس إلى ذكر الله تعالى فإن وفق للمداومة

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٢٥ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٢٦ .

أنس به وانفرد في قلبه حبُّ المذكور ، ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد في العادات أن يذكر غائب غير مشاهد بين يدي شخص ويكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ، ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أو لا صار مضطراً إلى كثرة الذكر آخر بحيث لا يصبر عنه فإن من أحب شيئاً أكثر ذكره ومن أكثر ذكر شيء وإن كان تكلفاً أحبه ، فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يشعر الأنس بالمذكور والحب له ، ثم يتمتع الصبر عنه آخراً فيصير الموجب موجباً والثمره مثراً وهذا معنى قول بعضهم : كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ، ولا يصدر التمتع إلا من الأنس والحب ، ولا يصدر الأنس والحب إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً ، وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه ^(١) أولاً ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تكلف « هي النفس ما عودتها تتعود » أي ما كلفتها أولاً يصير لها طبعاً آخر ، ثم إذا حصل الأنس بذكر الله انقطع عن غير الله ، وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت ولا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلّي بينه وبين محبوبه فعمطت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عما به أنسه ، ولذلك قال **عنه عليه السلام** : « إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فإنك مفارقة ^(٢) » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك يفنى في حقّه بالموت « فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » وإنما تفنى الدنيا بالموت في حقّه إلى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله ، وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله تعالى ويترقى من الذكر إلى اللقاء ، وذلك بعد أن يبعثهما في القبور ، ويحصل ما في

(١) البشع - ككتف - من الطعام : الكريه فيه حفوف ومرارة و الكريه ريح الفم

الذي لا يتخلل ولا يستاك والمصدر البشاعة والبشع - محرّكة - .

(٢) من الخبر في ج ١ من ١٨٣ .

الصدور ، ولا تنكرون لقاء الله وبقاء ذكر الله تعالى معه بعد الموت فتقول : إني أعظم فكيف يبقى معه ذكر الله تعالى ؟ فإنه لم يُعَدَمَ عدماً يمنع الذكر بل يُعَدَمُ عدماً من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت ، وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « القبر إما حفرة من حفرة النيران أو روضة من رياض الجنة » ^(١) وبقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أرواح الشهداء في حواصل طير خضر » ^(٢) وبقوله لقتلى بدر من المشركين : « يا فلان ويا فلان ويا فلان - و قد سمعهم - إني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فسمع عمر قوله فقال : يا رسول الله كيف يسمعون وأننى يجيبون وقد قتلوا ؟ قال : والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرُونَ أن يجيبوا » ^(٣) والحديث في الصحيح ، هذا قوله في المشركين ، وأمّا المؤمنون والشهداء فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أرواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش » ^(٤) .

أقول : روى في التهذيب ^(٥) عن يونس بن ظبيان قال : كنت عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال لي : « ما يقول الناس في أرواح المؤمنين ؟ قلت : يقولون : إنها في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش ، فقال : سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر ، يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليه القادم عرفه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا » .

قال أبو حامد : « وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا تنافي ذكر الله تعالى وقال الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم »

(١) رواه الكليني في الكافي ج ٣ ص ٢٤٢ وللترمذي مثله بتقديم وتأخير .

(٢) أخرجه مسلم ج ٦ ص ٣٨ من حديث ابن مسعود في حديث .

(٣) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٦٣ من حديث أنس ، ونحوه البخاري ج ٢ ص ١١٧ عن

ابن عمر .

(٤) أخرجه ابن جرير عن السدي وابن أبي حاتم عن أبي سعيد كافي الدر المنثور

ج ٢ ص ٩٦ .

(٥) المصدر ج ١ ص ١٣١ ، ورواه الكليني ج ٣ ص ٢٤٥ بلفظه .

يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ^(١)، ولا جل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة، لأن المطلوب الخاتمة وتعني بالخاتمة وداع الدنيا والقُدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره، وإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقاً بالله فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريد لها حياته وقدهون على قلبه حياته في حب الله وطلب مرضاته، فلا تجرد لله أعظم من ذلك في الشرع، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى، من ذلك أنه لما استشهد عبد الله الأنصاري يوم أحد قال رسول الله ﷺ لجابر: «ألا أبشرك يا جابر؟» قال: بلى يا رسول الله بشرك الله بالخير، قال: «إن الله سبحانه أحيا أباك فأقدمه بين يديه وليس بينه وبينه ستر» فقال تعالى: «تمن علي يا عبدي ما شئت أعطك»، فقال: يا رب تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى قال الله تعالى: سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون، ^(٢).

ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلبت ما استولى على قلبه من ذكر الله تعالى ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فإن القلب وإن ألزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعثره فإذا تمثّل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فتحن بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حفظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه، وأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر، بل حب الله تعالى وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بقوله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» ^(٣) ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحال

(١) آل عمران: ١٦٩ و ١٧٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٩٠.

(٣) التوبة: ١١٢.

الشهيد يوافق معنى قولك : « لا إله إلا الله » فإنه لا مقصود له سوى الله وكل مقصود معبود وكل معبود إله ، فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل قول « لا إله إلا الله » على سائر الأذكار ، وذكر ذلك مطلقاً في مواضع للترغيب ، ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والإخلاص فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « من قال : لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » ^(١) ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال ، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالاً ومقالاً وظاهراً وباطناً حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها بل متبرئين بها ومحبين للقاء الله فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فهذه مرامز إلى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة .

أقول : وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٢) قال : « من كان ذا كراً لله على الحقيقة فهو مطيع ومن كان غافلاً عنه فهو عاص ، والطاعة علامة الهداية ، والمعصية علامة الضلالة ، وأصلهما من الذكر والغفلة ، فاجعل قلبك قبلة للسانك لا تحرّكه إلا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضا الإيمان ، فإن الله عالم بسرّك وجهرك وكن كالنازع روحه أو كالواقف في العرض الأكبر ، غير شاغل نفسك عما عناك مما كلّفك به ربك في أمره ونهيهِ ووعدهِ ووعدهِ ولا تشغلها بدون ما كلّفك ، واغسل قلبك بماء الحزن واجعل ذكر الله من أجل ذكره إيتاك فإنه ذكرك وهو غني عنك فذكره لك أجل وأشهى وأتم من ذكره له وأسبق ومعرفتك بذكره لك ثورتك الخضوع والاستحياء والانكسار وتتولد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق وتصغر عند ذلك طاعتك وإن كثرت في جنب مننه وتخلص لوجهه ؛ ورؤيتك ذكرك له ثورتك الرياء والعجب والسفه والغلظة في خلقه واستكثار الطاعة ونسيان فضله وكرمه ولا تزداد بذلك من الله إلا بعداً ، ولا يستجلب به على مضي الأيام إلا وحشة ، والذكر ذكران : ذكر خالص بموافقة القلب ، وذكر صارف ينفي ذكر غيره كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يجعل

(١) أخرجه البزار عن أبي سعيد بسند صحيح كما في الجامع الصغير .

(٢) مصباح الشريعة الباب الخامس .

لذكره لله مقداراً عند علمه بحقيقة سابقة ذكر الله له من قبل ذكره له فمن دونه أولى ، فمن أراد أن يذكر الله تعالى فليعلم أنه مالم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره لا يقدر العبد على ذكره .

﴿الباب الثاني﴾

(في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية الماثورة)

﴿ فضيلة الدعاء ﴾

قال الله سبحانه : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي » (١) .

وقال تعالى : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين » (٢) وقال عز وجل : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » (٣) .

وقال تعالى : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » (٤) .

وروى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ » ادعوني أستجب لكم » (٥) .

وقال ﷺ : « الدعاء من العبادة » (٦) .

وقال ﷺ : « إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاثة إما ذنب يغفر له ،

(١) البقرة : ١٨٣ . (٢) الاعراف : ٥٥ .

(٣) الاسراء : ١١٠ .

(٤) المؤمن : ٦٣ . وقوله تعالى : « داخرين » أى صاغرين .

(٥) رواه احمد و الترمذى والنسائى و أبو داود و ابن ماجه كلهم عن النعمان بن بشير كفاً في مشكاة المصابيح ص ١٩٤ .

(٦) أخرجه الترمذى ج ١٢ ص ٢٦٦ من حديث أنس و المنع خالص كل شيء وانما كان الدعاء كذلك لان حقيقة العبادة هو الخضوع والتذلل وهو حاصل فى الدعاء أشد الحصول .

وإمّا خير يسجل له ، وإمّا خير يدخر له ، (١) .

وقال عليه السلام : « سلوا الله من فضله فإنّه يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج » ، (٢) .

أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي بإسناده الحسن عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إن الله تعالى يقول : « إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » ، قال : هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء ، قلت : « إن إبراهيم لأواه حليم » ، قال : الأواه هو الدعاء » ، (٣) .

وبإسناده الموثق عنه عليه السلام أيضاً أنه سئل أي العبادة أفضل ؟ فقال : ما من شيء أفضل عند الله من أن يسأل ويطلب مما عنده وما أحد أبغض إلى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده » ، (٤) .

وبإسناده الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « عليكم بالدعاء فإنكم لا تنزبون بمثله ولا تنركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها إن صاحب الصغار هو صاحب الكبار » ، (٥) .

وبإسناده الصحيح عن ميسرة بن عبد العزيز عنه عليه السلام قال : قال لي : يا ميسرة ادع ولا تقل : إن الأمر قد فرغ منه ، إن عند الله منزلة لا تنال إلا بمسألة ولو أن عبداً سداً فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً فسل تعط ، يا ميسرة إنه ليس من باب يقرع إلا يوشك أن يفتح لصاحبه » ، (٦) .

وعنه عليه السلام « من لم يسأل الله من فضله افتقر » ، (٧) .

وعنه عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : أحب الأعمال إلى الله تعالى في الأرض الدعاء ، وأفضل العبادة العفاف ؛ قال : وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعاءً » ، (٨) .

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس من حديث أنس كما في المشي .

(٢) أخرجه الترمذي ج ١٣ ص ٧٧ من حديث ابن مسعود بسند صحيح .

(٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ٤٦٦ تحت رقم ١ و ٢ .

(٥) المصدر ج ٢ ص ٤٦٧ تحت رقم ٦ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٤٦٦ تحت رقم ٣ .

(٧) و (٨) المصدر ج ٢ ص ٤٦٧ تحت رقم ٤ و ٨ .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ، ونور السماوات والأرض » ، (١) .

و بهذا الإسناد قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : الدعاء مفاتيح النجاح ، ومقاليذ الفلاح ، وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقي و قلب نقي » ، وفي المناجاة سبب النجاة ، وبالإخلاص يكون الخلاص ، فإذا اشتد الفزع فإلى الله المفزع » ، (٢) .

وعنه عليه السلام « الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ، ونجاح كل حاجة ، ولا ينال ما عند الله تعالى إلا بالدعاء ، وإنه ليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه » ، (٣) .

وعنه عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : الدعاء ترس المؤمن ، ومتى تكثر قرع الباب يفتح لك » ، (٤) .

وعنه عليه السلام قال : « الدعاء أنفذ من السنان الحديد » ، (٥) .

وفي الحسن عن عمر بن يزيد قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : « إن الدعاء يرد ما قد قدر وما لم يقدر ، قلت : ما قد قدر قد عرفته فما لم يقدر ؟ قال : حتى لا يكون » ، (٦) .

وفي الصحيح عن أبي ولاد عنه عليه السلام قال : « عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي فلم يبق إلا إمضاؤه فإذا دعا الله تعالى وسئل صرف البلاء صرفه » ، (٧) .

وفيه عن أبي ولاد عنه عليه السلام « ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً ، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء

(١) و (٢) الكافي ج ٢ ص ٤٦٨ تحت رقم ١ و ٢ .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٤٧٠ تحت رقم ٧ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٤٦٨ تحت رقم ٤ .

(٥) و (٦) المصدر ج ٢ ص ٤٦٩ تحت رقم ٧ و ٢ .

(٧) المصدر ج ٢ ص ٤٧٠ تحت رقم ٨ .

إلا كان ذلك البلاء طويلاً ، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله ، (١) .
وفي الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام « هل تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قلنا : لا ، قال : إذا ألهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير » (٢) .
وعنه عليه السلام « عليك بالدعاء فإن فيه شفاءً من كل داء » (٣) .
والأخبار في فضل الدعاء أكثر من أن تحصي .

❖ (آداب الدعاء وهي عشرة) ❖ (٥)

أقول : بل هي أكثر وسنذكر البواقي بعد العشرة .
« الاول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، وشهر رمضان من الشهور ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل ، قال الله تعالى : « وبالأشجارهم يستغفرون » (٤) ولقوله تعالى : « ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » (٥) .
أقول : وقد مرّ هذا الحديث في آداب صلاة الجمعة وأنه هكذا « إن الله ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أول الليلة فيأمره فينادي هل من سائل فأعطيه سؤله ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له الحديث - » (٦) .

وفي عدة الداعي (٧) عن الباقر عليه السلام « أن الله لينادي كل ليلة جمعة من فوق عرشه

(١) و(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٧١ تحت رقم ٢ و ١ . والوشيك : السريع .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٤٧٠ تحت رقم ١ .

(٤) من كلام أبي حامد .

(٥) اللآيات : ١٨ .

(٥) رواه البخاري ج ٢ ص ٦٣ ، ومسلم ج ٢ ص ١٧٥ ، وأبو عروانة ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٦) مر الخبر ص ١٦ عن الفقيه ص ١١٤ رقم ٢٥ .

(٧) المصدر ص ٢٧ رواه عن الفقيه ص ١١٣ رقم ٢٤ . وبقي الروايات في العدة

من أوّل اللّيل إلى آخره ألا عبد مؤمن يدعوني لدينه ودينياه قبل طلوع الفجر فأجيبه ، ألا عبد مؤمن يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر فأتوب عليه ، ألا عبد مؤمن قد قُتِرَ عليه رزقه فيسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيد له وأوسع عليه ، ألا عبد مؤمن سقيم يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فأعافيه ، ألا عبد مؤمن محبوس مغموم يسألني أن أطلقه من سجنه وأخلي سربه ، ألا عبد مؤمن مظلوم يسألني أن آخذله بظلامته قبل طلوع الفجر فأنتصر له وآخذ بظلامته ، قال : فلا يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر . وعن أحدهما عليه السلام « أن العبد المؤمن يسأل الله الحاجة فيؤخر الله تعالى قضاء حاجته التي سأل إلى يوم الجمعة » .

وعن الصادق عليه السلام في قول يعقوب لبيه : « سوف أستغفر لكم ربّي » قال : « أخرهم إلى السحر من ليلة الجمعة » .

قال : « وعن النبي صلى الله عليه وآله من كان له حاجة فليطلبها في العشاء فإنّها لم تعطها أحد من الأمم قبلكم - يعني العشاء الآخرة - » .

وفي رواية « وفي السدس الأوّل من النصف الثاني من اللّيل » وبعضها ماورد من الترغيب والفضل لمن صلى بالليل والناس نيام ، وفي الذكر في الغافلين ، ولا شك في استيلاء النوم على غالب الناس في ذلك الوقت بخلاف النصف الأوّل فإنّه ربما يستصحب الحال فيه النهار ، وآخر اللّيل ربما انتشروا فيه لمعاتهم وأسفارهم وإنّما منح اللّيل هو وقت الغفلة وفراغ القلب للعبادة ولاشتماله على مجاهدة النفس بمهاجرة الرقاد ومباعدة وثير المهاد ^(١) والخلوة بمالك العباد وسلطان الدّنيا والمعاد وهو المقصود من جوف اللّيل وهي ما رواه عمر بن أذينة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إنّ في اللّيل ساعة ما يوافق فيها عبد مؤمن يصلي ويدعو الله فيها إلا استجاب له ، قلت له : أصلحك الله وأي ساعات اللّيل هي ؟ قال : إذا مضى نصف اللّيل وبقي السدس الأوّل من أوّل النصف الثاني ، ^(٢) » .

(١) الرقاد : النوم كالرقد ولعل الرقاد خاص بالليل . والوثير - بتقديم المثناة - :

(٢) إلى هنا انتهى ما في العدة .

الفراش اللين .

أقول : وفي معناها أخبار آخر .

وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام : « أن من السحر إلى طلوع الشمس يفتح أبواب السماء و يقسم فيها الأرزاق وتقضى فيها الحوائج العظام » ^(١) .
وفي الفقيه عن النبي صلى الله عليه وآله : « إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء و أبواب الجنان واستجيب الدعاء ، فطوبى لمن رفع له عند ذلك عمل صالح » ^(٢) .
وقد مضى في آداب الجمعة « أن في يوم الجمعة ساعة مبهمة يستجاب فيها الدعاء مع الكلام في مظاتها فلتتذكر .

« الثاني أن يفتنم الأحوال الشريفة كزحف الصفوف في سبيل الله ، وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلوات المكتوبة وخلفها ، وما بين الأذان والإقامة ، ومع الصوم » .
أقول: روى زيد الشحام عن الصادق عليه السلام قال : « اطلبوا الدعاء في أربع ساعات عند هبوب الرياح ، وزوال الأفياء ، ونزول المطر ، وأول قطرة من دم القتل المؤمن فإن أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء » ^(٣) .

وعن الصادق عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : اغتسموا الدعاء عند أربع عند قراءة القرآن ، وعند الأذان ، وعند نزول الغيث ، وعند التقاء الصفين للشهادة » ^(٤) .
وعنه عليه السلام « يستجاب الدعاء في أربعة مواطن في الوتر ، وبعد الفجر ، وبعد الظهر ، وبعد المغرب » ^(٥) .

قال أبو حامد : « وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه و فراغه من المشوشات و يوم عرفة و يوم الجمعة وقت اجتماع الهمم و تعاون القلوب على استدراج رحمة الله فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من الأسرار التي لا يطلع عليها البشر ، وحالة السجود أيضاً جديرة بالإجابة لقوله صلى الله عليه وآله : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء » ^(٦) .

(١) المصدر ج ٢ ص ٤٧٨ في حديث .

(٢) المصدر ص ٥٦ تحت رقم ١٢ .

(٣) الى (٥) الكافي ج ٢ ص ٤٧٦ و ٤٧٧ .

(٦) مرسباً .

وروى ابن عباس عنه رضي الله عنه أنه قال : « إنما نهيت أن أقرأ راکعاً أو ساجداً فأمّا الركوع فمَعْظَمُوا فيه الربّ تعالى ، وأمّا السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء فإنه قمْنُ أن يستجاب لكم » (١).

أقول: وقد مرّ من طريق الخاصة أيضاً ما يدلّ على هذا في أوائل كتاب أسرار الصلاة .

« الثالث أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى باطن إبطيه ، روى جابر ابن عبدالله » أن رسول الله صلّى الله عليه وآله أمى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتّى غربت الشمس » (٢).

وقال سلمان - رضي الله عنه - قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إن ربكم حيّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صفراً » (٣).

وروى أنس أنه صلّى الله عليه وآله « كان يرفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بإصبعيه » (٤).

وقال أبو الدرداء : ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغلّ بالآ غلال .

ثمّ ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء :

قال ابن عباس كان صلّى الله عليه وآله : « إذا دعا ضمّ كفّيه وجعل بطونهما ممّا يلي وجهه » (٥).

قال عمر كان رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إذا مدّ يده في الدعاء لم يردّهما حتّى يمسح بهما وجهه . » (٦) فهذه هيئآت اليد .

(١) أخرجه مسلم ج ٤ ص ٤٨ عن سعيد بن منصور ونقله البيهقي في السنن الكبرى

ج ٢ ص ٨٨ و قال : ذكره غيره عن ابن عيينة .

(٢) أخرجه مسلم ج ٤ ص ٤٧ بأدنى تنوير في اللفظ .

(٣) أخرجه الترمذی ج ١٣ ص ٦٨ ، و ابوداود ج ١ ص ٣٤٢ .

(٤) أخرجه البخاری ج ٢ ص ٣٨ ، و مسلم ج ٣ ص ٢٤ بدون قوله « ولا يشير

بإصبعيه » وقيدوه بالاستسقاء راجع السنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٥٨ .

(٥) أخرجه الطبرانی في الكبير من حديث ابن عباس كما في المغنى .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٥٣٦ .

ولا يرفع بصره إلى السماء قال عليه السلام : « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدُّعاء أو لتخطفن أبصارهم » (١).

أقول: ومن طريق الخاصة مارواه في الكافي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ما أبرز عبدٌ يده إلى الله العزيز الجبار إلا استحيى الله تعالى أن يردّها صغراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء ، فإذا دعا أحدكم فلا يردّ يده حتى يمسح على وجهه ورأسه » (٢). وفي عدّة الدّاعي « كان رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يديه إذا ابتهل ودعا كما يستعلم المسكين » (٣).

وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام ألق كفيك ذلّالين يدي كفعل العبد المستصرخ إلى سيده فابتك إذا فعلت ذلك رحمت ، وأنا أكرم القادرين ، يا موسى سلني من فضلي ورحمتي فإنيهما يدي لا يملكهما غيري ، وانظر حين تسألني كيف رغبتك فيما عندي ، لكل عامل جزاء وقد يجزى الكفور بما سعى » (٤).

وسأل أبو بصير الصادق عليه السلام عن الدّعاء و رفع اليدين فقال : « على خمسة أوجه : أمّا التّعوذ فتستقبل القبلة يباطن كفيك ، وأمّا الدّعاء في الرّزق فتبسط كفيك وتفضي يباطنهما إلى السماء ، وأمّا التبتّل فإيماؤك بأصبعك السّبابة ، وأمّا الابتهال فترفع يديك تجاوز بهما رأسك ، وأمّا التضرّع أن تحرك أصبعك السّبابة ممّا يلي وجهك وهو دعاء الخيفة ».

وعن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « مرّ بي رجل وأنا أدعو في صلاتي بيساري فقال : يا عبد الله يمينك فقلت : يا عبد الله إنّ لله تبارك وتعالى حقّاً على هذه كحقّه على هذه ، و قال : الرّغبة تبسط يديك وتظهر ياطنهما ، والرّهة تبسط

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٠٤٤ . و أبو داود ج ١ ص ٢٠٦ و مسلم ج ٢ ص ٢٩ واللفظ له وفيه زيادة .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٧١ .

(٣) المصدر ص ١٣٨ وذكره البيهقي في الكبرى ج ٥ ص ١١٧ بادي اختلاف في اللفظ .

(٤) في العدة ص ١٣٨ وأصلها في الكافي رواها في الروضة ٤٦ .

يديك وتظهر ظهرهما ، والتضرع تحريك السبابة اليمنى يمينا وشمالا ، والتبتل تحريك السبابة اليسرى ترفعها في السماء رسلا وتضعها رسلا ، والابتهال تبسط يديك وذراعيك إلى السماء ، والابتهال حين ترى أسباب البكاء ، (١).

وعن سعيد بن يسار قال : قال الصادق عليه السلام : « هكذا الرغبة وأبرز باطن راحتيه إلى السماء ، وهكذا الرغبة و جعل ظهر كفيه إلى السماء ، وهكذا التضرع وحرك أصابعه يمينا وشمالا ، وهكذا التبتل يرفع إصبعه مرة ويضعها أخرى ، وهكذا الابتهال ومد يده تلقاء وجهه وقال : لا تبتهل حتى تجري الدمعة ، وفي حديث آخر الاستكانة في الدعاء أن يضع يديه على منكبيه » (٢).

وقال صاحب العدة : هذه الهيئات المذكورة إما تعبدا لعلها لانعلمها أو لعل المراد ببسط كفيه في الرغبة كونه أقرب إلى حال الراغب في بسط آماله وحسن ظنه بإفضاله ورجائه لنواله فالراغب يسأل بالآمال فيبسط كفيه لما يقع فيهما من الإحسان ، والمراد في الرغبة بجعل ظهر الكفين إلى السماء كون العبد يقول بلسان الذلة والاحتقار لعالم الخفيات والأسرار أنا ما أقدم على بسط كفي إليك وقد جعلت وجهي إلى الأرض ذلا وخجلا بين يديك ، والمراد في التضرع بتحريك الأصابع يمينا وشمالا أنه تأسسى بالثاكل عند المصائب الهائلة فأتىها تقلب يديها وتنوح بهما إدبارا وإقبالا ويمينا وشمالا ، والمراد في التبتل يرفع الأصابع مرة ووضعها أخرى بأن معنى التبتل الانقطاع فكأنه يقول بلسان حاله لتحقيق رجائه وآماله : انقطعت إليك وحدك لما أنت أهل من الإلهية فيشير بأصبعه وحدها من دون الأصابع على سبيل الوجدانية ، والمراد في الابتهال بمد يديه تلقاء وجهه إلى القبلة أو مد يديه وذراعيه إلى السماء أو رفع يديه ومجاوزهما رأسه بحسب الروايات أنه نوع من أنواع العبودية والاحتقار والذلة والصغار كالغريق الرافع يديه ، الحاسر عن ذراعيه ، المتشبث بأذيال رحمة ، والمتعلق بنوائب رأفته التي أنجت الهالكين وأغاثت المكروبين ووسعت العالمين ، وهذا مقام جليل فلا يدعيه العبد إلا عند العبرة وتزاحم الأثين والزفرة ، ووقوفه موقف العبد الذليل ، واشتغاله بخالفه

(١) و (٢) في العدة ص ١٣٩ نقلها عن الكافي رواه ج ٢ ص ٤٨٠ .

الجليل عن طلب الآمال ، والتعرض للسؤال ، والمراد في الاستكانة برفع يديه على منكبيه أنه كالعبد الجاني إذا حمل إلى مولاه وقد أوثقه قيد هواه ، وقد تصفد بالأثقال وناجى بلسان الحال : هذه يداي قد غللتهما بين يديك بظلمي وجرائمي عليك ^(١) .

الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي أن الناس لما قدموا مع رسول الله ﷺ ودنوا من المدينة كبروا ورفعوا أصواتهم فقال ﷺ : « يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب ، إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم » ^(٢) .

وقيل في قوله تعالى : « ولا تجهر بصوتك ولا تخافت بها » ^(٣) أي بدعائك وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا حيث قال : « إذ نادى ربه ناداً خفياً » ^(٤) ، وقال تعالى : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » ^(٥) .

أقول : وقد عدت في العدة من الآداب الإسرار بالدعاء لبعده عن الرياء ولقوله تعالى : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » ولرواية إسماعيل بن همام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية » ^(٦) .

وفي رواية أخرى « دعوة تخفيها أفضل من سبعين دعوة تظهرها » ^(٧) .

وعن النبي ﷺ « إن ربك يباهي الملائكة بثلاثة نفر : رجل يصبح في أرض قفر فيؤذن ويقيم ثم يصلي فيقول ربك عز وجل للملائكة : انظروا إلى عبدي يصلي ولا يراه أحدٌ غيري ، فينزل سبعون ألف ملك يصلون وراءه ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم ، ورجل قام في الليل يصلي وحده فسجد ونام وهو ساجد فيقول : انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده ساجد لي ورجل في زحف فيفر أصحابه وثبت هو يقاتل حتى قتل » ^(٨) .

(١) في بعض النسخ [جرمي عليك] .

(٢) أخرجه أبوداود ج ١ ص ٣٥٠ ، والترمذي ج ١٣ ص ١٤ ومسلم ج ٨ ص ٧٣ .

(٣) الاسراء : ١١٠ . (٤) مريم : ٣ .

(٥) الاعراف : ٥٥ .

(٦) و (٧) الكافي ج ٢ ص ٤٧٦ و الفرق بين الروایتين أن الأولى تفيد المساواة

بين الواحدة الخفية و السبعين والثانية تفيد الزيادة عليها ثم الحكم بالمساواة والريادة إنما إذا كانت الظاهرة عرية عن الرياء والسعة والا فلا نسبة بينها كافي الوافي .

(٨) رواه الشيخ في أماليه في حديث أبي ذر - رحمه الله - كافي المستدرک ج ١ ص ١٣ .

« الخامس أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه ، قيل في قوله تعالى : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين » إن معناه التكلف في الأسجاع .

أقول : وفي العدة أن من الشروطين لا يسأل محرمًا ، ولا ما يتضمن قلة الحياء وإساءة الأدب ، قال : وقال المفسرون في قوله تعالى : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ، أي تخشعاً ومذلاً وسراً » إنه لا يحب المعتدين « أي لا يتجاوز الحد في دعائه كأن يطلب منازل الأنبياء ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « يا صاحب الدعاء لا تسأل ما لا يكون ولا يحل » وقال عليه السلام : « من سأل فوق قدره استحق الحرمان »^(١).

قال أبو حامد : « والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا يقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك ورد في الخبر أو الأثر أن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة : تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء .

وقد قال عليه السلام : « إياكم والسجع في الدعاء ، حسب أحدكم أن يقول : « اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل »^(٢).

وفي الخبر « سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور »^(٣) وقال بعضهم : ادع بلسان الذلة والافتقار لبلسان الفصاحة والانطلاق ، ويقال : إن العلماء والأبدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها و يشهد له آخر سورة البقرة فإن الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك .

(١) إلى هنا انتهى ما في المدة من ١١٠ .

(٢) ما عثرت عليه بهذا السياق وللبخاري ج ٨ ص ٩٢ عن ابن عباس « وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يفعلون الا ذلك » قال : يعني لا يفعلون الا ذلك الاجتناب انتهى . والدعاء في سنن ابن ماجه تحت رقم ٣٨٤٦ و مستدرک الحاكم ج ١ ص ٥٢٢ واللفظ له قال صحيح الاسناد من حديث عائشة أوله « عليك بالكوامل » وفيه « وأسألك الجنة - إلى آخره - » .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨٦٤ ، وأبو داود ج ١ ص ٢٢ .

واعلم أن المراد من السجع هو المتكلف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية الماثورة عن رسول الله ﷺ كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله ﷺ: «أسألك الأمان يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقرين الشهود والرُكع السجود، والموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد»^(١) وأمثال ذلك، فليقتصر على الماثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع من غير سجع ولا تكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله.

السادس التضرع والخشوع والرَّهبة قال الله تعالى: «إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً»^(٢).

وقال تعالى: «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية».

وقال ﷺ: «إذا أحبَّ الله تعالى عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعاً»^(٣).

أقول: وقد مرَّت الإشارات في ذلك في دعوات أهل البيت ﷺ: «ولا ينجيني منك إلا التضرع إليك»^(٤).

وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام «يا موسى كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً، وعقر وجهك في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك، واقنت بين يدي في القيام وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل»^(٥) وإلى عيسى ﷺ «يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الذي ليس له مغيث، يا عيسى أذلَّ لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات واعلم أن سروري أن تبصص إليّ وكن في ذلك حياً ولا تكن ميتاً وأسمعني منك صوتاً حزيناً»^(٦).

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه ج ١٢ ص ٣٠٣ في حديث طويل.

(٢) الانبياء: ٩١.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب والديلمي في الفردوس عن أبي هريرة كما في الجامع الصغير باب الهزمة.

(٤) راجع الصحيفة السجادية الدعاء الثامن والاربعين دعاء في يوم الاضحى والجمعة.

(٥) الكافي ج ٨ ص ٤٤.

(٦) الكافي ج ٨ ص ١٣٨ و ١٤١. وفيه «يا عيسى أطلب لي قلبك».

« السابغ أن يجزم بالدعاء و يوقن بالإجابة و يصدق رجاء فيه ، قال عليه السلام : لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له ، ^(١) .

وقال : « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظم شيء » ^(٢) .
وقال عليه السلام : « ادعوا الله تعالى وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله سبحانه لا يستجيب دعاء من قلب غافل » ^(٣) .

أقول : « من طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « إذا دعوت فظن أن حاجتك بالباب » ^(٤) .

وعنه عليه السلام قال : « إن الله لا يستجيب دعاءً بظهر قلب ساء ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن بالإجابة » ^(٥) .

وعنه عليه السلام قال : « إذا دعوت الله فأقبل بقلبك وظن حاجتك بالباب » ^(٦) .
وعنه عليه السلام قال : « لما استسقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسقي الناس حتى قالوا : إنه الغرق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ^(٧) وردّها اللهم حولينا ولا علينا - قال : فتفرق السحاب - فقالوا : يا رسول الله استسقيت لنا فلم نسق ثم استسقيت لنا فسقيننا قال : « إني دعوت وليس لي في ذلك نية ثم دعوت ولي في ذلك نية » ^(٨) .

« الثامن أن يلجّ في الدعاء ويكرّره ثلاثاً ، قال ابن مسعود : كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً » ^(٩) وينبغي أن لا يستبطن الإجابة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يستجاب

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨٥٤ ، و البخارى ج ٨ ص ٩٢ عن ابى هريرة أيضاً و « ليعزم المسألة » أى ليطالبها جازماً من غير تردد . (٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٦٤ .

(٣) أخرجه الترمذى ج ١٣ ص ٢٢ . وقال : حديث غريب .

(٤) الى (٦) المصدر ج ٢ ص ٤٧٣ تحت رقم ١ الى ٣ .

(٧) أى أشار وفى معنى القول توسع .

(٨) المصدر ج ٢ ص ٤٧٤ تحت رقم ٥ .

(٩) الخبر متفق عليه فى الصحيحين من حديث ابن مسعود و أخرجه أيضاً ابو داود

ج ١ ص ٣٤٩ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٩٩ هكذا « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعجبه أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً » .

لأحدكم مالم يعجل فيقول : دعوت فلم يستجب لي فأزدهوت الله فسل الله كثيراً فأبتك تدعو كريماً» (١).

و قال بعضهم : إني أسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو الإجابة سألت الله أن يوفقني لترك ما لا يعنيني .

وقال رحمه الله : « إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعريف الإجابة فليقل : « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات » ومن أبطأ عنه من ذلك فليقل : « الحمد لله على كل حال » (٢) .
أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الباقر عليه السلام قال : « والله لا يلح عبد مؤمن على الله في حاجته إلا فضاها له » وفي رواية « إلا استجاب له » و حذف لفظ المؤمن (٣) .

وعن الصادق عليه السلام « أن العبد إذا دعا لم يزل الله في حاجته ما لم يستعجل » (٤) .
وعنه عليه السلام « أن العبد إذا عجل فقام لحاجته يقول الله : أما يعلم عبدي أنني أنا الله الذي أفضي الحوائج ؟ » (٥) .

وعنه عليه السلام قال : « إن الله كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحب ذلك لنفسه ، إن الله يحب أن يسأل ويطلب ما عنده » (٦) .
وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : رحم الله عبداً طلب من الله تعالى حاجة فألح في الدعاء استجيب له أولم يستجب وتلا هذه الآية « وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً » (٧) .

و في العدة عن النبي ﷺ : « إن الله يحب السائل اللحوح » ، و في الوحي

(١) أخرجه البخاري ج ٨ ص ٩٢ و مسلم ج ٨ ص ٨٧ والترمذي ج ١٢ ص ٢٧٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٤٩٩ ، وأخرجه البيهقي في الدعوات عن

أبي هريرة بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٤٧٥ تحت رقم ٥ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٤٧٤ تحت رقم ٢٠١ .

(٥) المصدر ج ٢ ص ٤٧٥ تحت رقم ٤ و ٦ والاية في سورة مريم ٤٨ .

القديم « لا أمل من الدعاء فإني لأمل من الإجابة » (١).

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « إن العبد ليدعو فيقول الله تعالى للملكين : قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته فإني أحب أن أسمع صوته ، وإن العبد ليدعو فيقول تبارك وتعالى : عجّلوا له حاجته فإني أبغض صوته » (٢).

وعنه عليه السلام قال : « لا يزال المؤمن بخير ورجاء رحمة من الله ما لم يستعجل فيقطع ويترك الدعاء قلت له : كيف يستعجل ؟ قال : يقول : قد دعوت منذ كذا وكذا وما أرى الإجابة » (٣).

وعنه عليه السلام « أن المؤمن ليدعو الله في حاجة يقول الله عز وجل : أخرّوا إجابته شوقاً إلى صوته ودعائه فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى : عبدي دعوتني فأخّرت إجابتك وثوابك كذا وكذا » (٤).

« التاسع أن يفتح الدعاء بذكر الله فلا يبدأ بالسؤال ، قال سلمة بن الأكوع : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يستفتح الدعاء إلا استفتحته فقال : « سبحان ربّي العليّ الأعلى الوهاب » (٥).

وفي الخبر عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : « إذا سألت الله حاجة فابدؤا بالصلاة عليّ فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويردّ الأخرى » (٦). رواه أبو طالب المكي . أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في العدة عن العارث بن المغيرة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إياكم إذا أراد أن يسأل أحدكم ربّه شيئاً من حوائج الدنيا حتّى يبدأ بالثناء (٧) على الله عز وجل والمدحة له والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ثمّ

(١) المصدر ص ١٤٣.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٨٩ تحت رقم ٣ .

(٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ٤٩٠ تحت رقم ٨ و ٩.

(٥) أخرجه الحاكم ج ١ ص ٤٩٨ وقال صحيح الإسناد . لكن فيه عر بن راشد اليماني

وقد ضعفه الجمهور .

(٦) الظاهر أنه منقول من كتاب قوت القلوب وما كانت نسخته عندي .

(٧) أي فلا يسأل الآن يبدأ بالثناء على الله عز وجل .

يسأل الله حاجته^(١)؛ وقال: «إِنْ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعْجَلُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَجَاءَ آخِرُ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ أَتَنَّى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَلْ تَعْمَلَهُ»^(٢).

وروى محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنْ فِي كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّ الْمَسْأَلَةَ بَعْدَ الْمَدْحَةِ فَإِذَا دَعَوْتَ اللَّهَ فَمَجِّدْهُ، قَالَ: قُلْتَ: كَيْفَ نَمَجِّدُهُ؟ قَالَ: تَقُولُ: يَا مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، يَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٣).

وروى معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام قال: «إِنَّمَا هِيَ الْمَدْحَةُ وَالثَنَاءُ، ثُمَّ الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ الْمَسْأَلَةُ، إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا خَرَجَ عَبْدٌ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ»^(٤).

وروى عيص بن القاسم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِذَا طَلَبَ أَحَدُكُمْ الْحَاجَةَ فَلْيُثْنِ عَلَى رَبِّهِ وَلِيَمْدَحْهُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا طَلَبَ الْحَاجَةَ مِنَ السُّلْطَانِ هَيَّأَ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَحْسَنَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَإِذَا طَلَبْتُمُ الْحَاجَةَ فَمَجِّدُوا اللَّهَ الْعَزِيزَ الْجَبَّارَ وَامْدَحُوهُ وَأَثْنُوا عَلَيْهِ تَقُولُ: يَا أَجْوَدَ مَنْ أَعْطَى، وَيَا خَيْرَ مَنْ سَأَلَ، وَيَا أَرْحَمَ مَنْ اسْتَرْحَمَ، يَا وَاحِدَ يَا أَحَدَ يَا صَمَدَ يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، يَا مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا يَا مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ وَيَقْضِي مَا أَحَبَّ، يَا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، يَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، يَا سَمِيعَ يَا بَصِيرَ» وَأَكْثَرَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ كَثِيرَةٌ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَقُلْ: «اللَّهُمَّ أَوْسِعْ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ الْحَلَالِ مَا أَكْفَى بِهِ وَجْهِي وَأُوَدِّي بِهِ عَنْ أَمَانَتِي وَأَصِلْ بِهِ رَحْمِي وَيَكُونْ لِي عَوْنًا عَلَى الْحِجِّ وَالْعَمْرَةِ»^(٥).

وروى هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لَا يَزَالُ الدُّعَاءُ مَحْبُوبًا حَتَّى

(١) المصدر ص ١١٤. رواه عن الكافي ج ٢ ص ٤٨٤.

(٢) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٨٥.

(٣) و(٤) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٨٤.

(٥) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٨٥.

يُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، (١) .

وعنه عليه السلام « من دعا ولم يذكر النبي ﷺ رفرف الدعاء على رأسه فإذا ذكر النبي ﷺ رفع الدعاء » (٢) .

وعنه عليه السلام « من كانت له إلى الله عز وجل حاجة فليدعه بالصلاة على محمد وآل محمد ثم يسأل حاجته ثم يختتم بالصلاة على محمد وآل محمد فإن الله عز وجل أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذ كانت الصلاة على محمد وآل محمد لا محجب عنه » (٣) .

« العاشر وهو أدب الباطن وهو الأصل في الإجابة : التوبة ، ورد المظالم ، والإقبال على الله بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الإجابة ، ويروى عن كعب الأجبارة أنه قال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى صلوات الله عليه فخرج موسى ببني إسرائيل ليستسقي لهم فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله تعالى إلى موسى : أني لا أستجيب لك ولن معك وفيكم نمام ، فقال موسى ﷺ : يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله سبحانه إليه يا موسى أنها كم عن النيمة وأكون نماماً فقال موسى لبني إسرائيل : توبوا بأجمعكم من النيمة فتأبوا فأرسل الله عليهم الغيث .

وقال سفیان : بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال ، وكذلك كانوا يخرجون إلى الجبال ويتضرعون فأوحى الله تعالى إلى أنبيائهم لو مشيتم إلي بأقدامكم حتى يحفي ركبكم وتبلغ أيديكم أعنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فأنني لا أجيب لكم داعياً ولا أرحم منكم باكياً حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم » .

وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مراراً فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلي بأبدان نجسة ، وترفعون إلي أكفأ قد سفكتم بها الدماء ، وملاتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تردادوا مني إلا بعداً .

(١) و(٢) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٩١ .

(٣) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٩٤ .

وقال أبو الصديق الناجي : خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمرّ بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول : اللهمّ ! إنّنا خلق من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا ، فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم .
وقال الأوزاعي : خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعيد فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : يا معشر من حضر أستمعوا مقرأً من بالإسامة ؟ قالوا : اللهمّ نعم ، فقال : اللهمّ ! إنّنا سمعناك تقول : ما على المحسنين من سبيل فقد أقررتنا بالإسامة فهل تكون مغفرتك إلّا لمثلنا اللهمّ اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يده ورفعوا أيديهم فسقوا .
وقيل لمالك بن دينار : ادع لنا ربك ، فقال : أنتم تستبطنون المطر وأنا أستبطنه الحجارة .

وروي أن عيسى ابن مريم عليه السلام خرج يستسقي فلما أصبحروا قال لهم عيسى : من أصاب منكم ذنباً فليرجع فرجعوا كلّهم ولم يبق معه إلّا رجل واحد فقال له عيسى أمالك من ذنب فقال : والله ما أعلم من شيء غير أنني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فلما جاوزت أدخلت إصبعي في عيني فانتزعتها وأبعت المرأة بها ، فقال له عيسى عليه السلام فادع حتى أوّمن على دعائك فدعا فتجلّت السماء سحاباً ، ثم صبّ فسقوا .

وقال يحيى بن النعماني : أصاب الناس فحطّ على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم : اللهمّ ! إنك أنزلت في توراةك أن نعفو عن من ظلمنا ، اللهمّ ! إنّنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا . وقال الثاني : اللهمّ ! إنك أنزلت في توراةك أن نعق أرقاءنا ، اللهمّ ! إنّنا أرقاؤك فأعتقنا . وقال الثالث : اللهمّ ! إنك أنزلت في توراةك أن لا نردوا المساكين إذا وقفوا ببابكم ، اللهمّ ! إنّنا مساكينك وقفنا ببابك فلا نرد دعاءنا . فسقوا .

وقال عطاء السلمي : منبنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إليّ فقال : يا عطاء هذا يوم النشور أو بعث ما في القبور ؟ قلت : لا ولكننا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال : يا عطاء يهلوب أرضية أو يهلوب سماوية ؟ قلت : بل

بقلوب سماوية فقال : هيهات يا عطاء قل للمتبرجين لا تتهرجوا فإن الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال : إلهي و سيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من أسمائك وماوارت الحجب من آلائك إلا سقيتنا ماء غدقاً تحيي به العباد وتروي به البلاد ، يا من هو على كل شيء قدير ، قال عطاء : فما استتم الكلام حتى رعدت السماء وبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب ، فوئلى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدون * إن ملولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حباً * فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى * قيل في الناس إن فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط ، فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعنا خيش^(١) قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جنبي فسمعتة يقول : إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الأعمال وقد احبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك يا حليماً ذأأناة ، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة ، فلم يزل يقول : الساعة الساعة حتى أكنست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل مكان ، وقال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل فقال : مالي أراك كثيراً ؟ فقلت : سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا ، وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشياً عليه .

أقول : ومن طريق الخاصة عن أهل البيت عليهم السلام : أن فيما وعظ الله به عيسى عليه السلام : يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل غسلتم وجوهكم ودرستم قلوبكم ، أبي تفترون أم علي تفترون ؟ تطيبون بالطيب لا هل الدنيا وأجوافكم عندي بمنزلة الجيف المنتنة كأنكم أفوام ميتون ، يا عيسى قل لهم : قلّموا أظفاركم من كسب الحرام وأسموا أسماعكم من ذكر الخنى وأقبلوا علي بقلوبكم فإنني لست أريد صوركم ، يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل : لا تدعوني والسحت تحت أحضانكم والأصنام في بيوتكم فإنني آليت أن أجيب

من دعائي وأن أجعل إجابتي إياهم لعناً لهم حتى يتفرقوا ،^(١)

وعن النبي ﷺ « أوحى الله إلي أن يأخا المرسلين ويأخا المنذرين أنذروكم : لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولا أحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة فإني ألعنه مادام قائماً يصلي بين يدي حتى يرد تلك المظلمة ، فأكون سمعه الذي يسمع به ، وأكون بصره الذي يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصدّيقين والشهداء في الجنة »^(٢) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام « أوحى الله إلى عيسى عليه السلام قل لبني إسرائيل : لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بأبصار خاشعة وقلوب طاهرة وأيد نقيّة ، وأخبرهم أنني لا أستجيب لأحد منهم دعوة ولا أحد من خلقي لديهم مظلمة »^(٣) .
وفي الحديث القدسي « فمك الدعاء وعليّ الإجابة ، فلا تمحجّب عني دعوة إلا دعوة آكل الحرام » .

وعن النبي ﷺ : « من أحب أن يستجاب دعاؤه فليطبخ مطعمه وكسبه » ، وقال لمن قال له : أحب أن يستجاب دعائي : « طهرماً كلك ولا يدخل بطنك الفحرام »^(٤) .
وعن الصادق عليه السلام « من سرّه أن يستجاب دعاؤه فليطبخ مطعمه وكسبه »^(٥) .
وعنه عليه السلام « ترك لقمة حرام أحبّ إلى الله من ألفي ركعة تطوّعاً ، وردّ دائق حرام يعدل عند الله سبعين حجة مبرورة »^(٦) .

وعن النبي ﷺ « لو صليتم حتى تكونوا كالأوتاد ، وصمتم حتى تكونوا كالحنايا لم يقبل الله منكم إلا بورع حاجز »^(٧) .

وعنه عليه السلام « العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل ، وقيل : على الماء »^(٨) .
وعنه عليه السلام « يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح »^(٩) .

رواها كلّها في العدة واستفيد منها ومن غيرها من آداب الدعاء عشرة أخرى .
الأول تسمية الحاجة روى أبو عبد الله الفراء عن الصادق عليه السلام قال : « إن الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعا ولكنه يحب أن يثبت إليه الحوائج »^(١٠) .

(١) إلى (٩) عدة الداعي منتهى الباب الثالث من ١٠٢ .

(١٠) الكافي ج ٢ من ٤٧٦ .

وعن كعب الأخبار : مكتوب في التوراة « يا موسى إني لست بغافل عن خلقي ولكن أحب أن يسمع ملائكتي ضجيج الدعاء من عبادي وترى حفظني تقرب بني آدم إلي بما أنا مقوّم بهم عليه ومستببه لهم .

الثاني التعميم في الدعاء ، روى ابن القلاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : إذا دعا أحدكم فليعتم فإنه أوجب للدعاء » (١) .

الثالث الاجتماع في الدعاء قال تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم » (٢) وأمر سبحانه بالاجتماع للمباهلة .

وروى أبو خالد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله في أمر إلا استجاب لهم ، فإن لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله عشر مرّات إلا استجاب الله عز وجلّ لهم ، فإن لم يكونوا أربعة فواحد يدعو الله أربعين مرّة يستجيب الله العزيز الجبار له » (٣) .

وروى عبد الأعلى عنه عليه السلام قال : « ما اجتمع أربعة رهط قطّ على أمر واحد فدعوا إلا انفروا عن إجابة » (٤) .

وروى علي بن عتبة عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كان أبي إذا حزّنه أمرٌ جمع النساء والصبيان ثم دعا وأمنوا » (٥) .

وروى السكوني عنه عليه السلام قال : « الداعي والمؤمن شريكان في الأجر » (٦) .
الرابع البكاء حالة الدعاء قال في العدة (٧) : وهو سيد الآداب وذروة سنامها أمّا أولاً فلدلّته على رقة القلب الذي هو دليل الإخلاص الذي عنده تحصل الإجابة .

قال الصادق عليه السلام : « إذا أفسح جلدك ودمعت عينك ووجل قلبك فدونك دونك فقد قصد قصدك » (٨) ولأنّ جهود العين من فساوة القلب على ما ورد به الخبر ، وهو يؤذن

(١) المصدر ص ٤٨٧ . (٢) الكهف : ٢٨ .

(٣) الى (٦) الكافي ج ٢ ص ٤٨٧ . (٧) المصدر ص ١١٩ .

(٨) الكافي ج ٢ ص ٤٧٨ وقوله : « فدونك دونك » أي خله فهو دونك وقريب

منك ويقال : هذا دونه أي قريب منه ، فهو اغرام والتكرير للمبالغة . والقصد اتيان الشيء
تقول : قصده وقصدت له وقصدت اليه بمعنى ، وقصدت قصده أي نهوت نحوه والظاهر ←

بالبعد من الله سبحانه ، وفيما أوحى الله تعالى إلى موسى « يا موسى لا تطول في الدنيا أملك فيقسمو قلبك وقاسي القلب مني بعيد » (١) .

وقاسي القلب مردود الدعاء لقوله ﷺ : « لا يقبل الله دعاء بظهر قلب قاس » (٢) .

وأما ثانياً فلما فيه من الانقطاع إلى الله وزيادة الخشوع ، قال رسول الله ﷺ : « إذا أحبب الله عبداً نصب في قلبه نالحة من الحزن ، فإن الله تعالى يحب كل قلب حزين ، وإنه لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن إلى الضرع ، وإنه لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مؤمن أبداً ، وإذا بغض الله عبداً جعل في قلبه مزماراً من الضحك وإن الضحك يميت القلب ، والله لا يحب الفرجين » (٣) .

وأما ثالثاً فلموافقته أمر الحق سبحانه في وصاياه لأنبيائه ﷺ حيث يقول لعيسى ﷺ : « يا عيسى هب لي من عينيك الدموع ومن قلبك الخشية - الحديث - » (٤) .

و لموسى ﷺ : « وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل - إلى أن قال - : وصح إلي من كثرة الذنوب صباح الهارب من عدو » (٥) .

وأما رابعاً فلما فيه من الخصوصيات والفضائل التي لا توجد في غيره من أصناف الطاعات ، ثم ذكر أخباراً كثيرة في فضل البكاء ، لعلنا نذكرها في محل آخر .

ثم قال : وإن لم يكن بكاء فليتبأك لقول الصادق ﷺ : « وإن لم يكن بك بكاء فتبأك » (٦) .

— أنه على بناء المفعول . وقوله : « قصدك » مفعول مطلق نائب مناب الفاعل والاضافة الى المفعول أى اذا ظهرت تلك العلامات فمليك بطلب الحاجات والاهتمام في الدعاء للمهمات فقد اقبل الله عليك بالرحمة وتوجه نحوك الاجابة . ورواه الصدوق في الخصال ج ١ ص ٤١ .

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٢٩ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٧٥ وفيه « لا يستجيب دعاء بظهر قلب قاس » .

(٣) روى صدره الديلمى في الارشاد باب العزن وتماه في باب البكاء من خشية الله .

(٤) رواه ابن الشيخ في اماليه بهذا اللفظ كما في الاستدرك ج ٢ ص ٢٩٤ .

وأورده ابن شعبة في التحفة مرسلًا ص ٥٠١ . ورواه الكليني في الكافي ج ٨ ص ١٤١ مستنداً

و فيها « صب » مكان « هب » .

(٥) الكافي ج ٨ ص ٤٢ . (٦) الكافي ج ٢ ص ٤٨٣ .

وعن سعيد بن يسار « قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أتباكي على الدعاء وليس بي بكاء ؟ قال : نعم ولومثل رأس الذئب » (١) .

وعن أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام لأبي بصير : « إن خفت أمراً يكون أو حاجة تريد فابته بالله فمجدد وأثن عليه كما هو أهله ، وصل على النبي ، وتباك ولومثل رأس الذئب ، إن أبي كان يقول : أقرب ما يكون العبد من الرب وهو ساجد يبكي » (٢) .
وعنه عليه السلام « إن لم يحثك البكاء فتباك فإن خرج منك مثل رأس الذئب فبج بئح » (٣) .
الخامس الاعتراف بالذنب قبل السؤال لما فيه من الانقطاع إلى الله سبحانه ووضع النفس « ومن مواضع لله رفعه الله » وهو عند المنكسرة قلوبهم ، روي أن عابداً عبد الله سبعين عاماً صائماً نهاره قائماً ليله فطلب إلى الله حاجة فلم تقض فأقبل على نفسه وقال : من قبلك أئيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك ، فأنزل الله إليه ملكاً فقال : يا ابن آدم ساعتك التي أوزيت (٤) فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت .

وعن الصادق عليه السلام « إذا رق أحدكم فليدع فإن القلب لا يرق إلا حين يخلص » (٥) .
وربما كان سبباً للبكاء وإرسال الدموع وهو من الآداب ونهايك بأدب يكون سبباً لأدب آخر ، ولقول الصادق عليه السلام : « إنما هي المدح ثم الثناء ، ثم الإقرار بالذنب ، ثم المسألة ، إنه والله ما خرج عبد من ذنب إلا بالإقرار » (٦) .

وقد مر ما يدل على هذا الأدب في الأدب العاشر وهو قريب منه .

السادس الإقبال بالقلب لأن من لا يقبل عليك لا يستحق إقبالك عليه كما لو حادثك من تعلم غفلته عن محادثتك وإعراضه عن محاورتك فإنه يستحق إعراضك عن خطابه واشتغالك عن جوابه ، وقال الصادق عليه السلام : « من أراد أن ينظر منزله عند الله فلينظر منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد مثل ما ينزل العبد الله من نفسه » (٧) .

(١) و(٢) و(٣) الكافي ج ٢ ص ٤٨٣ . وقوله : « فج بئح » هي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء .

(٤) الاذراء : التهاون بالشيء . (٥) الكافي ج ٢ ص ٤٧٧ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٤٨٤ .

(٧) العدة ص ١٢٧ وأخرجه العاظم في المستدرک ج ١ ص ٤٩٥ عن النبي (ص) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا يقبل الله دعاء قلب لاه » (١) .

وروى سيف بن عميرة عن الصادق عليه السلام قال : « إذا دعوت الله فأقبل بقلبك » (٢) .
وفيما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام « لا تدعني إلا متضرعاً إليّ وهمك همّاً واحداً فانك متى تدعني كذلك أجبك » (٣) .

وهذا الأدب قد جمعه أبو حامد مع الأدب العاشر والأولى جملة أدباً آخر .
السابع التقدّم في الدعاء قبل الحاجة إليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرٍّ رضي الله عنه - : « ألا أعلمك كلمات ينفعك الله عز وجل » قال : بلى يا رسول الله قال : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » - الحديث - (٤) .
و روى هارون بن خارجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الدعاء في الرخاء ليستخرج الحوائج في البلاء » (٥) .

و في الصحيح عنه عليه السلام قال : « من تقدّم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء ، وقيل : صوت معروف ولم تحجب عن السماء ، ومن لم يتقدّم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء ، وقالت الملائكة إن ذا الصوت لا تعرفه » (٦) .

وعنه عليه السلام قال : « كان جدّي يقول : تقدّموا في الدعاء فإن العبد إذا كان دعاءً فنزل به البلاء فدعا قيل : صوت معروف ، وإذا لم يكن دعاءً فنزل به بلاء فدعا قيل : أين كنت قبل اليوم » (٧) .

وعنه عليه السلام قال : « كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول : الدعاء بعد ما ينزل البلاء لا ينتفع به » (٨) .

وعنه عليه السلام قال : « من تخوف بلاء يصيبه فيقدّم فيه بالدعاء لم يره الله عز وجل »

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٧٣ . وفي بعض النسخ [دعاء عبد لاه] .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤١ .

(٣) عدة الداعي ص ١٢٧ .

(٤) رواه الطبرسي في المكارم ص ٥٣٩ مسنداً معتمداً عن أبي الاسود الدملي قال :

قدمت الريلة فدخلت على أبي ذر الغفاري ثم ذكر الحديث بطوله ومنه هذا الكلام .

(٥) و (٦) و (٧) و (٨) الكافي ج ٢ ص ٤٧٢ .

ذلك البلاء أبدأ (١).

الثامن الدعاء للإخوان والتماسه منهم ، روى ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من قدّم أربعين من المؤمنين ثم دعا استجيب له » (٢) ويتأكد بعد الفراغ من صلاة الليل .

وروي أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى ادعني على لسان لم تعصني به ، فقال : أنى لي بذلك ؟ فقال : ادعني على لسان غيرك » (٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ليس شيء أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب » (٤) .

وروى الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال : « أوشك دعوة وأسرع إجابة دعوة المؤمن (٥) لأخيه بظهر الغيب » (٦) .

وعنه عليه السلام « أسرع الدعاء نجاحاً للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب ، يبدء بالدعاء لأخيه فيقول له ملك مؤكّل به : آمين ولك مثله » (٧) .

وروى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « دعاء الرجل لأخيه بظهر الغيب يدرّ الرزق ويدفع المكروه » (٨) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلا ردّ الله عليه مثل الذي دعاهم به من كل مؤمن ومؤمنة مضى من أول الدهر أو هو آت إلى يوم القيامة ، وإن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات : يا رب هذا الذي كان يدعولنا فشققنا فيه فيشفعهم الله فيه فينجو » (٩) .

وروى علي عن أبيه قال : رأيت عبد الله بن جندب بالموقف فلم أرموقفاً أحسن من موقفه فما زال ماداً يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خديّه حتّى تبلغ الأرض ، فلمّا صدر الناس قلت : يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قطّ أحسن من موقفك ، فقال : والله ما دعوت

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٧٢ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٥٠٩ .

(٣) عدة الداعي ص ١٢٨ .

(٤) الكافي ج ٢ ص ٥١٠ وأخرجه أبوداود

ج ١ ص ٣٥٢ .

(٥) في الكافي « دعوة الرء » .

(٦) إلى (٩) الكافي ج ٢ ص ٥٠٧ باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب تحت رقم ٤١ و٤٢

و ٢٥ و ٥٥ على الترتيب ، وسجبه - كمنه - : جره على وجه الارض .

إلا لاخواني ، وذلك أن أبا الحسن عليه السلام أخبرني « أن من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ولت مائة ألف ضعف ، فكرهت أن أدع مائة ألف مضمونة لواحدة لأدري مستجاب أم لا ، (١) .

التاسع أن لا يعتمد في حوائجه على غير الله سبحانه وهو من المكملات ، قال الله تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (٢) .

وروى حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فليأمن الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلا [من] عنده ، فإذ اعلم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه » (٣) .

وفيما وعظ الله به عيسى عليه السلام « يا عيسى ادعني دعاء الحزين الغريق الذي ليس له مغيث ، يا عيسى سلني ولا تسأل غيري فيحسن منك الدعاء ومنني الإجابة ولا تدعني إلا متضرعاً إليّ وهمك همّاً واحداً فإنك متى تدعني كذلك أجبك » (٤) .

وأوحى الله إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه وعزتي وجلالي لا قطع عن أمل كل أمل أمل غيري بالآياس ، ولا كسوته ثوب المذلة في الناس ، ولا بعدته من فرجي وفضلي (٥) أي أمل عبدي في الشدائد غيري والشدائد بيدي ورجوسواي وأنا الغني الجواد ، بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة ، وبأي مفتوح لمن دعاني ، ألم تعلموا أن من دمه نائبة فلم يملك كشفها عنه غيري فما لي أراه يأمله معرضاً عنّي وقد أعطيته بجودي وكرمي مالم يسألني فأعرض عنّي ولم يسألني وسأل في نائبته غيري وأنا الله أبتدي بالعطيّة قبل المسألة ، أفأسال فلا أجود كلاً ، أليس الجود والكرم لي ، أليس الدنيا والآخرة بيدي فلأولئك أهل سبع سماوات وأرضين سألوهم جميعاً وأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح البعوضة وكيف ينقص ملك أنا فيسمة

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٠٨ باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب .

(٢) الطلاق : ٤ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٤٨ تحت رقم ٢ .

(٤) مرآة عن العدة وغيره .

(٥) في فقه الرضا عليه السلام [ولا بعدته من قربي] .

فيابؤساً لمن عصاني ولم يراقبني ، ^(١) رواه الصادق عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام .
وعن النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل : « مامن مخلوق يعتصم بي دون خلقي إلا
ضمنت السماوات والأرض رزقه فإن دعائي أجبته ، وإن سألتني أعطيته ، وإن استغفرتني
غفرت له [مامن مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات وأسباب الأرض
من دونه فإن سألتني لم أعطه وإن دعائي لم أجبه] » ^(٢) .

العاشر ما روي عن الصادق عليه السلام قال : « احفظ أدب الدعاء وانظر من تدعو ،
وكيف تدعو ، ولما ذاعدعو ، وحقق عظمة الله وكبريائه وعاین بقلبك علمه بما في ضميرك
واطلاعك على سرّك وما كمن فيه من الحق والباطل ، واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا
تدعوا لله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن أن فيه نجاتك ، قال الله عز وجل : « ويدعو
الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً » ^(٣) و تفكر ما ذاتسأل ، ولما ذاتسأل
والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ و تذويب المهجة في مشاهدة الرّبّ و ترك الاختيار
جميعاً و تسليم الأمور كلّها ظاهرها وباطنها إلى الله ، فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر
الإجابة ، فإنّه يعلم السرّ وأخفى ، فلملك تدعوه بشيء قد علم من نيتك بخلاف ذلك ،
قال بعض الصحابة لبعضهم أنتم تنتظرون المطر بالدعاء وأنا أنتظر الحجر .

واعلم أنّه لو لم يكن أمرنا الله بالدعاء لكنّا إذا أخلصنا الدعاء مفضل علينا
بالإجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء ، سئل رسول الله ﷺ عن اسم
الله الأعظم ، قال : « كل اسم من أسماء الله أعظم » وفرغ قلبك عن كل من سواه وادعه
بأي اسم شئت ، وليس في الحقيقة لله اسم دون اسم ، بل هو الله الواحد القهار ، وقال
النبي ﷺ : « إن الله لا تستجيب الدعاء من قلب لاه » فإذا أتيت بما ذكرت لك من
شرائط الدعاء وأخلصت سرّك لوجهه فأبشر بأحدى ثلاثة : إمّا بأن يتعجّل لك بما
سألت ، أو يدخلك ما هو أعظم منه وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما أن لو أرسله عليك

(١) رواه الكليني - رحمه الله - بزيادات في الكافي ج ٢ ص ٦٦ ، وفيه الرضا
عليه السلام مثله كما في مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) مروى في صحيفة الرضا عليه السلام ص ٢ .

(٣) الاسراء : ١٣ .

لهلكت ، قال النبي ﷺ : قال الله تعالى : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيتها أفضل ما أُعطي السائلين » (١) .

قال الصادق عليه السلام : « لقد دعوت الله مرة فاستجاب لي ونسيت الحاجة لأن استجابته بإقباله على عبده عند دعوته أعظم وأجل مما يريد منه العبد ولو كانت الجنة و نعيمها الأبد ، ولكن لا يفعل ذلك إلا العالمون المحبتون العارفون صفوة الله وخواصه » (٢) .

﴿فصل﴾

أقول : ومن المحسنات والتمتعات أن لا يلحن في الدعاء فمن أبي جعفر الجواد عليه السلام أنه قال : « ما استوى رجلان في حسب ودين قط إلا كان أفضلهما عند الله عز وجل آدبهما قال : قلت : جعلت فداك قد علمت فضله عند الناس في النّادي والمجالس فما فضله عند الله عز وجل ؟ قال : يقرء القرآن كما أتزل ، ودعا الله عز وجل من حيث لا يلحن ، و ذلك أن الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله عز وجل » (٣) .

قال في عدة الداعي ما حاصله : إن إعراب الألفاظ في الدعاء ليس شرطاً في إجابته والإثابة عليه بل هو شرط في تمامية فضيلته ، وكمال منزلته ، وعلو رتبته ، وخرج قوله عليه السلام « ودعا الله من حيث لا يلحن » مخرج المدح وذلك أن الدعاء إذا لم يكن ملحوناً كان ظاهر الدلالة في معناه والألفاظ الظاهرة الدلالة في معانيها أفضل من الألفاظ المتأولة وأيضاً فإنه أفصح والفصاحة مرادة في الدعاء خصوصاً إذا كان منقولاً عن الأئمة عليهم السلام ليدل على فصاحة المنقول عنه ، وفيه إظهار لفضيلة المعصوم ، وأيضاً فإن اللفظ إذا كان معرباً لم ينفر عنه طبع السامع إذا كان نحوياً وإذا سمعه ملحوناً نفر طبعه عنه وربما تألم منه . قيل : سمع الأعمش رجلاً يتكلم ويلحن في كلامه فقال : من هذا الذي يتكلم وقلبي منه بتألم .

(١) و(٢) مصباح الشريعة الباب التاسع عشر .

(٣) عدة الداعي ص ١٠ .

وروي أن رجلاً قال لرجل : أبيع هذا الثوب ؟ قال : لا عافاك الله ، فقال : لقد علمتم لو تعلمون ، قل : لا عافاك الله .

وروي أن رجلاً قال لبعض الأكابر وقد سأله عن شيء فقال : لا وأطال الله بقاءك فقال : ما رأيت وأوأ أحسن موقعاً من هذه ، وقوله عليه السلام : « إن الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله » أي لا يصعد إليه ملحوناً يشهد عليه الحفظ بما يوجب اللحن ، إذا كان مغيراً للمعنى ويجازى عليه كذلك بل يجازيه على قدر قصده ومراده من دعائه .

ويؤيد ذلك ما رواه محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال النبي ﷺ : « إن الرجل الأعجمي من أممتي ليقرء القرآن بمعجمته فترفعه الملائكة على عرشه » (١) .

مع أننا نجد في أدعية أهل البيت عليهم السلام ألفاظاً لا نعرف معانيها وذلك كثير فمنه أسماء وأقسامات ومنه أغراض وحاجات وفوائد وطلبات ، فنسأل من الله بالأسماء ونطلب منه تلك الأشياء ونحن غير عارفين بالجميع ، ولم يقل أحد : « إن مثل هذا الدعاء إذا كان معرباً يكون مردوداً مع أن فهم العامي لمعاني الألفاظ الملحونة أكثر من فهم النحوي لمعاني دعوات غير بيّنة لم يقف على تفسيرها ولغاتنا بل عرف مجرد إعرابها بل الله سبحانه يجازيه على قدر قصده ويثيبه على نيته لقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » وقوله : « نية المرء خير من عمله » وهذا نص في الباب لأن الجزاء وقع على النية فانتفع به الداعي ولو وقع على العمل الظاهر لهلك ولقوله ﷺ : « إن سين بلال عند الله شين » . وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : « يا أمير المؤمنين إن بلالاً كان يناظر اليوم فلاناً فجعل يلحن في كلامه و فلان يعرب ويضحك من بلال ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا عبدالله إنما يراد إعراب الكلام ليقوم الأعمال ويهذبها ، ماذا ينفع فلاناً إعرابه وتقويمه لكلامه إذا كانت أفعاله ملحونة أقبح لحن وما ذا يضر بلالاً لحنه في كلامه إذا كانت أفعاله مقومة أحسن تقويم ومهذبة أحسن تهذيب » .

فقد ثبت بهذا الحديث أن اللحن قد يدخل في العمل كما يدخل في اللفظ وأن

الضرر فيه عائدٌ إلى وقوعه في العمل دون اللفظ،^(١)

﴿ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

« قال الله تعالى إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »^(٢)

و روي أَنَّهُ عليه السلام : « جاء ذات يوم والبشرى يرى في وجهه فقال : إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَقَالَ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَمَا تَرْضَى يَا عَبْدُ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا ، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا »^(٣).
وقال عليه السلام : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّيْتُ عَلَيَّ ، فَلْيَقْلِلْ عَبْدٌ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لِيَكْثُر »^(٤).

وقال عليه السلام أيضاً : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً »^(٥).
وقال عليه السلام : « بِحَسَبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْبَخْلِ أَنْ أَذْكَرَ عِنْدَهُ فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ »^(٦).
وقال عليه السلام : « أَكْثَرُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ »^(٧).
وقال : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي كَتَبْتُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَحُيِّتَ عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ »^(٨).

(١) إلى هنا في العدة من ١٠ .

(٢) الاحزاب : ٥٦ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه ج ٢ ص ٣١٧ . والبيهقي في المصابيح ج ١ ص ٦٤ .

(٤) أخرجه ابن ماجه عن عامر بن ربيعة عن أبيه تحت رقم ٩٠٧ .

(٥) أخرجه الترمذي ج ٢ ص ٢٦٩ وحسنه ، وأخرجه ابن حبان عن ابن مسعود كما في

الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٨ .

(٦) أخرجه أحمد ج ١ ص ٢٠١ عن الحسين بن علي عليهما السلام ، والترمذي ج ١٣ ص ٦٣

عن علي عليه السلام بلفظ آخر .

(٧) أخرجه أبو داود ج ١ ص ٢٤١ في حديث ، وأخرجه ابن أبي شيبة وابن مردويه

وزاد « فانها معروضة علي » كما في الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٩ .

(٨) أخرجه أبو يعلى بنحو آخر كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٦١ ، وأخرجه النسائي

في اليوم و الليلة بزيادة كما في المغنى .

وقال عليه السلام : « من قال حين يسمع الأذان والإقامة : « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلّ على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة . حلّت له شفاعتي » (١) .

وقال عليه السلام : « من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » (٢) .

وقال عليه السلام : « إن في الأرض ملائكة سيّاحين يبلّغوني عن أمّتي السلام » (٣) .
وقال عليه السلام : « ليس أحدٌ يسلم عليّ إلّا ردّ الله عليّ رُوحِي حتّى أردّ عليه السلام » (٤) .
وقال بعضهم : كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي عليه السلام فيه ولا أسلم فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال : أما تمّ الصلاة عليّ في كتابك ؟ فما كتبت بعد ذلك إلّا صلّيت عليه وسلّمت » .

أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « إذا ذكر النبي عليه السلام فأكثروا الصلاة عليه فإنّه من صلّى على النبي عليه السلام صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ولم يبق شيء مما خلقه الله إلّا صلّى على ذلك العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته فمن لم يرغب في هذا فهو جاهلٌ مغرورٌ قد برى الله منه ورسوله وأهل بيته » (٥) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله عليه السلام : من صلّى عليّ صلّى الله عليه وملائكته فمن شاء فليقلّ ومن شاء فليكثر » (٦) .

(١) أخرجه البخاري ج ١ ص ١٥٠ بأدنى تغيير في اللفظ ، و رواه الطبراني في الاوسط بلفظه كما في مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٣٣ .

(٢) أخرجه الطبراني في الاوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفر في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كما في المعنى .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه ج ٢ ص ٣١٧ ، والبغوي في المصاييح ج ١ ص ٦٤ .

(٤) أخرجه أبو داود ج ١ ص ٤٧٠ والبيهقي في الدعوات الكبير كما في مشكاة

المصاييح ص ٨٦ . والطبراني في الاوسط كما في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦٢ .

(٥) و (٦) المصدر ج ٢ ص ٤٩٢ تحت رقم ٦ و ٧ .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : الصلاة عليّ و علي أهل بيتي تذهب بالنفاق » (١) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنّها تذهب بالنفاق » (٢) .

وعنه عليه السلام : « من صلى على محمد وآل محمد عشر أصلي الله عليه وملائكته مائة مرة ومن صلى على محمد وآل محمد مائة مرة صلى الله عليه وملائكته ألفاً ، أما تسمع قول الله عز وجل : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً » (٣) .

وعن أحد هما عليه السلام قال : « ما في الميزان شيء أقل من الصلاة على محمد وآل محمد ، وإن الرجل ليوضع أعماله في الميزان فتميل به ، فيخرج ﷺ الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به » (٤) .

وعن عبد السلام بن نعيم : قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إني دخلت البيت ولم يحضرني شيء من الدعاء إلا الصلاة على محمد وآل محمد ؟ فقال : أما إنّه لم يخرج أحدٌ بأفضل ممّا خرجت به » (٥) .

وعن عبيد الله بن عبد الله الدهقان قال : « دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي : ما معنى قوله تعالى : « وذكرا اسم ربّه فصلّي » ؟ (٦) . قلت : كلّما ذكر اسم ربّه قام فصلّي ؟ فقال لي : لقد كلّف الله هذا شططاً ، فقلت : جعلت فداك فكيف هو ؟ فقال : كلّما ذكر اسم ربّه صلى على محمد وآله » (٧) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا صلى أحدكم ولم يذكر النبيّ في صلاته يسلك

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٩٢ تحت رقم ٨ .

(٢) و (٣) المصدر ج ٢ ص ٤٩٣ تحت رقم ١٣ .

(٤) و (٥) المصدر ج ٢ ص ٤٩٤ تحت رقم ١٥ و ١٧ .

(٦) الأعلى : ١٥ .

(٧) المصدر ج ٢ ص ٤٩٤ تحت رقم ١٨ . والشطط : مجاوزة القدر في كل شيء ،

يعني لو كان كذلك لكان التكليف فوق الطاقة .

بصلاته غير سبيل الجنة ، وقال رسول الله ﷺ : « من ذكرْتُ عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله ؛ وقال ﷺ : « من ذكرْتُ عنده فنسي الصلاة عليّ خطيء به طريق الجنة » (١) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : من ذكرْتُ عنده فنسي أن يصلي عليّ خطيء الله به طريق الجنة » (٢) .

وعنه عليه السلام قال : « سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت وهو يقول : اللهم صلّ عليّ محمد ، فقال له أبي عليه السلام لا تبترها ، لا تظلمنا حقنا ، قل : اللهم صلّ عليّ محمد وأهل بيته » (٣) .

﴿ فضيلة الاستغفار ﴾

قال الله تعالى : « والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ فَرَّحَ بِهِ » (٤) .

قال علقمة بن الأسود : قال عبد الله بن مسعود : في كتاب الله جلّ وعزّ آيتان ما أذنّب عبدٌ ذنباً فقرأهما فاستغفر الله إلا غفر الله له ، قوله : « والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ » وقوله تعالى : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » (٥) .

وقال تعالى : « والمستغفرين بالأسحار » (٦) و قال سبحانه : « فسيح بحمد ربك »

(١) المصدر ج ٢ ص ٤٩٥ وقوله : « قال رسول الله » في الموضعين الظاهر أنه من تنمة رواية الصادق عليه السلام ويحتمل أن يكونا حديثين مرسلين و « يسلك » على بناء المجهول والباء في « بصلاته » للتمدية والظرف نائب للفاعل . و « غير » منصوب بالظرفية كناية عن عدم رفعها . وإثباتها في عليين إشارة إلى قوله تعالى : « كلا ان كتاب الابرار لفي عليين كما في مرآة العقول ذيل الحديث .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٩٥ تحت رقم ٢٠ ويدل على ان النسيان من الله عقوبة له على بعض اعماله الرذيلة فحرم بذلك تلك الفضيلة وان لم يكن معاقباً بذلك لقوله صلى الله عليه وآله : « رفع عن امتي الخطأ والنسيان الخ » .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٤٩٥ تحت رقم ٢١ والبتير القطع .

(٤) النساء : ١١٠ .

(٥) آل عمران : ١٣٥ .

(٦) آل عمران : ١٧ .

واستغفره إنه كان تواباً ، (١) .

وكان عليه السلام يكثّر أن يقول : « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم » ، (٢) .

وقال عليه السلام : « من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، وبرزقه من حيث لا يحتسب » ، (٣) .

وقال عليه السلام : « إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة » ، (٤) . هذا مع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وقال عليه السلام : « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة » ، (٥) .

وقال عليه السلام : « من قال حين يأوي إلى فراشه : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاث مرّات غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج ، أو عدد ورق الشجر ، أو عدد أيام الدنيا » ، (٦) .

وفي حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فارّاً من الزحف » ، (٧) .
وقال حذيفة - رضي الله عنه - « كنت ذرب اللسان على أهلي ، فقلت : يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النار ، فقال عليه السلام : فأين أنت من الاستغفار في اليوم مائة مرة » ، (٨) .

(١) النصر : ٤ .

(٢) أخرجه نحوه العاظم في المستدرک ج ١ ص ٥٠٢ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٩٨ . (٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨١٩ .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨١٦ ، ورواه الطبراني في الاوسط كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٠٨ .

(٥) أخرجه أبوداود ج ١ ص ٣٤٨ ، ومسلم ج ٨ ص ٧٢ وقوله : « ليغان » أي يطبق و يشي أو يستر و يغطى .

(٦) أخرجه الترمذي ج ١ ص ٢٨٤ عن أبي سعيد ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٧) أخرجه الترمذي ج ١ ص ٨٠ ، والعاظم في المستدرک ج ١ ص ٥١١ .

(٨) أخرجه العاظم في المستدرک ج ١ ص ٥١١ ، وابن السني في عمل اليوم

والليلة ص ٩٧ .

وقالت عائشة قال رسول الله ﷺ : « إن كنت أظمت بذنب فاستغفري الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار » (١).

وروت أنه ﷺ قال : « اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أسأؤوا استغفروا » (٢).

وقال ﷺ : « إذا أذنب العبد ذنباً فقال : اللهم اغفر لي ، فيقول الله تعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب ، عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك » (٣).

وقال ﷺ : « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة » (٤).

وقال ﷺ : « إن رجلاً ممن كان قبلكم لم يعمل قط خيراً نظر إلى السماء فقال : إن لي رباً يارب اغفر لي ، فقال الله سبحانه : قد غفرت لك » (٥).

وقال ﷺ : « من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد أطلع عليه غفرله وإن لم يستغفره » (٦).

وقال ﷺ : « يقول الله تعالى : يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم ، ومن علم أنني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي » (٧).

(١) أخرجه أحمد وفيه محمد بن يزيد الواسطي راجع مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٩٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨٢٠ ، والبيهقي في الدعوات الكبير كفاي مشكاة المصابيح ص ٢٠٦ .

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٩٧ .

(٤) أخرجه الترمذي ج ١٣ ص ٦٩ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٩٧ .

(٥) ما عثرت على أصله .

(٦) رواه الطبراني في الاوسط وفيه ابراهيم بن هراة وهو متروك كفاي مجمع

الزوائد ج ١٠ ص ٢١١ . ورواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٤٢٧ عن الصادق عليه السلام وقال العلامة المجلسي في المرأة : لعل المراد به العلم الذي يؤثر في النفس ويشر العمل والافكل مسلم يقر بهذه الامور ومن انكر شيئاً من ذلك فهو كافر ومن داوم على مراقبة هذه الامور وتفكر فيها تفكراً صحيحاً لا يصدر منه ذنب الا نادراً ولو صدر منه يكون بعده نادماً خائفاً فهو تائب حقيقه وان لم يستغفر باللسان ولو عاد الى الذنب مكرراً لظلمة الشهوة عليه ثم يصير خائفاً مشفقاً لائم نفسه فهو مفتن تواب .

(٧) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٥٧ عن أبي ذر ، والبقوي في شرح السنه عن ابن عباس .

وقال عليه السلام : « من قال : « سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » غفرت ذنوبه ولو كان كمدب النمل » (١) .

أقول : ومن طريق الخاصة ما رواه السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : خير الدعاء الاستغفار » (٢) .

وقال عليه السلام : « إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس فاجلوها بالاستغفار » (٣) .
وروى عبيد بن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهي تتلأ ، » (٤) .

وروى ياسر عن الرضا عليه السلام قال : « مثل الاستغفار مثل ورق على شجرة تحرك فيتناثر ، والمستغفر من ذنب فيغسله كالستهزي ، بربه » (٥) .

و قال عليه السلام : « كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مجلس وإن خف حتى يستغفر الله خمساً وعشرين مرة » (٦) .

وعنه عليه السلام قال : « كان ﷺ يستغفر غداة كل يوم سبعين مرة ويتوب إلى الله سبعين مرة قال : قلت : وكيف كان يقول ؟ قال : كان يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله - سبعين مرة - ، ويقول : أتوب إلى الله ، أتوب إلى الله - سبعين مرة - » (٧) .

وعنه عليه السلام « الاستغفار وقول « لا إله إلا الله » خير العبادة ، قال الله العزيز الجبار : « فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك » (٨) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : من قال بعد العصر في كل يوم مرة واحدة : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، ذا الجلال والإكرام ، وأسأله أن يتوب عليّ توبة عبد ذليل خاضع فقير بائس مسكين مستجير لا يملك لنفسه نفعا ولا ضررا »

(١) أخرجه البيهقي في الدعوات من كلام علي عليه السلام بزيادة واختلاف كما في المغني .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٥٠٤ .

(٣) ما عثرت على أصله من طريق الخاصة الا في العدة ص ١٩٤ ورواه الطبراني

في الاوسط والصغير مع زيادة كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٠٧ .

(٤) الى (٨) الكافي ج ٢ باب الاستغفار ص ٥٠٤ .

ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً ، أمر الله الملكين بتخريق صحيفة السيئات كائناً ما كانت ،^(١) و عنهم ﷺ : « ألا صلوات الله على المتسحرين والمستغفرين بالأسحار » . رواها كلها في عدة الداعي^(٢) وأكثرها مروي في الكافي .
و عن أمير المؤمنين ﷺ : « العجب ممن يهلك ومع النجاة ، قيل : وما هو ؟ قال : الاستغفار »^(٣) . وكان يقول : « ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه » . رواه أبو حامد في الآثار .

« الآثار : قال خالد بن معدان قال الله تعالى : « إن أحب عبادي إليّ المتحابون بحبسي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار » ولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم » .
و قال قتادة : القرآن يدلكم على دلائكم و دوائكم ، فأمّا دأؤكم فالذنوب وأمّا دواؤكم فالاستغفار .

وقال الفضيل : قول العبد : « أستغفر الله » تفسيرها أقلني .
وقال بعض العلماء : العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار .
وقال الربيع بن خثيم : لا يقولن أحدكم : أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنباً وكذبة إن لم يفعل ولكن ليقول : اللهم اغفر لي وتب عليّ .
وقال الفضيل : استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين .
وقالت رابعة العدوية : استغفاري يحتاج إلى استغفار كثير .
وقال بعض الحكماء : من قدّم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً على الله وهو لا يعلم .
وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول : « اللهم إن استغفاري مع إصراري للوم ، وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز ، فكم تتحبب إليّ بالنعم مع غناك عني وأتنبض إليك بالمعاصي مع فقري إليك ، يامن إذا وعد وفا ، وإذا توعد عفا ، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك بأرحم الراحمين » .

(١) عدة الداعي ص ١٩٥ عن هارون بن مسلم .

(٢) المصدر ص ١٩٥ . (٣) أمالي الشيخ ص ٥٤ وفي النهج في الحكم نحوه .

وقال أبو عبد الله الورّاق : لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوب لمحيث عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصاً إن شاء الله تعالى : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ تَبَتَ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ مَا وَعَدْتِكَ بِهِ مِنْ نَفْسِي ثُمَّ لَمْ أَفْ لَكَ بِهِ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ أُرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ فَخَالَطَهُ غَيْرُكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَاسْتَعَنْتُ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ يَا عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَتَيْتَهُ فِي ضِيَاءِ النَّهَارِ وَسَوَادِ اللَّيْلِ فِي مَلَاءٍ وَخَلَاءٍ وَسِرٍّ وَعَلَانِيَةٍ يَا حَلِيمٌ » و يقال : إِنَّهُ اسْتَغْفَرَ آدَمُ ﷺ ، وَقِيلَ : اسْتَغْفَرَ الْخَضِرُ ﷺ .

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ فِي أَدْعِيَةٍ مُنْتَخَبَةٍ مَحْذُوفَةٍ الْإِسْنَادَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ ﴾

أقول : وأنا أقتصر في هذا الباب على اثني عشر دعاءً وجيزة مروية في الكافي بإسناده عن أهل البيت ﷺ وثلاثة من عدة الداعي ثم أذكر أنواع الاستعاذة كما ذكره أبو حامد ومن أراد الزيادة عليها فليرجع إلى الكتب المصنفة في ذلك من علمائنا رحمهم الله بعد الصحيفة الكاملة السجادية كالمصابيح الثلاثة ^(١) ومهيج الدعوات والاقبال وغيرها فإن فيها من كلمات أهل البيت ﷺ في الأدعية والأذكار ما يعجز عن الإتيان بمثله سائر أفراد البشر ، إن فيها لبلاغاً لقوم عابدين .

الاول ما رواه ^(٢) عن أبي عبد الله ﷺ قال : « إِذَا أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ فَقُلْ عَشْرَ مَرَّاتٍ : « اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحْتُ بِكَ مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ عَافِيَةٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا فَمِنْكَ وَحْدَكَ لِأَشْرِيكَ لَكَ ، لَكَ الْحَمْدُ وَ لَكَ الشُّكْرُ يَا عَلِيُّ يَا رَبُّ حَتَّى تَرْضَى وَبَعْدَ الرِّضَا ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ أَدَّيْتَ شُكْرَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ » وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى قَالَ : كَانَ نُوحٌ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ إِذَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى فَسَمِّيَ بِذَلِكَ عَبْدًا شَكُورًا ، قَالَ : وَقَالَ

(١) أراد المصباحين للشيخ للطوسي - ومصباح الكفعمي - رحيم الله تعالى - ويمكن

أن يكون المراد مصباح المتبجد ومصباح الكفعمي ومصباح ابن الباقي كما في هامش بعض النسخ.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٩٩ باب الشكر تحت رقم ٢٨ و ٢٩ .

رسول الله ﷺ : « من صدق الله نجا » .

الثاني ما رواه عنه ^(١) عليه السلام : « اللهم لك الحمد أحمداً وأستعينك وأنت ربي وأنا عبدك ، أصبحت على عهدك وعهدك ، وأؤمن بوعدك وأوفي بعهديك ما استطعت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أصبحت على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وملة إبراهيم ودين محمد ﷺ على ذلك أحيى وأموت إن شاء الله ، أحييني ما أحيتني و أمتني إذا أمتني على ذلك ، وابعثني إذا بعثتني على ذلك ، أبتغي بذلك رضوانك واتباع سبيلك ، إليك ألبأت ظهري وإليك فوضت أمري ، آل محمد أمتي ليس لي أئمة غيرهم ، بهم أئمت ، وأبأهم أتولى ، وبهم أفتدي ، اللهم اجعلهم أوليائي في الدنيا والآخرة ، واجعلني أوالي أولياءهم وأُعادي أعداءهم في الدنيا والآخرة ، وألحقني بالصالحين وآبائي معهم » .

الثالث ما رواه عنه ^(٢) عليه السلام قال : « ثلاث تناسخها الأنبياء من آدم ﷺ حتى وصلن إلى رسول الله ﷺ كان إذا أصبح يقول : « اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي ^(٣) و يقيناً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي ورضيتني بما قسمت لي » قال : ورواه بعض أصحابنا وزاد فيه « حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت ، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً وصلى الله على محمد وآله » .

الرابع ما رواه ^(٤) عنه عليه السلام قال : « كان أبي عليه السلام يقول إذا أصبح : « بسم الله ، وبالله ، وإلى الله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ﷺ ، اللهم إليك أسلمت نفسي

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٢٩ تحت رقم ٢١ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٢٤ تحت رقم ١٠ وقوله : « تناسخها الانبياء اى ورثوها من التناسخ فى الميراث وهم موت ورتة بعد ورتة ، واصل الميراث قائم لم يقسم كما ذكره المؤلف فى الوافى .

(٣) اى تجده فى قلبى ولا يكون ايماناً ظاهرياً ببعض اللسان او تلى باثباته فى قلبى بنفسك ، يقال : باشر الامر اذاولىه بنفسه .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٢٥ تحت رقم ١٣ .

وإليك فوّضت أمري ، وعليك توكلت يا رب العالمين ، اللهم احفظني بحفظ الإيمان^(١) من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي ، لا إله إلا أنت ، لا حول ولا قوة إلا بالله نسأل الله العفو والعافية من كل سوء وشر مافي الدنيا والآخرة ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر و من ضغطة القبر و من ضيق القبر ، وأعوذ بك من سخطك ومن سطواتك في الليل والنهار ، اللهم رب المشعر الحرام و رب البلد الحرام ، و رب الحلّ والإحرام^(٢) أبلغ عهدي وآل عهدي السلام ، اللهم إني أعوذ بذكرك الحصينة و أعوذ بجمعك أن تميّتي غرقاً أو حرقاً أو شرقاً أو قوداً أو صبراً أو مستملاً^(٣) أو تردياً في بحر أو أكيل سبّح أو موت الفجأة أو شيء من ميّات السوء ولكن أمتني على فراشي في طاعتك و طاعة رسولك ﷺ مصيباً للحق غير غلطى أو في صفّ الذين نعتهم في كتابك «كأنهم بنيان مرصوص»^(٤) ، أعيد نفسي وولدي وما رزقني ربّي بقل أعوذ بربّ الفلق - حتّى يختم السورة - أعيد نفسي وولدي وما رزقني ربّي بقل أعوذ بربّ الناس - حتّى يختم السورة - ، و يقول : الحمد لله عدد ما خلق ، و الحمد لله مثل ما خلق ، و الحمد لله ملء ما خلق ، و الحمد لله مداد كلماته ، و الحمد لله زنة عرشه ، و الحمد لله رضى نفسه ، ولا إله إلا الله الحليم الكريم ، و لا إله إلا الله العليّ العظيم ، سبحان الله ربّ السماوات [السبع] والأرضين وما بينهما و ربّ العرش العظيم ، اللهم إني أعوذ بك من درك الشقاء ، ومن شمانة الأعداء ، و أعوذ بك من الفقر و الوقر ،

(١) أى بأن تخفى إيماني ، أو مع حفظه ، أو بما تحفظ به أهل الإيمان ، أو بحفظ تؤمنني به من مخاوف الدنيا والآخرة فإن المؤمن من أسأله تعالى . وقيل : ان الحفظ الذى يقتضيه الإيمان يشمل الحفظ عما يضر بالدين كما يشمل الحفظ عما يضر بالدنيا .
(٢) الحل - بالكسر - وقت الإحلال ، وما جاوز الحرم . والمراد هنا الاول بقرينة المقابلة .

(٣) الشرق - بالفتح - : الغصة . والقود : القصاص . والصبر أن يسكه رجل أو يشديده ورجلاه حتى يضرب عنقه . وفى المصدر «مسماً» بفتح الميم مصدر ميمي أو بضمها من أسمه - بتشديد الميم - إذا سقاء السم وان لم يذكر فى اللغة ولعل الصواب «مسماً» .
(٤) الصف : ٤ . و الرص اتصال الشيء بالشيء وبعض البناء بالبض .

و أعوذ بك من سوء المنظر في الأهل و المال و الولد ، و يصلي على محمد و آل محمد عشر مرّات .

الخامس ما رواه عنه عليه السلام ^(١) قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من قال هذا القول كان مع محمد و آل محمد صلوات الله و سلامه عليهم إذا قام من قبل أن يستفتح الصلاة : « اللهم إني أتوجه إليك بمحمد و آل محمد وأقدمهم بين يدي صلاتي وأتقرب بهم إليك » ^(٢) فأجعلني بهم وجيباً في الدنيا و الآخرة و من المقرّين ، أنت مننت عليّ بمعرفتهم فاختم لي بطاعتهم و معرفتهم و ولايتهم فإتّها السعادة اختم لي بها إنك على كل شيء قدير ، ثمّ تصلي فإذا انصرفت قلت : اللهم اجعلني مع محمد و آل محمد في كل عافية و بلاء واجعلني مع محمد و آل محمد في كل مشوى و منقلب ، اللهم اجعل محياي محياهم و مماتي مماتهم ، و اجعلني معهم في المواطن كلّها ولا تفرّق بيني وبينهم إنك على كل شيء قدير » .

السادس ما رواه عنه عليه السلام ^(٣) قال : قل : « اللهم اجعلني أخشاك كأنني أراك ، و أسعدني بتقواك ، و لا تشقني بمعاصيك ، و خزلني في قضائك ، و بارك لي في قدرك حتّى لا أحبّ تأخير ما عجلت و لا تعجيل ما أخرت ، و اجعل غناي في نفسي و متّسعني بسمعي و بصري واجعلهما الوارثين منّي و انصرني على من ظلمني وأرني فيه قدرتك ياربّ و أقرّ بذلك عيني » .

السابع ما رواه عنه عليه السلام ^(٤) و هو جامع للدنيا و الآخرة تقول بعد حمد الله و الثناء عليه : « اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الحليم الكريم ، و أنت الله لا إله إلا أنت العزيز الحكيم ، و أنت الله لا إله إلا أنت الواحد القهار ، و أنت الله لا إله إلا أنت الملك الجبار ، و أنت

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٤٤ تحت رقم ١ .

(٢) يعني أتوجه إليك متلبساً بعرفانهم والافتداه بهم ، مقتضياً آثارهم ، مقدماً حبهم سالكاً مسلّكهم ، عاملاً على شريعتهم ، عاكفاً على طاعتهم ، آتياً أوامرهم ، تاركاً نواهيهم متقرباً بذلك كله إليك زلفى .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٥٧٧ تحت رقم ١ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٨٣ تحت رقم ١٨ .

الله لا إله إلا أنت الرحيم الغفار ، وأنت الله لا إله إلا أنت الشديد المحال ، وأنت الله لا إله إلا أنت الكبير المتعال ، وأنت الله لا إله إلا أنت السميع البصير ، وأنت الله لا إله إلا أنت المنيع القدير ، وأنت الله لا إله إلا أنت الغفور الشكور ، وأنت الله لا إله إلا أنت الحميد المجيد ، وأنت الله لا إله إلا أنت الغني الحميد ، وأنت الله لا إله إلا أنت الغفور الودود ، وأنت الله لا إله إلا أنت الحنان المنان ، وأنت الله لا إله إلا أنت الحكيم الديان ، وأنت الله لا إله إلا أنت الجواد الماجد ، وأنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد ، وأنت الله لا إله إلا أنت الغائب الشاهد ، وأنت الله لا إله إلا أنت الظاهر الباطن ، وأنت الله لا إله إلا أنت بكل شيء عليم ، ثم تورك فهديت و بسطت يدك فأعطيت ربنا وجهك أكرم الوجوه ، وجهتك خير الجهات ، وعطيتك أفضل العطايا و أهئها ، تطاع ربنا فتشكر ، ونعصى ربنا فتغفر لمن شئت ، تجيب المضطر وتكشف السوء ، وتقبل التوبة وتعفو عن الذنوب ، لا تجازي أباديك ، ولا تحصى نعمك ، ولا يبلغ مدحتك قول قائل ، اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم وروحهم ، وراحتهم وسرورهم وأذقني طعم فرجهم ، وأهلك أعداءهم من الجن والانس ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، واجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، واجعلني من الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ، وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، و بارك لي في الحيا والممات والموقف والنشور والحساب والميزان وأهوال يوم القيامة ، وسلمني على الصراط ، وأجزني عليه ، وارزقني علماً نافعاً و يقيناً صادقاً ونقياً وبراً و ورعاً وخوفاً منك وفرقاً^(١) يبلغني منك زلفى ولا يبا عدني عنك ، وأحببني ولا تبغضني وتولني ولا تخذلني وأعطني من جميع خير الدنيا والآخرة ما علمت منه وما لم أعلم وأجرني من السوء كله بحذافيره^(٢) ما علمت منه وما لم أعلم .

الثامن ما رواه عنه عليه السلام^(٣) يا نور يا قدوس ، يا أول الأولين ويا آخر الآخرين ، يا رحيم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم ، واغفر لي الذنوب التي

(١) الفرق - بالتحريك - : الخوف والفرع .

(٢) يعني من جميع نواحيه . (٣) المصدر ج ٢ ص ٥٨٩ .

تحلُّ النعم^(١)، واغفرلي الذُّنوب التي تهتك العصم ، واغفرلي الذُّنوب التي تنزل
البلاء ، واغفرلي الذُّنوب التي تدبِّل الأعداء^(٢)، واغفرلي الذُّنوب التي تعجلُّ الفناء ،
واغفرلي الذُّنوب التي تقطع الرِّجاء ، واغفرلي الذُّنوب التي تظلم الهواء ، واغفرلي الذُّنوب
التي تكشف الغطاء ، واغفرلي الذُّنوب التي تردُّ الدُّعاء ، واغفرلي الذُّنوب التي تحبس
غيث السماء .

وقد ورد عن زين العابدين عليه السلام^(٣) في تفسير هذه الذُّنوب : أنَّ الذُّنوب التي
تغيِّر النعم البغي على الناس ، والزَّوال عن العادة في الخير ، واصطناع المعروف ،
وكفران النعم ، وترك الشكر قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَبْدُلَ مَا
بِأَنفُسِهِمْ »^(٤) .

والذُّنوب التي تورث الندم قتل النفس التي حرَّم الله ، قال الله تعالى في قصَّة
قاييل حين قتل أخاه هابيل فعجز عن دفنه « فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ »^(٥) و ترك صلاة الرِّحَم
حين يقدر ، وترك الصلاة حتَّى يخرج وقتها ، وترك الوصية ، وردَّ المظالم ، ومنع الزكاة
حتَّى يحضر الموت وينفلق اللسان .

والذُّنوب التي تزيل النعم^(٦) عصيان العارف ، والتطاؤل على الناس والاستهزاء
بهم والسخرية منهم .

والذُّنوب التي تدفع القسم إظهار الافتقار ، والنوم عن صلاة العتمة وصلاة الغداة ،
واستحقار النعم ، وشكوى المعبود ، والزَّنى^(٧) .

(١) أى تنزل العقوبات .

(٢) أزال الشيء إذا جعله متداولاً . وأزال الله بنى فلان من عدوهم : جعل الكرة
لهم عليه . وأزال الله زيدا من عمرو : نزع الدولة من عمرو وحولها إلى زيد .

(٣) معاني الأخبار ص ٢٧١ .

(٤) الرعد : ١١ .

(٥) المائدة : ٣١ .

(٦) فى معاني الأخبار هنا « الذنوب التي تنزل النقم » .

(٧) ليست لفظة « الزنى » فى المعانى .

والذُّنُوبُ الَّتِي تَهْتِكُ الْعَصَمَ شَرِبَ الْخَمْرَ ، وَلَعِبَ الْقِمَارَ ، وَمَعَاطِي مَا يَضْحَكُ النَّاسُ ،
وَاللَّغْوُ ، وَالْمَزَاحُ ، وَذَكَرَ عِيُوبَ النَّاسِ ، وَمَجَالَسَةَ أَهْلِ الرَّيْبِ .

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَنْزِلُ الْبَلَاءُ تَرَكُ إِغَاثَةَ الْمَلْهُوفِ ، وَتَرْكُ مَعَاوَةِ الْمَظْلُومِ ، وَتَضْيِيعُ
الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تُدِيلُ الْأَعْدَاءَ الْمَجَاهِرَةَ بِالظُّلْمِ ، وَإِعْلَانُ الْفُجُورِ ، وَإِبَاحَةُ الْمَحْظُورِ
وَعَصْيَانُ الْأَخْيَارِ ، وَالْإِقْبَادُ إِلَى الْأَشْرَارِ .

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَعْجِلُ الْفَنَاءَ قُطِيعَةَ الرَّحِمِ ، وَالْيَمِينَ الْفَاجِرَةَ ، وَالْأَقْوَالَ الْكَاذِبَةَ ،
وَالزَّيْنَى ، وَسُدُّ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ . وَادِّعَاءُ الْإِمَامَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ .

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَقْطَعُ الرَّجَاءَ الْيَأْسَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ ، وَالْقَنُوطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَالثِّقَةَ
بِغَيْرِ اللَّهِ ، وَالتَّكْذِيبَ بِوَعْدِ اللَّهِ .

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَظْلِمُ الْهَوَاءَ السَّحَرِ وَالْكَهَانَةَ ، وَالْإِيمَانَ بِالنُّجُومِ ، وَالتَّكْذِيبَ
بِالْقَدْرِ ، وَعُقُوقَ الْوَالِدِينَ .

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَكْشِفُ الْغَطَاءَ الْإِسْتِدَانَةَ بِغَيْرِ نِيَّةِ الْأَدَاءِ ، وَالْإِسْرَافَ فِي النِّفْقَةِ ،
وَالْبُخْلَ عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ ، وَذَوِي الْأَرْحَامِ ، وَسُوءَ الْخُلُقِ ، وَقِلَّةَ الصَّبْرِ ، وَاسْتِعْمَالَ
الضُّجْرِ وَالْكَسْبِ ، وَالْإِسْتِهَانَةَ بِأَهْلِ الدِّينِ .

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَرُدُّ الدُّعَاءَ سُوءَ النِّيَّةِ ، وَخَبْثَ السَّرِيرَةِ ، وَالنِّفَاقَ مَعَ الْإِخْوَانِ ،
وَتَرْكُ التَّصَدِيقِ بِالْإِجَابَةِ ، وَتَأْخِيرَ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ حَتَّى تَمْضِيَ أَوْقَاتُهَا ، ^(١) .

التاسع مارواه عنه عليه السلام ^(٢) « أَنْ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ : يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ لِي مَالٌ وَرَثَتُهُ وَلَمْ أَتَّقِ مِنْهُ دِرْهَمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، ثُمَّ اكْتَسَبْتُ مَالًا فَلَمْ
أَتَّقِ مِنْهُ دِرْهَمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَعَلَّمَنِي دَعَاءَ يَخْلِفُ عَلَيَّ مَاضِي وَيَغْفِرُ لِي مَآعَمَلَتِ أَوْعَمَلًا »

(١) زاد في المعاني > والذنوب التي تعبس غيث السماء جور الحكام في القضاء وشهادة
الزور وكتمان الشهادة ومنع الزكاة والقرض والمأموون وقساوة القلوب على أهل الفقر
والفاقة وظلم اليتيم والارملة وانتهاز السائل ورده بالليل .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٩٥ تحت رقم ٣٥ .

أعمله قال : قل ، وأي شيء أقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : قل كما أقول : « يا نوري في كل ظلمة ، ويا أنسي في كل وحشة ، ويا رجا في كل كربة ، ويا تقني في كل شدة » ويا دليلي في الضلالة ، أنت دليلي إذا انقطعت دلالة الأدلاء فإن دلائلك لا تنقطع ولا يضل من هديت ، أنعمت علي فأسبغت ، ورزقتني فوفرت ، وغذيتني فأحسنْتَ غذائي ، وأعطيتني فأجزلت بلا استحقاق لذلك بفعل مني و لكن ابتداءً منك لكرمك وجودك ، فتقويت بكرمك على معاصيك ، وتقويت برزقك على سخطك وأفنيت عمري فيما لا تحب ، فلم يمنعك جرأتي عليك وركوبي لما نهيتني عنه ودخولي فيما حرمت علي أن عدت علي بفضلك ولم بمنعني حلمك عني وعودك علي بفضلك أن عدت في معاصيك ، فأنت العواد بالفضل وأنا العواد بالمعاصي ، فيا أكرم من أقر له بذنب وأعز من خضع له بالذل ، لكرمك أقررت بذنبي ولعزك خضعت بذلي فما أت صانع بي في كرمك وإقراي بذنبي وعزك وخضوعي بذلي افعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله .

العاشر ما رواه مرفوعاً ^(١) قال : « أتى جبرئيل عليه السلام إلى النبي ﷺ يوماً فقال له : إن ربك يقول لك : إذا أردت أن تعبدني يوماً وليلة حق عبادتي فارفع يديك إلي » وقل : « اللهم لك الحمد حمداً خالداً مع خلودك ، ولك الحمد حمداً لا منتهى له دون علمك ، ولك الحمد حمداً لا أمد له دون مشيتك ، ولك الحمد حمداً لا جزاء لفائله إلا رضاك ، اللهم لك الحمد كله ، ولك المن كله ، ولك الفخر كله ، ولك البهاء كله ، ولك النور كله ، ولك العزة كلها ، ولك الجبروت كلها ، ولك العظمة كلها ، ولك الدنيا كلها ، ولك الآخرة كلها ، ولك الليل والنهار كله ، ولك الخلق كله ، بيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله علايته وسره ، اللهم لك الحمد حمداً أبداً ، أنت حسن البلاء ، جليل الثناء ، سابع النعماء ، عدل القضاء ، جزيل العطاء ، حسن الآلاء ، إلمن في الأرض وإله من في السماء ، اللهم لك الحمد في السبع الشداد ، ولك الحمد في الأرض المهادر ، ولك الحمد طاقة العباد ، ولك الحمد سعة البلاد ، ولك الحمد في الجبال والأنواء ، ولك الحمد في الليل إذا يغشى ، ولك الحمد في النهار إذا تجلّى ، ولك الحمد في الآخرة

والاولى، ولك الحمد في الثاني والقرآن العظيم، وسبحان الله وبحمده، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون، سبحان الله وبحمده كل شيء هالك إلا وجهه، سبحانك ربنا وتعاليت وتباركت وتقدس، خلقت كل شيء بقدرتك، وقهرت كل شيء بعزتك، وعلوت فوق كل شيء بارتفاعك، وغلبت كل شيء بقوةك، وابتدعت كل شيء بحكمتك وعلمك، وبعثت الرسل بكتبك، وهديت الصالحين بإذتك، وأيدت المؤمنين بنصرك، وقهرت الخلق بسلطانك، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك لا نعبد غيرك، ولا نسأل إلا إياك، ولا نرغب إلا إليك، أنت موضع شكوانا، ومنتهى رغبتنا، وإلهنا ومليكننا.

الحادي عشر مارواه عن أبي جعفر عليه السلام ^(١) قال الرادي: وكان عليه السلام يسميه الجامع «بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله آمنت بالله وجميع رسله وجميع ما أنزل به على جميع الرسل، وأن وعد الله حق ولقائه حق وصدق الله وبلغ المرسلون، والحمد لله رب العالمين، وسبحان الله كلما سبّح الله شيء وكما يحب الله أن يسبّح، والحمد لله كلما حمد الله شيء وكما يحب الله أن يحمد، ولا إله إلا الله كلما هلّل الله شيء وكما يحب الله أن يهلّل، والله أكبر كلما كبّر الله شيء وكما يحب الله أن يكبر، اللهم إني أسألك مفاتيح الخير وخواتيمه وسوابغه وفوائده وبركاته ما بلغ علمه علمي، وما قصر عن إحصائه حفظي، اللهم أنج لي أسباب معرفته وافتح لي أبوابه وغشني بركات رحمتك ومن علي بعصمة عن الإزالة عن دينك وطهر قلبي من الشك، ولا تشغل قلبي بدنيائي وعاجل معاشي عن أجل ثواب آخري واشغل قلبي بحفظ ما لا تقبل مني جهله، وزلل لكل خير لساني، وطهر قلبي من الرياء، ولا تجره في مفاسلي، واجعل عملي خالصاً لك، اللهم إني أعوذ بك من الشر وأنواع الفواحش كلها ظاهرها وباطنها وغفلاتها وجميع ما يريدني به الشيطان الرجيم وما يريدني به السلطان العنيد بما أحط بعلمه وأنت القادر على صرفه عني، اللهم إني أعوذ بك من طوارق الجن

والإيس وزوابعهم^(١) وبوائقهم ومكائدهم ومشاهد الفسقة من الجن والإيس وأن أستزل عن ديني فتفسد عليّ آخرتي وأن يكون ذلك ضرراً عليّ في معاشي أو يعرض بلاء يصيبني منهم لأقوة لي به ولا صبر لي على احتماله فلا تبتليني يا إلهي بمقاساته فيمنعني ذلك من ذكرك ، ويشغلني عن عبادتك ، أنت العاصم المانع الدافع الواقى من ذلك كله ، أسألك اللهم الرفاهية في معيشتي ما أبقيتني معيشة أقوى بها على طاعتك وأبلغ بها رضوانك وأصير بها إلى دار الحيوان غداً ، ولا ترزقني رزقاً يطغيني ، ولا تبتليني بفقر أشقى به مضيقاً عليّ أعطني حظاً وافراً في آخرتي ومعاشاً واسعاً هنيئاً مريئاً في دنياي ، ولا تجعل الدنيا عليّ سجنًا ، ولا تجعل فراقها عليّ حزنًا ، أجرني من فتنها ، واجعل عملي فيها مقبولاً ، وسعيي فيها مشكوراً ، اللهم ومن أراذلي بسوء فأرده بمثله ، ومن كاذبي فيها فكنه ، واصرف عني هم من أدخل عليّ همه ، وامكر بمن مكرني فانك خير الماكرين ، واقفأ عني عيون الكفرة الظلمة والطفاء الحسدة ، اللهم وأنزل عليّ منك سكينة ، وألبسني درعك الحصينة واحفظني بسترِكَ الواقى ، وجلّني عافيتك النافعة ، وصدّق قولي وفعالي ، وبارك لي في ولدي وأهلي ومالي ، اللهم ما قدّمت وما أخرت ، وما أغفلت وما تعمّدت ، وما توائمت وما أعلنت وما أسررت فاغفره لي يا أرحم الراحمين .

الثاني عشر ما رواه عنه عليه السلام ^(٢) « اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك ، وأعوذ بك من كل سوء أحاط به علمك ، اللهم إني أسألك عافيتك في أموري كلّها ، وأعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . »

الثالث عشر ما رواه في العدة عنه عليه السلام ^(٣) قال : « كان رسول الله ﷺ إذا احمرت الشمس على رأس قلّة الجبل هملت عيناه دموعاً ثمّ قال : « أمسى ظلمي مستجيراً بعفوك ، وأمست ذنوبي مستجيرة بمغفرتك ، وأمسى خوفي مستجيراً بأمانك ، وأمسى ذلّي مستجيراً بعزّك ، وأمسى فقري مستجيراً بغناك ، وأمسى وجهي البالي الفاني مستجيراً بوجهك »

(١) الزوبعة اسم شيطان أو رئيس الجن وهى بالزأى والباء الموحدة واللين المهملة جمعها زوابع (القاموس) .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٧٨ تحت رقم ٣ .

(٣) المصدر ص ١٩٧ الدعاء السابع .

الدائم الباقي ، اللهم ألبسني عافيتك ، وغشني رحمتك ، وجللني كرامتك ، وقني شرّ خلقك من الجنّ والناس يا الله يا رحمن يا رحيم .

الرابع عشر ما رواه فيه عن الرضا عليه السلام ^(١) قال : « من قال في دبر صلاة الغداة لم يلمس حاجة إلا تيسرت له وكفاه الله ما أهمته : « بسم الله وصلى الله على محمد وآله ، و أفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فوفاه الله سيئات مامكروا لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجينا من الغم وكذلك تنجي المؤمنين ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، ما شاء الله لاحول ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله لا ما شاء الناس ، ما شاء الله وإن كره الناس ، حسبي الرب من المربوبين ، حسبي الخالق من المخلوقين ، حسبي الرازق من المرزوقين ، حسبي الله رب العالمين ، حسبي من هو حسبي ، حسبي من لم يزل حسبي ، حسبي من كان منذ كنت لم يزل حسبي ، حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . »

الخامس عشر ما رواه فيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ^(٢) « أن جبرئيل عليه السلام نزل عليه بهذا الدعاء من السماء ، ونزل عليه ضاحكاً مستبشراً فقال : السلام عليك يا محمد ، قال : و عليك السلام يا جبرئيل ، فقال : إن الله عز وجل بعث إليك بهدية ، قال : وما تلك الهدية يا جبرئيل ؟ قال : كلمات من كنوز العرش أكرمك الله بها ، قال : وما هن ؟ يا جبرئيل ؟ قال : قل : « يا من أظهر الجميل وستر القبيح ، يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ، يا عظيم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ، يا صاحب كل نجوى ومنتهى كل شكوى ، يا كريم الصفح ، يا عظيم المن ، يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها ، يا ربنا ويا سيدنا ويا مولانا ويا غاية رغبتنا أسألك يا الله ألا تشوّم خلقي بالنار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل : ما ثواب هذه الكلمات ؟ قال : هبات هبات انقطع العمل ، لو اجتمع ملائكة سبع سموات وسبع أرضين على أن يصفوا ثواب ذلك إلى يوم القيامة ما وصفوا من كل جزء جزءاً واحداً ، فإذا قال العبد : « يا من

(١) المصدر من ١٩٧ الدعاء الخامس .

(٢) المصدر الفصل الآخر من فصول الكتاب .

أظهر الجميل وستر القبيح ، ستره الله ورحمه في الدنيا وجمّله في الآخرة ، وستر الله عليه ألف ستر في الدنيا والآخرة ، وإذا قال : « يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر » لم يحاسبه الله يوم القيامة ، ولم يهتك ستره يوم تهتك الستور ، وإذا قال : « يا عظيم العفو » غفر الله ذنوبه ولو كانت خطيئته مثل زبد البحر ، وإذا قال : « يا حسن التجاوز » تجاوز الله عنه حتى السرقة و شرب الخمر و أهويل الدنيا وغير ذلك من الكبائر ^(١) ، وإذا قال : « يا واسع المغفرة » فتح الله له عز وجل سبعين باباً من الرحمة ، فهو يخوض في رحمة الله عز وجل حتى يخرج من الدنيا ، وإذا قال : « يا باسط اليدين بالرحمة » بسط الله يده عليه بالرحمة ، وإذا قال : « يا صاحب كل نجوى و منتهى كل شكوى » أعطاه الله من الأجر ثواب كل مصاب وكل سالم ، وكل مريض ، وكل ضرير ، وكل مسكين ، وكل فقير ، وكل صاحب مصيبة إلى يوم القيامة ، وإذا قال : « يا كريم الصفح » أكرمه الله كرامة الأنبياء ، وإذا قال : « يا عظيم المن » أعطاه الله يوم القيامة منيته ومنية الخلائق ، وإذا قال : « يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها » أعطاه الله من الأجر بعدد من شكر نعمائه ، وإذا قال : « يا ربنا ويا سيدنا » قال الله تبارك وتعالى : اشهدوا ملائكتي أني قد غفرت له و أعطيته من الأجر بعدد من خلّفته في الجنة والنار والسموات السبع والأرضين السبع والشمس والقمر والنجوم و قطر الأمطار و أنواع الخلق والجبال والحصى والثرى وغير ذلك والعرش والكرسي ، وإذا قال : « يا مولانا » ملأ الله قلبه من الإيمان ، وإذا قال : « يا غاية رغبتنا » أعطاه الله يوم القيامة رغبة الخلائق ، وإذا قال : « أسألك يا الله ، ألا تشوّه خلقي بالنار » قال الجبار جلّ جلاله : استغثني عبدي من النار اشهدوا ملائكتي أني قد أعتقته من النار و أبويه و إخوته و أهله و ولده و جيرانه و شفّعته في ألف رجل ممن وجبت له النار وأجرته من النار ، فعلمهنّ يا محمد المتقين ، ولا تعلمهنّ المنافقين فإنّها دعوة مستجابة لقائلهنّ إن شاء الله و هو دعاء أهل البيت المعمور حوله إذا كانوا يطوفون به .

(١) لعل المراد أن الله سبحانه تجاوز عن حقه فيما ارتكب العبد من نواهي لا تتجاوز عما هو حق الناس وصدور هذا الكلام عنه مع النية والتوجه بسزلة التوبة اليه والالانة التي تقتضي الفران والصفح . واما حقوق العباد فيجب أن يؤديها اليهم او يرضيهم كما لا يخفى .

﴿أنواع الاستعاذة﴾

﴿المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله﴾

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَبْعٍ يَهْدِي إِلَى طَمَعٍ ، وَطَمَعٍ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ ، وَمِنْ طَمَعٍ حِينَ لَا طَمَعٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَدَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ الْجُوعِ فَإِنَّهُ يَشْرِي الضَّجِيعَ ، وَمِنْ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا يَشْتِي الْبَطَانَةَ ، وَمِنْ الْكُسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجَبْنِ ، وَمِنْ الْهَرَمِ وَمِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدُّجَالِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قُلُوبًا أَوَْاهَةً مَخْبِئَةً مُنِيئَةً ^(١) فِي سَبِيلِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِزًّا مَغْفِرَتَكَ ، وَمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّيِّ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مَدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَلِمْتُ ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْلَمْ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مَنَكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَدْوَاءِ وَالْأَهْوَاءِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِي يَتَحَوَّلُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي ، وَشَرِّ لِسَانِي وَقَلْبِي ، وَشَرِّ نَفْسِي وَمَنْيئِي ^(٢) ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ وَالْعَبِيلَةِ ^(٣) . وَالذَّلَّةِ وَالْمُسْكِنَةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَالسَّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبُكْمِ وَالْجَنُونِ وَالْجَذَامِ وَالْدِّرَسِ وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَمِنْ تَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَمِنْ فَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ ،

(١) الإواء : المتأوه المتضرع ، والمخبت : الخاشع المتذلل ، والمنيب : الراجع

إلى الله بالتوبة .

(٢) النني هو الماء المعروف أو الذكر كما أشار إليه النسائي ج ٨ ص ٢٥٦ من السنن .

(٣) العيلة مصدر عال يعل أي افتقر فهو عائل والاسم العيلة .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ ، وَ عَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَ شَرَّ
 فِتْنَةِ الْغَنَى ، وَ شَرَّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ ، وَ شَرَّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ^(١) وَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَغْرَمِ وَ
 الْمَأْثَمِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَ صَلَاةٍ لَا تَنْفَعُ ، وَ
 دَعْوَةٍ لَا تَسْتَجَابُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ الْعُمُرِ وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ
 الدِّينِ وَ غَلْبَةِ الْعَدُوِّ ، وَ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ^(٢) .

﴿الباب الرابع﴾

﴿ في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث ﴾

أقول : وهي كثيرة ، وقد جمعتها في كتابي المسمى بـ خلاصة الأذكار ، وأقتصر
 ههنا على نحو مما ذكره أبو حامد مع زيادة مهمات و نقصان مستدركات سبق ذكرها و
 نذكر ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في ذلك من طريق الخاصة لا ما ذكره إلا قليلاً منه .
 فنقول : إذا أصبحت وسمعت الأذان يستحب لك جواب المؤذن ^(٣) وقد ذكرناه ،
 و ذكرنا أدعية دخول الخلاه ^(٤) والخروج منه ، وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة .
 فإذا لبست نعلك فقل : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَ وَطِّنِي قَدِيمِي فِي الدُّنْيَا
 وَ الْآخِرَةِ ، وَ ثَبِّتْهُمَا عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ .

فإذا توجهت إلى المسجد فقل : « بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ - الْآيَاتِ إِلَى

(١) قال في مجمع البحرين : المسيح لقب عيسى عليه السلام وهو من الالقاء الشريفة
 وفي معناه أقاويل - إلى أن قال - : وسى النجاشي مسيحاً لأن إحدى عينيه مسوحة انتهى .
 وزاد ابن الأثير قال : « ويقال : رجل مسح الوجه ومسح وهو أن لا يبقى على أحد شق وجهه عين
 ولا حاجب إلا استوى و قيل لأنه يمسح الأرض : أي يقطعها » .

(٢) إلى هنا راجع السنن الكبرى للنسائي كتاب الاستعاذة ج ٨ ص ٢٥٠ ، وسنن
 أبي داود ج ١ ص ٣٥٣ ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ٧٥ ، ومستدرک الحاكم ج ١ ص ٥٣٠ .

(٣) راجع عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٢٥ .

(٤) راجع المجلد الأول من الكتاب ص ٢٩٤ .

قوله عز وجل : - و اغفر لابي ، فعن النبي ﷺ « من توشأ ثم خرج إلى المسجد فقال حين يخرج من بيته : « بسم الله الذي خلقني فهو يهدين » هدا الله إلى الصواب والإيمان ، وإذا قال : « والذي هو يطعمني و يسقين » أطعمه الله من طعام الجنة و سقاه من شرابها ، وإذا قال : « وإذا مرضت فهو يشفين » جعل الله ذلك كفارة لذنوبه ، وإذا قال : « والذي يميتني ثم يحييني » أماته الله ميتة الشهداء ، وأحياه حياة السعداء ، وإذا قال : « والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » غفر الله له خطاياه كلها وإن كان أكثر من زبد البحر ، وإذا قال : « رب هب لي حكماً و ألحقني بالصلحين » و هب الله له حكماً و علماً و ألحقه بصلح من مضى و صالح من بقي ، وإذا قال : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » كتب الله له في ورقة بيضاء أن فلان بن فلان من الصادقين ، وإذا قال : « واجعلني من ورثة جنة النعيم » أعطاه الله منازل في جنة النعيم ، وإذا قال : « واغفر لابي » غفر الله لأبويه (١) .

وإذا أردت الدخول إلى المسجد فتعاهد نفسك أولاً و قدّم رجلك اليمنى و قل : « بسم الله ، وبالله ، و من الله ، وإلى الله ، وخير الأسماء كلها لله ، توكلت على الله ، لاحول ولا قوة إلا بالله ، اللهم صلّ على محمد و آل محمد ، و افتح لي أبواب رحمتك و توبتك و أغلق عني أبواب معصيتك ، واجعلني من زوارك و عمّار مساجدك ، و تمنّ بناجيك في الليل و النهار ، و من الذين هم في صلاتهم خاشعون ، و ادحر عني الشيطان الرجيم (٢) و جنود إبليس أجمعين » .

(١) راجع سورة الشعراء آية ٧٨ إلى ٨٦ والخبر أخرجه ابن أبي الدنيا في الذكر وابن مردويه كما في الدر المنثور ج ٥ ص ٨٩ و راجع بقية الاوراد عمل اليوم والليلة لابن السني ، و اليوم والليلة للنسائي ، والمجلد الاول من مستدرک الحاكم كتاب الدعوات ص ٤٩٠ ، والدعوات الكبير للبيهقي ، وثواب الاعمال ، و عقاب الاعمال ، والفقيه للصدوق ، و كتاب الدعاء من الكافي ج ٢ ص ٤٦٦ ولقلة جدواها طويلا عن الاشارة الى كل واحد منها ومن اراد الاطلاع على جبلتها في كتب العامة فليراجع المعنى للعراقي المطبوع ذيل الاحياء .

(٢) اي اطرد ، دحره اي طرده .

فإذا خلعت ثعلبك فاخلع اليسرى قبل اليمنى بعكس لبسها وقل : « بسم الله الحمد لله الذي رزقني ما أوفي به قلمي من الأذى ، اللهم ، ثبتهما على صراطك ولا تنزلهما عن صراطك السوي » ، وإن كانا عرييين طاهرين و أمكنك أن لا تنزعهما فلا تنزعهما فإن الصلاة فيهما مستحبة .

فإذا رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل : « لا أبيع الله تجارتك » .

و إذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد فقل : « لارد الله عليك » .

و إذا رأيت من ينشد شعراً فقل : « فض الله فاك » ، كذا ورد في الحديث النبوي ^(١) .

وقد ذكرنا أدعية الصلاة في كتابها .

فإذا نهضت من المصلى فانصرف عن يمينك وقل : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين » .

و إذا خرجت من المسجد فقدّم رجلك اليسرى و صلّ على النبي ﷺ و قل : « اللهم دعوتني فأجبت دعوتك و صليت مكتوبك وانتشرت في أرضك كما أمرتني فأسألك من فضلك العمل بطاعتك واجتناب معصيتك و الكفاف من رزقك برحمتك » .

فإذا طلعت الشمس فقل : « أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين ، و أعوذ بالله أن يحضرون ، إن الله هو السميع العليم » .

و إذا تصدقت بشيء فقل : « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » .

و إذا دخلت منزلك فقل : « بسم الله و بالله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله » ، وسلّم على أهلِكَ إن كان في البيت أهل وإلا فقل بعد الشهادتين : « السلام على محمد بن عبد الله خاتم النبيين ، السلام على الأئمة الهادين المهديين ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

و إذا جلست فقل : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله » .

و إذا نظرت في المرأة فقل : « الحمد لله الذي خلقني فأحسن خلقي وصورني فأحسن

(١) راجع التهذيب ج ١ ص ٣٢٧ والكافي ج ٣ ص ٣٦٩ رقم ٥ . و أيضاً عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٤٢ و ٤٣ .

صورني ، الحمد لله الذي زان مني ما شان من غيري ، وأكرمني بالإسلام .
و إذا سرحت لعيتك فقل : « اللهم سرّح عني الغموم والهموم وحشة الصدر
ووسوسة الشيطان » .

وإذا حضرت المائدة فقل : « اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعم الجنة » .
فإذا مددت يدك إليها فقل : « بسم الله والحمد لله رب العالمين ، اللهم إني أسألك
في أكلي و شربي السلامة من وعكه والقوة على طاعتك ، وذكرك و شكرك فيما بقيته
في بدني وأن تشجعني بقوتها على عبادتك وأن تلهمني حسن التحرّز من معصيتك » .
ويأتي آداب الأكل في محله .

وإذا فرغت منه فقل : « الحمد لله الذي أطعمنا في جائعين ، وسقانا في ظمّآتين ، و
كسانا في عارين وهدانا في ضالّين ، وحملنا في راجلين ، وآوانا في ضاحين ، وأخذمنا في عانين ،
و فضلنا على كثير من العالمين » .

و إذا أردت شرب الماء فقل : « الحمد لله منزل الماء من السماء ، ومصرف الأمر كيف
يشاء ، بسم الله خير الأسماء » .

وإذا فرغت فقل : « الحمد لله الذي سقاني ماء عذباً ولم يجعله ملحاً أجاباً بذنوبي
وصلّ وسلّم على الحسين عليه السلام والعن قاتليه » .

وإذا قمت من المجلس فقل ما قلته للجلوس وما قلته للنهوض من المصلي فقد
روي أنه كفارة للغوالمجلس وفيه امثال لقوله عز وجل : « فسبح بحمد ربك حين تقوم » .

و إذا تعصمت أو تخشمت فقل : « اللهم سوّمني بسيماء الإيمان ، وتوّجني بتاج
الكرامة ، وقلّديني جبل الإسلام ، ولا تخلع ربة الإيمان من عنقي » .

وإذا لبست ثوبك فقل : « الحمد لله الذي كساني ما يواريني عورتي وأتجمل به
في الناس » ، وإذا كان جديداً فزد على ذلك مقدماً عليه « اللهم اجعله ثوب يمن وتقوى
وبركة ، اللهم ارزقني فيه حسن عبادتك و عملاً بطاعتك وأداء شكر نعمتك » .

وإذا خرجت من منزلك فقل : « بسم الله آمنت بالله و توكلت على الله » قال
سيد العابدين عليه السلام : « إن العبد إذا خرج من منزله عرض له الشيطان فإذا قال : « بسم الله »

قال الملكان : كفيت ، فإذا قال : « آمنت بالله » قال له : هديت ، فإذا قال : « موكلت على الله » قال له : وفيت ، فيتحنى الشياطين فيقول بعضهم لبعض : كيف لنا بمن كفي وهدى ووفى ؟ (١) .

فإذا دخلت السوق فقل : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة » .
فإن كان عليك دين فقل : « اللهم أكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك » .

وإذا أصابك خسران فقل : « عسى ربنا أن يدلنا خير أمنها إنا إلى ربنا راغبون » .
وإذا رأيت شيئاً من الطيرة تكرهه فقل : « اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وإذا اشترت متاعاً فكبر ثلاثاً فقل : « اللهم إني اشتريته ألتمس فيه خيرك فاجعل فيه خيراً ، اللهم إني اشتريته ألتمس فيه رزقك فاجعل لي فيه رزقاً » .
وإذا اشترت دابة أو مملوكاً فخذ بناصيته أو ذرة سنم البعير وقل : « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه » وتزيد في المملوك « اللهم بارك فيه واجعله طویل العمر كثير الرزق » .
وإذا قضيت الدين فقل للمقضي له : « بارك الله في أهلك ومالك » .

وإذا هنئت بالنكاح فقل : « بارك الله فيك وبارك الله عليك وجمع بينكما في خير » .
و يأتي سائر أديعة النكاح وآدابها في كتابه .
وإذا بنيت بيتاً فقل : « اللهم أدر عني وعن أهلي وولدي مرءة الجن والشياطين وبارك فيه بنزولي » .

وإذا زرعت زرعاً فخذ قبضة من البذر بيدك واستقبل القبلة وقل : « أفرايتم ما

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٤١ تحت رقم ٢ .

تحرثون أنتم تزرعونه أم يحزن الزارعون - ثلاث مرّات - ثم قل : « لا بل الله الزارع لا فلان ، وسم باسمك ثم قل : « اللهم صلّ على محمد وآل محمد واجعله حرثاً مباركاً وارزقنا فيه السلامة والعافية والسرور والغبطة والتمام واجعله حباً متراكباً ولا تحرمني خير ما أبتغي ولا تفتني بما منعني بحق محمد وآله الطيبين » ثم ابذر القبضة .

و إذا نظرت إلى السماء فقل : « ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فحقنا عذاب النار ، مبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وفمراً منيراً » .

و إذا رأيت الهلال فكبر الله ثلاثاً و قل : « اللهم أهله علينا بالآمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية المجللة والرزق الواسع ودفع الأسياف » .

و إذا هبت الريح فقل : « اللهم إني أسألك خير ما هاجت الرياح وخير ما فيها وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها ، اللهم اجعلها علينا رحمة وعلى الكافرين عذاباً وصلى الله على محمد وآله » وأكثر من التكبير .

و إذا سمعت صوت الرعد فقل : « سبحانه من يستبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » .

و إذا رأيت الصواعق فقل : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك » .

فإذا أمطرت السماء فقل : « اللهم سيئاً هنيئاً وصيباً نافعاً ^(١) ، اللهم اجعله سبب رحمتك ولا تجعله سبب عذابك » .

و إذا أصابتك مصيبة فقل : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني على مصيبتني واخلف لي خيراً منها » .

و إذا بلغك وفات أحد فقل : « إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا المنقلبون ، اللهم اكتهبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلقه على عقبه في الغابرين ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتننا بعده » .

و إذا سمعت صوت الديك فقل : « سيوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتك غضبك لا إله إلا أنت سبحانه وبحمده عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر

(١) السيب - بالفتح - : المطر الجارى ، والصيب : السحاب ذو المطر .

الذئب إلا أنت ، و روي لصوت الديك السؤال من فضل الله و لنباح الكلب و نهيق الحمام التعمود من الشيطان (١) .

و إذا لقيت سبعاً قل : « أعوذ برب دانيال و الجب من شر كل أسد مستأسد » .
و إذا غضبت فتعوذ بالله من الشيطان وصل على محمد وآله و قل : « و يذهب غيظ قلوبهم ، اللهم اغفر لي ذنبي و أذهب غيظ قلبي و أجري من الشيطان الرجيم و لاحول ، و لا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

و إذا فهمت قل : « اللهم لا تمقتني » .

و إذا عطست قل : « الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آل محمد » .
و إذا نسيت شيئاً فضع يدك على جيبك وصل على محمد و آل محمد و قل : « اللهم إني أسألك يا مذكر الخير و الآمر به ذكرك ما أنسانيه الشيطان » .

و إذا ضل عنك شيء قل : « يا من لا يخفي عليه مكتوم ، و لا يشذ عنه معلوم ، و لا يغالبه منيع ، و لا يطاوله رفيع اردد بقدرتك علي ما في قبضتك إنك أهل الخيرات » .
و إذا أصابك مرض قل : « اللهم أشفني بشفائك ، و داوني بدوائك ، و عافني من بلائك فإني عبدك و ابن عبدك » و قل : « و ننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين ، و امسح على العلة » .

و إذا أصابك كرب قل : « و أفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد » .
و إن أصابك غم أو حزن قل : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين »
و قل : « يا من يكفي من كل شيء و لا يكفي منه شيء اكفني ما أهمني » . و شكراً لرجل إلى الصادق عليه السلام فقال : أكثر من أن تقول « الله الله ربّي لا أشرك به شيئاً » (٢) .

قال : « فإذا خفت و سوسة أو حديث نفس قل : « اللهم إني عبدك و ابن عبدك و ابن أمتك ناصيتي بيدك ، عدل في حكمك ما من في فضاؤك ، اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك أنزلته في كتابك أو أعطيته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب

(١) راجع صحيح مسلم ج ٨ ص ٨٥ ، و مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٤٣ رواه عن الطبراني .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٥٦١ تحت رقم ١٦ .

عندك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل القرآن نور بصري و ربيع قلبي و جلاء حزني و ذهاب همي ، الله الله ربّي لا أشرك به شيئاً .

قال أبو حامد بعد ذكر هذا الدعاء اللهم بأدنى تفاوت في اللفظ : « قال عليه السلام : ما أصاب أحداً حزنٌ فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدل مكانه فرحاً قيل : يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها » (١) .

قال : « و إذا وجدت وجعاً في جسدك أو جسد غيرك فارق بريقة رسول الله ﷺ روي أنه إذا اشتكى الإنسان قرحاً أو جرحاً وضع سبّابته على الأرض ثم رفعها و بلها بريقه و قال : « بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى بها سقيمنا بإذن ربنا » (٢) .

وإذا وجدت وجعاً في جسدك فضع يده على الذي تألم من جسدك وقل : « بسم الله » - ثلاثاً - و قل سبع مرّات : « أعوذ بالله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر » .

وإذا ابتدأت أمراً فقل : « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ، ربّ اشرح لي صدري ويسرلي أمري » .

وإذا رأيت استجابة دعائك فقل : « الحمد لله الذي بعزّه وجلاله تتمّ الصالحات » و إن أبطأت فقل : « الحمد لله على كلّ حال » .

وإذا سمعت أذان المغرب فقل : « اللهم هذا إقبال ليك ، وإدبار لهارك ، وأصوات دعائك ، وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي » .

أقول : و إذا أردت النوم فقل : « بسم الله اللهم إني أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك توكلت عليك رهبة منك ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت و رسولك الذي أرسلت » ثم سبح تسبيح الزهراء عليها السلام كذا عن الباقر عليه السلام (٣) .

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم وأحمد من حديث عبد الله بن مسعود كما في المغني ، ورواه أيضاً رزين كما في مشكاة المصابيح ص ٢١٦ .

(٢) أخرجه البخاري ج ٧ ص ١٧٢ ومسلم ج ٧ ص ١٧ .

(٣) الفقيه ص ١٢٣ باب ما يقول الرجل إذا أوى إلى فراشه .

وعن الصادق عليه السلام « من قال حين يأخذ مضجعه ثلاث مرّات : « الحمد لله الذي علا فقير ، و الحمد لله الذي بطن فخير ، و الحمد لله الذي ملك فقدر ، و الحمد لله الذي يحيي الموتى ، و يميت الأحياء وهو على كل شيء قدير » خرج من الذنوب كهيثته يوم ولدته أمّه » (١) .

و إذا فزعت في النوم فقل : « أهوذ بكلمات الله » (٢) من غضبه ومن عقابه ومن شرّ عبادِهِ و من همزات الشياطين و أن يحضرون « عشر مرّات .

و إذا استيقظت من نومك فقل : « الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني و إليه النشور » و قل : « الحمد لله الذي ردّ عليّ روحي لأحمده وأعبدّه » و قل : « الحمد لله الذي بعثني من مرقدِي هذا ولو شاء لجعله إلى يوم القيامة ، الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً ، الحمد لله الذي جعل الليل لباساً ، والنوم سباتاً ، وجعل النهار نشوراً ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، الحمد لله الذي لا يخبو منه النجوم ولا يكن منه النشور ، ولا يخفى عليه ما في الصدور » .

فإذا جلست بعده فقل : « حسبي الرّبُّ من العباد ، حسبي الذي هو حسبي منذ كنت ، حسبي الله ونعم الوكيل » .

فإذا قمت فقل : « اللهم أعني على هول المطلق ، و وسّع عليّ المضجع وارزقني خير ما قبل الموت وارزقني خيراً ما بعد الموت » كان الصادق عليه السلام يرفع صوته بها حتّى يسمع أهل الدار » (٣) .

قال أبو حامد : « فهذه أدعية لا يستغني المرید عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والوضوء والصلاة ذكرناه في كتاب الحجّ والطهارة والصلاة » .

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٣٥ تحت رقم ١ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٥٤٨ عن عمرو بن شبيب وفيه « أهوذ بكلمات الله التامات من غضبه الخ » .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٥٣٨ تحت رقم ١٣ .

﴿فصل﴾

قال : « فإن قلت : فما فائدة الدعاء والقضاء لا مريد له ؟ فاعلم أن من القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، والدعاء سبب لردّ البلاء واستجلاب الرّحمة كما أن التّرس سبب لردّ السّهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، وكما أن التّرس يدفع السّهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالمان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله أن لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى : « خذوا حذركم » ^(١) وأن لا يسقى الأرض بمدّ بثّ البذر فيقال : إن سبق القضاء بالنبات ثبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأوّل الذي هو كالمح البصر ، وترتب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرّج والتقدير هو القدر ، الذي قدّر الخير قدّره بسبب والذي قدّر الشرّ قدّره لدفعه سبباً فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ، ثمّ في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ، ولذلك قال النبي ﷺ : « الدعاء من العبادة » ^(٢) والغالب على الخلق أنّه لا ينصرف قلوبهم إلى ذكر الله إلّا عند إمام حاجة وإرهاق ملمّة ، فلا إنسان إذا مسّه الشرّ فنوّ دعاء عريض ، فالحاجة تدعج إلى الدعاء والدعاء يردّ القلب إلى الله بالتضرّع والاستكانة فيحصل به الذّكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكّلاً بالأنبياء ، ثمّ الأولياء ، ثمّ الأمثال فالأمثال لأنّه يردّ القلب بالافتقار والتضرّع إلى الله ويمنع من نسيانه وأمّا الغناء فسبب البطر في غالب الأمر فإنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى .

فهذا ما أردنا أن نورد من جملة الأذكار والدعوات والله الموفق للخير وأما بقية الدعوات في الأكل والشرب والسفر وعبادة المرضى فستأتي في مواضعها إن شاء الله تعالى .

هذا آخر كتاب الأذكار والدعوات من المحبّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب ترتيب الأوراد و تفصيل إحياء اللّيل ، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً .

(١) النساء : ٧٠ .

(٢) مر عن الترمذي رواه في الجامع الصحيح ج ١٢ ص ٢٦٦ .

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل أحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من ربيع العبادات من المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله على آلائه حمداً كثيراً ، ونذكره ذكراً لا ينادر في القلب استكباراً ولا نفوراً ، ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ، ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيراً ونذيراً ، وعلى آله المعصومين الذين اجتهدوا في عبادة الله تعالى غداة وعشيماً وبكرة وأصيلاً حتى أصبح كل واحد منهم نجماً في الدين هادياً وسراجاً منيراً .

أما بعد فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولاً لعباده لا يستقروا في مناكبها بل ليتخفونها منزلاً فيتزودون منها ، محترزين من مصائبها ومعاطبها ، ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها ، والناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد ، والوطن هو الجنة أو النار ، والعمر مسافة السفر ، فسنوه مراحلها ، وشهوره فرائضه ، وأيامه أمياله ، وأنفاسه خطواته ، وطاعته بضاعته ، وأوقاته رؤوس أمواله ، وشهواته وأغراضه قطاع طريقه ، وربحه الفوز بقاء الله في دار السلام مع الملك الكريم والنعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله مع الأتكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم ، فالغافل عن نفس من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقر به إلى الله زلفى متعمر في يوم التغابن لغيبته وحسرة مالها منتهى ، ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل تشمر الموفقون عن ساق الجد ، وودعوا بالكلية ملاذ النفس ، واغتنموا بقايا العمر ، ورتبوا بحسب تكرار الأوقات وظائف الأوراد حرصاً على أحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل

القسم الأول والأوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ،
ولم يذكر بابين : الباب الأول في فضيلة الأوراد و ترتيبها في الليل والنهار
والكيفية إحياء الليل و فضيلته وما يتعلق به .

﴿الباب الأول﴾

﴿ في فضيلة الاوراد و ترتيبها و أحكامها ﴾

الأوراد و بيان أن المواظبة عليها هو الطريق إلى الله تعالى
الناظرين بنور البصيرة علموا أن لا نجاة إلا بقاء الله تعالى وأنه لا سبيل
إلى أن يموت العبد محباً لله و عارفاً بالله و أن المحبة و الأمن لا يحصل إلا
من دحسب و المواظبة عليه و أن المعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه و في
صفاته و ليس في الوجود سوى الله و أفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر
إلا بوجدها و الاجتهاد منها بقدر البلغة والضرورة ، وكل ذلك لا يتم إلا
باستغفال الليل و النهار في وظائف الأذكار و الأفكار ، و النفس لما جُبلت عليه
من السر لا تصبر على فن واحد من الأسباب المهيئة على الذكر و الفكر بل
إذا ردك واحد أظهرت الملل و الاستئفال ، و إن الله لا يمل حتى تملوا فمن
ضرورة أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ، و نوع إلى نوع بحسب كل وقت
لتغزير بها ، و تعظم باللذة رغبتها ، و تدوم بدوام الرغبة مواظبتها ، فلذلك
تقسم إلى مختلفة ، و الذكر و الفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها
فإن النما مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تديرات
الدنيا و المباحة مثلاً و الشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا
لمواظبتها يكون الوقت متساوياً فأنى يتقومان ؟ والطبع لأحدهما مرجح
إذ الظاهر يساعد على أمور الدنيا و يصفو في طلبها القلب و يتجرده ، و أما
الرد إلى امتكف ولا يسلم إخلاص القلب ، و حضوره إلا في بعض الأوقات

فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقانه في الطاعة . يترجح كفة حسناته و يتقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أو لمط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأمره بخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من ظرف عسى الله أن يغفر له بجلوه و كرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصير تمكن من أهله فأنظر إلى خطاب الله سبحانه لرسوله ﷺ و اقتبس به بنور الإقبال تعالى لأقرب عباده إليه و أرفعهم درجة لديه : « إن لك في النهار سبحة ما ذكر اسم ربك و تبتل إليه تبتلاً » (١) .

و قال تعالى : « واذكر اسم ربك بكرة و أصيلاً * ومن الليل و سبحه ليلاً طويلاً » (٢) .

و قال عز وجل : « و سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و ب * ومن الليل فسبحه و أديار السجود » (٣) ، « و سبح بحمد ربك حين من الليل فسبحه و إديار النجوم » (٤) .

و قال تعالى : « إن فاشئة الليل هي أشد و طأ و أقوم قبلاً »
و قال تعالى : « و من آناه الليل فسبح و أطراف النهار لعلم » (٥) .
و قال تعالى : « و أقم الصلوة طرفي النهار و زلفاً من الليل إذ أنت يذهب السيات » (٦) .

ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده و بماذا وصفهم ؟
فقال تعالى : « آمن هو قانت آناه الليل ساجداً و قائماً يحمد ويرجو رحمة ربه * قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون » (٧) .
و قال تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم لعماً » (٨) .

(١) الزمل : ٧ و ٨ . (٢) الانسان : ٢٥ و ٢٦ .

(٣) ن : ٣٩ و ٤٠ . (٤) الطود : ٤٨ و ٤٩ .

(٥) الزمل : ٦ . (٦) طه : ١٣٠ .

(٧) هود : ١١٤ . (٨) الزمر : ٩ .

(٩) السجدة : ١٦ .

وقال تعالى : « الَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سَجْدًا وَ قِيَامًا » (١) .
 وقال تعالى : « كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » (٢) .
 وقال تعالى : « فَسَبِّحْهُنَّ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ
 الْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ » (٣) أَي فُسَبِّحُوا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ .
 وقال تعالى : « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ » (٤) .
 فهذا كله يبين لك أَنَّ الطريق إِلَى اللَّهِ مِرَاقِبَةُ الْأَوْقَاتِ وَ عِمَارَتُهَا بِالْأُورَادِ عَلَى
 سَبِيلِ الدَّوَامِ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ : « أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 وَالْأُظْلَةَ لِذِكْرِ اللَّهِ » (٥) وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : « وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ » (٦) .
 وقال تعالى : « أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا
 الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا » (٧) .
 وقال تعالى : « وَالْقَمَرَ قَدَرًا مَنَازِلَ » (٨) .
 وقال تعالى : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا » (٩) .
 فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ سِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِحُسْبَانٍ مَنْظُومٌ مَرْتَّبٌ وَمِنْ خَلْقِ
 الظِّلِّ وَالنُّورِ وَالنُّجُومِ أَنْ يَسْتَعْمَانَ بِهَا عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا بَلْ لَتَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ فَتَشْتَغِلَ
 فِيهَا بِالطَّاعَاتِ وَالتَّجَارَةِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ بِذَلِكَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ خُلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا » (١٠) أَي يَخْلُفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ لِتَتَذَكَّرَ
 فِي أَحَدِهِمَا مَافَاتٍ فِي الْآخَرِ ، وَيَبَيِّنُ أَنَّ ذَلِكَ لِلذِّكْرِ وَالشُّكْرِ لَا لَغَيْرِهِ .
 وقال تعالى : « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوُونا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ

(١) الفرقان : ٦٤ . (٢) الذاريات : ١٧ و ١٨ .

(٣) الروم : ١٧ و ١٨ . (٤) الانعام : ٥٢ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٥١ من حديث ابن أبي أوفى بلفظ

« ان خيار عباد الله الى الله عز وجل الدين . . » .

(٦) الرحمن : ٥ . (٧) الفرقان : ٤٥ و ٤٦ .

(٨) يس : ٣٩ . (٩) الانعام : ٩٧ .

(١٠) الفرقان : ٦٢ .

مبصرة لتبتقوا فضلاً من ربكم ، ^(١) وإتباعاً الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة .

❖ (بيان أعداد الأوراد وترتيبها) ❖

اعلم أن أوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد ، وما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان ، وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان ، وما بين العصر إلى الغروب وردان ، والليل يقسم بأوراد أربعة : وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ، ووردان في النصف الأخير من الليل إلى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به .

فالورد الأول ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف ، ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال : « والصبح إذا تنفّس » ^(٢) وتمدحه به إذ قال : « فالتقيا لصباح » ^(٣) وقال : « قل أعوذ برب الفلق » ^(٤) وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال : « ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً » وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسييح فيه بقوله : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » وبقوله : « فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس » وقوله : « ومن آتاء الليل فسبح وأطراف النهار » وقوله : « واذا كرأسم ربك بكرة وأصيلاً » .

❖ (وأما ترتيبه) ❖

فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغي أن يبتدئ بذكر الله فيقول : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » إلى آخر ما ذكر في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالاً لأمر الله واستعانة على عبادة الله من غير قصد رياء ولا رعونة ، ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة ويدخل أولاً رجله اليسرى ويدعوبالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ، ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيًا لجميع السنة

(٢) التكوير : ١٠٠ .

(١) الاسراء : ١٢ .

(٤) الفلق : ٢ .

(٣) الانعام : ٩٦ .

و الأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنما إتماماً قدّمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه الترتيب فقط فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح أعني السنة في منزله ، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ ثم يتوجه إلى المسجد داعياً بدعاء الخروج إليه وعليه السكينة والوقار ، فيدخل المسجد مقدّماً لرجله اليمنى داعياً بدعاء الدخول فيه ، ثم يطلب الصف الأول إن وجد متسماً ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق في باب الجمعة ، ثم إن لم يكن صلى ركعتي الفجر في منزله صلاتهما وإلا صلى ركعتين للتجنية ، وجلس مشغولاً بالذكر إلى أن يقام الصلاة ، والأحب التغليس بالجماعة فقد كان ﷺ يغلس بالصبح ^(١) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فإن لها فيهما زيادة فضل وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر ، ثم يصلي الفريضة مراعيًا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقنوة ثم يقعد في المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنرتبه فقد قال ﷺ : « لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إليّ » من أن أعتق أربع رقاب ، ^(٢) و « كان ﷺ إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس » ^(٣) و روي أنه ﷺ كان فيما يذكر من رحمة ربه يقول : « إله قال : يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة و من بعد صلاة العصر ساعة كفك ما بينهما » ^(٤) فإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس ، بل ينبغي أن يكون وظيفته أربعة أنواع أدعية و أذكار يكررها في سبعة و قراءة قرآن وتفكير .

أقول : ولندكر الثلاثة الأول من طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول : فإذا فرغ من الصلاة فليبدئ بثلاث تكبيرات رافعاً بها كفيه حيال وجهه ، مستقبلاً بظهرهما وجهه و يبطنهما القبلة وهذه التكبيرات أول التعقيب ، ثم يقول : « لا إله إلا الله إلهاً واحداً و نحن له مسلمون ، لا إله إلا الله لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون ،

(١) تغليسه صلى الله عليه وآله متفق عليه ، راجع صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٩ والغلس :

ظلمة آخر الليل . (٢) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٢٩٠ في حديث .

(٣) أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٣٢ .

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد كما في المتن .

لا إله إلا الله ربنا ورب آبائنا الأولين ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده ، فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، اللهم اهدني من عندك وأفض علي من فضلك و انشر علي من رحمتك ، وأتزل علي من بركاتك ، سبحانه لا إله إلا أنت ، اغفر لي ذنوبي كلها فإنه لا يغفر الذنوب كلها جميعاً إلا أنت ، اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك و أعوذ بك من كل شر أحاط به علمك ، اللهم إني أسألك عافيتك في أموري كلها و أعوذ بك من خزي الدنيا و عذاب الآخرة و من أهوال يوم القيامة ، و أعوذ بوجهك الكريم ، و سلطتك القديم ، و عزتك التي لا ترام ، و قدرتك التي لا يمتنع منها شيء من شر الدنيا والآخرة و من شر الأوجاع كلها ، و لاحول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم توكلت على الحي الذي لا يموت و الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الدّل و كبّره تكبيراً .

ثم يسبح مسيح الزهراء عليها السلام و هو أفضل أذكار التعقيب ففي التهذيب عن الصادق عليه السلام « من سبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام قبل أن يشني رجله من صلاة الفريضة غفر له ويبدء بالتكبير » (١).

وفيه عنه عليه السلام « أنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة فالزمه فإنه ما يلزمه عبد فاشقي » (٢).

و عنه عليه السلام « تسبيح فاطمة الزهراء في دبر كل صلاة أحب إلي من صلاة ألف ركعة في كل يوم » (٣).

و عن الباقر عليه السلام « ما من عبد عبد الله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام و لو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام » (٤).

(١) المصدر ج ١ ص ١٦٤ ، و رواه الكليني في الكافي ج ٣ ص ٣٤٢ .

(٢) المصدر ج ١ ص ١٦٤ ، و في الكافي ج ٣ ص ٣٤٣ ، و مجالس الصدوق ص

٣٤٥ و نواب الاعمال باب نواب التسبيح .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٤٣ ، و التهذيب ج ١ ص ١٦٤ ، و نواب الاعمال باب نواب

التسبيح . (٤) الكافي ج ٣ ص ٣٤٣ ، و التهذيب ج ١ ص ١٦٤ .

ثم يقول عشر مرّات - وهو ممّا يختص بتعقيب الصبح - : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، ويميت ويحيي ، يده الخير وهو على كل شيء قدير » .

وعشر مرّات - وهو ممّا يختص به - « سبحان الله العظيم وبحمده ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

ومائة مرّة « ماشاء الله كان ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

ومائة مرّة « أستغفر الله ربّي وأتوب إليه » .

ومائة مرّة « أستجير بالله من النار وأسأله الجنة » .

ومائة مرّة « اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجل فرجهم » .

وعشر مرّات « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً » .

وثلاثين مرّة « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وينبغي أن يعدّ الأذكار والتسبيحات بسبحة من التربة الحسينيّة على صاحبها السلام ، ففي التهذيب بسند صحيح عن صاحب الأمر عليه السلام « أنّها أفضل شيء يسبح به وأنّ المسبح بها ينسى التسبيح ويدبر السبحة فيكتب له ذلك التسبيح » ^(١) .

ثم يقول - وهو أيضاً ممّا يختص بتعقيب الصبح - : « يا مقلب القلوب والآبصار صلّ على محمد وآله وثبت قلبي على دينك ودين نبيك صلى الله عليه وآله ولا تزغ قلبي بعد إزهديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحويل عافيتك ، ومن فجأة نكمتك ، ومن درك الشقاء ، ومن شرّ ما سبق في الكتاب ، اللهم إني أسألك بعزّة ملكك وعظيم سلطانتك ، وبشدة قوّتك على جميع خلقك أن تصلّي على محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا » .

ثم يقول : « أعيد نفسي وأهلي ومالي وولدي وإخواني وما رزقني ربّي وجميع من يعينني أمره بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً

(١) المصدر ج ٢ من ٢٧ في حديث كتاب الزاد .

أحد، و بربّ الفلق من شرّ ما خلق - إلى آخرها - و بربّ الناس ملك الناس - إلى آخرها - .

ثمّ يقرء الفاتحة و آية الكرسي إلى « هم فيها خالدون » و آية شهد الله ، و آية الملك ، و آية السخرة و آخر الكهف من « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي ، و أوّل الصافات إلى « شهاب ثاقب » و الثلاث آيات من آخرها ، و ثلاث آيات من الرحمن يا معشر الجنّ و الانس - إلى - فلا تنتصران ، و أربع آيات من آخر الحشر « لو أنزلنا هذا القرآن » ثمّ يقرء سورة التوحيد اثنتي عشرة مرة .

ثمّ يقول وهو باسط يديه : « اللهمّ إني أسألك باسمك المكنون المخزون الطهر الطاهر المبارك و أسألك باسمك العظيم و سلطانك القديم يا واهب العطايا يا مطلق الأسارى يا فكّك الرقاب من النار أسألك أن تصلّي عليّ و آل محمد ، و أن تعتق رقبتني من النار و أن تخرجني من الدنّيا آمناً و تدخلني الجنة سالماً ، و أن تجعل دعائي أوّله فلاحاً و أوسطه نجاحاً و آخره صلاحاً إنك أنت علام الغيوب » ، ثمّ يقول : « اللهمّ إني أشهدك و أشهد ملائكتك و حملة عرشك و سكّان سماواتك و أرضك و أنبياءك و رسلك و الصالحين من عبادك و جميع خلقك فاشهد لي و كفى بك شهيداً إني أشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك و أنّ محمداً و آل محمد و عبدك و رسولك ، و أنّ كلّ معبود ممتا دون عرشك إلى قرار أرضك السابعة السفلى باطل مضمحلّ ما عدا وجهك الكريم فإنّه أعزّ و أكرم و أجلّ و أعظم من أن يصف الواصفون كنه جلاله ، أو تهتدي القلوب إلى كنه عظمته ، يا من فاق مدح المادحين فخر مدحه ، وعدا وصف الواصفين مآثر حمده ، و جلّ عن مقالة الذائقين تعظيم شأنه صلّ على محمد و آل محمد و افعّل بنا ما أنت أهله يا أهل التقوى و أهل المغفرة » .

ثمّ يقول :

« سبحان الله كلّما سبح الله شيء و كما يحبّ الله أن يسبح و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه و عزّ جلاله ، و الحمد لله كلّما حمد الله شيء و كما يحبّ الله أن يحمد و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه و عزّ جلاله .

ولا إله إلا الله كلّما هلّل الله شيء و كما يحبّ الله أن يهلّل و كما هو أهله

و كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله ، والله أكبر كلما كبر الله شيءٌ و كما يحبُّ الله أن يكبر و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله ، سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر على كلِّ نعمة أنعم بها عليّ و على كلِّ أحد من خلقه ممن كان أو يكون إلى يوم القيامة ، اللهم إني أسألك أن تصلي عليّ عهد و آل عهد و أسألك خيراً أرجو و خيراً ما لا أرجو و أعوذ بك من شرِّ ما أحذر و من شرِّ ما لا أحذر .

ثمّ يقول - و هو ممّا يدعاه في المساء أيضاً - : « بسم الله خير الأسماء ، بسم الله ربّ الأرض و السماء ، بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه سمٌّ و لاداء ، بسم الله أصبحت و على الله توكلت ، بسم الله على قلبي و نفسي ، بسم الله على ديني و عقلي ، بسم الله على أهلي و مالي ، بسم الله على عطاء ربّي ، بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض و لا في السماء و هو السميع العليم ، الله الله ربّي حقّاً لا أشرك به شيئاً ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أعزّ و أجلّ ممّا أخاف و أحذر ، عزّ جارك و جل ثناؤك و تقدّست أسماؤك ، لا إله غيرك ، اللهم إني أعوذ بك من شرِّ نفسي و من شرِّ كلِّ سلطان شديد ، و من شرِّ كلِّ شيطان مرید و من شرِّ كلِّ جبار عنيد ، و من شرِّ قضاء السوء و من شرِّ كلِّ همة أنت أخذت بناصيتها إنك على صراط مستقيم ، و أنت على كلِّ شيء حفيظ ، إن وليتي ، الذي تزلّ الكتاب و هو يتولّى الصالحين ، فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو به توكلت و هوربّ العرش العظيم ، فسيفكفكم الله و هو السميع العليم ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العليّ العظيم و صلّى الله على خير خلقه عهد و آل الطاهرين . »

ثمّ يقول - و هو ممّا يدعاه في المساء أيضاً - : « أصبحت اللهم معقّصاً بذمامك ليع الذي لا يحاول و لا يطاول من شرِّ كلِّ غاشم و طارق من سائر ما خلقت من خلقك نامت و الناطق في جنّة من كلِّ مخوف بلباس سابعة ، و لاء أهل بيت نبيك عهد و آلتك عليه و عليهم محتجباً من كلِّ قاصد لي بأذنة بجدار حصين الإخلاص في إعراف بحقهم و التمسك بحبلهم موقناً بأن الحقّ معهم و فيهم و بهم ، أوالي من والوا جانب من جانبوا فصلّ على عهد و آل عهد و أعذني اللهم بهم من شرِّ ما اتقى ، يا عظيم برّ الأعداء عني بيدع السماوات و الأرض و جعلنا من بين أيديهم سدّاً و من خلفهم

سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون .

ثم يأتي بأدعية الصباح التي أوردناها في الباب الثالث من كتاب الأذكار والدعوات وغير ذلك من الأدعية المروية عن أهل البيت عليهم السلام ما قدر عليه و يراه أوفق لحاله و أرق لقلبه وأخف على لسانه فإنها كثيرة جداً ، ^(١) .

وما ذكرناه هنا من التعقيب أخذناه من روايات عديدة وليس مجتمعاً في رواية فله أن يقتصر على البعض إذا لم يتسع وقته للكل ، وإذا وجد من نفسه كلالاً فليقلعه ولا يكلفها إكمالاً من دون ميلها إليه وإقبالها عليه فإن التوجه والإقبال روح العباد والدعاء .

و يستحب أن يجلس في مصلاه بعد الفراغ من صلاة الصبح و إن لم يكن مشغولاً بالتعقيب فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « من صلى فجلس في مصلاه إلى طلوع الشمس كان له سترًا من النار » ^(٢) .

﴿فصل﴾

قال أبو حامد بعد ذكر الأدعية على طريقته : « وأما الأذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثاً أو سبعاً أو أكثر مائة أو سبعون وأوسطه عشرة فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفرضه الأكثر أكثر ، والأوسط الأقصد أن يكرررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخم الأمور أدومها وإن قل ، وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع مداوئها أفضل وأشد تأثيراً في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم مثال قطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فيحدث فيه حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق »

(١) راجع أوائل مصباح المتبجد إلى أبواب التعقيبات ، وإقبال الاعمال ، وبلد الامير أيضاً وكتاب وسائل الشيعة أبواب التعقيب ، والكافي ج ٢ ص ٣٤١ ، والتهذيب ج ١ ص ١٦٣ إلى ١٦٧ ، ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٣٣٦ إلى ٤٠٢ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ١٦٤ و ٢٧٧ .

يصبُّ دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر، ثم ذكر عشر كلمات أكثرها قريب مما ذكرناه بعد تسييح الزهراء عليها السلام من الأذكار ثم قال: «فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرّات حصل له مائة مرّة فهو أفضل من أن يكرّر ذكرًا واحدًا مائة مرّة لأن لكل واحدة من هذه الكلمات فضلاً على حياله وللقلب بكل واحد نوع منبّه وتلذذ، وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل، ثم ذكر القراءة على طريقته قريباً مما ذكرناه من الآيات.

ثم قال: «وأما الأفكار فليكن ذلك أحد وظائفه وسبأني تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربيع المنجيات ولكن مجامعه ترجع إلى فئتين أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ورتب وظائف يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتفرق بسببه همه من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين.

والفن الثاني ما ينفعه في علم المكشفة وذلك بأن يتفكر مرّة في نعم الله سبحانه وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة ليزيد معرفته بها و يكثر شكره عليها أو في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله تعالى واستغنائه ويزيد خوفه منها، ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون بعض، وإنما يستقصى ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلّا من اعتقد تعظيمه ولا ينكشف عظمة الله تعالى وجلاله إلّا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة، والذكر أيضاً يورث الأُس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأهظم، ونسبة محبة العارف إلى أُنس الذاكر من غير تمام الاستبصار نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطّلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى

أُس من كرّر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقاً من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعانية ، والعباد المواظبون على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاء به الرّسل عليهم الصلاة والسلام بالإيمان التقليدي ليس معهم من صفات الله تعالى إلا أمور جميلة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم ، والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجمال والجلال بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأنّ أحداً أحاط بكنهه جلاله وجماله فإنّ ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ولكن كلّ واحد شاهد بمقدار ما رفع له من الحجاب ، ولا نهاية لجمال الحضرة الربوبية ولا لحجبها وإنما عدد حجبها التي استحق أن تسمّى نوراً وكاد أن يظنّ الواصل إليه أنّه قد تمّ وصوله إلى الأصل سبعون حجاباً قال عليه السلام : « إنّ الله تعالى سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كلّ من أدرك بصره » ^(١) وتلك الحجب أيضاً مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرّتب تفاوت الشمس والقمر والكوكب ، ويبدو في الأوّل أصغرها ثمّ ما يليه وعليه أوّل بعض الصوفيّة درجات ما كان يظهر لـ إبراهيم عليه السلام في ترقّيه وقال : « فلما جنّ عليه الليل ، أي أظلم عليه الأمر » رأى كوكباً ، أي وصل إلى حجاب من حجب النور فعبّر عنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام المضيئة فإنّ أحاد العوام لا يخفى عليهم أنّ الرّبوبية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلّ العوام لا يضلّ الخليل عليه السلام والحجب المسمّاة أنواراً ما أريد به الضوء المحسوس بالبصر بل أريد به ما أريد بقوله تعالى والله نور السموات والأرض الآية - ولنتجاوز هذه المعاني فإنّه خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلاّ الكشف التابع للفكر الصافي ، وقلّ من يفتح له بابه والمتيسّر على بواهر الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك أيضاً ممّا يفزر فائدته ويعظم نفعه .

فهذه الوظائف الأربعة أعني الدّعاء ، والذكر ، والقراءة ، والفكر ، ينبغي أن يكون وظيفة المرید بعد صلاة الصبح بل في كلّ ورد و بعد الفراغ من وظيفة الصلوات ،

(١) من الخبر في المجلد الاول ص ٢٧١ .

فليس بعد الصلاة وطيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه وجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الله وطريق الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر ، وفرض الصبح إلى الطلوع ؛ كان رسول الله ﷺ وأصحابه يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار ، فهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به .

أقول : وسند ذكر أن تقديم ركعتي الفجر على طلوع الصبح أولى .

« المورد الثاني ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيقتان زائدتان إحدا هما صلاة الضحى .

أقول : صلاة الضحى بدعة عند أهل البيت ﷺ وشيعتهم وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار ، روى في الكافي بسند حسن عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ : « أن رسول الله ﷺ قال : صلاة الضحى بدعة » (١) .

وعن سيف بن عميرة رفعه قال : « مر أمير المؤمنين ﷺ برجل يصلي الضحى في مسجد الكوفة فغمر جنبه بالدرة وقال : نحررت صلاة الأوابين بحرك الله ، قال : فأنكرها ؟ قال : فقال : « أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى » (٢) فقال أبو عبد الله ﷺ : وكفى بإفكار علي ﷺ نهياً » (٣) .

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٥٣ .

(٢) الملق : ٩ و ١٠ .

(٣) الدرة - بالكسر : السوط الذي يضرب به . وقوله : « نحررت صلاة الأوابين الخ » أى ضيعتها والمراد نافذة الزوال وتضييعها تقديمها عن وقتها كأنه قتلها . وقوله : « فأنكرها » بصيغة التثنية والجملة استفهامية . وقوله : « فقال - الخ » أى فقال أمير المؤمنين ﷺ : صلاتك ليست بصلاة حتى لا يجوز المنع عنها كما يفهم من الآية بل هى بدعة ، ويؤيده قول الصادق ﷺ ونقله المغالطون بصورة معولة وفسروه بجاهل أشنع من تحريفهم راجع النهاية الاتيرية مادة « نحر » .

و في الفقيه عن عبد الواحد بن المختار الأنصاري عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
« سألته عن صلاة الضحى فقال : أوّل من صلاها قومك ، إنهم كانوا من الغافلين فيصلّونها
و لم يصلّها رسول الله ﷺ ، و قال : إنّ عليّاً عليه السلام مرّ على رجل و هو يصلّيها فقال
عليّ عليه السلام : ما هذه الصلاة ؟ فقال : أدعها يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليّ عليه السلام : أكون
أنهى عبداً إذا صلّى » (١) .

و روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « ما صلّى رسول الله ﷺ الضحى
قطّ ، قال : فقلت له : ألم تخبرني أنّه كان يصلّي في صدر النهار أربع ركعات ؟ قال : بلى
إنّه كان يجعلها من الثمان التي بعد الظهر » (٢) .

قال أبو حامد : « الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرى
بها العادات بكرة من عيادة مريض ، وتشجيع جنازة ، و معاونة على برّ و تقوى ، و حضور
مجلس علم ، و ما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها ، فإن لم يكن شيء من ذلك
عاد إلى الوظائف الأربع التي قدّمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر أو الصلوات
المتطوّع بها إن شاء فإنّها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست بمكروهة الآن فتصير الصلاة
قسماً خامساً من جملة وظائف هذا الوقت لمن أرادها » .

أقول : و ممّا ينبغي أن يعمل في صدر النهار التصدّق بهما تيسراً وإن كان حقيراً
ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : بكَرُوا بالصدقة فإنّ البلاء لا
يتخطّاها » (٣) .

و التمسح بماء الورد ، فعنهم عليه السلام « من مسح وجهه بماء الورد لم يصبه في ذلك
اليوم بؤس ولا فقر » (٤) .

ثمّ يتعدّى و يأتي بأدعيته و آدابه كما ذكرناه في محله .

« الورد الثالث من ضحوة النهار إلى الزوال ، والوظيفة في هذا الوقت الأقسام

(١) و (٢) المصدر ص ١٤٩ باب نوادر الصلاة تحت رقم ٤٣ و ٤٤ .

(٣) المصدر ج ٤ ص ٦ تحت رقم ٥ .

(٤) رواه الطبرسي في المكارم ص ٤٧ مرسل عن الفردوس .

الأربعة و يزيد أمران :

أحد هما الاشتغال بالكسب و تدبير المعاش و حضور السوق ، فإن كان تاجراً فينبغي أن يتجبر بصدق و أمانة ، و إن كان صاحب صناعة فينصح و شفقة ، ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ، و يقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكسب في كل يوم لوقته ، فإذا حصلت كفايته ليومه فليرجع إلى بيت ربه وليتروّد لآخرته ، فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشدّ و التمتع به أდوم ، فلا تشتغل بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل : لا يوجد المؤمن إلا في ثلاث مواطن : مسجد يعمره ، أو بيت يستره ، أو حاجة لابدّ له منها ، وقل من يعرف القدر فيما لا بدّ منه بل أكثر الناس يقدّرون فيما عنه بدّ أنه لابدّ لهم منه و ذلك لأنّ الشيطان يعدّهم الفقر و يأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه و يجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر و الله يعدّهم مغفرة منه و فضلاً فيعرضون عنه ولا يرضون فيه .

و الأمر الثاني القيلولة و هي سنة ليستعين بها على قيام الليل كما أن التسحّر سنة ليستعين به على صيام النهار فإن كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير ، و ربما خالط أهل الغفلة و يتحدث معهم فالنوم أحبّ له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرّجوع إلى الأذكار و الوظائف المذكورة إذ في النوم الصمت و السلامة ، و قد قال بعضهم : يأتي على النّاس زمان الصمت و النوم فيه أفضل أعمالهم ، و كم من عابد أحسن أعماله النوم و ذلك إذا كان يراني بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق ، قيل : كان يعجبهم إذا تفرّخوا أن يناموا طلباً للسلامة ، فإذا نومه على فصد طلب السلامة و نية قيام الليل قرينة .

أقول : و يأتي في هذا كلام عن الصادق عليه السلام عن قريب .

قال : « ولكن ينبغي أن ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء و حضور المسجد قبل وقت الصلاة فإن ذلك من فضائل الأعمال ، و إن لم ينم ولم يشتغل بالكسب و اشتغل بالصلاة و الذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنّه وقت غفلة النّاس عن الله تعالى و اشتغالهم بهموم الدّنيا فالقلب المتفرّغ بخدمة ربه عند إعراس العبيد عن بابيه جدير

بأن يزكّيه الله تعالى و يصطفيه لقربه و معرفته ، و فضل ذلك كفضل إحياء الليل فإنّ الليل وقت الغفلة بالنوم و هذا وقت الغفلة باتباع الهوى و الاشتغال بهموم الدنيا و أحد معني قوله تعالى : « و هو الذي جعل الليل والنهار خلفه » ^(١) أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل ، و الثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في الآخر .

الورد الرابع ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراحتها وهو أقصر أوراد النهار و أفضلها ، فإذا كان قد توضأ قبل الزوال و حضر المسجد فمهما زالت الشمس و ابتدأ المؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جوابه ، ثم ليقيم إلى إحياء ما بين الأذان و الإقامة فهو وقت الإظهار الذي أراد الله تعالى بقوله : « و حين تظهرون » ^(٢) .

أقول : أوّل ما يفعله عند تحقّق الزوال أن يقول ما رواه في الفقيه « أن الباقر عليه السلام علمه لمحمد بن مسلم وقال له : حافظ عليه كما تحافظ على عينيك وهو « سبحان الله ولا إله إلا الله والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدنّ و كبره تكبيراً » ثم يشرع في نافلة الزوال و يأتي في أوليها بالتكبيرات السبع الافتتاحية مع أدعيتها و يقرء فيها التوحيد والجحد و يسبح بعد كلّ ركعتين منها بتسبيح الزهراء عليها السلام ثم يقول : « اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي ، وخذ إلى الخير بناصيتي ، واجعل الإيمان منتهى رضاءي ، و بارك لي فيما قسمت لي و بلغني برحمتك كلّ الذي أرجو منك واجعل لي وداً و سروراً للمؤمنين و عهداً عندك » و يؤذن للظهر بعد الست و يفصل بين الأذان و الإقامة بالسابعة و الثامنة ، ثم يقيم ويقول بعد الإقامة : « اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة بلغّ عذراً و الحمد الدّرجة و الوسيلة والفضل والفضيلة ، بالله أستفتح وبالله أستنجح ، و بمحمد وآله أتوجه ، اللهم صل على محمد و آل محمد ، واجعلني بهم و جيباً في الدنيا والآخرة و من المقرّين » ثم يشتغل بالفريضة جماعة مراعيّاً لجميع الآداب الظاهرة و الباطنة كما قدّمناه ، فإذا فرغ منها أتى بالتعقيب كما مرّ في الصبح سوى الأذكار المختصة به و يزيد على ذلك ما شاء و ينقص ما شاء بقدر إقباله و ملاله .

« **الورد الخامس** ما بعد ذلك إلى العصر أعني إلى أن يبقى ربع النهار فإن منزلة العصر بين الزوال والغروب كمنزلة الضحى بين الطلوع والزوال » .
أقول : ويصلّي فيه من نوافل العصر أربعاً أو اثنتين .

قال : « ويستحب فيه العكوف في المسجد مشغولاً بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفاً فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سيرة السلف رحمهم الله ، كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويّاً كدويّ النحل من التلاوة ، فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمة فالبهت أفضل في حقه وإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل ، وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار ، قال بعض العلماء : ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب ، والأكل من غير جوع ، ونوم النهار من غير سهر بالليل ، والخذل في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمانية ساعات في الليل والنهار جميعاً ، فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار ، وإن نقص منه مقداراً استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرين سنة ومهما نام ثمانية ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ، ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء البدن وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه منه وقدر الاعتدال هذا ، والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلا من يتعود السهر تدريجاً فقد تمرّن نفسه عليه من غير اضطراب » .

أقول : و بما روي في هذا الباب عن أهل البيت عليهم السلام ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : « ثم نوم المتعبدين ولا تم نوم الغافلين فإن المتعبدين ^(١) من الأكياس ينامون استرواحاً وأما الغافلون فينامون استبطاراً ، قال النبي ﷺ : نمام عيني ولا ينام قلبي ، و انو بنومك تخفيف مؤوتك على الملائكة واعزل النفس عن شهواتها ، واختر بها نفسك معرفة بأنك عاجز ضعيف لا تقدر على شيء من حركاتك وسكناتك إلا بحكم الله وتقديره ، فإن النوم أخو الموت فاستدل به على الموت الذي لا يجد السبيل إلى

(١) في بعض نسخ المصدر « فان المتعبدين من الأكياس ينامون استراحة » .

الانتباه فيه والرجوع إلى إصلاح ما فاتك ، و من نام عن فريضة أو سنة أو نافلة فاتاه بسببها فذاك نوم الغافلين و سيرة الخاسرين وصاحبه مغبون ، ومن نام بعد فراغه من أداء الفرائض و السنن و الواجبات من الحقوق فذلك نوم محمود ، إني لا أعلم لأهل زماننا هذا شيئاً إذا أتوا بهذه الخصال أسلم من النوم ، لأن الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة أحوالهم و أخذوا شمال الطريق والعبد إن اجتهد أن لا يتكلم كيف يمكنه أن لا يسمع إلا ما هو مأمور به من ذلك ، وإن النوم من إحدى تلك الآيات ، قال الله عز وجل : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » وإن في كثرة آفاته وإن كان على سبيل ما ذكرناه ، وكثرة النوم تتولد من كثرة الشرب ، وكثرة الشرب تتولد من كثرة الشبع وهما يثقلان النفس عن الطاعة ويقسيان القلب عن التفكر والخشوع ، واجعل كل نومك آخر عهدك من الدنيا ، و اذكر الله بقلبك و لسانك ، وخف اطلاعه على سرّك ، واعتقد بقلبك مستعيناً به في القيام إلى الصلاة إذا انتبهت فإن الشيطان يقول لك : نم فإن لك بعد ليلاً طويلاً ، يريد تفويت وقت مناجاتك ، وأعرض حالك على ربك ، ولا تغفل عن الاستغفار بالأسعار فإن للقاتين فيه أشواقاً ، انتهى كلامه ﷺ (١).

قال أبو حامد : « وهذا الورد هو أطول الأوراد و أمتعها للعباد ، وهو أحد الأصال التي ذكرها الله تعالى إذ قال : « والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً و كرهاً وظلالهم بالغدو والآصال - الآية - » (٢) فإذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات .

الورد السادس إذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به إذ قال : « والعصر » (٣) هذا أحد معني الآية وهو المراد بالأصال في أحد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله : « وعشيّاً » (٤) وقوله تعالى : « بالعشي والإشراق » (٥) وليس في هذا الورد صلاة غير أربع ركعات من نافلة العصر أو اثنتين يصلّيها بين الأذان

(١) مصباح الشريعة الباب الرابع والاربعون .

(٢) الرعد : ١٥ . (٣) العصر : ٢ .

(٤) مريم : ١١ . (٥) سورة ص : ١٨ .

والإقامة ، ثم يصلي الفرض و يشغل بالأقسام الأربعة المذكورة في الورد الأول إلى أن يرتفع الشمس إلى رؤوس الحيطان وتصفر ، والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة ثلاثة القرآن بتدبر و تفهم ، إذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء و الفكر فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة .

الورد السابع إذا اصفرّت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل هذا الورد ، وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - الآية - » (١) و هو طرف الثاني المراد بقوله تعالى : « وأطراف النهار » (٢) فيستحب في هذا الوقت التسبيح و الاستغفار خاصة و سائر ما ذكرناه في الورد الأول ، والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحب كقوله : « استغفروا ربكم إنه كان غفاراً » (٣) ؛ « استغفروا إنه كان تواباً » (٤) ؛ « رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين » (٥) ؛ « فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين » (٦) .

فإذا سمع الأذان قال : « اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك - كما سبق - » ثم يجيب المؤذن و يشغل بصلاة المغرب ، و بغروب الشمس قد انتهى أوراد النهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله و يحاسب نفسه ، فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه أمسه فيكون مغبواً أو كان شراً منه فيكون ملعوناً ، فقد قال عليه السلام : « لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيراً » (٧) فإن رأى نفسه متوقفاً على الخير جميع نهاره ، مترقباً عن التجشّم كانت بشاره فليشكر الله تعالى على توفيقه و تسديده إياه لطريقه ، و إن تمكن الأخرى فالليل خليفة للنهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفرطه فإن الحسنات يذهبن السيئات

(٢) طه : ١٣٠ .

(١) الروم : ١٧ .

(٤) النصر : ٤ .

(٣) نوح : ١٠ .

(٦) الاعراف : ٢٥٥ .

(٥) المؤمنون : ١١٨ .

(٧) تقدم نحوه في المجلد الاول ص ١٥٠ عن الطبراني وابن عبد البر .

فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشغل بتدارك تقصيره و ليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعده طلوع و عند ذلك يغلق باب التدارك و الاعتذار فليس العمر إلا أياماً معدودة تنقضي لاحالة جملتها بانقضاء آحادها .

❖ بيان أوراد الليالي و هي خمسة ❖

الأول إذا غربت الشمس صلى المغرب و اشتغل بإحياء ما بين العشاءين ، فأخر هذا الورد غيوبة الشفق أعني الحمرة التي بغيبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقال : « فلا أقسم بالشفق » ^(١) و الصلاة فيه هي ناشئة الليل لأنه أول نشوء ساعاته و هو أن من الآناء المذكورة في قوله تعالى : « و من آناه الليل فسيبح » ^(٢) و هو صلاة الأوابين وهي المراد بقوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » ^(٣) فقد روي أنه عليه السلام سئل عن هذه الآية فقال : « الصلاة بين العشاءين ؛ ثم قال : عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها مذهب لملاغاة النهار و مهذبة لآخره » ^(٤) و الملاغات جمع ملفاة من اللغو ^(٥) .

وقال عليه السلام فيما روته عائشة : « أن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر و لا مقيم ، فتح بها صلاة الليل و ختم بها صلاة النهار ، فمن صلى المغرب و صلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة (قال الراوي : لا أدري من ذهب أو من فضة) و من صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين - أو قال : -

(١) الانشقاق : ١٦ . (٢) طه : ١٣٠ .

(٣) السجدة : ١٦ .

(٤) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية اسماعيل بن ابي زياد الشامي عن الاعشى كما في النخعي .

(٥) قال الجزري : في حديث سلمان « اياكم و ملفاة اول الليل » الملفاة مفلة من اللغو والباطل ، يريد السهر فيه فاته يمنع من قيام الليل .

أربعين سنة (١).

و روى سعيد بن جبير عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « من عكف نفسه ما بين المغرب و العشاء في مسجد جماعة لم يشكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقاً على الله أن يبني له قصرين في الجنة ، مسيرة كل قصر منهما مائة عام ، ويفرس له بينهما فراساً و طافه أهل الدنيا لوسعهم » (٢).

أقول : قد ذكر أبو حامد هذين الحديثين مع أخبار أخر في فضيلة إحياء ما بين العشاءين في الباب الثاني من هذا الكتاب ، ونحن نقصر عن سائر ما ذكره هناك بنقل عدة أحاديث من طريق الخاصة ههنا ففي الفقيه (٣) عن الباقر عليه السلام قال : « إن إبليس إنما يبت جنوده الليل من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق ، و يبت جنوده النهار من حين يطلع الفجر إلى مطلع الشمس ، و ذكر أن النبي ﷺ كان يقول : « أكثروا ذكر الله في هاتين الساعتين ، و تعوذوا بالله من شر إبليس و جنوده ، و عوذوا صغاركم في هاتين الساعتين فإنيتهما ساعتا غفلة » .

و عن الصادق عليه السلام « من صلى المغرب ثم عقب ولم يتكلم حتى يصلي ركعتين كتبته في عليين ، فإن صلى أربعاً كتبت له حجة مبرورة » (٤).

و عنه عليه السلام قال للمحارث بن المغيرة : « لاتمدح أربع ركعات بعد المغرب في سفر ولا حضروا إن طلبتك الخيل » (٥).

و عنه عليه السلام « تنفلوا في ساعة الغفلة ولو بركعتين خفيفتين فإنيهما مورثان دار الكرامة - و في خبر آخر دار السلام - و هي الجنة ، قال : و ساعة الغفلة بين المغرب

(١) رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار في كتاب الصلاة ، و رواه الطبراني في الاوسط مختصراً بسند ضعيف كما في المغنى .

(٢) لم أجده .

(٣) المصدر ص ١٣٣ باب كراهية النوم بعد الغداة .

(٤) رواه الشيخ في التهذيب ج ١ ص ١٦٧ . و الصدوق في الفقيه ص ٥٩ .

(٥) رواه الكليني في الكافي ج ٣ ص ٤٤٦ و الشيخ في التهذيب ج ١ ص ١٣٤ .

و ١٣٥ بدون قوله : « و إن طلبتك الخيل » و رواه في التهذيب أيضاً ج ١ ص ١٦٧ بتمامه .

و العشاء الآخرة،^(١).

و يقرء في الأولين الجحد و التوحيد و في الثالثة أول سورة الحديد إلى قوله : « وهو عليم بذات الصدور » وفي الرابعة آخر الحشر من قوله : « لو أنزلنا ، وهذه الأربع هي الراتبه فإن صلى اثنتين أخريين قرأ في أوليهما » وذا النون إذ ذهب مغاضباً - إلى قوله : - المؤمنين » و في الثانية « وعنده مفاتيح الغيب - إلى قوله : - في كتاب مبين » ثم يبسط يده للفقوت و يقول : « اللهم إني أسألك بمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا أنت أن تصلي علي محمد وآل محمد ، وأن تفضي حاجتي ، اللهم أنت ولي نعمتي و القادر على طلبتي ، تعلم حاجتي و أسألك بحرمة محمد وأهل بيته عليه وعليهم السلام لما قضيتها لي ، ويسأل حاجته ثم يأتي بصلاة الوصية إن شاء وهي ركعتان يقرء في أوليهما بعد الحمد الزلزال ثلاث عشرة مرة وفي الثانية التوحيد خمس عشرة مرة ، فعن النبي ﷺ « من فعل ذلك في كل ليلة راحني في الجنة و لم يحص ثوابه إلا الله »^(٢) ثم إن بقي عليه وقت إلى ذهاب الحمرة اشتغل بإكمال التعقيب و إلا بادر إلى فريضة العشاء و إن ذهب الحمرة قبل أن يصلي النوافل المذكورة أو شيئاً منها قضاها بعد العشاء فإن الفريضة بعد دخول وقت فضيلتها أولى بالتقديم .

« **الورد الثاني** يدخل بدخول وقت العشاء إلى حد نومة الناس وهو أول استحكام الظلام و قد أقسم الله تعالى به إذ قال : « و الليل و ما وسق »^(٣) أي و ما جمع من ظلمته » .

أقول : و ترتيب هذا الورد أن يبادر أولاً إلى الغرض جماعة بأدائها الظاهرة والباطنة و يطيل في قنوتها فإنه في سعة من الوقت إلا أن يشدد على المأمومين فإذا فرغ منها أتى بالتعقيبات المشتركة بين الخمس والمشتركة بين الصباح والمساء ، ثم بما يختص بالعشاء كما هو مذكور في مواضعه و منه « اللهم بحق محمد و آل محمد لا تؤمننا مكره ولا تنسنا ذكره » ، ولا تكشف عنا سترك ، ولا تحرمنا فضلك ، ولا تجعل علينا غضبك ، ولا تباعدنا من

(١) الفقيه ص ١٤٨ باب التنفل في ساعة النفلة .

(٢) مصباح المتبجد ص ٧٦ .

(٣) الانشقاق : ١٧ .

جوارك ، ولا تنقصنا من رحمتك ، ولا تنزع عنا بركاتك ، ولا تمنعنا عافيتك ، وأصلح لنا ما أعطيتنا ، وزدنا من فضلك المبارك الطيب الحسن الجميل ، ولا تغير ما بنا من نعمتك ولا تؤيسنا من روحك ولا تهتنا بعد كرامتك . ولا تفضلنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

ومنه - وهو من أدعية طلب الرزق - اللهم إنه ليس لي علم بموضع رزقي وأنا أطلبه بخطرات تخطر على قلبي ، فأجول في طلبه البلدان وأنا فيما أطلب كالحيوان ، لا أدري في سهل هو أم في أرض حزن أم في سماء أم في بر أم في بحر ، وعلى يدي من ، ومن قبل من ، وقد علمت أن علمه عندك وأسبابه بيدك ، وأنت الذي تقسمه بلطفك وتسببه برحمتك ، اللهم فصل على محمد وآل محمد ، واجعل يارب رزقك لي واسعاً ومطلبه سهلاً ومأخذه قريباً ولا تعذبني بطلب مالم تقدر لي فيه رزقاً فإنك غني عن عذابي وأنا فقير إلى رحمتك فصل على محمد وآل محمد ، وجد على عبدك بفضلك إنك ذو فضل عظيم ، وبطيل في التعقيب بشرط الإقبال ، ثم يسجد سجدة الشكر بتضرع وخشوع وإطالة ، ثم يصلي ركعتي الوتيرة جالساً يقرأ في الأولى الواقعة أو الملك ، وفي الثانية التوحيد ويدعو بعد الفراغ بما شاء وينصرف .

ولا صلاة موطئة في هذا الورد عند أهل البيت عليهم السلام سوى ما ذكرناه فما ذكره أبو حامد من الصلوات قبل العشاء وبعدها وتقديم صلاة الليل والوتر في أول الليل من مخترعات العامة وبدعهم .

روى في الفقيه ^(١) عن أبي جعفر عليه السلام قال : « كان رسول الله ﷺ لا يصلي من النهار شيئاً حتى يزول النهار فإذا زال صلى ثماني ركعات وهي صلاة الأوابين تفتح في تلك الساعة أبواب السماء وتستجاب الدعاء ، وتهب الرياح ، وينظر الله إلى خلقه فإذا فاء الفجر ذراعاً صلى الظهر أربعاً وصلى بعد الظهر ركعتين ، ثم يصلي ركعتين أخرتين ، ثم يصلي العصر أربعاً فإذا فاء الفجر ذراعاً ، ثم لا يصلي بعد العصر شيئاً حتى تروب الشمس فإذا آتت - وهو أن تغيب - صلى المغرب ثلاثاً وبعد المغرب أربعاً ثم لا يصلي

(١) المصدر من ٦١ باب صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله التي قبضه الله عليها .

شيئاً حتى يسقط الشفق ، فإذا سقط الشفق صلى العشاء ثم أوى رسول الله ﷺ إلى فراشه و لم يصل شيئاً حتى يزول نصف الليل ، فإذا زال نصف الليل صلى ثماني ركعات وأوتر في الربع الأخير من الليل بثلاث ركعات فقرأ فيهن فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ، ويفصل بين الثلاث بتسليمة ويتكلم ويأمر بالحاجة ، ولا يخرج من مصلاته حتى يصلي الثالثة التي يوتر بها ، ويقت فيها قبل الركوع ، ثم يسلم ويصلي ركعتي الفجر قبيل الفجر وعنده وبعده ، ثم يصلي ركعتي الصبح وهو الفجر إذا اعترض الفجر وأضاء حسناً ، فهذه صلاة رسول الله ﷺ التي قبضه الله عز وجل عليها .

و روي في الكافي والتهديب ^(١) بسند موثق عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه إلا أنه ذكر بعد الظهر ثمان ركعات وفي آخره : قلت : جعلت فداك ، وإن كنت أقوى على أكثر من هذا يعذبني الله على كثرة الصلاة ؟ قال : لا ولكن يعذب على ترك السنة ، يعني أن السنة لا تقتصر على ذلك فإن النبي ﷺ لم يفعل أكثر منه فمن زاد عليه فإن كان إنما يفعل ذلك لأجل أن الصلاة خير موضوع فقد أصاب وأصيب وإن كان إنما يسته سنة ويوظفه توظيفاً كالذين يصلون الضحى ويقدمون صلاة الليل في أوله يصلونها مرتين من غير أن تكون إحداها قضاء فقد أبدع واستحق ببدعته العذاب .

وفي الكافي ^(٢) بسند حسن عن الصادق عليه السلام قال : « كان رسول الله ﷺ يصلي من التطوع مثلي الفريضة ، ويصوم من التطوع مثلي الفريضة » . وفيه عنه عليه السلام « أنه سئل عن أفضل ما جرت به السنة من الصلاة ، فقال : تمام الخمسين » ^(٣) .

وفيه بسند حسن عنه عليه السلام : « أنه سئل هل قبل العشاء الآخرة وبعد ها شيء ؟ قال : لا غير أنني أصلي بعد ها ركعتين ولست أحسبهما من صلاة الليل » ^(٤) .

« المورد الثالث النوم فلا بأس أن يعد ذلك في الأوراد فإنه إذا روعيت آدابه

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٤٣ تحت رقم ٥ . والتهديب ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) و (٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ٤٤٣ تحت رقم ٣ و ٤ و ٦ .

احتسب عبادة فقد نقل « أنه إذا نام العبد على طهارة ذا كراً لله تعالى يكتب مصلية حتى يستيقظ و يدخل في شعاره ملك ، فإن تحرك في نومه فذكر الله سبحانه دعا له الملك واستغفر له » (١) .

و في الخبر « أنه إذا نام على الطهارة رفع بروحه إلى العرش » (٢) هذا في العوام فكيف في العلماء و أرباب القلوب الصافية فإنهم يكشفون بالأسرار في النوم ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح » (٣) .

﴿ وآداب النوم عشرة ﴾

الاول الطهارة والسواك ، قال ﷺ : « إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش وكانت رؤياه صادقة و إن لم ينم على طهارة قصر روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق » (٤) و هذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعاً فطهارة الباطن هو المؤثر في انكشاف حجب الغيب .

أقول: وفي الفقيه (٤) قال الصادق عليه السلام : « من تطهر ثم أوى إلى فراشه بات و فراشه كمسجده فإن ذكر أنه على غير وضوء فليقيم من دثاره و كأنه ما كان لم يزل في صلاة ما ذكر الله تعالى » .

(١) أخرجه ابن حبان من كلام ابن عمر وهكذا « من بات طاهراً بات في شعاره ملك فلما يستيقظ الا قال الملك اللهم اغفر لعبدي فلان فانه بات طاهراً » كما في المغني وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « طهروا هذه الاجساد طهركم الله فانه ليس من عبد يبيت طاهراً الا بات معه في شعاره ملك لا يتقلب ساعة من الليل الا قال : اللهم اغفر لعبدي فانه بات طاهراً » . رواه الطبراني في الاوسط واسناده حسن كما في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٢٨ .

(٢) أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد موقوفاً على أبي الدرداء والبيهقي في الشعب موقوفاً عن ابن عمرو بن العاص وروى الطبراني في الاوسط من حديث علي « مامن عبد ولا أمة تنام فتقتل نوماً الا عرج بروحه إلى العرش فالذي لا يستيقظ الا عند العرش فتلك رؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكتب » كما في المغني .

(٣) تقدم في كتاب الصوم .

(٤) المصدر من ١٢٣ باب ما يقول الرجل اذا أوى إلى فراشه .

«الثاني أن يُعَدَّ عند رأسه سواكه و طهوره و ينوي القيام للعبادة عند التيقظ و كلما ينتبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف ، و روي عنه عليه السلام : « أنه كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نومة و عند التنبيه منها » (١).

أقول : روى في الكافي بسند حسن عن الحلبي ، عن الصادق عليه السلام قال : « إن رسول الله ﷺ إذا صلى العشاء الآخرة أمر بوضوئه وسواكه فوضع عند رأسه مخمراً فيرقد ما شاء الله ، ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ويصلي أربع ركعات ، ثم يرقد ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ويصلي أربع ركعات ، ثم يرقد حتى إذا كان في وجه الصبح قام فأوتر فصلى الركنين . ثم قال : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » قلت : متى كان يقوم ؟ قال : بعد ثلث الليل » (٢).

و في صحيحة معاوية بن وهب عنه عليه السلام ما يقرب منه وزاد « فإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره في السماء ، ثم تلا الآيات من آل عمران « إن في خلق السموات والأرض ، ثم يستنُّ و يتطهر ، ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءته ركوعه ، و سجوده على قدر ركوعه ، ويركع حتى يقال : متى يرفع رأسه ؟ و يسجد حتى يقال : متى يرفع رأسه ؟ ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ، ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات و يقلب بصره - و هكذا ساق الحديث - قال : و معنى يستنُّ يستاك » (٣).

قال أبو حامد : « وقال عليه السلام : « من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى و كان نومه صدقة عليه من الله تعالى » (٤).

الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عنده فإنه لا يأمن القبض في النوم ، يقال : إن من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يتراور الأموات و يتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض : هذا المسكين مات من

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٣٨ و ٣٩ .

(٢) المصدر ج ٣ ص ٤٤٥ تحت رقم ١٣ .

(٣) التهذيب ج ١ ص ٢٣١ في حديث .

(٤) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٢٥٧ وابن ماجه تحت رقم ١٣٤٤ .

غير وصية، وذلك مستحبٌ خوفاً من موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعداً للموت لكونه مثقل الظهر بالمظالم .

أقول : و من طريق الخاصة مارواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « الوصية حقٌ على كل مسلم » ^(١) .

و عنه عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته وعقله » ^(٢) .

« الرابع أن ينام تائباً من كل ذنب ، سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه ظلم أحد ، ولا يعزم على معصية إن استيقظ ، قال عليه السلام : « من أوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفرله ما اجترم » ^(٣) .

« الخامس أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه فكان بعض السلف يكره التمهيد و يرى ذلك تكلفاً للنوم ، وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً ويقولون : « منها خلقنا وإليها نرد » و كانوا يرون ذلك أرقاً لقلوبهم و أجدر لتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد .

« السادس أن لا ينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة ، و أكلمهم فاقة ، و كلامهم ضرورة ولذلك وُصفوا بأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، فإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينبه حتى يعقل ما يقول ، كان ابن عباس يكره النوم قاعداً .

وفي الخبر « لا تكابدوا الليل » ^(٤) وقيل لرسول الله ﷺ : « إن فلانة تصلي بالليل

(١) المصدر ج ٧ ص ٣ تحت رقم ٤ .

(٢) الفقيه باب ٧٩ ص ٥٢١ .

(٣) أخرجه ابن عساكر عن أنس هكذا « من أصبح و هو لا يهيم بظلم أحد غفر له ما اجترم » وسنده ضعيف كما في الجامع الصغير ، وأخرجه ابن أبي الدنيا هكذا في كتاب النية .

(٤) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس كما في المعنى وللطبراني في الكبير بلفظ « لا تقابلوا هذا الليل » .

فإذا غلبها النوم تعلّفت بجعل ، فنهى عن ذلك ،^(١)

وقال عليه السلام : « ليصل أحدكم من الليل ما يتيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد ،^(٢)

وقال عليه السلام : « تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يملّ حتى تملّوا ،^(٣)

وقال عليه السلام : « خير هذا الدين أسره ،^(٤) وقيل له : إن فلاناً يصلي ولا ينام ،
ويصوم ولا يخطر ، فقال : لكنني أصلي وأنام وأصوم وأفطر ، هذه سنتي فمن رغب عنها
فليس مني ،^(٥)

وقال عليه السلام : « لاتشادوا هذا الدين فإنه متين ، فمن يشاد به يغلبه فلا يبغيض إلى
نفسك عبادة الله سبحانه ،^(٦)

السابع أن ينام مستقبل القبلة ، والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر
وهو المستلقى على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة ، والثاني استقبال
اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على الشق
الأيمن ، .

أقول : روي في الكافي بسند صحيح عن أحمد بن إسحاق قال : « قلت لأبي محمد يعني
الحسن العسكري عليه السلام : جعلت فداك إني مغتّم يصيدني في نفسي وقد أردت أن أسأل
أباك عليه السلام فلم يقض لي ذلك ، فقال : وما هو يا أحمد ؟ فقلت : روي لنا عن آباءك عليهم السلام

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ١٨ ، وصحيح مسلم ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) أخرجه مسلم نحوه ج ٢ ص ١٨٩ .

(٣) أخرجه البخاري ج ٢ ص ٦٥ . ومسلم ج ٢ ص ١٨٨ . وفي السنن الكبرى للبيهقي
ج ٣ ص ١٧ ومسندي أبي عوانة ج ٢ ص ٢٩٨ ، ونقل عن الشيخ أبي بكر الاسماعيلي أنه قال :
قال فيه بعضهم : لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل ، والله عز وجل لا يوصف بالملال لكن
الكلام يخرج مخرج المحاذاة للفظ باللفظ وذلك شائع في كلام العرب .

(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده من حديث مجتن بن ادرع ص ١٨٣ .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير وفيه بشر بن نير وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد

ج ٢ ص ٢٥٩ . وليس فيه قوله : « هذه سنتي الخ » .

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٣ ص ١٩ بلفظ آخر . وفي صحيح البخاري

مثله ، وفي الكافي ج ٢ ص ٨٧ أيضاً مثل ما في السنن .

أنَّ نوم الأنبياء ﷺ على أفقيتهم ، و نوم المؤمنين على أيمانهم ، و يوم المنافقين على شمائلهم ، و نوم الشياطين على وجوههم ؛ فقال ﷺ : كذلك هو ، فقلت : يا سيدي فإني أجهد أن أنام على يميني فلا يمكنني ولا يأخذني النوم عليها ، فسكت ساعة ثم قال : يا أحمد أدن مني فدنوت ، فقال : أدخل يدك تحت ثيابك فأدخلتها فأخرج يده من تحت ثيابه فمسح بيده اليمنى على جانبي الأيسر ، وبيده اليسرى على جانبي الأيمن ثلاث مرات ، قال أحمد : فما أقدر أن أنام على يساري منذ فعل ﷺ ذلك بي ولا يأخذني عليها نوم أصلاً ، (١) .

وينبغي أن يتوسد يمينه كما يستفاد من صحيحة محمد بن مسلم (٢) قال : قال لي أبو جعفر ﷺ : « إذا توسد الرجل يمينه فليقل : « بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم إني أسلمت نفسي إليك - الدعاء - » (٣) وقد مر في أواخر كتاب الدعوات .
« الثامن الدعاء عند النوم » .

أقول : وقد مر ذكره ، وفي الكافي عن النبي ﷺ « من قرأ هذه الآية : « قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إلهم واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (٤) سطع له نور إلى المسجد الحرام حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له » (٥) .

وفيه عن الصادق ﷺ « ما من عبد قرأ آخر الكهف حين ينام إلا استيقظ في الساعة التي يريد » (٦) . وهذا من الأسرار العجيبة المجرّبة التي لا شك فيها وليقرأ آية

(١) الكافي ج ١ ص ٥١٣ في حديث تحت رقم ٢٧ .

(٢) الفقيه ص ١٢٣ باب ما يقول الرجل إذا أوى إلى فراشه ، ورواه البخاري ومسلم

وأحمد في ج ٤ ص ٢٨٥ عن البراء بن عازب .

(٣) بقية الدعاء « ووجه وجهي إليك و فوضت أمري إليك و ألجأت ظهري

إليك و توكلت عليك رهبة منك و رغبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت و برسولك الذي أرسلت » ثم سبج تسبيح الزهراء عليها السلام .

(٤) الكهف : ١١٠ .

(٥) الخبر رواه أيضاً الصدوق في الفقيه ص ١٢٤ ، والشيخ في التهذيب ج ١ ص ١٨٥ .

(٦) الكافي ج ٢ ص ٥٤٠ .

الكرسي و خواتيم البقرة و التكاثر و الجعد و التوحيد كما ورد في الأخبار المعتبرة .
« التاسع » أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة و التيقظ نوع بعث قال الله تعالى :
 « الله يتوفى الأنفس - الآية - » سماها توفيا كما أن المتيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب
 أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه و مثل النوم
 بين الحياة و الموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة ، و قال لقمان لابنه : « يا بني إن
 كنت تشك في الموت فلا تنم ، فكما أنك تنام كذلك تموت و إن كنت تشك في البعث
 فلا تنبّه فكما أنك تنبّه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك » . و قال كعب الأحمري :
 إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن و استقبل القبلة بوجهك فاتها وفاة . و قالت عائشة :
 « كان رسول الله ﷺ آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى
 أنه ميت في ليلته تلك : « اللهم رب السماوات السبع - الدعاء - » ^(١) فحق العبد أن
 يفتش عن قلبه عند نومه أنه على ما ذا ينام و ما الغالب عليه حب الله تعالى و حب لقائه
 أو حب الدنيا ؟ وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه و يحشر على ما يتوفى عليه
 فإن المرء مع من أحب و مع ما أحب .

العاشر الدعاء عند التنبّه فليقل في تيقظاته و تقلباته مهما تنبّه ما كان يقوله
 رسول الله ﷺ : « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز
 الغفار » ^(٢) وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى و أول ما
 يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ، ولا يلزم القلب في هاتين
 الحاليتين إلا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فاتها علامة تكشف عن باطن القلب
 و إنما استحسنت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ ليقوم قال :
 « الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا و إليه النشور » ^(٣) إلي آخر ما أوردناه من أدعية
 التيقظ .

(١) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٢١ بادننى اختلاف .

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٢٠٤ .

(٣) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٦٠٧ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٤ .

أقول : و ينبغي أن يسجد أول ما ينتبه ثم يأتي بهذا الذكر لما روي « أن النبي ﷺ كان إذا انتبه من نومه سجد » (١).

وفي التهذيب عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون » قال : كان القوم ينامون ولكن كلما اقلب أحدهم قال : الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » (٢).

الورد الرابع يدخل بمضي النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الوجود والهجوم وهو النوم وهذا وسط الليل ، ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار ، وبه أقسم الله سبحانه فقال : « و الليل إذا سجد » (٣) أي إذا سكن وسكونه وهدوءه في هذا الوقت ، فلا تبقى عين إلا نائمة (٤) سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل : « إذا سجد » إذا امتد وطال ، وقيل : إذا أظلم ، وسئل رسول الله ﷺ أي الليل أسمع ؟ فقال : جوف الليل ، (٥) و قال داود عليه السلام : إلهي إني أحب أن أتعبد لك فأني وقت أفضل ؟ فأوحى الله تعالى إليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فأنته من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلوبي وأخلوبك و ارفع إلي حوائجك .

وسئل رسول الله ﷺ أي الليل أفضل ؟ فقال : نصف الليل الغابر ، (٦) يعني الباقي ، ومن آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن و نزول الجبار إلى السماء الدنيا (٧) وغيرها من الأخبار .

(١) مرفى المجلد الاول . (٢) المصدر ج ١ ص ٢٣١ ، والاية في سورة

الذاريات : ١٧ . (٣) الضحى : ٣ .

(٤) يعني لا تبقى عين في بلدنا وحوالينا الا وقد نامت والا أمر الليل والنهار لكل

قوم نسبي لان الشمس لاتزال تغرب على قوم وتطلع على آخرين .

(٥) أخرجه البيهقي في السنن ج ٣ ص ٤ من حديث عمرو بن عبسة .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ١٧٨ من حديث أبي ذر و زاد بعد قوله :

« الغابر » « أو نصف الليل وقيل فاعله » وهي في بعض طرق حديث عمرو بن عبسة راجع مسند أحمد ج ٤ ص ١١١ . ويأتي نظيره عن الكافي .

(٧) مر سابقاً أنه معروف مع كلام المؤلف فيه .

و ترتيب هذا الورد بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضاً وضوءاً كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويستقبل القبلة ويقول
أقول : ولندكر الأذكار والأدعية والوقت والصلوات على طريقة أهل البيت عليهم السلام
فنقول :

روى في الكافي بسند حسن عن الباقر عليه السلام قال : « إذا قمت بالليل فانظر في آفاق السماء وقل : « اللهم إني لا يوارى عنك ليلٌ ساج ، ولا سماء ذات أبراج ، ولا أرض ذات مهادر ، ولا ظلمات بعضها فوق بعض ، ولا بحرٌ لجيٌ تدلج بين يدي المدلج من خلقك ، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، غارت النجوم و نامت العيون و أنت الحي القيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ، سبحان الله رب العالمين و إله المسلمين ، و الحمد لله رب العالمين » ثم اقرأ الآيات الخمس من آل عمران « إن في خلق السموات والأرض و اختلاف الليل والنهار - إلى - إنك لا تخلف الميعاد » (١).

و ينبغي أن يتأسى بالنبي صلى الله عليه وآله في الاستياك و الرقود و القيام و قلب البصر إلى السماء وغيرها كما مر في روايتي الحلبي وابن وهب .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام : « إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي ويدعو الله فيها إلا استجاب له في كل ليلة ، قيل فأيّة ساعة من الليل هي ؟ قال : إذا مضى نصف الليل إلى الثلث الباقي ، و في رواية أخرى صحيحة أيضاً « إذا مضى نصف الليل في السدس الأول من النصف الثاني » و في ثالثة ما بين نصف الليل إلى الثلث الباقي ، (٢).
و هذه الساعة و إن روتها العامة إلا أنهم لم يعرفوها كما اعترفوا به و نحن بحمد الله عرفناها بتعريف أهل البيت عليهم السلام وفقنا الله لإدراكها .

فإذا توضأ وتطهر فليجلس مستقبل القبلة ويدعو بدعاء زين العابدين عليه السلام الذي كان يدعو به في جوف الليل « إلهي غارت نجوم سمائك ، و نامت عيون أنامك ، و هدأت أصوات عبادك و أنعامك ، و غلقت الملوك عليها أبوابها ، و طاف عليها حر أسها ، و احتجبوا

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٤٥ في حديث تحت رقم ١٢ وفي الفقيه ص ١٢٧ مثله .

(٢) راجع الكافي ج ٣ ص ٤٤٧ ، والتهذيب ج ١ ص ١٦٨ .

عَمَّنْ يَسْأَلُهُمْ حَاجَةً ، أَوْ يَنْتَجِعُ مِنْهُمْ فَائِدَةً ، وَأَنْتَ يَا إِلَهِي حَيٌّ قَيُّومٌ ، لَا تَأْخُذُكَ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، وَلَا يَشْغَلُكَ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ ، أَبْوَابُ سَمَائِكَ لِمَنْ دَعَاكَ مَفْتُحَاتٌ ، وَخَزَائِنُكَ غَيْرُ مَغْلُوقَاتٍ ، وَأَبْوَابُ رَحْمَتِكَ غَيْرُ مَحْجُوبَاتٍ ، وَفَوَائِدُكَ لِمَنْ سَأَلَكَهَا غَيْرُ مَحْظُورَاتٍ بَلْ هِيَ مَبْذُولَاتٌ ، إِلَهِي أَنْتَ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا تَرُدُّ سَائِلًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ سَأَلَكَ ، وَلَا تَمْتَحِبُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَرَادَكَ ، لَا وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ ، لَا تَمُخِّتُ حَوَائِجَهُمْ دُونَكَ ، وَلَا يَقْضِيهَا أَحَدٌ غَيْرَكَ ، اللَّهُمَّ وَقْدَتْرَى وَقُوفِي وَذَلِّ مَقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَتَعْلَمُ سِرِّي وَتَطْلُعُ عَلَى مَا فِي قَلْبِي ، وَمَا تَصْلُحُ بِهِ أَمْرَ آخِرَتِي وَدِيَارِي اللَّهُمَّ إِنْ ذَكَرْتُ الْمَوْتَ وَهَوْلَ الْمَطْلَعِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْكَ نَغْصَنِي مَطْعَمِي وَمَشْرَبِي وَأَغْصَنِي بِرِيقِي وَأَقْلَقْنِي عَنْ وَسَادِي وَمَنْعَنِي رِقَادِي ، كَيْفَ يَنَامُ مَنْ يَخَافُ مَلِكَ الْمَوْتِ فِي طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَطَوَارِقِ النَّهَارِ ، بَلْ كَيْفَ يَنَامُ الْعَاقِلُ وَ مَلِكُ الْمَوْتِ لَا يَنَامُ بِاللَّيْلِ وَلَا بِالنَّهَارِ ، وَيَطْلُبُ رُوحَهُ بِالْبَيَاتِ فِي آثَاءِ السَّاعَاتِ .

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْجُدُ بَعْدَ هَذَا الدُّعَاءِ يَلْصُقُ خَدَّهُ بِالتُّرَابِ وَهُوَ يَقُولُ : «أَسْأَلُكَ الرُّوحَ وَالرَّاحَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَالْعَفْوَ عَنِّي حِينَ أَلْقَاكَ» (١) .

ثُمَّ يَقْتَتِحُ صَلَاةَ اللَّيْلِ وَيَأْتِي فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى بِالتَّكْبِيرَاتِ السَّبْعِ مَعَ أَدْعِيئِهَا وَيَقْرَأُ فِيهَا بِالتَّوْحِيدِ مَرَّةً أَوْ ثَلَاثِينَ مَرَّةً ، وَفِي الثَّانِيَةِ الْجُحْدَ ، وَفِي السَّادَةِ الْبَاقِيَةَ السُّورَ الطُّوْلَ عَلَى قَدْرِ الْوَقْتِ فَإِنْ ضَاقَ اقْتَصَرَ عَلَى الْحَمْدِ وَإِنْ ضَاقَ عَنْ جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ اقْتَصَرَ عَلَى ثَلَاثِ رُكْعَاتٍ الْوُتْرُورَ كَعَتِي الْفَجْرَ وَيَقْضِي الْبَاقِي ، وَیَقْنَتُ فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ بِمَا شَاءَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ .

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «أَطْوَلُكُمْ قَنُوتًا فِي دَارِ الدُّنْيَا أَطْوَلُكُمْ رَاحَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢) وَيَفْصَلُ كُلَّ رُكْعَتَيْنِ وَأَخِيرَةَ الْوُتْرِ بِتَسْلِيمَةٍ ، وَالْأُولَى أَنْ يَأْتِيَ بَعْدَ التَّسْلِيمِ بِذِكْرِ دُعَاءٍ لِيَسْتَرِيحَ وَيَزِيدَ نَشَاطَهُ لِلصَّلَاةِ فَيَقُولُ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَلَمْ يُسَأَلْ مِثْلُكَ أَنْتَ مُوَضَّعٌ مَسْأَلَةَ السَّائِلِينَ وَمُنْتَهَى رَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ أَدْعُوكَ وَلَمْ يَدْعُ مِثْلَكَ ، وَ أَرْغَبُ إِلَيْكَ وَلَمْ يَرْغَبْ إِلَيَّ مِثْلَكَ ، أَنْتَ مُجِيبُ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أَسْأَلُكَ بِأَفْضَلِ الْمَسَائِلِ وَأَنْجِهَا

(١) مصباح المتعبد ص ٩٢ .

(٢) رواه الصدوق في الفقيه ص ١٢٩ تحت رقم ٢ وزادني آخره «في الموقف» .

وأعظمها يا الله يارحم يا رحيم وبأسمائك الحسنى وأمثالك العليا ونعمك التي لا تحصى وبأكرم أسمائك وأحبها إليك وأقربها منك وسيلة وأشرفها عندك منزلة وأجزلها لديك ثواباً وأسرعها في الأمور إجابة وباسمك المكنون الأكبر الأعز الأجل الأعظم الأكرم الذي تحبه وتهواه وترضى به عمن دعاك واستجبت له دعاءه وحق عليك أن لا ترد سائلك ، وبكل اسم هو في التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم ، وبكل اسم دعاك به حملة عرشك وملائكتك وأنبيائك ورسلك وأهل طاعتك من خلقك أن تصلى على محمد وآل محمد ، وأن تعجل فرج وليك ، وتعجل خزي أعدائه وأن تفعل بي كذا وكذا . ثم يسبح تسبيح الزهراء عليها السلام ، ويدعو بعده بما شاء ، ويسجد سجدة الشكر ، ثم يقوم إلى الركعتين أخريين ويقرأ في ثلاث الوتر بالتوحيد أو في الأولين بالمعوذتين وفي الثالثة التوحيد والجمع بين الثلاث في الثالثة أفضل ويطيل القنوت فيها باكباً أو متباً كياً ، ويستغفر فيها سبعين مرة أو مائة ، ويدعو للمؤمنين والمؤمنات ويستغفر لهم ، ويدعو بعد الرفع من الركوع بالمأثور ، وبعد الفراغ منها بدعاء الحزين المنقول عن سيد العابدين عليه السلام (١) .

قال أبو حامد : « وقد صح في صلاة رسول الله ﷺ بالليل أنه صلى أولاً ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم ، لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة » (٢) .

الورد الخامس السدس الأخير من آخر الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى : « وبالأسحار هم يستغفرون » (٣) قيل : « يصلون لما فيها من الاستغفار » .

أقول : وفي الصحيح عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام قال : سمعته يقول « في قول الله عز وجل : « وبالأسحار هم يستغفرون » : في الوتر في آخر الليل سبعين مرة » (٤) .

(١) راجع في جميع أدعية الليل وصلاته مصباح التهجد للشيخ الطوسي - رحمه الله - ص ٩١ إلى ١٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٨٣ من حديث زيد بن خالد الجهني .

(٣) الذاريات : ١٨ .

(٤) علل الشرايع ج ٢ ص ٥٣ ، والتهذيب ج ١ ص ١٧٢ .

وفي الصحيح عنه عليه السلام قال : « من قال في وتره إذا أوتر : « أستغفر الله وأتوب إليه » سبعين مرة وواظب على ذلك حتى يمضي سنة كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار ووجب له المغفرة من الله عز وجل » (١) .

وفي الصحيح عنه عليه السلام قال : « استغفر الله في الوتر سبعين مرة تنصب يدك اليسرى وتعد باليمنى الاستغفار ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر الله في الوتر سبعين مرة ويقول : « هذا مقام العائذ بك من النار » سبع مرات » (٢) .

وفي الصحيح عنه عليه السلام قال : « القنوت في الوتر الاستغفار وفي الفريضة الدعاء » (٣) .

وفي الصحيح عن الرضا عليه السلام « أنه سئل عن ساعات الوتر فقال : أحبها إلي الفجر الأول ، وسئل عن أفضل ساعات الليل ، فقال : الثلث الباقي » (٤) .

وعن الباقر عليه السلام في قوله عز وجل : « ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم » (٥) هو الوتر آخر الليل .

وسأل مرازم الصادق عليه السلام « متى أصلي صلاة الليل ؟ فقال : صلها آخر الليل » (٦) . ولنرجع إلى كلام أبي حامد قال : « وهو يقارب الفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار ، وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره : فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم ، قال سلمان : نم فنام ، ثم ذهب ليقوم فقال له : نم فنام ، فلما كان عند الصبح قال له سلمان : قم الآن فقاما فصليا ، فقال : إن لنفسك عليك حقا وإن لضيفك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه »

(١) الفقيه ص ١٢٩ . والحاسن ص ٥٣ .

(٢) الفقيه ص ١٢٩ تحت رقم ٧ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٤٠ بتقديم وتأخير ، وفي التهذيب ج ١ ص ١٧٢ والفقيه ص

١٣٠ كافي السن .

(٤) التهذيب ج ١ ص ٢٣٢ في حديث .

(٥) الآية في سورة الطور : ٤٩ . والخبر رواه الطبرسي ذيل الآية .

(٦) التهذيب ج ١ ص ٢٣١ .

و ذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال : فأتيا رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال ﷺ : صدق سلمان ، (١) .

و هذا هو الورد الخامس و فيه يستحب السجود و ذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردتين الصلاة فإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخل أوراد النهار فيقوم فيصلي ركعتي الفجر .

أقول : أفضل أوقات هاتين الركعتين ما بين الفجرين ولذا تسميان بالدرستين لدمسهما في صلاة الليل .

وفي الصحيح عن الرضا عليه السلام : « احش بهما صلاة الليل » (٢) .

وفي الحسن « سئل الصادق عليه السلام أين موضعهما ؟ قال : قبل طلوع الفجر فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداة » (٣) .

وفي رواية أخرى صحيحة عنه عليه السلام « أنهما قبل الفجر ، أنهما من صلاة الليل ثلاث عشرة ركعة صلاة الليل أريد أن تقاس ؟ لو كان عليك شهر رمضان أكنت تتطوع ؟ إذا دخل عليك وقت الفريضة فابده بالفريضة » (٤) .

وينبغي إذا فرغ منهما أن يضطجع على يمينه مستقبل القبلة كالمحود ويضع خده الأيمن على يده اليمنى ويقرأ الخمس آيات من آخر آل عمران إلى « إنك لا تخلف الميعاد » ويقول : استمسكت بعروء الله الوثقى التي لا انفصام لها ، واعتصمت بحبل الله المتين ، وأعوذ بالله من شر فسقة العرب والعجم ، آمنت بالله ، وتوكلت على الله ، ألجأت ظهري إلى الله ، وفوضت أمري إلى الله ، من يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً ، حسبي الله ونعم الوكيل ، اللهم من أصبح وحاجته إلى مخلوق فإن حاجتي و رغبتى إليك ، الحمد لرب الصباح ، الحمد لفالق الصباح - ثلاثاً -

(١) أخرجه البخارى ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ١٧٣ ، والاستبصار ج ١ ص ٢٨٣ و « احش » بالحاء المهملة

والشين المعجمة على صيغة الامر من حشا القطن فى الشيء جملة فيه .

(٣) و (٤) التهذيب ج ١ ص ١٧٢ ، والاستبصار ج ١ ص ٢٨٣ .

« رواه » ، سليمان بن خالد في الصحيح عن الصادق عليه السلام ، (١) .
و ينبغي أن يدعو بعد ذلك بدعاء الصحيفة السجارية الذي كان عليه السلام يدعو به
بعد صلاة الليل .
وفي التهذيب عن الهادي عليه السلام قال : « إيتاك والنوم بين صلاة الليل والفجر ولكن
ضجعة بلا نوم فإن صاحبه لا يُحمد على ما قدم من صلاته » (٢) .

﴿فصل﴾

قال أبو حامد : « فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ، أن يجمعوا مع
ذلك في كل يوم بين أربعة أمور : صوم ، و صدقة وإن قلت ، و عيادة مريض ، وشهود
جنازة ، وفي الخبر « من جمع بين هذه الأربعة في يوم غفر له » وفي رواية دخل الجنة ، (٣)
فإن اتفق بعضها وعجز من الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته ، وكانوا يكرهون
أن ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة أو بصلة أو بكسرة خبز لقوله عليه السلام : « الرجل
في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » (٤) ولقوله : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » (٥) وكانوا
لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ما سأله أحد فقال : لا (٦)
لكنه إن لم يقدر عليه سكت ، وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده
صدقة - يعني المفصل - وفي جسده ثلاثمائة وستون مفصلاً فأمر بك بالمعروف صدقة ، ونهيك
عن المنكر صدقة ، وحملك عن الضيف صدقة ، وهدايتك إلى الطريق صدقة ، وإماطتك
الأذى عن الطريق صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل » (٧) .

(١) و (٢) التهذيب ج ١ ص ١٧٤ .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن ج ٤ ص ١٨٩ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١٤٧ والحاكم في المستدرک ج ١ ص ٤١٦ .

(٥) أخرجه البخاري ج ٢ ص ١٢٩ و ١٣٠ ، والبيهقي في السنن ج ٤ ص ١٧٦ .

(٦) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٧٤ .

(٧) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٦٥٠ والبيهقي في السنن ج ٤ ص ١٨٨ عن البخاري ومسلم .

﴿ بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال ﴾

اعلم أن المرید لحرق الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فإنّه إمّا هابط أو عالم أو متعلّم ، وإمّا وال أو محترف أو موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره .
الاول العابد وهو المتجرّد للعبادة الذي لا يشغل له أصلاً ولو ترك العبادة لجلس بطألاً ، فترتيب أوراده ما ذكرناه ، نعم لا يبعد أن يختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر الأوقات إمّا في الصلاة أو في القراءة أو التسيّحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسيّحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفاً وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة إلى ألف وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليّلة ، وكان بعضهم أكثر ورده القرآن ، وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرّة وروي مرّتين عن بعضهم ، وكان بعضهم يقضي اليوم أو الليّلة في التفكّر في آية واحدة يردّها ، وكان كرزبن وبرة مقبلاً بمكة فكان يطوف في كلّ يوم سبعين أسبوعاً وفي كلّ ليلة سبعين أسبوعاً وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليّلة مرّتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كلّ أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ .

أقول : قد عرفت فيما سبق أن كثرة تلاوة القرآن وعجلته على هذا النحو مذموم .
وفي الفقيه عن الحذاء ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » قال : لعلك ترى أن القوم لم يكونوا ينامون ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : لا بدّ لهذا البدن أن تريعه حتّى يخرج نفسه فإذا خرج النفس استراح البدن ورجعت الروح فيه وفيه قوة على العمل فإنما ذكر كم الله تعالى فقال : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » يدعو ربهم خوفاً وطمعا ، انزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه من شيعةنا ينامون في أول الليل فإذا ذهب ثلثا الليل أو ما شاء الله فزعوا إلى ربهم راغبين راغبين طامعين فيما عنده فذكروهم الله عزّ وجلّ في كتابة لنيته وأخبره بما أعطاهم وأنه أسكنهم في جواره وأدخلهم جنّته وآمن خوفهم وآمن روعتهم ، قلت : جعلت فداك إن أنا قمت آخر الليل أيّ شيء أقول إذا قمت ؟ فقال : قل : « الحمد لله ربّ العالمين وإله المرسلين

الحمد لله الذي يحيي الموتى و يبعث من في القبور ، فإنك إذا قلتها ذهب عنك رجز الشيطان ووسواسه إن شاء الله تعالى ، (١) .

وفي الفقيه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إني لأمت الرجل يأتيني فيسألني عن عمل رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : أزيدك أنه يرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قصر في شيء ، (٢) . قال أبو حامد : « فإن قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد ؟ فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما يعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ، ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به ، فليتنظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيراً فيه فليوافظ عليه فإذا أحسّ بملالة منه فلينتقل إلى غيره و لذلك ترى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كما سبق والانتقال من نوع منها إلى نوع لأن الملل هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد أيضاً في ذلك يختلف ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبّع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلاً فأحسن لها وقعاً في قلبه فليوافظ على تكرارها مادام يجدها وقعاً .

الثاني العالم الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد فإنه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدة لها لاحالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات وروايتها وبدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والعلم في كتاب العلم ، وكيف لا ؟ وفي العلم المواظبة على ذكر الله وتأمّل ما قاله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ، و ربّ مسألة واحدة يتعلّمها المتعلّم فينصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلّم لكان سعيه ضائعاً ، وإنما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا أو العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذ تعلّموها على قصد الاستعانة به على السلوك ، دون العلوم التي

(١) المصدر ص ١٢٧ تحت رقم ٦ .

(٢) مر الخبر سابقاً .

تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضاً فإن استغرق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمل الطبع فينبغي أن يخص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علماً لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفتن للمشكلات، ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا تتركها إلا في وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان، وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة، وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة، وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فإن المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرت بالعين وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما بالليل فأحسن قسمة فيه قسمة الشافعي إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول، وثلثاً للصلاة وهو الوسط، وثلثاً للنوم وهو الأخير.

أقول: بل الأولى أن ينام النصف الأول من الليل ويستيقظ النصف الأخير أو بعد مضي الثلثين فإن أواخر الليل وسيما السحر أصفى وأشد بركة وكذلك كان بفعله رسول الله ﷺ في الأكثر وكان يرقد في أول الليل بعد العشاء الآخرة كما مر وأول النصف الآخر هو الساعة التي يستجاب فيها الدعاء كما مضى وفي الثلث الأخير ينزل الملك إلى السماء الدنيا كل ليلة كما مر ذكره.

قال أبو حامد: « وهذا يتيسر في ليالي الشتاء وفي الصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحب من ترتيب أوراد العالم.

الثالث المتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه

حكم العالم في ترتيب الأوراد ، لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة ، وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ، وترتيب أوقاته كما ذكرناه ، وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلماً على معنى أنه يعلّق ويحصّل ليصير عالماً بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الاوقات ففي حديث أبي ذر أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعبادة ألف مريض وقال عليه السلام : « إذا رأيتم رياض الجنة فارتموا فيها قبيل : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ فقال : خلق الذكر ، (١) .

أقول : وفي الفقيه قال النبي صلى الله عليه وآله : « يا دروا إلى رياض الجنة قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : خلق الذكر ، (٢) .

وفي الكافي مرفوعاً قال : قال لقمان لابنه : يا بني اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فإن تكن عالماً تنفعك علمك وإن تكن جاهلاً علموك ولعل الله أن يظلمهم برحمته فتعمك معهم ، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم ، فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك ، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً ، ولعل الله أن يظلمهم بمعوبته فتعمك معهم ، (٣) .

و المراد بالذكر العلم النافع كما دل عليه الحديث الثاني ، وفي القرآن « فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » ، (٤) .

وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام « لمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة » ، (٥) .

قال أبو حامد : « وعلى الجملة فما ينحل من القلب من عقدة من عقد حب الدنيا

(١) مر الحديث آنفاً عن ابي داود وغيره .

(٢) المصدر ص ٥٨٨ ورواه الصدوق في معاني الاخبار ص ٣٢١ .

(٣) المصدر ج ١ ص ٣٩ .

(٤) النحل : ٤٣ .

(٥) المصدر ج ١ ص ٣٩ .

بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب على حب الدنيا.

الرابع المحترف الذي يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ، ولكن ينبغي أن لا ينسى الله تعالى في صناعته ، بل يواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل ، وإنما لا يمكن مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناطوراً^(١) فإنه لا يعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ، ثم مهما فرغ عن كفايته فينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد ، فإن داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التي ذكرناها لأن العبادة المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تفر به إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب إليه بركة دعوات المسلمين فيتضاعف به الأجر .

أقول : ومن طريق الخاصة مارواه في الكافي عن الباقر عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال »^(٢) .

و عن الصادق عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : ملعون من ألقى كله على الناس »^(٣) .

الخامس الوالي مثل الإمام أو القاضي أو المتولي للنظر في أمور المسلمين بقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهائراً ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل .

أقول : هذا إنما يصح إذا كان أحد الثلاثة جديراً بمنصبه و بحق ارتكبه وأما إذا كان جائراً وكان من قبل أئمة الجور فهو طاغوت ، روى في الكافي عن الصادق عليه السلام

(١) الناطور والناطور - بالاعجام والاهمال - حافظ الكرم أو الزرع .

(٢) المصدر ج ٥ ص ٧٨ تحت رقم ٦ .

(٣) المصدر ج ٥ ص ٧٢ تحت رقم ٧ .

« أنه سئل عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحل ذلك ؟ فقال : من محاكم إلى طائفت فحكم له فإتما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً ، لأنه أخذ بحكم الطائفت وقد أمر الله أن يكفربه ، قيل : كيف يصنعان ؟ قال : انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ، و نظر في حالنا وحرماننا ، و عرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإتي قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإتما بحكم الله استخف وعلينارد ، والراد علينا الراد على الله وهو على حدّ الشرك بالله - الحديث - » (١) .

قال أبو حامد : « وقد فهمت مما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران : أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة و يفضل سائر العبادات بتعدّي فائدته وانتشار جنواه فكأنما قدم عليه . السادس الموحّد المستغرق بالواحد الصمد سبحانه الذي أصبح وهو معه هم واحد ، فلا يحب إلا الله ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء إلا يرى الله تعالى فيه ، فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يقتصر إلى توزيع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحداً وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبيهم أمر ، ولا يفرح سمعهم قارع ، ولا يلوح لأبصارهم لائح ، إلا كان لهم فيها عبرة وفكرة ومزید فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى ، فهو لا يجمع أحوالهم يصلح لأن يكون سبباً لا زديادهم ، فلا يتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله تعالى كما قال تعالى : « لعلكم تذكرون » ففروا إلى الله » (٢) ومتحقق فيهم قوله تعالى : « وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله - الآية - » (٣) وإليه الإشارة بقوله تعالى : « إني ذاهب إلى ربي سيهدين » (٤) وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهرأ طويلاً فلا ينبغي أن يقتصر المرید بما يسمعه من ذلك فيدعيه

(١) الكافي ج ٧ ص ٤١٢ تحت رقم ٥ .

(٢) الذاريات : ٤٩ و ٥٠ . (٣) الكهف : ١٦ .

(٤) الصافات : ٩٩ .

لنفسه ، و يفترعن وظائف عباداته فذلك علامته أن لا يهجم في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا تزججه هواجم الأحوال ولا تستغزه عظامم الأشغال ، و أنتى يرزق هذه الرتبة كلُّ أحد فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه ، وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى ، قال الله تعالى : « قل كلُّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً » (١) فكلهم مهتدون و بعضهم أهدى .

و في الخبر « الإيمان ثلاث وثلاثون و ثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة » (٢) .

وقال بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة و ثلاثة عشر خلقاً بعدد الأنبياء المرسلين كلُّ مؤمن هو على خلق منها فهو سأللك للطريق إلى الله تعالى فإذن الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط المستقيم « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » (٣) فإتباعاً يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله و أقربهم إلى الله أعرفهم به و أعرفهم به لأبد أن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فإن المراد منه تغيير صفات الباطن و أحاد الأعمال ثقل آثارها بل لا يحس آثارها و إنما يترتب الأثر على المجموع و إذا لم يعقب العمل الواحد أثراً محسوساً ولم يردف بثان و ثالث على القرب انمحي أثر الأول و كان كالفقيه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهراً أو أسبوعاً ثم عاد وبالغ ليلة أخرى ثم ترك لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه ، ولهذا السر قال رسول الله ﷺ : « أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن

(١) الاسراء : ٨٤ .

(٢) لم أجده الا أن في مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٦ من رواية أبي يعلى والطبراني في الكبير نحوه ، وقال في المعنى : أخرج ابن شاهين واللائكائي في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده « الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة ، من وافى منهن شريعة دخل الجنة وقال الطبراني والبيهقي « ثلاثمائة وثلاثون » وفي اسناده جهالة .

(٣) الاسراء : ٥٧ .

قل ، (١) وسئلت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت : « كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملاً أثبتته » (٢) ولذلك قال ﷺ : « من عود الله عبادة فتر كهاملالة مقته الله تعالى » (٣) أقول : ومن طريق الخاصة مارواه زرارة في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : « أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد وإن قل » (٤) .
وفي صحيحه الآخر عنه عليه السلام قال بعد ذكر الروائب اليومية : « وإتسا هذا كله تطوع وليس بمفروض إن تارك الفريضة كافر وإن تارك هذا ليس بكافر ولكنها معصية لأنه يستحب إذا عمل الرجل عملاً من الخير أن يدوم عليه » (٥) .

﴿الباب الثاني﴾

في فضيلة قيام الليل والأسباب الميسرة له وكيفية إحيائه والليالي التي يستحب إحيائها .

فضيلة قيام الليل أمان الآيات قوله تعالى : « إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل - الآية - » (٦) وقوله تعالى : « إن ناشئة الليل - الآية - » (٧) وقوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » (٨) وقوله عز وجل : « آمن هوفات آناء الليل ساجداً وقائماً » (٩) وقوله : « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » (١٠) وقوله : « استعينوا بالصبر والصلوة » (١١) قيل : هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) أخرجه أبوداود ج ١ ص ٣١٥ . ومسلم ج ٢ ص ١٧١ .

(٣) رواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفاً على عائشة كما في المغني .

(٤) الكافي ج ٢ ص ٨٢ تحت رقم ٢ .

(٥) التهذيب ج ١ ص ١٣٥ .

(٦) الزمل : ٦ .

(٧) الزمل : ٢٠ .

(٨) الزمر : ٩ .

(٩) السجدة : ١٦ .

(١٠) البقرة : ٤٥ : ١٥٣ .

(١١) الفرقان : ٦٤ .

و من الأخبار قال عليه السلام : « يعقد الشيطان على ناصية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ و ذكر الله سبحانه انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » (١).

و في خبر أنه ذكر عنده رجل نام كل الليل حتى يصبح ، فقال : « ذاك بال الشيطان في أذنه » (٢).

في الخبر « أن للشيطان سعوطاً ولعوقاً و ذروراً فإذا أسعط العبد ساء خلقه و إذا لعقه ذرب لسانه بالشر و إذا ذره نام بالليل كله حتى يصبح » (٣).

وقال عليه السلام : « ركعتان ير كعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ، و لولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم » (٤).

و في الصحيح عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله بخير إلا أعطاه إياه » (٥).

في رواية « يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة وذلك كل ليلة » (٦).
أقول : قد مضى أنها آية ساعة هي .

قال : « وروي أنه ﷺ قام حتى تفطرت قدماءه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما

(١) أخرجه البخاري ج ٢ ص ٦٣ من الصحيح وفيه « على قافية رأس أحدكم » .
ولمسلم وابن ماجه تحت رقم ١٣٢٩ مثله و رواه أحمد وابويعلی بلفظ آخر كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٨٧ والبخاري ج ٢ ص ٦٣ .

(٣) رواه الطبراني باختلاف في اللفظ في الكبير وفيه الحكم بن عبد الملك القرشي وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٦٢ وذكر الشئ نثره ورشه والذروور ما يندف في العين .

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس في الثواب ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية والديلمي في الفردوس عن ابن عمر كما في المعنى .

(٥) و (٦) أخرجهما مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٧٥ .

تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ، ^(١) ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب المزيد قال الله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ^(٢) .
وقال عليه السلام : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطرقة للداء عن الجسد و منهاة عن الإثم » ^(٣) .
وقال عليه السلام : « ما من امرئ يكون له صلاة بالليل فغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه » ^(٤) .

وقال عليه السلام لأبي ذر - رضي الله عنه - لو أردت سفرأ أعددت له عدة فكيف سفر طريق القيامة ألا أتيتك يا أبا ذر ما ينفعك ذلك اليوم ؟ قال : بلى بأبي أنت وأُمِّي قال : صم يوماً شديداً الحرّ ليوم النشور ، وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وحجّ حجة لعظائم الأمور ، و تصدّق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شرّ تسكت عنها ، ^(٥) .

وروي أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي و يقرء القرآن ويقول : يا ربّ النار أجرني منها ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إذا كان ذلك فأذنوني ، فأنا ما فاستمع فلما أصبح قال : يا فلان هلا سألت الجنة ؟ قال : يا رسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك ، فلم يلبث يسيراً حتّى نزل جبرئيل عليه السلام وقال : أخبر فلاناً أن الله تعالى قد أجاره من النار وأدخله الجنة ، ^(٦) .

(١) أخرجه الترمذى ج ٣ ص ٢٠٥ وللبخارى ومسلم مختصره كفاً سنن البيهقي

ج ٣ ص ١٦ وفي الكافي ج ٢ ص ٩٥ . (٢) إبراهيم : ٧ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٣٠٨ ورواه الترمذى ج ١٣ ص ٦٤ وابن أبي الدنيا في كتاب التهجد وابن خزيمة في صحيحه كلهم من رواية عبد الله بن صالح كاتب الليث .

(٤) أخرجه أبوداود ج ١ ص ٣٠٣ ، والنسائي ج ٣ ص ٢٥٧ .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن مغلدة مرسلًا

والسري ضعفه الازدى كفاً المغنى .

(٦) ما عثرت على أصل له .

وقال علي بن أبي الحسن: شبع يحيى بن زكريا عليه السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله إليه يا يحيى أوجدت داراً خيراً لك من داري؟ أوجدت جواراً خيراً من جواري؟ فوعزني يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلعة لذاب شحمك ولزهرت نفسك اشتياقاً، ولو اطلعت إلى جهنم اطلعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح.

وقيل لرسول الله ﷺ: «إِنَّ فُلَانًا يَصَلِّي بِاللَّيْلِ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، فَقَالَ: سَيَنْهَاهُ مَا يَعْمَلُ» (١).

وقال ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَقْبَضَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَقْبَضَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أُمِيَ نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ» (٢).

وقال ﷺ: «مَنْ اسْتَقْبَلَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَقْبَضَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ كَتَبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» (٣).

وقال ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ» (٤).

﴿فصل﴾

أقول: ومن طريق الخاصة ما رواه في الفقيه قال: نزل جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ فقال له: يا جبرئيل عطني فقال: يا محمد عش ما شئت فأنتك ميت وأحبب ما شئت فأنتك مفارقة، واعمل ما شئت فأنتك ملاقيه، شرف المؤمن صلاته بالليل،

(١) رواه أحمد في المسند والبيهقي في الشعب كما في مشكاة المصابيح ص ١١٠ ورواه البزار ورجاله ثقة كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٥٨.

(٢) أخرجه ابوداود ج ١ ص ٣٠١ والنسائي ج ٣ ص ٢٠٥. ولا بن ماجه تحت رقم ١٣٣٦ مثله.

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٣٣٥.

(٤) أخرجه الدارمي ج ١ ص ٣٦٤ وفيه و«الصلاة في جوف الليل».

وعزّه كف الأذى عن الناس ، (١) .

وروى بحر السقاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن من روح الله عز وجل ثلاثة : التهجّد بالليل ، وإفطار الصائم ، ولقاء الإخوان » ، (٢) .

وقال أبو الحسن الأول عليه السلام في قول الله عز وجل : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله » ، (٣) قال : صلاة الليل .

وقال الصادق عليه السلام : « عليكم صلاة الليل فإنتها سنة نبيكم ، ودأب الصالحين قبلكم ، ومطرودة الداء عن أجسادكم » ، (٤) .

وروى هشام بن سالم عنه عليه السلام أنه قال في قول الله تعالى : « إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً » ، (٥) قال : « قيام الرجل عن فراشه يريد به وجه الله لا يريد به غيره » .

وقال الصادق عليه السلام : « يقوم الناس من فرشهم على ثلاثة أصناف : صنف له ولا عليه ، وصنف عليه ولا له ، وصنف لا عليه ولا له ، فأما الصنف الذي له ولا عليه فيقوم من منامه فيتوضأ ويصلي ويذكر الله عز وجل فذلك الذي له ولا عليه ، وأما الصنف الثاني فلم يزل في معصية الله تعالى فذلك الذي عليه ولا له ، وأما الصنف الثالث فلم يزل قائماً حتى أصبح فذلك الذي لا عليه ولا له » ، (٦) .

وسأله عبد الله بن سنان ، عن قول الله عز وجل : « سيما هم في وجوههم من أثر

(١) المصدر ص ١٢٤ تحت رقم ١ ورواه الطبراني في الاوسط كما في الترتيب

ج ١ ص ٤٤١ .

(٢) المصدر ص ١٢٤ تحت رقم ٢ ، والروح - بالفتح - الفرج والتنقيص .

(٣) الحديد : ٢٧ ، والخبر في الفقيه ص ١٢٤ والتحذير ج ١ ص ١٦٩ .

(٤) المصدر ص ١٢٤ رقم ٤ .

(٥) المزمل : ٧ وناشئة الليل أي النفس الناشئة التي تنشأ من مضجعتها إلى العبادة

« أشد وطأً » أي كلفة ومشقة . و« أقوم قبلاً » أي أشد وأحكم وأثبت مقالا . والخبر في الفقيه

ص ١٢٤ رقم ٥ ، وفي الكافي ج ٣ ص ٤٤٦ .

(٦) الفقيه ص ١٢٤ تحت رقم ٦ .

السجود، ^(١) قال : « هو السهر في الصلاة » .

و روى عنه فضيل بن يسار قال : « إن البيوت التي يصلي فيها بالليل بتلاوة القرآن تضيء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض » ^(٢) .

وقال عليه السلام في قول الله عز وجل : « إن الحسنات يذهبن السيئات » قال : « صلاة المؤمن بالليل تنهب بما عمل من ذنب النهار » ^(٣) .

ومدح الله تعالى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام في كتابه بقيام صلاة الليل فقال عز من قائل : « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » وآناء الليل ساعاته ^(٤) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بعذاب قال : لولا الذين يتحابون بجلالي ويعمرون مساجدي ويستغفرون بالأسحار لولا هم لأزلت عذابي » ^(٥) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » ^(٦) .
وجاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام فشكا إليه الحاجة فأفرط في الشكاية حتى كاد أن يشكو الجوع فقال له أبو عبد الله عليه السلام : « يا هذا أتعصي بالليل ؟ فقال الرجل : نعم ، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابه فقال : كذب من زعم أنه يصلي بالليل و يجوع بالنهار ، إن الله تعالى ضمن بصلاة الليل قوت النهار » ^(٧) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : « إن الله تبارك وتعالى يحب المداعب في الجماعة بلارفث ، المتوحد بالفكر ، المتخلي بالعبر ، الساهر بالصلاة » ^(٨) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند موته لأبي ذر - رضي الله عنه - : « يا أبا ذر احفظ وصية نبيك تنفعك ، من ختم له بقيام الليل ثم مات فله الجنة ، والحديث فيه طول أخذت منه موضع الحاجة » ^(٩) .

(١) سورة الفتح : ٢٩ . والخبر في الفقيه ص ١٢٥ تحت رقم ٧ .

(٢) الى (٥) الفقيه ص ١٢٥ تحت رقم ٨ الى ١٥ .

(٦) الى (٩) الفقيه ص ١٢٥ والتهذيب ج ١ ص ١٦٨ و ١٦٩ .

و روى جابر بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام : أن رجلاً سأل عليّ ابن أبي طالب عليه السلام عن قيام الليل بالقرآن ، فقال له : أبشر من صلى من الليل عشراً ليلة لله مخلصاً ابتغاء ثواب الله قال الله تبارك وتعالى ملائكته : اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما أنبت في الليل من حبة و ورقة و شجرة ، وعدد كل قصبة و خوص و مرعى .
و من صلى تسع ليلة أعطاه الله عشر دعوات مستجابات ، وأعطاه كتابه يمينه .
و من صلى ثمن ليلة أعطاه الله أجر شهيد صابر صادق النية وشفيع في أهل بيته .
و من صلى سبع ليلة خرج من قبره يوم يبعث ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يمر على الصراط مع الآمنين .

و من صلى سدس ليلة كتب في الأول و بين و غفر له ما تقدم من ذنبه .
و من صلى خمس ليلة زاحم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام في قبته .
و من صلى ربع ليلة كان في أول الفائزين حتى يمر على الصراط كالريح العاصف ،
و يدخل الجنة بغير حساب .

و من صلى ثلث ليلة لم يلق ملكاً إلا غبطه بمنزلته من الله عز وجل ، وقيل له :
أدخل من أي أبواب الجنة الثمانية شئت .
و من صلى نصف ليلة فلو أعطى ملأ الأرض ذهباً سبعين ألف مرة لم يعدل جزاءه ،
وكان له بذلك عند الله عز وجل أفضل من سبعين رقبة يعتقها من ولد إسماعيل .
و من صلى ثلثي ليلة كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنة أثقل من جبل
أحد عشر مررات .

و من صلى ليلة تامة تالياً لكتاب الله عز وجل راکعاً و ساجداً و ذاكراً أعطى
من الثواب ما أدناه يخرج من الذنوب كما ولدته أمه ، و يكتب له عدداً خلق الله عز وجل
من الحسنات و مثلها درجات ، و يثبت النور في قبره ، و ينزع الإثم و الحسد من قلبه ،
و يجار من عذاب القبر ، و يعطى برامة من النار ، و يبعث من الآمنين ، و يقول الرب
تعالى ملائكته : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيا ليلة ابتغاء مرضاتي أسكنوه الفردوس ،
و له فيها مائة ألف مدينة في كل مدينة جميع ما تشتهي الأنفس و تلذ الأعين و لم يخطر

على بال سوى ما أعددت له من الكرامة والمزيد والقربة « (١) .

قال وروى العلاء عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال : « ليس من عبد إلا و هو يوقظ في ليلة سرّة أو مرتين فإن قام كان ذلك وإلا جاءه الشيطان فبال في أذنه ، أو لا يرى أحدكم أنه إذا قام ولم يكن ذلك منه قام و هو متخثر ثقيل كسلان » (٢) .

و روى الحسن الصيفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنني لأمت الرجل قد قرأ القرآن ثم يستيقظ من الليل فلا يقوم حتى إذا كان عند الصبح قام يبادر بصلاته ، (٣) .

وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : « ما نوى عبد أن يقوم آية ساعة نوى فعلم الله تعالى ذلك إلا وكل به ملكين يحرقانه تلك الساعة » (٤) .

وروى عيسى بن القاسم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « إذا غلب الرجل النوم وهو في الصلاة فليضع رأسه فليغم فأتني أتخوف عليه إن أراد أن يقول : « اللهم أدخلني الجنة » أن يقول : « اللهم أدخلني النار » (٥) .

و روى زكريا النفاذ عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : « لا تقرّوا الصلاة و أنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » قال : منه سكر النوم ، (٦) .

قال : و روى أبو عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » فقال : لعلك ترى أن القوم لم يكونوا ينامون ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم فقال : لا بد لهذا البدن أن تريحه حتى يخرج نفسه فإذا خرج النفس استراح البدن و رجعت الروح فيه و فيه قوة على العمل - الحديث - ، وقد مضى تمامه (٧) .

و روى في الكافي بسند حسن عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون » قال : كانوا أقل الليالي يفوتهم لا يقومون فيها ، (٨) .

(١) الفقيه ص ١٢٥ ، والتهذيب ج ١ ص ١٦٨ و ١٦٩ .

(٢) إلى (٦) الفقيه ص ١٢٦ تحت رقم ٨ إلى ١٢ و « المتخثر » استيقظ خائر النفس أي ثقلها غير طيب ولا نشيط .

(٧) الفقيه ص ١٢٧ تحت رقم ٦ .

(٨) المصدر ج ٣ ص ٤٤٦ تحت رقم ١٨ .

و في الصحيح عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إن رجلاً من مواليك من صلحائهم شكى إليّ ما يلقى من النوم ، فقال : إني أريد القيام إلى الصلاة بالليل فيغلبني النوم حتّى أصبح ، وربما قضيت صلاتي الشهر متتابعاً والشهرين أصبر على ثقله ، فقال : قرّة عين له والله ، قال : ولم يرخص له في الصلاة في أوّل الليل و قال : القضاء بالنهار أفضل ، قلت : فإنّ من نساناً بكاراً الجارية تحبّ الخير وأهله وتحرم على الصلاة فيغلبها النوم حتّى ربما قضت وربما ضعفت عن قضاائه فهي تقوى عليه أوّل الليل فرخص لهنّ في الصلاة أوّل الليل إذا ضعفن وضيعن القضاء ، ^(١)

﴿ بيان الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل ﴾

اعلم أنّ قيام اللّيل عسير على الخلق إلّا على من وفق للقيام بشروطه الميسّرة له ظاهراً و باطناً فأما الظاهر فأربعة .

الأوّل أن لا يكثّر الأكل فيكثّر الشرب فيغلبه النوم و يشغل عليه القيام ، كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كلّ ليلة و يقول : معاش المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا عند الموت كثيراً . و هذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام .

الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيى بها الجوارح و تضعف بها الأعصاب فإنّ ذلك أيضاً مجلبة للنوم .

الثالث أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنّها سبب للاستعانة على القيام بالليل .

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٤٧ تحت رقم ٢٠ و فيه رخصة ما و ان لم يرخص صريحاً ويومي آخر الخبر الى ان التقديم مجوز لمن علم أنه لا يقضيها وهذا وجه جمع بين الاخبار قال في المدارك ص ١٢٣ عدم جواز تقديمها على انتصاف الليل الا في السفر أو النعوف من غلبة النوم مذهب اكثر الاصحاب ، ونقل عن زرارة بن اعين المنع من تقديمها على الانتصاف مطلقا واختاره ابن ادريس على ما نقل عنه والعلامة في المختلف ، والعمدة الاول وربما ظهر من بعض الاخبار جواز تقديمها على الانتصاف مطلقاً و قدس الاصحاب على ان قضاء النافلة من القد أفضل من التقديم كما في مرآة العقول .

الرابع أن لا يحتجب الأُوزار بالنهار^(١) فإن ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة قال رجل للحسن : يا أبا سعيد إنني أبيت معافاً و أحب قيام الليل و أعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟ فقال : ذنوبك قيدتك .

أقول : هذا من ألقاظ أمير المؤمنين صلوات الله عليه روى في الكافي عن علي بن النعمان عن بعض رجاله قال : « جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين إنني قد حرمت الصلاة بالليل ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنت رجل قد قيدتك ذنوبك ، ^(٢) .

قال أبو حامد : « وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير ، و الشر يدعو إلى الشر ، والغليل من كل واحد منهما ينجر إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني : لا يفوت أحداً صلاة جماعة إلا بذنب ، و كان يقول : الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد .

وقال بعض العلماء : إذا صمت يا مسكين فأنظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأول ، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب و تمنع من قيام الليل و أخصها بالتأثير تناول الحرام و تؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب و تحريكه إلى الخير مالا يؤثر غيره ، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم : كم من أكلة منعت قيام ليلة و كم من نظرة منعت قراءة سورة ، و إن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم قيام سنة و كما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء تنهى عن الصلاة و سائر الخيرات .

و قال بعض السجّانيين بدينور : بقيت سجّاناً نيّفاً و ثلاثين سنة أسأل عن كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في الجماعة فكانوا يقولون : لا . وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر .

وأما الميعرات الباطنة فأربعة :

الأول سلامة القلب عن حقد المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا

(١) أي لا يجتمع الأوزار . (٢) المصدر ج ٣ ص ٥٠ ورواه الشيخ في التهذيب ج ١ ص ١٦٩ .

فالمستغرق لهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ، ولا يجول إلا في وساوسه ، وفي مثل ذلك يقال : « وأنت إذا استيقظت أيضاً فنام » .

الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاووس : إن ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكى أن غلاماً بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيده : إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار ، فقال : إن صهيبي إذا ذكر النار لا يأتيه النوم ، وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل ، فقال : إذا ذكرت النار اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما أقدر أن أنام ، ولذي النون المصري - رحمه الله - فيه شعر :

منع القرآن بوعده ووعيده * مقل العيون ليلها أن تهجما
فهو امنع الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذلل لكيما تخضعا
وأنشدوا :

يا طويل الرقاد والغفلات * كثرة النوم تورث الحشرات
إن في القبر إن نزلت إليه * لرقاداً يطول بعد [ال]حماة
و مهاداً مهاداً لك فيه * بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك المو * ت و كم نال آمناً ببيات

الثالث أن يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والأخبار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيبهته الشوق لطلب المزيد والرجبة في درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع عن غزوته وامرأته كانت تنتظر فراشه تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت زوجته : كنا ننتظرك مدة فلما قدمت فصليت إلى الصبح ؟ قال : والله كنت أفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل ففقت طول ليلي شوقاً إليها .

الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله تعالى وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله سبحانه خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لأحالة الخلوة به وهكذا

بالمناجاة فتحمله لذّة المناجات بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن يستبعد هذه اللذّة إذ شهدله العقل و النقل فأما العقل فليعتبر حال المحبّ لشخص بسبب بهاله أو ملك بسبب إبعاده و أمواله أنّه كيف يتلذّذ بالخلوة به و مناجاته حتّى لا يأتية النوم طول ليله .

فإن قلت : إنّ الجميل يتلذّذ بالنظر إليه ، و إنّ الله تعالى لا يرى . فاعلم أنّه لو كان الجميل المحبوب وراء ستراً أو كان في بيت مظلم لكان المحبّ يتلذّذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواء كان يتمتّع بإظهار حبّه عليه و ذكره بلسانه بمسمع منه و إن كان ذلك أيضاً معلوماً عنده .

فإن قلت : إنّهُ ينتظر جوابه فيتلذّذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنّه إن كان يعلم أنّه لا يجيبه و يسكت عنه لبقيت له أيضاً لذّة في عرض أحواله و رفع سريره إليه كيف و الموقن يسمع من الله تعالى كلّ ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذّذ به و كذا الذي يخلو بالملك و يعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذّذ به في رجاء إبعاده و الرجاء في حقّ الله تعالى أصدق ، و ما عند الله أبقي و أنفع ممّا عند غيره فكيف لا يتلذّذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات .

و أمّا النقل فتشهدله أحوال قوام الليل في تلذّذهم بقيام الليل و استقصاها لها كما يستقصّر المحبّ ليلة وصال الحبيب حتّى قيل لبعضهم : كيف أنت و الليل ؟ قال : ما رأيته قطّ يريني وجهه ثمّ ينصرف و ما تأملته بعد ، و قال آخر : أنا و الليل فرسا رهان مرّة يسبقني إلى الفجر مرّة يقطنني عن الفكر .

و قيل لبعضهم : كيف الليل عليك ؟ فقال : ساعة أنا فيها بين حالين أفرح بظلمته إذا جاء و أغتمّ بفجره إذا طلع ماتمّ فرحي به قطّ .

و قال عليّ بن بكّار : منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر . و قال فضيل بن عياض : إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي و إذا طلعت حزنت لدخول الناس عليّ .

و قال أبو سليمان : أهل الليل في ليلهم ألدّ من أهل اللّهوني لهوهم ، و لولا الليل ما أحببت البقاء في الدّنيا .

و قال أيضاً : لوعوَّض الله تعالى أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من أعمالهم .

و قال بعض العلماء : ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملُّق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة .

و قال بعض العلماء : لذَّة المناجاة ليس من الدنيا ، إنما هو من الجنة أظهرها الله لأوليائه لا يجدها سواهم .

و قال ابن المنكسر : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الإخوان والصلاة في جماعة .

و قال بعض العارفين : إنَّ الله ينظر بالأَسْجَار إلى قلوب المتيقِّظين فيملؤها نوراً فتزد الفوائد على قلوبهم فتستدير ، ثمَّ ينتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين .

و قال بعض العلماء من القدماء : إنَّ الله سبحانه أوحى إلى بعض الصديقين أنَّ لي عباداً من عبادي يحبوني و أحبهم ، و يشتاقون إليَّ و أشتاق إليهم ، و يذكرونني و أذكركم ، و ينظرون إليَّ و أنظر إليهم ، فإن حذوت طريقهم أحببتك ، و إن عدلت عنهم مقتك ، قال : يا ربِّ وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه و يحشون إلى غروب الشمس كما يحنُّ الطير إلى أوكارها ، فإذا جنَّهم الليل و اختلط الظلام و خلا كلُّ حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم ، و افترشوا لي وجوههم ، و ناجوني بكلامي و تملقوني بآلئ نعامي ، فبين صارخ و باككي ، و بين متأوِّه و شاكي ، بعيني ما يتحملون من أجلي و بسمعي ما يشتكون من حبي ، أوَّل ما أعطيتهم أفدًى من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، و الثانية لو كانت السماوات السبع و الأرض وما فيها في موازينهم لاستقلت بها الحبال ، و الثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحداً أريد أن أعطيه ؟ .

و قال مالك بن دينار : إذا قام العبد فتهجد من الليل قرب منه الجبار ، قال : وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة و الحلاوة و الأنوار من قرب الربِّ جلَّ جلاله من القلب ، و هذا له سرٌّ و تحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة إن شاء الله .

و في الأخبار عن الله تعالى « أي عبدي أنا الله الذي اقتربت لقلبك و بالغيب رأيت نوري » .

و شكوا بعض المريدين إلى أستاذهم طول سهر الليل و طلب حيلة يجتلب بها النوم ، فقال أستاذهم : يا بني " إن الله نفحات في الليل و النهار تصيب القلوب المتيقظة و تخطيء القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات ، فقال : يا أستاذ تر كتنني لا أنام بالليل ولا بالنهار . و اعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب و اندفاع الشواغل .

و في الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن من الليل ساعة لا يوافيها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه » (١) .
و في رواية أخرى « يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه و ذلك كل ليلة » (٢) .

و مطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمه في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان و كساعة يوم الجمعة و هي ساعة النفحات المذكورة .
أقول : بل هي معلومة لنا بحمد الله تعالى بتعليم علماء أهل البيت - صلوات الله و تسليماته عليهم - إيانا وهي السدس الرابع من الليل كما مر ذكره في أخبارهم عليهم السلام ولكن العامة عن بركة أمثالها لمعزولون .

❖ بيان طرق القسمة لاجزاء الليل ❖

اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب :
المرتبة الأولى إحياء كل الليل و هذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى و تلهّوا بمناجاته و صار ذلك غذاءً لهم و حياة لقلوبهم ، فلم يتعبوا بطول القيام و ردّوا المنام إلى النهار في وقت اشتغال الناس ، و قد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلّون الصبح بوضوء العشاء .

حكى أبو طالب المحكي أن ذلك حكى على سبيل الاشتهار عن أربعين من التابعين

(١) و (٢) رواهما مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٧٥ و قد مرّتا .

و كان منهم من واطب عليه أربعين سنة .

أقول : الظاهر من طريقة أهل البيت عليهم السلام أن هذا ليس بمستحسن وأنه إفراط ودعوى فضل على هدي رسول الله ﷺ في العبادة وظنني أنه محض فرض لا وقوع له ، وقد قال الله سبحانه : « وجعل الليل سكناً » ^(١) وقال عز وجل : « لتسكنوا فيه » ^(٢) إلى غير ذلك في موضع الامتنان ومع صحة الحكاية ففعل التابعين ليس فيه حجة سيما مع نفاق أكثرهم ، قال :

« المرتبة الثانية أن يقوم نصف الليل ، وهذا لا ينحصر عدد المواطنين عليه من السلف ، وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل »

أقول : قد عرفت كراهة النوم في آخر الليل عند أهل البيت عليهم السلام في غير موضع مما أسلفناه كيف لا ؟ وقد مدح الله المستغفرين بالأسحار والسحر قبيل الفجر بالاتفاق ولكن المخالفين لمحرومون عن أمثال هذه الخيرات ، قال :

« المرتبة الثالثة أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأول والسدس الأخير و بالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة فكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه و الشهرة به فلو قام أكثر الليل و نام سحراً قلت صفرة وجهه وقل نعاسه . وقالت عائشة : « كان رسول الله ﷺ إذا أوتر من آخر الليل فإن كان له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة » ^(٣) .

وقالت : « ما ألفتته السحر إلا نائماً » ^(٤) حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبيل الصبح سنة ، و كان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب و ذلك لأرباب القلوب و فيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار .

(١) الانعام : ٩٦ . (٢) يونس : ٦٧ .

(٣) أخرج مسلم ج ٢ ص ١٦٧ نحوه . والبخارى ج ٢ ص ٦٩ ، والنسائي ج ٣ ص

٢٣٠ ، والبيهقي في السنن ج ٣ ص ٧ و ٤٦ باختلاف في اللفظ .

(٤) أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٦٨ ، وأبوداود ج ١ ص ٣٠٣ .

أقول : الاستراحة تحصل بالضجعة و إن لم يكن معها نوم و قد عرفت استحبابها و تأكد من طريقة أهل البيت عليهم السلام و أنه لا نوم فيها بل يذكرونها و يتفكر في خلق السماوات والأرض كما يدل عليه استحباب قراءة الآيات الخمس من آل عمران فيها مع قوله وَالْقَائِلُ بِالْأَرْضِ وَالْغَالِبُ عَلَى الْأَشْيَاءِ : « و بل لمن لا كها بين لحييه ولم يتدبرها » ^(١) فعليها يحمل قول عائشة « و إلا اضطلع في مصلاته ، إن صح » ، وكذا قولها « ما ألفت السحر إلا نائماً » نظيره ما ورد في الحديث من طريقهم « أن لصلاة النائم نصف أجر القاعد » ^(٢).

روى في التهذيب بإسناده عن الهادي عليه السلام قال : « إياك والنوم بين صلاة الليل والفجر ولكن ضجعة بلا نوم فإن صاحبه لا يحمد على ما قدم من صلاته » ^(٣).
و سئل الصادق عليه السلام « متى أصلي صلاة الليل ؟ فقال : صلها آخر الليل » ^(٤).

و أمّا زهاب النعاس و صفرة الوجه فالظاهر عدم اختصاصه بنوم وقت دون وقت فإن سبب العتئين كثرة السهر و مزيلهما قلته فالأولى و الأفضل لصاحب هذه المرتبة أن يقوم السدس الرابع و السادس لينال بركتي الساعة المعهودة و السحر جميعاً فإن تعمّر عليه التفريق و ضبطه تعيّن عليه قيام الثلث الأخير ، قال :
« المرتبة الرابعة أن يقوم سدس الليل أوخمسه وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه » .

أقول : قد عرفت ما فيه فحسن حكم هذه المرتبة على ما قبلها ، قال :
« الخامسة أن لا يراعي التقدير فإن ذلك إنما يتيسر لنبي يوحى إليه أو لمن يعرف المنازل للقر و هو كل به من يراقبه و يواظبه و يوقظه ، ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم

(١) أخرجه ابن مردويه في تفسير سورة الروم من رواية أبي جناب عن عطاء عن عائشة كما في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ذيل الآيات في سورة آل عمران .

(٢) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٢٢٣ من حديث عبد الله بن عمرو ، و ص ٢٢٤ من

حديث عمران بن حصين ، و أبوداود ج ١ ص ٢١٨ .

(٣) المصدر ج ١ ص ١٧٤ .

(٤) المصدر ج ١ ص ٢٣١ في حديث .

فيكون له في الليل نومتان و قومتان وهو من مكابدة الليل وأشدّ الأعمال و أفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ وهو طريقة أولي العزم من الصحابة و جماعة من التابعين ، وكان بعض السلف يقول : هي أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله عيني ، فأما قيام رسول الله ﷺ فلم يكن على ترتيب واحد من حيث المقدار بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه يختلف ذلك في الليالي و دلّ عليه قوله تعالى في موضعين من سورة المزمل مثل قوله عز وجل : «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ» (١) فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه و نصف سدسه (٢) فإن كسر قوله تعالى : « و نصفه و ثلثه » كان نصف الثلثين و ثلثه فيقرب من الثلث والرابع وإن نصب كان نصف الليل و ثلثه ، وقد قالت عائشة : «كان ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ - تعني الديك - » (٣) و هذا يكون السدس فما دونه و روى غير واحد أنه قال : « راعيت صلاة رسول الله ﷺ في سفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال : «ربنا ما خلقت هذا باطلاً - حتى بلغ - إنك لا تخلق الميعاد » ثم استلّ من فراشه سواك فاستاك و توضأ وصلى حتى قلت : صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت : نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة و فعل ما فعل أول مرة » (٤) .

أقول: وقد نقلنا عن الصادق عليه السلام في الصحيح و الحسن تفصيل قومات رسول الله ﷺ و صلواته و نوماته فلاحاجة إلى إعادتها ، قال :

«المرجة السادسة وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تمعّذ عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشغلاً بالذكر والدعاء فيكتب في جلة قوام الليل

(١) الزمل : ٢٠ . (٢) كذا وفي الأحياء « كأنه نصف سدسه » .

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح ج ٢ ص ١٦٧ وأبوداود نحوه ج ١ ص ٣٠٣ .

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والطبراني في الكبير والحاكم في الكنى والبغوي في معجم الصحابة عن صفوان بن المعطل السلمي باختلاف في اللفظ كما في الدر المنثور ج ٢ ص ١١٠ . وأيضاً رواه البغوي في معالم التنزيل ذيل الايات بلفظ آخر عن ابن عباس .

برحمة الله وفضله و قد جاء في الأثر « صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة » (١) .

أقول : روى في التهذيب بإسناده الصحيح عن معاوية بن وهب عن الصادق عليه السلام أنه سمعه يقول : « أما يرضى أحدكم أن يقوم قبل الصبح ويوتر ويصلي ركعتي الفجر فيكتب له صلاة الليل » (٢) .

و المراد بالوتر الر كعات الثلاث كما يستفاد من الأخبار الأخر لا الر كعة الواحدة الواقعة بعد الشفع كما يوجد في عبارات متأخري أصحابنا .

قال أبو حامد : « فهذه طرق القسمة فليختار المريد لنفسه ما رآه يسيراً عليه و حيث يتعذّر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشائين والورد الذي بعد العشاء » .

أقول : قد عرفت سقوط هذا الورد عندنا والمختار من الوسط .

قال : « ثمّ يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً و يقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار قريب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره ، و أمّا في المرتبة الخامسة والسابعة فلم ينظر فيهما إلى المقدار فليس يجري أمرهما في التقدّم والتأخّر على الترتيب المذكور ، إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

❦ (بيان الليالي والايام الفاضلة) ❦

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكّد فيها استعجاب الإحياء في السنة خمسة عشر ليلة لا ينبغي أن يغفل المريد عنها فإنّها مواسم الخيرات ومظانّ التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح » .

أقول : و تلك الليالي عندنا هي مظانّ ليلة القدر كليا لي الأفراد الثلاث من شهر

(١) رواه الطبراني في الاوسط بالفاظ مختلفة كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٥٢ .

(٢) المصدر ج ١ ص ٢٣٣ .

رمضان أعني ليلة تسع عشرة و الإحدى وعشرين والثلاث وعشرين وخصوصاً ليلة الثلاث وعشرين و أربع ليال أخر في السنة و هي مارواه أصحابنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليال من السنة و هي أول ليلة من رجب ، و ليلة النصف من شعبان ، و ليلة الفطر ، و ليلة النحر ، ^(١) .

و عن النبي ﷺ أنه قال : « من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب » ^(٢) .

و في هذه الليالي أعمال مخصوصة وصلوات مذكورة في مواضعها .
قال الشهيد - رحمه الله - : يحصل فضيلة الإحياء بمعظم الليل تنزيلاً لأكثر الشيء منزله .

و عن ابن عباس أن الإحياء أن تصلي العشاء في الجماعة ، و لعله ينزل على إحياء ما بين العشائين و أمّا الأيام الفاضلة التي يستحب مواصلة الأوراد فيها فقد مر ذكرها في كتاب أسرار الصيام فلا حاجة إلى الإعادة .

هذا آخر الكلام في كتاب ترتيب الأوراد و تفصيل إحياء الليل ، و بتمامه تم ربيع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء و يتلوه إن شاء الله في ربيع العادات كتاب الأكل و الحمد لله أولاً و آخراً و ظاهراً و باطناً و الصلاة على محمد و آله .



(١) رواه الشيخ في مصباح التهجد ص ٤٥٠ .

(٢) رواه الصدوق في ثواب الاعمال ص ٧٥ و أخرجه الطبراني في السند الكبير

بسند ضعيف عن عبادة كما في الجامع الصغير باب السيم .

فهرست ما فی هذا المجلد

رقم الصفحة	الموضوع
٣	الباب الرابع في الإمامة و القدوة .
١٤	الباب الخامس في فضل الجمعة و شروطها .
١٨	بيان شروط الجمعة .
٢٠	آداب الجمعة على ترتيب العادة .
٣٣	الباب السادس في مسائل متفرقة .
٣٣	لكلّ من الصلوات الخمس وقتان .
٣٥	وقت صلاة الجمعة الزوال .
٣٦	معرفة زوال الشمس .
٣٧	لايجوز التأويل على الظن في دخول الوقت .
٣٧	يكراه التنفل بعد دخول وقت الفريضة .
٤٠	حكم من صلى مع النجاسة جاهلاً .
٤٠	حكم من أحدث في الصلاة حدثاً .
٤١	حكم من ترك ركناً من أركان الصلاة .
٤١	حكم من نسي سجدة واحدة أو التشهد الأوّل .
٤٢	حكم من شكّ في عدد الثنائية .
٤٢	لاشكّ للمؤمنين مع حفظ الإمام .
٤٢	الوسوسة في نيّة الصلاة سببها انخيل .
٤٤	الباب السابع في سائر الصلوات .
٤٤	القسم الأوّل : الفرائض .

رقم الصفحة	الموضوع
٤٧	صلاة الآيات .
٤٩	صلاة الطواف .
٥٠	صلاة الجنائز .
٥٢	الصلاة التي أوجبها المكلف على نفسه .
٥٣	القسم الثاني : النوافل اليومية وغيرها .
٥٦	صلاة تحية المسجد .
٥٦	صلاة الاستسقاء .
٥٧	صلاة جعفر بن أبي طالب و يسمى " صلاة التسييح .
٥٩	صلاة الاستخارة .
٦٠	الصلاة في طلب الرزق .
٦٠	صلاة الحوائج .
٦٢	صلاة من خاف مكروهاً .
٦٢	صلاة الشكر .
٦٢	صلاة من أراد سفرأ .
٦٣	صلاة من أراد أن يتزوج .
~~~~~	
<b>كتاب أسرار الزكاة</b>	
٦٤	في أهميتها وأنها من أركان الدين .
٦٧	أنواع الزكاة وأسباب وجوبها .
٦٧	زكاة المال .
٦٩	فصل النصاب والقدر .
٧١	زكاة الفطرة .
٧٢	الخمس وما يجب فيه .

رقم الصفحة	الموضوع
٧٤	شرائط وجوب الخمس .
٧٤	في الأداء وشروطه وآدابه الباطنة والظاهرة .
٧٧	بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة .
٧٧	بيان ثمان وظائف للمزكي . الأولى فهم وجوب الزكاة .
٨١	الثانية معرفة وقت الأداء .
٨٢	الثالثة الإصرار في أداء الزكاة .
٨٤	الرابعة إظهار أدائه لترغيب الناس .
٨٤	الخامسة عدم جواز المنّ والأذى في الصدقة .
٨٨	السادسة استصغار العطية .
٨٩	السابعة استحباب الإعطاء من أجود المال وأحبّه إليه .
٩٠	الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكوبه الصدقة .
٩٠	مراعات ست صفات .
٩٤	الباب الثالث في القابض وأسباب استحقاقه .
٩٤	أسباب الاستحقاق .
٩٥	صفات الأصناف الثمانية .
٩٥	الأول الفقراء .
٩٦	الثاني المساكين .
٩٨	الثالث العاملون عليها .
٩٨	الرابع المؤلفة قلوبهم .
٩٩	الخامس في الرقاب وهم المكاتبون .
٩٩	السادس الغارمون وهم المدينون .
٩٩	السابع في سبيل الله كالجهاد وعمير المساجد وغيرها .
٩٩	الثامن ابن السبيل .

الموضوع	رقم الصفحة
فصل في الخمس وسهامه .	١٠٠
بيان وظائف القايض وهي خمسة .	١٠١
الباب الرابع في الصدقة التطوع .	١٠٧
فضل الصدقة من طريق العامة .	١٠٧
فضل الصدقة من طريق الخاصة .	١٠٩
بيان إخفاء أخذ الصدقة وإظهاره .	١١٣
بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة .	١١٨
الباب الخامس في زكاة الجسد .	١١٩
<b>كتاب اسرار الصيام</b>	
أحاديث في فضيلة الصوم من طريق العامة .	١٢١
أحاديث في فضيلة الصوم من طريق الخاصة .	١٢٢
معنى قوله : « الصوم لله » .	١٢٥
الباب الأول في الشروط الواجبات والمكروهات والسنن واللوازم بإفساده .	١٢٦
الشروط .	١٢٦
الواجبات .	١٢٧
المكروهات ..	١٢٨
السنن .	١٢٩
الباب الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة .	١٣٠
فصل في إشكال وجوابه .	١٣٥
الباب الثالث في التطوع بالصيام .	١٣٧
فصل الصيام المتأكد .	١٣٩
الصوم الحرام .	١٤٢

رقم الصفحة	الموضوع
	كتاب اسرار الحج ومهماته
١٤٦	الباب الاول في فضيلة الحج .
١٥٢	فضيلة البيت و مكة .
١٥٥	فضيلة المقام بمكة و كراهته .
١٥٦	فضيلة المدينة و سائر البلاد .
١٥٩	شروط وجوب الحج .
١٦٢	الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة .
١٦٣	في سنن الحج من أول الخروج إلى الإحرام .
١٦٦	في آداب الإحرام من الميقات .
١٦٨	في آداب دخول الحرم إلى الطواف .
١٧١	في السعي بين الصفا والمروة .
١٧٣	في الوقوف بعرفات و ما قبله .
١٧٦	في الإفاضة من عرفات إلى المشعر الحرام .
١٧٨	في الإفاضة من المشعر الحرام إلى منى .
١٨١	في النفر من منى .
١٨٣	في زيارة المدينة و آدابها و زيارة النبي ﷺ .
١٨٤	آداب التوجه من مكة إلى المدينة .
١٨٧	استحباب زيارة فاطمة ﷺ .
١٨٩	الباب الثالث في الآداب الدقيقة و الأعمال الباطنة .
١٨٩	بيان دقائق الآداب .
١٩٦	بيان الأعمال الباطنة .
٢٠٧	رواية الصادق عليه السلام في أسرار الحج .

الموضوع	رقم الصفحة
كتاب آداب تلاوة القرآن .	
الباب الأول فضل القرآن و أهله .	٢١٠
ذمُّ تلاوة الغافلين .	٢١٧
الباب الثاني في آداب ظاهر التلاوة وهي عشرة .	٢١٩
الأول حال القارئ .	٢١٩
الثاني مقدار القراءة .	٢٢٢
الثالث وجه القسمة .	٢٢٣
الرابع تحسين كتابة القرآن .	٢٢٣
الخامس استحباب الترتيل .	٢٢٤
السادس استحباب البكاء مع القراءة .	٢٢٥
السابع رعاية حق الآيات	٢٢٦
الثامن الاستعاذة قبل القراءة .	٢٢٧
التاسع الجهر بالقراءة	٢٢٩
العاشر تحسين القراءة وتزيينها .	٢٣١
الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة ، وهي عشرة .	٢٣٤
الأول فهم أصل الكلام .	٢٣٦
الثاني التعظيم للمتكلم .	٢٣٦
الثالث حضور القلب .	٢٣٦
الرابع التدبر .	٢٣٧
الخامس التفهم .	٢٣٨
السادس التخلي .	٢٤١
السابع التخصيص .	٢٤٣

رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٤	الثامن التأثر .
٢٤٦	التاسع الترقّي .
٢٤٨	العاشر التبرّي .
٢٤٩	فصل في كيفية قراءة القرآن عن الصادق عليه السلام .
٢٥٠	الباب الرابع في فهم القرآن و تفسيره بالرأي .
٢٦٠	في عدم تحريف القرآن .

#### كتاب الاذكار والدعوات

٢٦٦	الباب الأول في فضيلة الذكر .
٢٦٩	فضيلة مجالس الذكر .
٢٧١	فضيلة التهليل .
٢٧٤	فضيلة سائر الأذكار .
٢٧٧	فصل في إشكال وجوابه .
٢٨٢	الباب الثاني في آداب الدعاء .
٢٨٥	آداب الدعاء وهي عشرة .
٢٨٥	الأول أوقات الدعاء .
٢٨٧	الثاني اغتنام أحوال الشرف .
٢٨٨	الثالث في استقبال القبلة حين الدعاء .
٢٩١	الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر .
٢٩٢	الخامس كراهية تكلف السجع في الدعاء .
٢٩٣	السادس التضرّع والخشوع والرهبة .
٢٩٤	السابع الجزم بالإجابة .
٢٩٤	الثامن الإلحاح في الدعاء .



رقم الصفحة	الموضوع
٢٩٦	التاسع افتتاح الدعاء بذكر الله تعالى .
٢٩٨	العاشر أدب الباطن في الدعاء وهو الأصل .
٣٠١	عشرة آداب أخرى للدعاء تستفاد من الأخبار .
٣٠١	الأول تسمية الحاجة .
٣٠٢	الثاني التعميم في الدعاء .
٣٠٢	الثالث الاجتماع في الدعاء .
٣٠٢	الرابع البكاء حالة الدعاء .
٣٠٤	الخامس الاعتراف بالذنب قبل السؤال .
٣٠٤	السادس الإقبال بالقلب .
٣٠٥	السابع التقدم في الدعاء .
٣٠٦	الثامن الدعاء للاخوان والتماسه منهم .
٣٠٧	التاسع أن لا يعتمد في حوائجه على غير الله سبحانه .
٣٠٨	العاشر ما روى عن الصادق عليه السلام .
٣٠٩	فصل في كراهية اللحن في الدعاء .
٣١١	فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ .
٣١٤	فضيلة الاستغفار .
٣١٩	الباب الثالث في أدعية منتخبة محذوفة الأسناد .
٣٣١	أنواع الاستعاذة المأثورة عن رسول الله ﷺ .
٣٣٢	الباب الرابع في الأدعية المأثورة عند كل حادث .
٣٤١	فصل في سؤال عن فائدة الدعاء والجواب عنه .
~~~~~	
٣٤٣	كتاب تركيب الاوراد وتفصيل احياء الليل
	الباب الأول في فضيلة الأوراد ومربها .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٤٦	بيان أعداد الأوراد وترتيبها .
٣٤٦	الورد الأول بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس .
٣٥٢	فصل في الأذكار المكررة .
٣٥٥	الورد الثاني ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار .
٣٥٦	الورد الثالث من ضحوة النهار إلى الزوال .
٣٥٨	الورد الرابع ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر .
٣٥٩	الورد الخامس ما بعد ذلك إلى العصر .
٣٦٠	الورد السادس إذا دخل وقت العصر .
٣٦١	الورد السابع إذا اصفرّت الشمس .
٣٦٢	بيان أوراد الليالي وهي خمسة .
٣٦٢	الورد الأول إذا غربت الشمس .
٣٦٤	الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشاء .
٣٦٦	الورد الثالث النوم إذا روعيت آدابه .
٣٦٧	آداب النوم وهي عشرة .
٣٧٣	الورد الرابع يدخل بمعنى نصف الأول من الليل .
٣٧٦	الورد الخامس السدس الأخير من آخر الليل .
٣٨٠	بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال .
٣٨٧	الباب الثاني فضيلة قيام الليل .
٣٩٠	فضيلة قيام الليل من طريق الخاصة .
٣٩٥	بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل .
٤٠٠	بيان طريق القسمة لأجزاء الليل .
٤٠٤	بيان الليالي والأيام الفاضلة .

﴿ تذكرة ﴾

قوبل هذا المجلد بنسختين ثمينتين .

١ - نسخة مصححة جداً موشحة بالحواشي والتعليق القيمة تفضل

بارسالها السيد الشريف المحقق السيد محمد علي الروضائي المحترم .

٢ - نسخة الأستاذ المحترم مرتضى المدرسي چهاردهي (المدرس في

دارالمعلمين العالية بجامعة طهران) وقد بشرني - دام مجده العالي - أخيراً

بأنه وقف هذه النسخة على مكتبة الإمام أميرالمؤمنين العامة في النجف

الأشرف . فعلى الله أجره وعلينا شكره .





